BOBST LIBRARY
3 1142 02885 9182

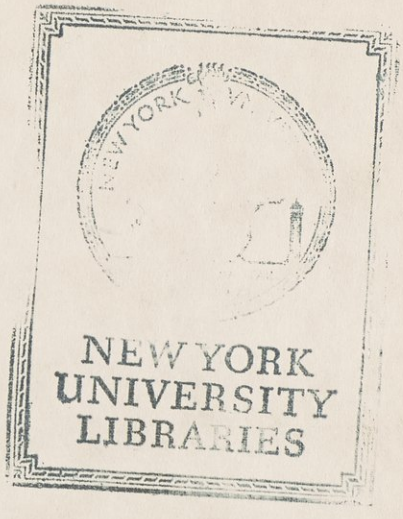

GENERAL UNIVERSITY
LIBRARY

دار الكتب المصرية

القسم الأدبي

ديوان مهيار الديلمي

الجزء الأول

[الطبعة الأولى]

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٣٤٤ هـ - ١٩٢٥ م

Mihyār ibn Marzawayh al-Daylamī

دار الكتب المصرية

القسم الأدبي

Dīwān

ديوان مهيار الديلمي

الجزء الأول

[الطبعة الأولى]

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٣٤٤ هـ — ١٩٢٥ م

East
PJ
7750
.M5
1925
v.1
c.1

فهـــرس

قوافى الجزء الأوّل من ديوان مهيار

صحيفة

قافيـــة الألف الممدودة والمقصورة ١

« البـاء ٨

« التـاء ١٥٣

« الجـيم ١٨٠

« الحـاء ١٨٣

« الدال ٢٢٦

« الراء ٣٤٥

(ملحوظة) ليس للشاعر قوافٍ من حروف الثاء والخاء والذال .

Near East
PJ
7750
M5
1925
v.1
c.1

ترجمة مهيار

عن كتابَيْ

"وفَيات الأعيان" و"المنتظم، فى تواريخ الملوك والأمم"

جاء فى "وفيات الأعيان" لابن خلّكان ما نصّه :

هو "أبو الحُسَين"(١) مِهْيارُ بن مَرْزَوَيْه الكاتب الفارسىّ الديلمىّ الشاعر المشهور، كان مجوسيًّا فأسلم، ويقال : إنّ إسلامَه كان على يد الشريف الرضىّ أبى الحسن محمّد الموسوىّ وهو شيخه وعليه تخرَّجَ فى نظم الشعر، وقد وازن مهيارُ كثيرا من قصائده، وكان شاعرا جزلَ القول مقدّما على أهل وقته وله ديوانُ شعرٍ كبيرٌ، وهو رقيقُ الحاشية طويلُ النَّفَسِ فى قصائده، وقد ذَكَره "أبو الحسَن الباخَرْزِى"(٢) فى كتابه المسمَّى "دُمية القَصْر" فقال فى حقّه :

"هو شاعر، له فى مَناسك الفضل مَشاعر، وكاتب، تحت كلّ كلمةٍ من كلماته كاعب، وما فى قصائده بيت، يُتَحَكَّم عليه بلو وليت، وهى مصبوبةٌ فى قوالب القلوب، وبمثلها يعتذر الدهرُ المذنبُ عن الذنوب"

---

(١) ننبّه القارئ الى أن كنية مهيار فى كتاب وفيات الأعيان "أبو الحسين" وفى كتاب "المنتظم" "أبو الحسن" وبهذه الرواية الأخيرة وردت كنيته مرّاتٍ عديدة فى ديوانه، وهو النسخة الفتوغرافيّة المحفوظة بدار الكتب المصريّة — والتى نقل منها هذا الجزء — تحت رقم ٤٢٣٩ (أدب) فليتنبّه القارئ الى ذلك إذ ليس من حقّنا الفصل أو الترجيح فى هذا الخلاف الخاص باسم أبيه. (٢) هو أبو الحسن علىّ بن الحسن الباخرزىّ الشاعر المشهور، صَنَّف كتابَ "دمية القصر، وعصرة أهل العصر" وهو ذيل "يتيمة الدهر" للثعالبىّ، وقد قُتِل "بباخَرْز" فى ذى القعدة سنة سبع وستين وأربعمائة؛ و"باخَرْز" هذه ناحيةٌ من نواحى "نيسابور" تشتمل على قُرًى ومزارع.

وذكره " أبو الحسن علىّ بن بَسَّام " فى كتابه المسمَّى " الذخيره ، فى محاسن أهل الجزيره " وبالغ فى الثناء عليه ، وذَكَرَ شيئا من شعره

وتُوفِّىَ مِهيارُ ليلة الأحد لخمس خلون من جُمادَى الآخرة سنة ثمان وعشرين وأربعمائة هجريّة . انتهى

* * *

وجاء فى " المنتظم ، فى تواريخ الملوك والأمم[1] " للإمام أبى الفَرج الجَوْزىّ ما نصّه :

مِهْيار بن مَرْزَوَيْه أبو الحسَن الكاتب الفارسىّ

" كان مجوسيًّا فأسلم سنة أربع وتسعين وثلثمائة وصار رافضيًّا غاليًا ، وفى شعره لطفٌ ، إلا أنه يذْكُر الصحابةَ بما لا يصلح

قال له " أبو القاسم بن برهان " : يا مهيار ، انتقلتَ بإسلامك فى النار من زاويةٍ الى زاوية ، قال : وكيف ذاك ؟ قال : لأنك كنتَ مجوسيًّا فأسلمتَ فصرتَ تسبُّ الصحابة

وكانت امرأةٌ تخدمُه ، فكنَست الغرفةَ ، فوجدتْ خيطا فخزَّتْه فاذا هو خيطُ هِمْيان[2] فيه مالٌ ، وكان قد ترك الدارَ قومٌ من الخراسانيّة الحاجّ ، فأخبرتْهُ فلم يتغيّر ، وقال لها : قد تعبتُ حتى خبأتُه فلماذا نبشتيه ؟ وكان فيه ألفا دينار ، وسُعِىَ به الى " جلال الدولة[3] " فقبض عليه ثم أطلقه ، وتوفّى فى جمادى الآخرة من هذه السنة . انتهى

---

(١) نسخة فتوغرافيّة محفوظة بدار الكتب المصريّة تحت رقم ١٢٩٦ (تاريخ) ومانقلناه منها عن مهيار فى الجزء السابع من هذه النسخة : فيمن توفّوا سنة ٤٢٨ هجريّة .

(٢) الهميان : الكيس .

(٣) جلال الدولة : أحد الملوك من " بنى بُوَيه " الذين اختصّهم ووزراءَهم مهيارُ بطائفة كبيرة من مدائحه فى هذا الجزء والجزءين التاليين ونخصّ بالذكر من أولئك الوزراء " أبا سعد بن عبد الرحيم " الملقّب " بعميد الدولة " ، لكثرة ما امتدحه به مهيار من القصائد .

كيف صُحِّحَ هذا الجزء

نُقِلَ هذا الجزءُ من النسخة الفتوغرافيّة المحفوظة بدار الكتب المصريّة تحت رقم ٤٢٣٩ (أدب) وخطها من خطوط أوائل القرن السابع .

وقد عانينا كثيرا من المشاقّ فى قراءة هذه النسخة وٱستجلاء غامضها وٱستكناه عويصها ، حتى ٱضطُررنا الى تصحيف كثيرٍ من الألفاظ التى ذهب إعجامها أو وُضِعَ خطأً فى غير محلِّه . وبعض هـذه الألفاظ قد يحتمل تصحيفا آخر ولكنا راعينا فيما رجّحناه موقع الكلمة من ٱنسجامها مع أخواتها حتى يأخذ بعضهـا برقاب بعض ، كقوله :

وأنعمٌ ” تأتيــه “ مع الربيع جُــدُدُ

المقصود فى هذا البيت كلمة ”تأتيه“ وهى فضلا عن بعدها عما يقتضيه السياق وعن عدم ٱتزان البيت بهـا فإنها توجب أن تكون القافية منصوبةً ، فصحّفناها الى ” نابتة “ والى ” ثابتة “ ورجّحنا الأولى لٱلتئامها مع قوله ” الربيع “ وقوله ”جُدُد“ وهى لا تخفى على أهل الذوق ، ومن الواضح أن الشعر ذو وجوه ومناحٍ وكثيرا ما يُختلف على البيت الواحد وكلّ ٱختلاف له وجهٌ من الظن وناحيةٌ من الرأى . والواقع ، أنه لو أُطلق لنا العنان لنجرى وراء الأهواء سامعين لكل مُدْلٍ برأيه فيما صحفناه أو حورناه أو رجحناه لوقفنا فى وسط المضمار ولأعيانا الشوط وضاقت صحف هـذا الجزء عن ٱستيعاب الألفاظ التى توافق كل هوى .

وٱضطُررنا أيضا الى تحوير كثيرٍ من الكلمات التى لا تتفق ومعنى البيت ، والى زيادة طائفةٍ أخرى من الكلمات التى نقصتها الأبياتُ لتحل محـل المفقود وراعينا فى ذلك ما يرمى اليه الشاعر غير جازمين بأنها هى بعينها إذ قد تختلف هذه الكلمات

فيما لو وجدت نسخة أخرى، ولكنا زدناها لتعطى صورة تكميلية فحسب لهذه الابيات فى اتزانها ومعناها . وسنضع أمثلة لكل ما نوّهنا عنه ناقلين صفحتين كاملتين من النسخة الفتوغرافيّة ليكونا مثالا لباقيها ودليلا على ما عانيناه من التفكير الطويل فى القراءة حتى كادت تزهق النفس مما نكابده من السأم والملل، وبدهىّ أن جهدَ القارئ أقلُّ بكثير من جهد المصحِّح، وما أسهلَ القراءةَ بعد ما يتمّ تصحيحُ الإنشاء، وبخاصّةٍ أنه لم يكن تحت أيدينا نسخةٌ أخرى للمراجعة عليها حتى نستأنس بها وتخفف عنا مؤونةَ البحث والتفكير، اللهمّ إلا تلك النسخة المطبوعة سنة ١٣٠٦ وهى على انتهائها بحرف "الدال" مشحونةٌ بالأخطاء حتى صرنا لا نعوّل عليها عند المراجعة .

وقد شرحنا جملةً من الكلمات التى خلناها مغلَقةً فى معناها واتبعنا فى ذلك وضعَ شرح الكلمة فى أسفل الصحيفة فلا نعود اليهُ إلا عند ضرورةٍ تلجئنا الى إعادة الشرح .

وقد لفت نظرَنا بعضٌ من العلماء والأدباء الى قلّة الشكل، والى شرح كلماتِ كلِّ صحيفةٍ على حِدَتها حتى لا يتكلَّفَ القارئُ البحثَ عنها فى صُحُفٍ سبق فيها شرحُها، وهو رأىٌ وجيهٌ سنأخذ به، متقبّلين مع الشكر كلَّ ما يعنّ لأولى العلم والأدب حتى نقوم باتباعه فى الجزءين التاليين [وهما كالأول تحريفا وطمسا وغموضا]، وندعو الله أن يوفّقنا بهدايته .

ومما هو جديرٌ بالذكر والتنويه تلك العناية السامية والهمّة العالية اللتين بذلها حضرة العالم القانونىّ عبد الحميد بك أبى هيف مدير دار الكتب المصريّة فى إنجاز طبع هذا الجزء، فقد كان حفظه الله يتفضّل بالاختلاف الينا من حينٍ الى حين، مطّلعا بنفسه على ما نقوم به من العمل، مسديا الينا أدقَّ الآراء، مفيضا علينا من علمه الجمّ واطلاعه الواسع، حاثًّا لنا على المثابرة، مما كان يبعث فى نفوسنا النشاط

ويبعد عنها الكلل والضجر، فليس ببدع اذا خصصناه بالذكر على هـذا الفضل، مهدين اليه أبلغ آيات الثناء.

وما ننس لا ننس حضرتى صـاحب العزة الشاعر الأشهر حافظ بك إبراهيم والأسـتاذ الأديب النابه الشيخ أحمد زكى العِدْوِى فى مشاركتهما لنـا فى آستجلاء ما كان يشكل علينا فى كلّ صفحةٍ، سواءٌ أكان من ناحية اللفظ أم من جهة المعنى وآنسجام الأسلوب، ممـا جعلنا مقرّين لهما بالحمد والشكر، ناسجين لهما بردين من سناءٍ وفخر ٤

"أحمد نسيم"

بالقسم الأدبى بدار الكتب المصريّة

أمثلة

من كلمات صُحّفت خطأً أو ذَهَبَ إعجامُها

صحيفة	سطر		
		الأصل : علىَّ ضوافٍ من سوالفِ طَولِهِ	يجرِّرُ أذيالَ السحابِ "شَحوبُها"
٤٧	٥	صوابه : علىَّ ضوافٍ من سوالفِ طَولِهِ	يجرِّرُ أذيالَ السحابِ "سَحوبُها"
		الأصل : وفى التُّرب مما آستصحب الطيفُ فعمةٌ	يراوح قلبى "بِشرُها" المتغرِّبُ
٥١	١٦	صوابه : وفى التُّرب مما آستصحب الطيفُ فعمةٌ	يراوح قلبى "نَشرُها" المتغرِّبُ
		الأصل : لئن دَرَست منها "الحظوظُ" فإنّه	لَيبقَى طويلا عَرفُها فى المساحبِ
٥٦	٦	صوابه : لئن دَرَست منها "الخطوطُ" فإنّه	لَيبقَى طويلا عَرفُها فى المساحبِ
		الأصل : فألسنهم غيظا "بوارد طه"	وأكبادهم خلف الضلوع حِرارُ
٣٨٦	٤	صوابه : فألسنهم غيظا "بوارد رطبة"	وأكبادهم خلف الضلوع حِرارُ
		الأصل : فى ليلةٍ ... "بت" غيـ	ـرَ حديثِها سُمّارُها
٣٩٩	١٣	صوابه : فى ليلةٍ [لم] "يَنْثُ" غيـ	ـرَ حديثِها سُمّارُها
		الأصل : ولقد ظننت بها وراء لثامها	خيرافكشَّفَ "فتحها" "الأشفارُ"
٤٢٤	١٥	صوابه : ولقد ظننت بها وراء لثامها	خيرافكشَّفَ "قُبحَها" "الإسفارُ"

أمثلة

من كلمات محرَّفة

		الأصل : على "شرطِ" عِزٍّ لا تحولُ رسومُهُ	وسرح نعيمٍ لا تُراعُ سُروبُهُ
١٣٦	٩	صوابه : على "صَرحِ" عِزٍّ لا تحولُ رسومُهُ	وسرح نعيمٍ لا تُراعُ سُروبُهُ

صحيفة سطر

الأصل : ومثلك أسرَى لا يُسامُ فداؤها هوانا "وقلبي" لا تُساقُ دياتُها

١٧٠ ١٠ صوابه : ومثلك أسرَى لا يُسامُ فداؤها هوانا "وقتلَى" لا تُساقُ دياتُها

الأصل : وفيحاءَ من "دُونِهم" زرتُها وأخلقْ بها جنّةً أن تُزارا

٣٥١ ٦ صوابه : وفيحاءَ من "دُورِهم" زرتُها وأخلقْ بها جنّةً أن تُزارا

الأصل : ولم أدر والشك "يلقى" اليقين الى أىّ شقَّىْ طريق أصيرُ

٣٩٣ ١٥ صوابه : ولم أدر والشك "ينفى" اليقين الى أىّ شقَّىْ طريق أصيرُ

الأصل : يملأون الحُبَا جلوسا فإن ثا روا ملأتَ "الفضلَ" بيضًا وسُمْرا

٤٠٩ ١٢ صوابه : يملأون الحُبَا جلوسا فإن ثا روا ملأتَ "الفضاءَ" بيضًا وسُمْرا

امثلة

من أبياتٍ سقطَ بعضُ ألفاظها

الأصل : حرامٌ وإن أمحضتَ ... ... مطعمٍ علىّ ، اذا أدّاه أخبثُ مكسبِ

١٦ ١١ صوابه : حرامٌ وإن أمحضتَ [أطيبُ] مطعمٍ علىّ ، اذا أدّاه أخبثُ مكسبِ

الأصل : بك آنتصر الملوك ... ... فيما دعَوك لنصره نِعم النصيرُ

٣٥٩ ٥ صوابه : بك آنتصر الملوك [وأنت] فيما دعَوك لنصره نِعم النصيرُ

الأصل : وأشارك النُّوَّاحَ فيك بأننى ... ... فالتأبين نوح الشاعرِ

٣٤٧ ١٢ صوابه : وأشارك النُّوَّاحَ فيك بأننى [أرثيك] فالتأبين نوح الشاعرِ

صحيفة سطر

الأصل : عرِيت من ظبائها الأنس ... ... وآعتاضت الظباءَ العُفْرا

٤٠٧ ٤ صوابه : عرِيت من ظبائها [الآنساتِ الـ بيضِ] وآعتاضت الظباءَ العُفْرا

الأصل : طاعنا فى السنين تطوى عليهـ نَّ ... ... السنين عصرا فعصرا

٤١١ ١٢ صوابه : طاعنا فى السنين تطوى عليهـ نَّ [طوالَ] السنين عصرا فعصرا

وما الى ذلك كثيرٌ غير الذى تجاوزنا عن ذكره لكثرته بالأصل ممّا يحتاج الى مجلّدٍ على حدته وسيلمُّ القارئُ ببعض ما نوهنا عنه فى أماكنه من هذا الجزء ٤

"أحمد نسيم"

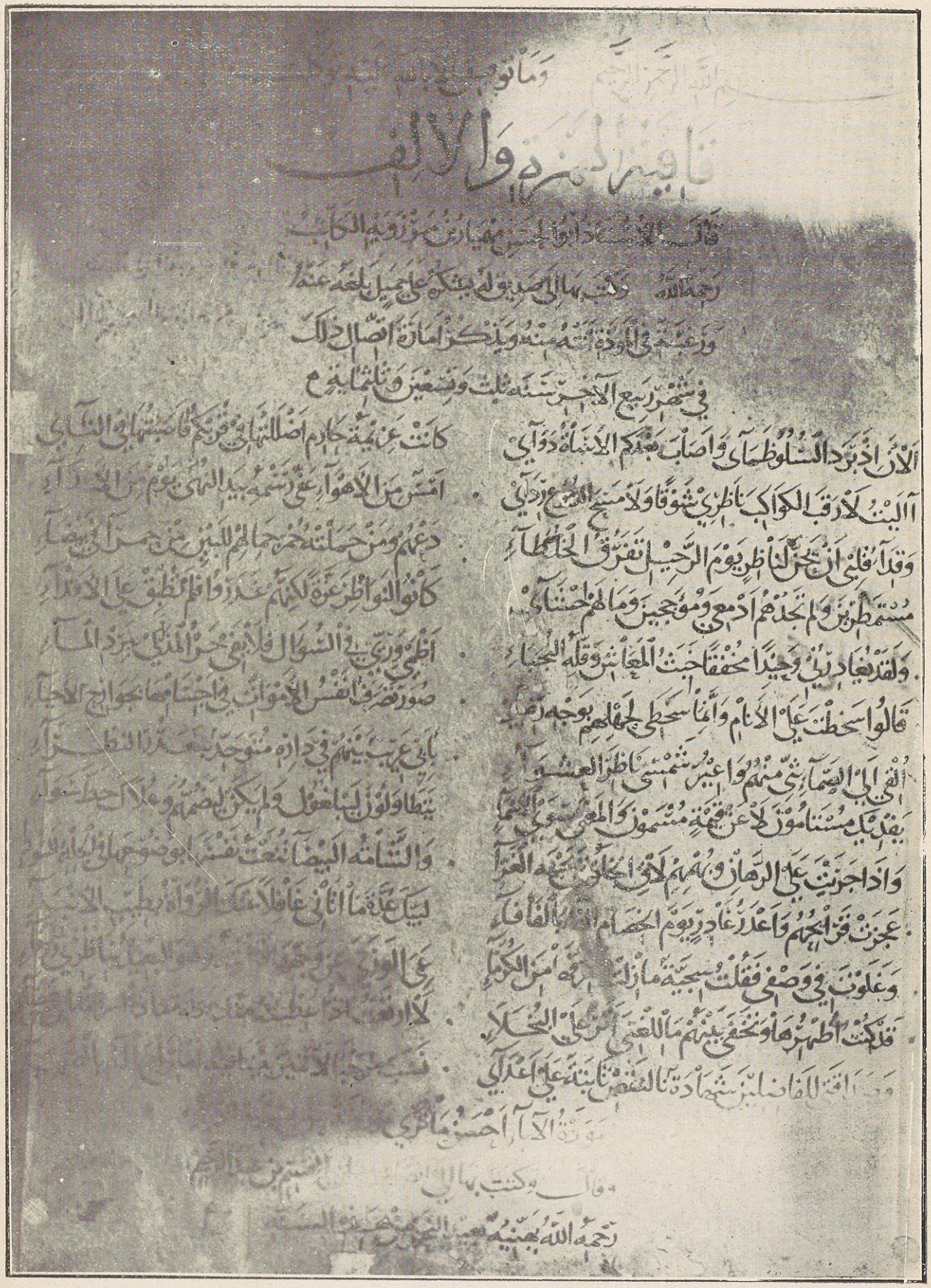

نموذج من صحف الأصل الفتوغرافى [صفحة (١) يقابلها صفحة (١ — ٣) من هذه الطبعة]

نموذج آخر من الأصل الفتوغرافى [صفحة (١٦٢) يقابلها صفحة (٤٠٠ — ٤٠١) من هذه الطبعة]

بسم الله الرحمن الرحيم

وما توفيقي إلا بالله عليه توكّلت وإليه أنيب.

قافيـــة الهمزة والألف

(١)

قال الأستاذ أبو الحسن مِهْيار بن مَرْزَوَيْه الكاتب رحمه الله تعالى وكتب بها الى صديقٍ له يشكره على جميلٍ بَلَغه عنه، ورغبةٍ فى المودة أنته منه، ويذكر أَمَارة اتصال ذلك فى شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة

الآن إذ بَرَدَ(١) السلوُّ ظَمائى(٢) ... وأصاب بَعدكم الأُساةُ(٣) دوائى

كانت عزيمة حازمٍ أضللتُها ... فى قربكم فأصبتُها فى النائى

آليتُ لا رَقَبَ الكواكبَ ناظرى ... شوقا ولا مَسَحَ الدموعَ ردائى

أمسٌ من الأهواء عَفَّى رسمَه ... بيد النُّهى يومٌ من الآراءِ

وقَذاءُ قلبى، أن يَحنّ لناظرٍ ... — يومَ الرحيل — تفرّقَ الخُلَطاءِ

دعهم ومَنْ حَمَلَتْه حُمْرُ جِمالهم ... للبين مِن حمراءَ فى بيضاءِ

مستمطِرين ولم تَجُدهم أدمعى ... ومؤجِّجين وما لهم أحشائى

---

(١) يقال: بَرَدَه و برَّده: جعله باردا. (٢) الظَّماء: أشدّ العطش. (٣) الأُساة جمع آسٍ وهو الطبيب.

ملاحظة: الأرقام المكتوبة فى مثل هذه العلبة (١) على الهوامش الخارجيّة تدلّ على رقم الصفحة فى النسخة الأصليّة المنقولة بالتصوير الشمسىّ.

كانوا النواظـرَ عِزّةً لكنهم ... غَـدروا فـلم تُطبِق على الأقذاءِ (١)

ولقـد يغـادرنى وحيـدا مخفقا ... خَبَثُ المعـاش وقِـلّةُ النجباءِ

أظمَى وريِّى فى السؤال فلا يفى ... حَرُّ المـذلّة لى بـبَرْد المـاءِ

قالوا سخِطتَ على الأنام وإنما ... سخطى لجهلهمُ بوجه رضـائى

صُوَرٌ تَصَرَّفُ أنفسُ الأمواتِ فى ... أجسامها بجـوارح الأحيـاءِ

أُلـقِى الى الصَّـمّاء بثّى منهُـمُ ... وأُعـير شمسىَ ناظـرَ العَشْـواءِ (٢)

بأبى غريبٌ بينهـم فى داره ... متوحِّـدٌ بتعـدّد النُّظَـراءِ

يَفـديك مستامون (٣) لا عن قيـمةٍ ... مُسْمَوْن والمعنَى سوى الأسمـاءِ

يتطاولون ليبلُغوك ولم يكن ... ليضمَّهـم وعلاك خـطُّ سـواءِ

واذا جريتَ على الرِّهان وبُهْمَهـم ... لاقَ (٤) الخَـلوقُ (٥) بجبهـة الغـرّاءِ

والشامةُ البيضـاءُ تَنعَت نفْسَهـا ... بوضوحها فى الجِلدة السـوداءِ

عَجَـزتْ قرائحُهـم، وأغدرُ غادرٍ ... — يومَ الخصام (٦) — الفاءُ بالفأفـاءِ (٧)

لبّيـك عِـدّةَ ما أتانى غافـلا ... عنـك الرواةُ بطيّب الأنبـاءِ

وغلوتَ فى وصفى، فقلتُ سجيّةٌ ... ما زلتُ أعرفها من الكرماءِ

عمِىَ الورى عن وجهها فرأيتُـه ... — وهو البعيد — بناظرىْ زرقاءِ (٧)

قد كنتُ أُظهرها وتَخفَى بينهـم ... ما للغِـنى أثرٌ عـلى البخـلاءِ

لا ارتعتُ إذ أُعطيتُ منك مودّةً ... ماذا أسرّ الناسُ من بَغضائى

---

(١) الأقذاء جمع القذى وهو ما يقع فى العين وما ترمى به من غَمَص ورَمَص. (٢) العشواء: الناقة لا تبصر أمامها. (٣) يقال: استام بالسلعة وعليها: غالى، فقوله: مستامون أى مغالون.

(٤) لاق: عَلِقَ. (٥) الخَلوقُ: ضرب من الطِّيب. (٦) الخصام: الجَدَلُ.

(٧) الفأفاء: الذى يردد الفاء فى كلامه. (٨) زرقاء: يريد زرقاء اليمامة وهى امرأة من جَديس كانت تبصر مسيرة ثلاثة أيام.

وصداقتى للفاضلين شهادةٌ بالنقص ثابتةٌ على أعدائى
نسبٌ، مُزِجنا، لا تميّز بيننا فيه، امتزاجَ الماءِ بالصهباءِ
ومودّة الأبناء أحسنُ ما تُرَى موروثةً عن نِسبة الآباءِ

* * *

وقال وكتب بها الى الصاحب أبى القاسم بن عبد الرحيم رحمه الله، يهنئه بعيد النحر من هذه السنة

يا عينِ لو أغضيتِ يومَ النوى ما كان يوما حَسَنًا أن يُرَى
كلّفتِ أجفانَك ما لو جرى برمل يَبْرِينَ(١) شكا أو جرى
جنايةً عرّضتِ قلبى لها فاحتملى، أولَى بها مَنْ جنى
سَلْ ظبياتٍ بالحِمى رُتَّعًا خُضِّرَ منهنّ بياضُ الحِمى
نَشَدتكنّ اللهَ، ما حيلةٌ صاد بها الأُسْدَ عيونُ المها؟(٢)
إن تك سِحْرا أو لها فعلُه فالسحر يشفى منه طِبُّ الرُّقَى(٣)
فيكنّ مَن حشوُ جلابيبه أهيفُ راوى الرِّدف ظامى الحشا
قلبى له مَرْعًى وصدرى كَلًا(٤) ليت كلًا ظبيُ الحِمى ما رعى
يا بأبى غضبانَ لو أنه يرضى بغير القتل نال الرضا
أغَصُّ بالماء حِفاظا لِما فارقتُه فى فمه من لَمى(٥)
ما لدماء الحبِّ مطلولةً أهكذا فيهنّ دِين الدُّمى(٦)؟

---

(١) يبرين : بلدة من أصقاع البحرين و بها الرمل الموصوف بالكثرة . (٢) المها جمع مهاة وهى البقرة الوحشيّة . (٣) الرقى جمع رقية وهى العُوذة يتعوّذ بها الإنسان من السحر . (٤) الكلأ : رطب العشب و يابسه ، وحذفت الهمزة للضرورة . (٥) اللمى مثلثة اللام : سمرة فى الشفة . (٦) الدمى جمع دُمْية وهى الصورة المنقّشة من الرخام .

إن كانت الأعراضُ مجزيّةً ... فعاقبَ اللهُ الهوى بالهوى

لله قلبٌ حسنٌ صبرُه ... ما سُئل الذِّلّة إلا أبَى

وصاحب كالسيف ما صادفت ... ضَربتُهُ غَرْباءُ[1] إلا مضى

يركب فى الحاجات أخطارَها ... إمّا خسا[2] فيها وإما زكا[3]

يَميل إن هجّر فى ظلّه ... ويحسب الليلَ البهيمَ الضُّحى

كأنه فى الخطب بالحظّ أو ... بدرِ بنى عبد الرحيم اهتدى

فداء من يُحْسِن أن يوسع الـ ... ـإحسانَ قومٌ خُلِقوا للفِدى

جاد على الأملاك واستظهروا ... بالمنع بُخْلا فى زمان الغنى

تبعث أحشاؤهم غيظَه ... الى حلوقٍ حسبْته الشَّجا[4]

أراهُمُ عجزُهُمُ ناهضٌ ... بالثقل ما استُضوئ إلا وَرَى

من معشرٍ تَضْمنُ تيجانُهم ... صُوعَ[5] المعالى وعِيابَ[6] النُّهى

تُرفَع منهم عن جباهٍ بها ... أبّهةُ الملْكِ عفا أو سطا

للعزّ حَشْدٌ دون أبوابهم ... يُشعِرك الخوفَ ولمّا يُرَى

اذا أحبّوا غايةً حَرّموا ... دون مداها أن تُحَلَّ الحُبَى[7]

قل "للحسين بن علىّ" وما ... نماك أصل الخير حتى نما

أدّيت عنهم، فاحتبت[8] روضةٌ ... تنبت بالنضرة فضلَ الحيا

مناقبٌ يجمعنا مجدها ... جمعَ العُرَى فى عُقَدات الرِّشا[9]

---

(١) كذا بالأصل ولعلها "حُرْباء" وهى مسمار الدرع . (٢) الخسا : الفرد . (٣) الزكا : الشفع من العدد . (٤) الشجا : ما اعترض فى الحلق من عظم ونحوه . (٥ و ٦) صوع : جمع صاع وهو مكيال يكال به، وعياب جمع عيبة وهى زبيل من أدم، وكلاهما من باب الاستعارة . (٧) الحبى : جمع حبوة وهى أن يضمّ الإنسان رجليه الى بطنه بثوب يجمعهما به مع ظهره ويشدّه عليه، وقد تكون باليدين عوض الثوب . (٨) احتبت : اشتملت . (٩) الرشا بوزن كساء : الحبل وحذفت الهمزة للضرورة .

لذاك ما ظُلِّل لى واسعٌ ... أرتعُ منه آمنًا فى حِمَى
كأننى فى دُوركم منكمُ ... فى غير ما يُحْظَر أو يُحْتَمى
فى نعمةٍ منكم اذا آستُكْثِرَتْ ... منها الفُرادَى، أعقبتها الثِّنَى (١)
يحسدنى النـاسُ عليها ولو ... قطَّعنى حاسدُها ما آعتدى
نشرتُها شكرا ولو أننى ... طويتُها ثمَّتْ نميمَ الصَّبا
فلتبقَ لى أنت، فحقًّا اذا ... وجدت قولى، لا عدمتُ المنَى
فى نعمةٍ ليست بعاريَّةٍ (٢) ... تُضْمَن، أو مقروضةٍ تُقْتَضَى
يَعضُد فيها العامُ ما قبلَهُ ... ويفضُل اليومَ أخوه غدا
فى كلّ يومٍ لك عيدٌ، فما ... يغرب فى عينيك عيدٌ أتى
وخذ من الأضحى بسهميك من ... حظَّيْن فى آخرة أو دُنَى (٣)
أجرك مذخورٌ لهاذاك والـ ... ـنَّيروزُ موفورٌ على حفظ ذا
ما طِيفَ بالأستار فى مثلِهِ ... ودامتِ المَروةُ (٤) أختَ الصَّفا

* * *

وقال يمدح العمدة ذا النباهتين آبن الصاحب، ذا السياستين أبا محمد بن مكْرَم رحمهم الله، ويذكّره بقديم ما بينه و بينه من الخلطة، ويهنئه بعيد النحر من هذه السنة

مالكُمُ لا تغضبون للهوى ... وتعرفون الغدرَ فيه والوفا؟
إن كنتُمُ من أهله فانتصروا ... من ظالمى أو فاخرجوا منه بُرَا (٥)
أما تَرَوْن كيف نام وحَمى ... عينى الكرى، فلم ينم ظبيُ الحِمى؟

(١) الثنى بالكسر والقصر: الأمر يعاد مرتين. (٢) العارية مشدّدة وقد تخفف: ماتدوول.
(٣) دنى جمع دنيا. (٤) المروة والصفا: جبلان بين بطحاء مكة والمسجد. (٥) يريد براء: جمع برىء.

وكيف خـلّانى بطيئا قـدَمِى ... عنـــه ومرّ سابقـا مع الوَنِى؟(١)

غضـبانُ يالَهْـفِىَ كم أرضيتُـــه ... لو كان يَرضَى المتجنِّى بالرِّضا

ما لدليـــلٍ نَصَلَتْ(٢) ركـابُهُ ... من الدجى، حاملةً شمسَ الضحى

ضلَّ؟ ولو كان له قلبى اهتـدَى ... بنـاره، أو شام(٣) جفنىَّ سَـقى

قالوا الغضـا، ثم تنفّستُ لهم، ... فهـم يدوسون الحصا جَمْرَ الغضا

بين الحُـدوج(٤) مُترَفٌ(٥) يُزعِجُـهُ ... لينُ مِهادٍ ورفيقـاتُ الخُطَـا

عارضنى يُذْكِرُنى الغصنَ به ... وأين منـــه ما استقام وانثنى؟

حىِّ وقَرِّبْ بالكثيب(٦) طـارقا ... من طيف حسناءَ على الخوف سرى

عاتَبَ عنها واصـــفًا مـودّةً ... ما أسأرتْ(٧) إلا عُلالاتِ(٨) الكرى

أضمُّ جفـنىَّ عليـــه فَـرَقًا(٩) ... من الصباح، وعلى ذاك انجـلى

كأننى عُجْبًا به وشَـعَفًا ... محبةُ "العمدةِ" فى حُبِّ العـلا

شَمَّرَ للمجـدِ، وما تشـمَّرتْ ... له السنونَ، يافعٌ كهلُ الحجا

وقام بالرأى، فكان أوّلُ ... من رأيه وآخرُ الحـزمِ سَـوَا

سما الى الغـاية حتى بَلَغَتْ ... همّتُـــهُ به الســماءَ وسما

فابن الملوك بالملوك يَقْتـدِى ... وابن البحار بالبحار يُبْتَـغَى

سكنتموها فاضحين جُودَها ... مُبَخِّليها بالسـماح والنَّـدَى

نشـاتم المُلكَ وقـد تهجَّمتْ ... سائلةٌ بَلَّغَت المـاءَ الزُّبى(١٠)

---

(١) الونى : التعب . (٢) نصلت : خرجت . (٣) شام ، يقال شام البرق : نظر اليه أين يقصد وأين يمطر . (٤) الحدوج جمع حدج وهو مركب للنساء . (٥) المترف : المتنعم الذى لا يُمنع من تنعُّمه . (٦) الكثيب : التلّ من الرمل . (٧) أسأرت : أبقت . (٨) علالات جمع علالة وهى البقية من كل شىء . (٩) فرقا : فزعا . (١٠) الزبى جمع زبية وهى الرابية لا يعلوها ماء .

وٱعترضت وجهَ الطريق حَيَّةٌ ... صَمّاءُ ، لا تُصغى لِحَدْناتِ الرُّقَى

أنكر فيها المَلْكُ مجرى تاجِهِ ... وقام عن سريره وقد نبا

لَفَّتْ على العراق شطرًا وٱنثنت ... لفارسٍ ، فدبَّ سُمٌّ وسرى

لم تدرِ أنَّ "عُمانَ" حاويًا ... ما خَرَزاتُ سحرِهِ إلا الظُّبا

يتركها ، تَفْحَصُ عن نيوبها ، ... درداءَ[1] تستافُ[2] الترابَ باللُّها[3]

سَبْقًا أنتك ، وحَمَتْك حُسَّرا ... عن هذه الدولة هاذاك العَشَا

مهلا بنى مُكْرَمَ ، من سماحِكم ... قد أثمر المصفرُّ وٱخضرّ الثرى

إن كنتم الغيثَ تبارون به ... فحسبكم ، ما يفعل الغيثُ كذا

يا نجمُ ، كانت مقلتى تنظرُهُ ... حتى ٱستنار بدرَ تمٍّ وٱستوى

صحبتُهُ ريحانةً فلم يزل ... دُعاىَ ، حتى طال غصنا ونما

أُذْكُرْ ذَكَرتَ الخيرَ ما لم تنسَهُ ... من صحبتى ، ذِكرَكَ أيامَ الصِّبا

وحُرمةً شروطُها مكتوبةٌ ... على جبين المجدِ ، راعوا حقَّ ذا

ما نعمةٌ تَقسِمُها إلا أنا ... بها أحقُّ من جميع مَنْ تَرى

أىُّ جمالٍ زِنتنى اليومَ به ... زانك بين الناس من مدحى غدا

لا تعدَم الأيامُ أو عبيدُكم ... نعماءَ منكم تُحْتَذَى وتُجْتَدَى

ولا تزل أنتَ مدَى الدهر لنا ... كهفا الى أن لا ترى الدهرَ مَدَى

كلُّ صباحٍ واجهتْك شمسُهُ ... عيدٌ ، وكلُّ ليلةٍ ليلُ مِنَى

إن نحروا فَرْضًا ، فقم نافلة[4] ... فٱنحر عداك حَسَدًا بلا مُدَى

وٱبقَ على ما قد أحلَّ مُحرِمٌ ... وما دعا عند الطوافِ وسعى

(١) الدرداء : التى ذهبت أسنانها . (٢) تستاف : تشمّ . (٣) اللها جمع لهاة وهى اللحمة المشرفة على الحلق أو ما بين منقطع أصل اللسان الى منقطع القلب من أعلى الفم . (٤) النافلة : كل ما يثاب على فعله ولا يعاقب على تركه .

* * *

وقال فى اللوح

ما مُكْرَمٌ هيِّنُ الآباء يكرهه ... أبناءُ قومٍ ويَرضَى عنـــه آباءُ؟
صِينَ لدى الله بآسمٍ واحدٍ وغَدَا ... مُشَهَّرًا فيه بين النـاس أسماءُ
تَلْقَى به شِقَّةَ عيناك، وهو غدًا ... فيـه شـقاءٌ لأقوامٍ ونَعْـماءُ
اذا وسمتَ علاماتٍ به فبدت ... تلوح، فهى له سِـتْرٌ وإخفاءُ
فإن كسته ثيـابَ العزِّ ناسجةً ... يدٌ صناعٌ(١)، نَفَتْهـا عنـه حَرقاءُ

* * *

وقال فى النيلوفر

ساهرةُ الليلِ نؤومُ الضُّحَى ... ريَّانةٌ، والأرضُ تشكو الظَّمَا
رائحةٌ فى السِّربِ لم تُقْتَنَصْ ... ظبـاؤه إلا بأمرِ الدُّجَى
مُلتئمٌ فوها، وإن لم يكن ... فى شفتيهـا ما لهـا من لَمَى
حَيَّـةُ ماءٍ، ناقـعٌ سَمُّهـا ... وناقـعٌ سمُّ أفاعى الصَّـفا
تعطيـك منهـا أَلْسُـنًا عِدَّةً ... مجتمعاتٍ كلُّهـا فى لَهَـا

* * *

قافيـــة البـاء

وقال وهى من أوّل قوله فى غرضٍ له

أيهـا العـاتبُ ما ذا ... ك وما أعرِفُ ذنبى؟
أتظُنُّ الدمعَ دَيْنًـا ... نتقـاضـاه بعَتْـبِ؟

---

(١) صناع : حاذقة .

إن تكن أنكرتَ حِفظى لك وآرتبتَ بُحبّى
فبعينِ الله، يا ظا لمُ، عيناى وقلبى

* * *

وقال وكتب بها الى أبى الحسين هليل[1] بن المحسِّن بن إبراهيم الصابئ الكاتب، وقد عتب عليه فى مودة بينهما عتابا فى غير مكانه، ونسبه الى هجرٍ كان أبو الحسين جانيهُ، وذلك فى ذى القَعدة من هذه السنة

عَذيرِىَ مِنْ باغٍ علىّ أُحبُّهُ ولم أَرَ بغيًا قبلَه جرّه الحبُّ
يعاتبنى فى الهجرِ، والهجرُ دِينُه وقد كان حُلوًا لو حلا ودُّه العَتْبُ
وأسلك طُرقَ الوصلِ وهو محبَّبٌ فإن ضلَّ حقٌّ بيننا فله الذنبُ
بعثتَ نُدوبًا[2] من تجنّيك يا "أبا الـ حسين" سهامًا لا يقوم لها قلبُ
أذِكرًا بما سرّ الوشاةَ، وتُهمةً لعهدى، وقولًا فىَّ أسهلُهُ صعبُ
وذَمًّا، ولو ما جاء غيرُك خاطبًا جزاءً به منى، لقد سَهُلَ الخطبُ
وكم جُرِّعتْ منى رجالٌ، بحورُها كئوسُ آنتقامٍ، مُرّها فى فمى عَذْبُ
بأىّ وفاءٍ خلتنى حُلتُ عن هوًى ومثلى لا يسلو، وفى الأرض مَن يصبو
تصفَّحْ صحابَ الخير والشرّ وآنتقد بقلبك، تَحُزْنى اذا نُبِذَ الصَّحْبُ
ولا تمكّنْ من يقينك رِيبةٌ فتنبو، فإنّ الصارمَ العضبَ[3] لا ينبو
سلمتُ من الحسّادِ فيك فإنهم اذا مُكّنوا من نارِ فتنتهم شَبُّوا
ولا أطفأتْ منك الليالى بجَوْرها على العبد، رأيًا كان يقدحُهُ القلبُ

(١) كذا بالأصل وفى آبن خلّكان وشذرات الذهب "هلال".
(٢) ندوب جمع نَدْبة وهى أثر الجرح.
(٣) العضب: القاطع.

* * *

وقال وكتب بها الى أبى القاسم سعد بن أحمد بن الوزير الكافى مع قصيدة أنفذها الى أبيه الوزير الكافى أبى العباس الضبّىّ وأنفذهما معًا فى هذا التاريخ

حَمامَ اللِّوَى رفقًا به، فهو لُبُّهُ ... جوادًا رِهانٍ نوحُكنّ ونَحْبُهُ

قَراكُنّ(١) من لا يَنقَعُ الطيرَ ماؤه ... ولا يُشبعُ النُّوقَ السواغبَ(٢) عُشْبُهُ

وطِرتنَّ حيث القانصُ آمتدّ حَبلُهُ ... وطالت، فلم تعدُ القوادمُ(٣)، قِضْبُهُ(٤)

أعمدًا تُهيِّجن آمرأً بان أُنسُه ... وأسلَمَهُ حتى أخوه وصَحْبُهُ؟

أمرّ ومُهرى مُغرَمَيْنِ على اللِّوى ... فأسأله أو كاد(٦) ينطق تُربُهُ

من الحىّ تَشتقُّ العِرَضْنَةَ(٧) عِيسُهُ(٨) ... إزاءك، حتى آمتدّ كالسطر رَكبُهُ

وفى الظُّعْنِ(٩) محسودُ الحواضر مُترَفٌ ... تُلاث(١٠) على خدّ الغزالة نُقبُهُ(١١)

تطولُ على الصَّوّاغ حين يمدّها ... خَلاخيلُهُ المَلْأَى، وتقصُرُ حِقْبُهُ(١٢)

جَهِدنا، فلم نُدرِك، على أنّ خيلَنا ... سواءٌ عليها سهلُ سيرٍ وصَعْبُهُ

وقد فَطِنتْ للشوق، فهى تسرّعا ... تكاد تعدّ السير يومَ تَغِبُّهُ

أكلَّ ظَمائى، غائضٌ ما يَبُلُّه؟ ... وكلّ سَقامى، مُعوِزٌ مَنْ يَطُبُّهُ؟

تلاعبتَ بى يادهرُ حتى تركتنى ... وسيّانِ عندى جِدّ خطبٍ ولَعْبُهُ

وأبعدتَ مَنْ أهوَى فإن كنتَ مزمعا ... لتسلبنى عنهم "فسعدٌ" وقربُهُ

---

(١) قراكنّ : ضافكنّ . (٢) السواغب : الجياع . (٣) القوادم : ريشات فى مقدّم الجناح، الواحدة قادمة . (٤) القضب : جمع قضيب وهو الدقيق من السهام . (٥) بان : غاب .
(٦) أو : بمعنى حتى . (٧) العرضنة : الاعتراض فى السير من النشاط ، أو العدو فى آشتقاق .
(٨) العيس : الإبل البيض يخالط بياضها شقرة . (٩) الظعن جمع ظعينة وهى الهودج .
(١٠) تلاث : تلفّ . (١١) نقب جمع نِقاب وهو معلوم . (١٢) حقب جمع حِقاب وهو شىء تعلّق به المرأة الحلىَ وتشدّه فى وسطها .

بودّى، وهل يغنى عن المرء ودُّه ... وأشياعُهُ فيما يحاول حِزبُهُ؟
سلكتُ مجازَ العزّ بينى وبينه ... تُحَطُّ روابيه وتُهْتَكُ حُجْبُهُ
ولو أنّ أرضا مَهلكا، هان قطعُها ... ولو أنّ ماءً من دمٍ، ساغ شربُهُ
الى قمرٍ، طرفى تعلّل دونه ... وكم قمرٍ غطّته دونِىَ سُحْبُهُ
"أبا القاسم": المَرْعَى مَرِيرٌ نباتُهُ ... يَبِيسٌ، وحلوُ العيش عندك رَطْبُهُ
أقول، وما داجتك زُورًا محبّتى ... وقد يُفرط الإنسانُ فيمن يُحِبّهُ:
زكا غُصُنٌ من "آل ضبّة" أصلُهُ ... أبوك له فرعٌ، وإنك عَقْبُهُ
علاءٌ، تملّتْ منه بالودّ عُجْمُهُ ... لصحبتها، واستبقتِ العزَّ عُرْبُهُ
رأى بك ما أنسى ابنَ غيلٍ شُبولَهُ ... خِيرا بخيرٍ أو فشرّا يذُبُّهُ
قليلا، على حكم النجابة، شِبْهُهُ ... كثيرا، على ما توجب السنُّ، تِرْبُهُ (١)
لئن أخّرتْنى عن فِنائكما التى ... عتبتُ لها دهرى، فلم يُجْدِ عَتْبُهُ
وسوّفنى رؤياكما فألطّ (٢) بى ... فعادتُهُ فى أخذ حقّى غصبُهُ
فيا ليته أدنَى مَزارِىَ منكما ... وأهلىَ مَرعاه ودارىَ نَهبُهُ
وما أنا من تُصبيه أوطانُ بيته ... لعاجلِ أمرٍ سَرَّ، والعارُ غِبُّهُ
اذا أنا أبغضتُ الهوانَ ودارَه ... فأهوَنُ ما فارقتُهُ مَن أُحِبّهُ
صِلونا، فإنا مُجدِبون بمنزلٍ ... يضيق على الأيام بالحُرّ رَحبُهُ
سواءٌ به يا "آل ضبّة" ليثُهُ ... اذا سار يبغى الرزق فيه، وضَبُّهُ
وكانوا عِيارًا (٣)، ربما جاد بعضهم ... فأعدَى صحاحَ السَّرْحِ يا "سعدُ" جُرْبُهُ

(١) الترب: من ولد معك وأكثر ما يستعمل فى المؤنث، يقال: هذه ترب فلانة. (٢) ألطّ بى أي منعنى حقى. (٣) عيار جمع عير وهو الحمار أيّا كان أهليّا أو وحشيّا وغلب على الوحشيّ.

يعـزّ عليكم، كيف يَرجِعُ مُرمِلا (١) غلامٌ من الآداب والمجـد كسبُهُ؟
تقـدّمني قـومٌ، وما ذاك ضائرى لديكم، اذا ما أخلص الزُّبدَ وَطْبُهُ (٢)
أبانهُـمُ تلفيقُ جهـلٍ يَرُبُّهم وأنحلني تحقيـقُ فضـلٍ أُرُبُّهُ
تحلَّ بهـا يا "سعدُ" فهى قلادةٌ يُزَيِّنُ فيهـا فاخرَ الدرّ ثَقْبُـهُ
هـديّةُ خِلٍّ، إن جعلتَ ودادك الـ صَّداقَ لهـا مع فقره، فهو حسبُهُ
يرفّعـهُ عن بذلة البعـد عتبُـهُ وهمّتـه العليـا الى النـاس ذنبُـهُ
ولى أختُهـا عنـد الوزير تلوح فى دجى الليل، أو تبدو فتخجَلُ شُهبُهُ
يلذُّ لهـا مَـدُّ النشـيد وليُنُـه ويُزهَى بهـا رفعُ الكلامِ ونصبُهُ
لهـا حُسْـنُها، لكن أريدك شافعًا وخيرُ شـفيعٍ لى الى الجسم قلبُـهُ

* * *

وقال وقد أنعم الله تعـالى عليه بالإسلام، ووفّقه لمـا كان يتردّد فى نفسـه من الاستنصار بلطفه وفضـله، وذلك فى سـنة أربع وتسـعين وثلاثمـائة، يذكر ذاك ويُهجِّن قومَه بسـفَهِ ما هم عليـه ومعايبه، وكتب بهـا الى الكافى الأوحد يبشّره ويمدحه

دواعى الهوى لك أن لا تجيبا هَجَـرْنا تُقًى ما وَصَلْنا ذُنوبا
قَفَوْنا (٣) غرورَك حتى انجلتْ أمـورٌ أَرَيْنَ العيونَ العيوبا
نَصِبْنَا لهـا أو بلَغنـا بهـا نُهًى لم تدعْ لك فينا نصيبا
وهبنا الزمانَ لهـا مقْبلا وغصنَ الشبيبة غضًّا قشيبا
فقـل لمخوّفنـا أن يحـول صِبًا هَرَمًا وشـبابٌ مَشيبا:

(١) المرمِل: الذي نفد زاده. (٢) الوطب: سقاء اللبن. (٣) قفونا: تبعنا.

وددْنا لعفّتنا أننا ... وُلدنا اذا كُرِهَ الشَّيْبُ شِيبا
وبلِّغ أخا صحبتى عن أخيك ... عشيرته نائيا أو قريبا
تبدّلتُ من ناركم رَبَّها ... وخُبثِ مواقدِها الخُلدَ طِيبا
حَبستُ عنانِىَ مستبصرا ... بأيّةِ يستبقون الذُّنوبا
نصحتكُمُ لو وجدتُ المُصيخ(١) ... وناديتكم لو دعوتُ المجيبا
أفيئوا فقد وعد الله فى ... ضلالةِ مثلكُمُ أن يتوبا
وإلا هلمّوا أُباهيكُمُ ... فمن قامَ والفَخْرَ، قام المصيبا
أمثل محمدٍ المصطفَى ... اذا الحكم وُلّيتُموه لبيبا
بعدلٍ مكانَ يكون القسيمَ ... وفصلٍ مكانَ يكون الخطيبا
وثَبْتٍ(٢) اذا الأصلُ خان الفروعَ ... وفضلٍ اذا النقصُ عاب الحسيبا
وصَدْقٍ بإقرار أعدائه ... اذا نافق الأولياءُ الكذوبا
أبان لنا اللهُ نَهْجَ السبيلِ ... ببعثته وأرانا الغيوبا
لئن كنتُ منكم فإنّ الهجيـ ... ـن يُخرِجُ(٣) فى القَلَتاتِ النجيبا
أَلِكْنِي(٤) الى مَلِكٍ بالجبا ... ل يدفعُ دفعَ الجبالِ الخطوبا
فتًى يطرُقُ المدحُ من بابه ... قِرًى كافيا وجناباً رحيبا
قوافىَّ تلك وَرَدْنَ النمي ... رَ من جوده ورَعَيْنَ الخصيبا
عوارىَ تُكسَى ابتساماته ... وفى القول ما يستحقُّ القُطوبا
ومن "آل ضبّةَ" غصنٌ يهـ ... ـزُّ جَنِيًّا، ويُغمَزُ عُوداً صَليبا(٥)
وكانوا اذا فتنةٌ أظلمتْ ... وأعوزهم مَنْ يُجلّى الكروبا

(١) المصيخ : المصغى . (٢) الثبت : الثابت . (٣) الهجين : الذى ولد من أمةٍ وأبوه عربىّ أو من أبوه خير من أمّه . (٤) ألكنى : أرسلنى . (٥) صليبا : شديدا .

تداعوه : يا أوحـدًا كافيًـا لنـا مستخَصًّا الينـا حبيبا
فكان لنـا قمرا ما دجتْ وماءً اذا هى شُبَّتْ لهيبـا
أرى مُلْكَ "آلِ بُوَيْه" آرتدَى عَواراً بأن راح منـه سليبـا
فإن يُمسِ موضـعُه خاليـا فمـا تُعْرَفُ الشمسُ حتى تغيبا
لك الخير مَوْلَى، رَمَيتُ المنى رِشاءً اليـه، فروَّى قَليبـا (١)
لحظِّىَ فى حبس سَـيْرِى اليـ ك رَأْىٌ سأنظُرُهُ أن يؤوبا
اذا قلت : ذا العامُ شافٍ بدت (٢) قوارفُ منعٍ تُجِـدُّ النُّـدوبا
ولى عزمةٌ فى ضمـانِ القبولِ سَتُدْرِكُ، إن ساعدتنى هُبوبا
وإلا فتحمِلُ شكرا اليـك يُشوِّقُ الخلىَّ ويُغرِى الطروبا
وعذراءَ تُذْكِر نُعـماك بى وإن كنتُ لستُ بها مستريبا
ستُنكِرُ فجأةَ عُنوانهـا اذا هو أعطاك وَسْمًا غريبا
فوفِّ، فقـد جَعَلَ الدَّينُ ما تنفَّلتَ فى الجودِ فرضا وُجوبا
وقد كنتُ عبدا قصيّا وجُدتَ فكيف وقد صرتُ خِلًّا نسيبا !

* * *

وقال وكتب بهـا الى أبى الحسين علىّ بن محمد البُندارىّ الكاتب خليفة الكافى الأوحد ، يشكره على كثرة وصفه إيّاه وإطرائه له ، وبلغه ذلك عنـه بلاغة يُرغَبُ مع مثلها فى المودَّة

أخى فى الودّ فوق أخى النسيبِ وخِلّى دون كلِّ هـوًى حبيبى
ومـولاى البعيـدُ يقـول خيرا قريبٌ قبـل مولاى القـريبِ

(١) القليب : البئر . (٢) قوارف : قواشر، من قولهم : قرف القرحة أى قشرها بعد يبسها .

وما دحَى المصرِّحُ شاهدًا لى ... فــداءٌ للمعــرِّض فى مَغيبى
فــلا تتطلَّبى غَلَطاتِ شــوقى ... فمــا إن زلتُ ذا شوقٍ مصيبِ
أَرَدْتِيــنِى ليملكنى نفــاقا ... سليمُ الوجه ذو ظَهرٍ مريبِ
وألســنةٌ تظاهرنى صِحــاحًا ... وأعلمهــا بطــائنَ للعيــوب
قد آعتــذر الزمانُ بودّ خِلٍّ ... محــا ما كان أسلفَ من ذُنوبِ
أئتنى — طاب ما أتتِ آبتــداءً ... بلا حقٍّ عليه ولا وُجوبِ —
يدٌ منــه وفَتْ بيــد الغمام ا ... مصيب، همَتْ على العام الجديبِ
فمثَّــله التصــوّرُ لى بقلبٍ ... يَرَى بالظنّ من خَلَلِ الغيوبِ
"أبا حسنٍ" بدأتَ بهــا فتمّم ... وإن لم تعطنى إلا نصيبى
صفاتُك وهى تكشف عن قريضى ... يمينُ القَيْن يشحذ عن قضيبِ
بنــا ظمأٌ وعنــدكُمُ قَليبٌ ... وأنت رِشــاءُ هاذاك القَليبِ
"أبو العباس" موئلنا و"سعدٌ" ... فقل فى الطود، أو قل فى الكثيبِ
رضيتــك ثَمَّ لى ذخرا لنشر ا ... سليم الطىّ أو نشر المَعيبِ
وغيرك مَنْ سَكَنتُ اليه كُرهًــا ... كما سكَن العِــذارُ الى المشيبِ
متى سالمتنى سلِمتْ صَــفاتى ... على ما دسَّ قــومٌ من ذنوبى
اذا نَظَــر الحبيبُ بعينِ عَطفٍ ... فأهونُ ناظرٍ عينُ الرقيبِ

* * *

وقال بعــد عوده من حضرة الكافى الأوحد، وقد تأخّر كتابه ورسومٌ له، لغلبة الأشغال عليه، وكتب اليه يعاتبه بهذه القصيدة وأنفذها اليه

شــفى الله نفسا لا تَذِلُّ لمَطْلَبِ ... وصبرا متى يسمعْ به الدهرُ يَعجبِ
وصدرًا، اذا ضاقت صدورٌ رحيبةٌ ... لخطبٍ، تلقّــاه بأهلٍ ومَرحبِ

بعيـدا من الأفكار ما كُنَّ حطَّةً ... فإن تك فى كسب المكارمِ تقـرُب

تمرَّنْ بأخلاقى، فتى الحىّ، إن تكن ... رفيقـا، فإمّا عاذرى أو مؤنبى

تبغَّضْ اذا كنتَ الفقيرَ وإن تكن ... غنيًّا فطامِنْ للغنَى وتحبَّب

اذا لم تَجِدْ ما يُعظمونك رغبـةً (١) ... وأردت النَّصْف منهـم فأرهِب

فإنك ما لم تُرْجَ أو تُخْشَ فيهـمُ ... وتقعدْ مع الوُسطَى تُدسْكَ فتَعْطَبِ

أفق يا زمانى، ربمـا أنا صـائر ... الى سهلِ ما أرجو بفـرطِ تصعُّبى

أغرَّك فى ثوب العفافِ تزمُّـلى ... وأخـذى مكانَ الآمل المترقّبِ؟

اذا أنا طـالت وقفـتى فتـوقَّنى ... فإنّ لهـا لا بدّ وثبـةَ مُنجِبِ

ويا صاحبى، والذلّ للرزق موردٌ ... أضَنُّ بنفسى عنـه وهى تجودُ بى

خذ النفسَ عنى والمطامعَ إنهـا ... قد استوطأتْ من ظهرها غيرَ مركبى

حرامٌ وإن أمحضتَ (٢) مطـعم ... علىّ، اذا أدّاه أخبثُ مكسبِ

أأنت على هجـر اللئـام معنِّفى؟ ... نعم أنا ثَمَّ، فارض عنّى أوِ اغضبِ

أألقَى البخيـلَ أجتـديه بمدحةٍ ... خصيمان فيهـا شاهـدى ومغيّبى

وأكذِبُ عنـه فى عبـارةِ صادقٍ ... كثيرٌ إذًا، فى حيث أصدقُ، مُكذِبى

تعـوّدته خُلْقًـا، ثنـائى لمحسنٍ ... أقول بمـا فيـه، وذمّى لمذنبِ

---

(١) هكذا بالأصل وهو مختل الوزن وقد ورد فى بعض النسخ المطبوعة هكذا :

إذا لم تجد ما يعظمونك رغبة * ورمتَهُم أن ينصفوك فرهِّبِ

وهو مختلف عن الأصل فى لفظه، ومع المحافظة على ألفاظ الأصل لعله يكون هكذا :

اذا لم تجد ما يُعظمونك رغبـةً * به وأردت النَّصْف منهم فأرهِبِ

بزيادة "به" فى أوّل الشطر الثانى .

(٢) كذا بالأصل ولعله * جرامٌ — وإن أمحضتَ — أطيبُ مطعمٍ *

فما سرّنى فى الحقّ أنّى مع العدا ... ولا عابَ أنّى فى المحال على أبى

وحاجةِ نفسٍ دبّر الحزمُ صدرَها ... فأُبتُ بها محمودةً فى المُعَقَّبِ

أريدُ بها "الكافى" بقلبٍ معذَّبٍ ... مُرادَ "ابنِ حُجْرٍ" قبلها "أمَّ جُنْدَبِ" (١)

وليلِ تمامٍ (٢) قد قليتُ نجومَه ... اليه، يُردنَ الشرقَ، يَذهَبن مَذهبى

وما لانفرادى مالها من تَجمُّع ... ولكن بقلبى ما بها من تلهُّبِ

وطودٍ تخال الراسياتِ وِهادَه ... متى يَبْغِ ظنُّ العينِ أُخراهُ يُكْذَبِ

تراه — ولم تظفر محلّقةً به — الـ ... عُقابُ بعينىْ عاجزٍ فى تهيُّبِ

سَلكتُ فأدّانى بقلبٍ ملفَّحٍ ... عظائمَ ما أَلقَى، وجسمٍ مجرَّبِ

إرادةُ حظٍّ أَتعبَتْنى، ومن تكن ... له حاجةٌ فى ذمّةِ الشمسِ يتْعَبِ

فِدَى الأوحد "الكافى" جبانٌ، لسانُهُ ... شجاعٌ، بحيث القولُ غير مصوَّبِ (٨)

بخيلٌ، لو أنَّ البحرَ بين بنانه ... وفرقَها عن قطرِهِ لم تَسَرّبِ

يسامِيه تغريرا برأيٍ مُشعَّثٍ (٣) ... يكدُّ ولا يُجدى، وعِرضٍ مشعَّبِ (٤)

ومنتسبٌ يومَ التفاخر مُسفرٌ، ... اذا انتسب "الضبّىُّ" قيلَ: تنقَّبِ

أيا ساريا، إمّا ركبتَ فلا تُنخْ ... مُريحا، وإمّا ماشيا كنتَ فاركبِ

لعلك تأتى شِرعةَ الجودِ سابقا ... بهاذاك، مع فرط التزاحم تَشرَبِ

وقل: يا "أبا العباس" بل يا أبا الورى ... فكلّهُمُ فيما مَلكتَ بنو أبِ

أنا ذاك، لم تكفِ اشتياقى زَورةٌ، ... بَلَى، زادنى بالبعدِ شَجْوًا تقرُّبى

اذا كنتَ تهوى الشىءَ إمّا رأيتَه ... وأحببتَ أن تَشقَى، فزرْ ثمَّ جَنِّبِ

---

(١) يشير الشاعر هنا الى قول امرئ القيس بن حجر

خليلىَّ مرّا بى على أمّ جُندَبِ ... لنقضى لُبانات الفؤادِ المعذَّبِ

(٢) ليل التمام بكسر التاء: أطول ليالى الشتاء. (٣) مشعّث: مفرّق. (٤) مشعّب: مصدّع.

أحنّ اذا الوفدُ آستقلّوا لقصدكم ... حنينَ الفتى العُذرىِّ مَرَّ بربرب

ووالله لم أهجركم العامَ عن قِلًى ... ولا أنّ سيرًا نحوكم كان منْصبى

وما صاحبى قلبٌ بظنٍّ مُرَجَّمٍ ... الى غيركم فى العالمين مُقلّبى

اذا أَطربَ الإبْلَ الحُداءُ فإننى ... اليكم متى غنّيتُ فالجودُ مُطربى

ونفسى لكم، تلك التى لودادها ... ولو أُغْضِبتْ فى واجبٍ ألفُ مُوجِبِ

أأمدحُ منها ما آختبرتم! وإنما ... يُظَنُّ بعتق السيفِ ما لم يُجرَّبِ

هجرتُ لك الأقوامَ حبًّا فوفِّنى ... يَبِنْ بِى الى جدوَى يديك تحزُّبى

وأشمتُّهم ذا العامَ أنك جُرتَ بى ... ومَذهَبُك العدلُ الصحيحُ ومَذهَبى

لئن عَتَبوا أنى تفرّدتُ دونهم ... بمدحك، فاشهدْ أننى غيرُ مُعتِبِ

فإن خَبُثَتْ أيديهُم لِى وأَسْهَكَتْ[1] ... فربَّ نوالٍ طاهرٍ لك طيّبِ

* * *

وقال وأنشدها الأميرَ سندَ الدولة أبا الحسَن بن مَزْيَد فى داره بالنيل، وقد لقيَهُ بها فى شهر ربيع الأوّل سنة ثمانى وتسعين وثلاثمائة

هَبْ من زمانِكَ بعضَ الجِدّ للّعبِ ... وآهجرْ الى راحةٍ شيئًا من التعبِ

ما كلُّ ما فات من حظٍّ بليّتُهُ ... عجزٌ، ولا كلُّ ما يأتى بمُتلَبِ

لا تحسَبِ الهمّةَ العلياءَ مُوجِبةً ... رزقًا على قِسمة الأقدارِ لم يجبِ[2]

لو كان أفضلُ مَنْ فى الناس أَسْعَدَهم ... ما آنحطّتِ الشمسُ عن عالٍ من الشُّهُبِ[3]

أو كان أَسْيَرُ ما فى الأُفْق أَسْلَمَهم ... دام الهلالُ فلم يُمْحَقْ ولم يَغِبِ

يا سائقَ الرَّكْبِ غَرْبيًّا وراءك لى ... قلبٌ الى غير نجدٍ غيرُ مُنقلِبِ

---

(١) أسهكت: أتت فى عَرَقِها بريح خبيثة. (٢) فى الأصل: لم تجب. (٣) فى الأصل: مِنْ.

تلفُّتًا، فخلال الضيقِ متَّسعٌ ... وربَّ منجذبٍ فى زىّ مجتنبِ

قِفْ نادِ يا "آل بكر" فى بيوتكمُ ... بيضاءُ يُطربها فى حُسنها حَرَبى

لما رأت أُدْمَةً(١) نُكْرًا وغائرةً ... شهباءَ(٢) راكضةً فى الدُّهم(٣) من قُضُبى(٤)

لوتْ - وقد أضحكتْ رأسى الخطوبُ لها - ... وجهًا الى الصدّ يُبكينى ويَضحَك بى

لا تعجبى اليومَ من بيضائها نظرًا ... الى سِنِيّ، فمن سودائها عجبى

ما زلتُ - علمًا بأنَّ الهمّ مخترمٌ ... عُمرَ الشبيبةِ - أبكيها ولم أَشِبِ

وُسُومُ شَيْبٍ، فإن حقّقتِ ناظرةً ... فإنهنّ وُسُومٌ فىَّ للنُّوَبِ

تُرَى نداماىَ ما بين الرُّصافةِ فالـ ... ـبيضاءِ(٥) راوِين من خمرٍ ومن طربِ؟

أو عالمين - وقد بُدِّلتُ بَعدَهُمُ - ... ما دارُ أنسى وما كأسى وما نشبى؟

فارقتهم، فكأنى - ذاكرًا لهمُ - ... نضوٌ تلاقت عليه عضَّتا قتبِ

سقَى رضاىَ عن الأيام بينهمُ ... غيثٌ، وبان عليها بَعدَهم غضبى

إذ نَسكُب الماءَ بُغضًا للمزاج به ... ونطعمُ الشُّهدَ إبقاءً على العنبِ

يمشى السّقاة علينا بين منتظرٍ ... بلوغَ كأسٍ ووثّابٍ فمستلبِ

كأنما قولنا للبابلىّ: أدر ... حلاوةً، قولنا للزَيْدَىّ: هَبِ

فِدًى علىٍّ جبانُ الكفِّ مقتصرٌ ... من الفخار على الموروث بالنسبِ

يُرَى أبوه ولا تُرْضَى مكارمُه ... الأرضُ صحّت وأودى الداءُ بالعُشُبِ

ومُشبَعون من الدنيا وجارُهمُ ... بادى الطَّوَى ضامرُ الجنبين بالسَّغَبِ

(١) الأدمة: السمرة فى الإنسان، ولون مشرَبٌ سوادا فى الإبل. (٢) الشهباء: البيضاء يصدعها سواد. (٣) الدهم جمع أدهم وهو الأسود. (٤) القضبُ جمع قضيب وهى الناقة التى لم تُرَض، وكلّ ألفاظ البيت من باب الاستعارة يصف بها ما أصاب وجهه من التلويح وما أصاب رأسه من الشيب كما يتضح من الأبيات التالية. (٥) الرصافة والبيضاء: اسما بلدتين.

قـل للأمير، ولو قلت : السماءُ به ... مفضوحةُ الجَوْدِ[1]، لم تَظْلِمْ ولم تُحِبِ[2]

أعطيتَ مالَك، حتى رُبَّ حادثةٍ ... أردتَ فيها الذى تُعطى فلم تُصِبِ

لو سُمتَ نفسَك أن ترتاضَ تجربةً ... بحفظ ذاتِ يدٍ يومين لم تَطِبِ

كأنّ مالَكَ داءٌ أنت ضامنُه ... فما يُصِحُّك إلا علّةُ النشبِ

لو كان يُنصفك العافون لاحتشموا ... بعضَ السؤالِ، فكفُّوا أيسرَ الطلبِ

يا بدرَ عَوْفٍ، وعوفُ الشمسُ فى أَسَدٍ ... وأَسَدٌ[3] شامةٌ بيضاءُ فى العربِ

أنتُمْ أولو البأسِ والنعماءِ، طارفةً[4] ... أخبارُكم، وعُلًى تَلْدٌ[5] من الحِقَبِ

أحلَى القديمَ حديثًا جاهليَّتُكُمْ ... وقَصَّ أسلافِكم من رتبة الكُتُبِ

ما كنتُمُ مذ جلا الإسلامُ صفحتَهُ ... إلا سيوفَ نبيٍّ أو وصيِّ نَبِى

بكم "بِصفّينَ" سدَّ الدِّينُ مَسكنَهُ ... و "آلُ حَرْبٍ" له تحتال فى الحُرَبِ

وقام "بالبَصْرة" الإيمانُ منتصبًا ... والكفرُ فى "ضَبَّةٍ" جاثٍ على الرُّكَبِ

حتى تقيَّلتَها إرثًا، وأفضلُ ما ... نقلتَ دينَك شَرْعًا عن أبٍ فأبِ

اذا رأيتَ نجيبًا صحَّ مذهبُهُ ... فاقطع بخيرٍ على أبنائه النُّجُبِ

لا ضاع، بل لم يضعْ يومَ انتصرتَ به ... وأنت كالوِرْدِ[6]، والأعداءُ كالقَرَبِ

وقد أتوكَ برايات مكرّرةٍ ... لم تدر قبلك ما اسمُ الفرّ والهربِ

تمشى بهم ضُمَّرٌ، أدمَى روادفَها ... غرورُ فرسانها بالفارسِ الذَّرِبِ

لما دعوتَ "عليًّا" بينهم، ضَمِنتْ ... لك الولايةَ فيهم ساعدُ العطبِ

حكت رءوسَ القنا فيه رءوسُهُمُ ... حتى تموّهتِ الأعناقُ بالعَذَبِ[7]

---

(١) الجود : المطر. (٢) لم تحب : لم تأثم، وفى الأصل "لم تخب" وهو تحريف. (٣) كلمة "وأسد" فى هذا الشطر يدخلها "الخَبْلُ" وهو ما حُذِفَ ثانيه ورابعه الساكنان. (٤) الطارفة : الحديثة. (٥) التلد جمع تليد وهو القديم. (٦) القَرَبُ : سير الليل لورد الغد. (٧) العَذَبُ جمع عَذَبةٍ وهى خرقة تشدّ على رأس الرمح، وهى أيضا ما سدل بين الكتفين من العمامة.

وطامعٌ فى معاليــك ٱرتقى فهوى ... وهل يَصِحُّ مكانُ الرأسِ للذنَبِ؟
ما كان أحوجَ فضلا تمّ فيك الى ... عيبٍ يعــوِّذُه من أعين النُّوَبِ
أحببتكم ، وبعيــدٌ بين دَوْحتنا[1] ... فكنتُ بالحبِّ منكم أىَّ مقترَبِ!
ووُدُّ "سَلْمانَ" أعطاه قرابتَــهُ ... يوما ، ولم تُغنِ قُربَى عن أبى لَهَبِ
ورفَّــعَ الصونُ إلا عن مناقبكم ... أسبابَ مدحِىَ فى شِعرى وفى خُطَبى
فمــا ترانِىَ أبوابُ الملوك مــع الـ ... ـزِّحام فيهــا على الأمــوال والرُّتبِ
قَناعــةٌ رَغِبتْ بى عن زيارة مسـ ... ـدولِ الســتورِ وعن تأميلِ محتجبِ
ولى عوائدُ جُودٍ منــك لو طَرَقت ... تَســتامُ مُلكَكَ لم تُحــرَمْ ولم تخِبِ
ملأتُ بالشكر قلبَ الحافظ الغزِلِ الـ ... ـفؤادِ منهــا وأُذنَ السامعِ الطَّــرِبِ
فــرأىُ جُودِك فى أمثالهــا لفــتًى ... أتاك بالحرمتين الدِّينِ والأدبِ
ومَنْ توسَّلَ فى أمرٍ فمــا سببٌ ... اليــك أوكدُ فى الأمرين من سببى

* * *

وقال وكَتب بها الى الصاحب أبى القاسم بن عبد الرحيم ، وقد ورد من فارس يهنّئه بخَلَعٍ أُفيضت عليه بها ، وتكرِمةٍ لحقَتْه فيها ، وبسلامته وبالمِهْرَجان[2] ، ويقتضيه حاجةً كانت له

رعى اللهُ فى الحاجاتِ كلَّ نجيبِ ... سميعٍ عــلى بُعــدِ الدعاءِ مُجيبِ
وطهَّــرَ فِتْيانا من الذمِّ طهَّــروا ... غيوبَهــمُ[3] أن تُنْتَحى بعيــوبِ
ســواءٌ على عُسرى ويُسرى وفاؤهم ... وألســنُهم فى مَشــهَدى ومَغيبى
أحبُّوا المعــالى وهى مُنصِبةٌ لهــم ... فمــا قَنعوا من وصــلها بنصيبِ

(١) الدوحة : الشجرة العظيمة الباسـقة .
(٢) المِهْرَجانُ : عيـد الفرس ، وهى كلمة مركّبة من "مِهْر" و "جان" ومعناها : مَحَبَّةُ الروح .
(٣) فى الأصل : عيوبهم .

لجارِهِم من دارهم مثلُ ما لهم ... على راحةٍ من عيشهم ولُغوبِ (١)
اذا جئتهم مستصرخا ثارَ مجدُهم ... بكلِّ مُجيبٍ فى الخطوب مَهيبِ
وكرّم عيشى عندهم وأعاده ... بما فاض من حُسْنٍ عليه وطِيبِ
تعيّرنى "لَيْلَى" الوفاءَ بعهدِهم ... على بُعدِهم، أنّبْتِ غيرَ مُنيبِ!
خُلِقْتُ رقيق القلب، صعباً تقلُّبى ... أَرَى لبعيدٍ ما أَرَى لقريبِ
وما زلتُ أهوَى كلَّ شىء ألفتُه ... وصاحبْتُهُ حتى ألفتُ مَشيبى
وتُنكِر أضفارى (٢)، كأنْ لم تَرَ الصِّبا ... سقَى وَرَقى يوماً وهزَّ قضيبى
ولم ألقَ أشراكا فأَثنِى حبالَها ... على ما اشتهتْ من أعينٍ وقلوبِ
فما زال مُمسِىَّ الزمانُ ومُصْبِحى ... بأسمالِه (٣) حتى استرَدَّ قشيبى
فداءُ بنى "عبد الرحيم" وودِّهم ... هوى كلِّ ممذوق الوداد مُريبِ
ولا بَرِحتْ، تسقى "الحسينَ" وعَرْضَهُ ... بملآنَ من فَيض الثناء سَكوبِ
مجلجلةُ الأرجاءِ، صادقُ برقِها ... حَلوبٌ لماء الشِّعرِ غيرُ خَلوبِ
مَرَتْها (٤) رياحُ الشكر حتى تلاحمتْ ... بما نسجَتْها من صَبا وجَنوبِ (٥)
فصابت، فعمَّت ما سقته، فأخصبتْ، ... على أنها لم تُسْقِ غيرَ خَصيبِ
وجازاه ملكا فى الجزاء فضيلةً ... وأدَّى ثوابَ الشكر حقَّ مُثيبِ
أخى، وأخى الموروثُ غيرُ موافِقٍ ... ومولاى (٦)، وابنُ العمّ غيرُ نسيبِ
ضميرٌ على حكم اللسان، وبعضُهم ... أخو مَلَقٍ يُبلَى أخوه بذيبِ
وعن حِفظ غَيبِ المُلكِ نُصحا اذا طغى ... به غَلُّ (٧) أسرارٍ وعينُ غيوبِ

(١) اللغوب : التعب . (٢) أضفار : جمع ضَفْرٍ وهى كلّ خصلة على حدتها كالضفيرة .
(٣) الأسمال جمع سَمَلٍ وهو الثوب الخَلَق . (٤) مرتها : استخرجتها . (٥) الصَّبا : الريح الشرقية ، والجنوب : ريح تقابل الشَّمال . (٦) المولى : ابن العم . (٧) الغَلّ : الماء جرى بين الأشجار .

فكم غمّة عمياء أعضل داؤها ... رماها برأيٍ من نُهاهُ طبيبِ
وشاهدةٍ (١) بالفخر أوفتْ صفاتُها ... على كلّ معنًى فى الجمال عجيبِ
أتت شَرَفًا من سيّدٍ، وكأنها ... أتت من محبٍّ تُحفةً لحبيبِ
صَفَتْ وَضَفَت حتى آستطالت جُنوبها ... بوافٍ، ومدَّتْ باعَها برحيبِ
ونيطتْ بأخرَى مثلِها فتظاهرا ... على ظهر طَودٍ فى قميصٍ قضيبِ
ومنحولةٍ (٢) جسمَ الهواءِ نحيلةٍ ... كأنّ الهوى فيها رَمَى بمصيبِ
من الريح، لولا أن "يَذْبُلَ" تحتها ... وقارُك، مرَّتْ عنك مرَّ هُبوبِ
اذا دقَّ مسًّا وقْعُها جلَّ رفعُها ... الى منصبٍ (٣) فى القَريتين حسيبِ
وذى شيبتين آستَوْقف الصبحَ والدجى ... على ناصلٍ من لونه وخضيبِ (٤)
كأنّ السحابَ جَوْنَها وبياضَها ... تفرّعَ من صافٍ به ومَشوبِ (٥)
تشبَّثَتِ الأبصارُ حتى تمكَّنتْ ... وقد كرّ من هادٍ (٦) له وسَيبِ (٧)
توقّى الأذى من عُرْفه بخميلةٍ ... وحَكَّ الحصى من ذيله بعَسيبِ (٨)
وأعجبه فى رِدفه ووشاحه ... ملابسُ تكسو منه كلَّ سليبِ
نصيبٌ من الدنيا أتاك ففُزْ به ... ولا تنسَ من فضلِ العطاء نصيبى
كفى المِهرَجان مُذْكِرا وذريعةً ... الى مُحسِنٍ فى المكرُماتِ مُطيبِ
بقاؤك ألفًا مثلَه فى كفالتى ... دعوتُ، ومَنَّ اللهُ فيك مُجيبى
فما زال فيكم كلُّ خيرٍ طلبتُه ... قُضِى لِىَ فى إدراكه وعُنِى بى

(١) يقصد بقوله "وشاهدة" خلعة ضافية. (٢) منحولة: معطاة. (٣) القريتين: اسم بلد. (٤) يصف جوادًا. (٥) فى الأصل "شُبوب" وهو خطأ. (٦) الهادى: العنق. (٧) السبيب: شعر الذنب والعرف والناصية من الفرس. (٨) العسيب: عظم الذنب أو منبت الشعر منه.

* * *

وقال وكتب بها الى الرئيس أبى الحسَن الهُمَانىّ فى عيد النحر، وقد حصل ببغداد يهنّئه ويُعرِّضُ بذكر عدوّ له توثّب على ولايته بالعناية دون الكفاية

أَستنجِدُ الصبرَ فيكم وهو مغلوبُ ... وأسألُ النومَ عنكم وهو مسلوبُ

وأبتغى عندكم قلبًا سمحتُ به، ... وكيف يرجِعُ شىءٌ وهو موهوبُ؟

ما كنتُ أعرفُ مامقدارُ وصلكُمُ ... حتى هجرتم، وبعضُ الهجر تأديبُ

أستودع اللهَ فى أبياتكم قمرًا ... تراه بالشوق عينى وهو محجوبُ

أَرضَى وأسخطُ أو أرضَى تلوُّنَه ... وكلُّ ما يفعلُ المحبوبُ محبوبُ

أمَّا وواشيه مردودٌ بلا ظَفَرٍ ... وهل يُجابُ وبذلُ النفس مطلوبُ؟

لو كان يُنصِفُ ماقال: آنتظرْ صِلَةً ... تأتى غدًا، وآنتظارُ الشىء تعذيبُ

وكان فى الحبِّ إسعادٌ ومُنعطَفٌ ... منه، كما فيه تعنيفٌ وتأنيبُ

يا لَلَّواتى بَغضنَ الشَّيْبَ وهو الى ... خدودهنَّ من الألوانِ منسوبُ

تأبَى البياضَ وتأبَى أن أسوِّده ... بِصبغةٍ وكلَا اللونَيْنِ غِربيبُ (١)

ما أنكرتْ أمسِ منه ناصلًا يقِقًا (٢) ... ما تُنكر اليومَ منه وهو مخضوبُ

ليتَ الهوى صان قلبى عن مَطامعه ... فلم يكن قطّ يستدنيه مرغوبُ

إنى لأسغَبُ (٣) زهدًا والثرى عَمِمٌ (٤) ... نبتًا، وأظمأ وغَرْبُ (٥) الغيثِ مسكوبُ

ولا أَرِقُّ لحِرصٍ خابَ صاحبُه ... سعيًا، ويعلم أنّ الرزقَ مكسوبُ

(١) الغربيب: الشديد السواد، يريد أن كلا اللونين فى الشعر وهما الأبيض الناصل والمخضوب، أسود فى لونه لأن كليهما لا ترضاه العين، وقد قال المتنبى

ابعدْ بعدت بياضًا لا بياضَ له ... لانتَ أسودُ فى عينى من الظُّلَمِ

(٢) اليقق: الأبيض. (٣) أسغب: أجوع. (٤) العمم: اسم لكل ما آجتمع وكثر.
(٥) الغرب: الدلو العظيمة.

عُقبَى الطماعةِ فى مالٍ يُمَنُّ به ... عُصارةٌ لا يُغطّى خُبثَها الطِّيبُ

طَهِّرْ خلالَك من خِل تعابُ به ... وآسلم وحيداً فما فى الناس مصحوبُ

إنى بُليت بمضطَرٍّ رفيقُهُمُ ... والماءُ يملُحُ وقتاً وهو مشروبُ

كم يوعد الدهرُ (١) آمالى، ويُخلفُها ... أخاً أُسَرُّ به، والدهرُ عُرقوبُ (٢)

أسعَى لمثل سَجايَا فى "أبى حَسَنٍ" ... وهل يُبلِّغنى الجوزاءَ تقريبُ (٣)!

فِدَى محمدٍ المنسىِّ نائلُهُ ... مُراجِعٌ، نيلُهُ المنزورُ محسوبُ

حالٌ تحدّثه الأحلامَ جاهلةً ... لحاقُهُ، وأخو الأحلامِ مكذوبُ

إن قدَّم الحظُّ قوماً غالطاً بهِمُ ... أو بيَّتتهمْ عِناياتٌ وتقريبُ

فالسيف يُخبَرُ قطعاً وهو مدَّخرٌ ... والطِّرْفُ يكرَمُ طبعاً وهو مجنوبُ (٤)

حذارِ من حَدَثِ النَّعماء مؤتنِفٍ (٥)، ... علاؤه بشفيع الوجه مجلوبُ

تسوءه سائلا : مِن أين سؤددُه؟ ... إنّ اللئيم بما قد ساد مسبوبُ

أأنت أنت وفى الدنيا "أبو حَسَنٍ"؟ ... صدقتَ إن لفى الدنيا أعاجيبُ

اذا رأيتَ ذيولَ السَّرْح آمنةً ... لم يَحْمِها، فلأمرٍ يحلمُ الذيبُ

يا مُلبِسى الشيمةَ الغرّاءَ ضافيةً ... علىَّ، إن قَلَصتْ عنِّى الجلابيبُ

عَلِقْتُ منك بعهدٍ لا مَواثِقُهُ ... تُنسَى، ولا حبلُه بالغدر مقضوبُ

وأحمدتْك آختباراتى وقد سَبَرتْ ... غَوْرَ الرجال وكدَّتها التجاريبُ

فلتجزِيَنَّك عنّى كلُّ غاديةٍ ... لها من الكَلِم الفيَّاضِ شُؤبوبُ (٦)

اذا وسَمتُ حَيَاها باسمك آنحدرتْ ... له الرُّبَى وأطاعته المصاعيبُ

---

(١) فى الأصل "يعد" (٢) عرقوب : اسم رجل كان أكذب أهل زمانه و يضرب به المثل فى الخلف . (٣) التقريب : ضربٌ من العدو . (٤) فى الأصل "محبوب" وهو خطأ والمجنوب من الخيل الذى تقوده الى جنبك . (٥) حدث النعماء مؤتنف : حديث النعمة جديد العهد بها . (٦) الشؤبوب : الدفعة من المطر .

فاسلم لهنّ ولى ، ما طاف مستلمٌ سَبْعا ، وعلّق بالأســـتارِ مكروبُ
تُرجَى وتُخشَى فَسيحَ الباب ممتنعًا إن الكريمَ لمرجُوٌّ ومرهوبُ

* * *

وقال وقد أُنفِذَ الصاحبُ أبو القاسم بن عبد الرحيم الى حضرته بفارس فى رسالة ، عقيب موت الملك بهاء الدولة رحمه الله ، فأحسن البلاغَ وأحسن السّفارةَ وٱستقلَّ بقضاء الحاجة ، فأفيض عليه خِلَعٌ جميلةٌ وكرمٌ ، فكتب اليه وقد عاد الى العراق يهنّئه ويستوحشُ لسابق بُعده ويذكُرُ المسرَّة بقُربِه

أَفلحَ قومٌ اذا دُعوا وَثَبُـــوا لا يرهبون الأخطارَ إن ركبوا
تَسبِقُ نهْضاتُهُـــم عزائمَهُـــمْ أن (١) تُستشارَ العاداتُ والعُقُب (٢)
سارُون لا يسألون : ما حَبَسَ الـ ـفجرَ ولا كيف مالت الشُّهُبُ
عوّدهم هجرُهـــم مُطالبَـــةَ الـ ـراحةِ أن يظفَروا بما طلبوا
وخاب راضٍ بالعجز يَصبِر للـ ـأوزار مستسلمـا ويَحتسِبُ
إن فاته حظُّ غـــيرِه فله منه ٱغتيابٌ يشفيه أو عجبُ
لا تستريح العلى الى سكنٍ إلا غـلامًا يريحـــه التعبُ
تَضمَّنَ السيرُ صدرَ حاجتِـه والثِّقتان التقـريبُ والخَبَبُ (٣)
من مبلغُ البين يومَ دلَّهنى : آبَ ، بما سرَّ بَعدَك ، الغيبُ (٤)
رُدَّ شبابى من "الحسينِ" كما كان ، وعادت أيامِىَ القُشُبُ (٥)
يا قادما أُتهِـــمُ البشـــيرَ به من فرحٍ ، أنَّ صِـدْقَه كذِبُ
سِرتَ ، ونفسى تودُّ فى وطنى بَعْـــدَك أنّ المقـيمَ مغترِبُ

(١) يريد : مخافة أن تستشار . (٢) العقب جمع العاقبة وهى آخر كلّ شىء . (٣) الخبب : ضربٌ من العدو . (٤) الغَيبُ : جمع غائب . (٥) القشب جمع قشيب وهو الجديد .

(١٢)

أحتشم البدرَ أن أراه فأل ... ـحاظِيَ عنه بالدمع تحتجبُ
وكم تصدَّى عمدًا ليخدَعَنى ... يَسفِر عن غيهبٍ و ينتقبُ
فلم أزده على مسارقة الـ ... ـجفن ولحظٍ بالكره يُستلبُ
وعَبْرةٍ رِيُّه(١) وَحِليتُه، ... يُشرَبُ من مائها ويُختضَبُ
و يومِ بينٍ صَبَرْتُ قبلَك، أن ... يفوتَنى الحزمُ فيه والأربُ
حَمَلتُهُ ثابتَ الحشا ذَكَرَ الـ ... ـقلبِ، وموجُ الحُمولِ مضطرِبُ
سلوانَ أَجزِى بالصدّ جانيَه ... بملْك رأسى إن أظلم الغضبُ
ونظرةٍ حُلوةٍ رَدَدْتُ عن الـ ... ـبيتِ وفيه الجمالُ والحسبُ
بسُنَّة غير ما آقتضَى أدبُ الـ ... ـحبِّ حِفاظًا، وللهوى أدبُ
وآنقدتُ طوعا فى حبل(٢) ظالعة ... تَجْنُبُنى(٣) أو يقالَ : مُجتنَبُ
بيضاءَ تُقلَى بُغضًا وأعهدُها ... سوداءَ تُرضَى حبًّا وتُنتخبُ
صاحتْ وراءَ المزاحِ واعظةً : ... لا يَلتقى الأربعونَ واللعبُ
أَعدَى بها الشَّيبُ وهى واحدةٌ ... ألفًا، ويُعدِى الصحائحَ الجُرُبُ(٤)
يا ساكنا ثائرَ العزيمة مـ ... ـسَّ الصِّلّ من تحت لينه يثبُ
قد عَلِمَ الملكُ اذ دعاك وحبـ ... ـلُ الرأىِ واهٍ والشملُ منشعبُ
أنّ قلوبا غِشاشا، تميل مع الـ ... ـدولةِ أهواؤُها وتنقلبُ
وأنّ سِرًّا متى آصطفاك له ... أخلصَ ما فى إنائِه الذهَبُ
لما تجلَّى وجهُ الحِذارِ وليـ ... ـمَ آبنُ على غدره وخِيفَ أبُ

(١) فى الأصل : زيّه. (٢) الحبل : الرسن. (٣) يريد بقوله "ظالعة" : شعرة فى رأسه شائبة تجنبه مجالس أنسه ولهوه وقد شبهها بالناقة الظالعة وهى التى تغمز فى مشيها. (٤) الجرب جمع أجرب وهو غير الصحيح.

رَمَى بك القصدُ سهمَ مُنجِحةٍ ... يسبِقُ حِرصا حديدَه العَقِبُ

لم يَثنِ فأل الشهورِ عزمتَـــه ... لا صَـــفَرٌ عائـقٌ ولا رجبُ

جَرَتْ عليه أو مرّت الريح تلقـ ... ـاها بوجه أديمُـــه كَرِبُ (١)

فَلَيْـــلَةُ الجَرْيِ وهى جامدةٌ ... له كيوم الجـوزاءِ يلتهِبُ

سفرتَ فيها سَـفارةَ الليثِ لا ... يرجعُ إلا فى كفِّه الطلبُ

لســـعيه ما أهمَّه الدمُ والـ ... ـلحم ولكن لغـيرِه السَّلَبُ

حتى آستقامت على تأوّدها (٢) ... وآنتظمتْ فى رءوسِها العَذَبُ

جزاك حسنَى ما آستطاع إن وَزَنَتْ ... فعـلَك تلك الأقدامُ والرتبُ

أعطاك ما لم تنل يدانِ ولا آمـ ... ـتدّ الى مَطـرَحِ المُنَى سببُ

وضافياتٍ تطول فى مذهب الـ ... ـملك اذا شُمِّرتْ وتَنسَـــحبُ

أُهْدِىَ، من مُزنة السماء لها ... ماءٌ، ومن نور شمسها لهبُ

اذا علتْ مَنكِباً عَلاَ، فعيـــو ... نُ الدهرِ زُورٌ (٣) عن أفقه نُكُبُ (٤)

أوكيتَ (٥) رأسًا منها مُوافِيَـهُ (٦) ... فكلُّ رأسٍ لمجـــدِه ذَنَبُ

وصافناتٍ (٧) بين المواكب كُثـ ... ـبانٌ (٨) وفى الروع ضُمَّرٌ قُضُبُ

ضاقت مكانَ الحصور وآتسعتْ ... أضـالعًا لا تُقِلُّها الأُهُبُ (٩)

---

(١) قد ورد هذا البيت فى نسخة مطبوعة هكذا :

عليه إن مرّت الرياح تلقّـ ... ـاها بوجه أديمـه كرِبُ

والكَرِبُ أصول السعف الغلاظ .

(٢) التأوّد : الاعوجاج . (٣) زور : جمع أزور وهو المائل . (٤) نكب جمع أنكب وهو المائل أيضا . (٥) أوكى : يقال أوكى القربة أى شدّ رأسها بالوكاء وهو الرباط . (٦) فى الأصل : يوافيه . (٧) الصافنات : الخيل تقوم على ثلاث قوائم وطرف حافر الرابعة . (٨) الكثبان جمع كثيب وهو التلّ من الرمل . (٩) الاهب جمع أُهْبة وهى العدّة .

تَغِيبُ فى جريها قوائمُها ... فما تُرَى أذرعٌ ولا رُكَبُ
من كلِّ دهماءَ أنسُها الليلُ تعـ ... ـزوه الى لونها وتَنتسِبُ
ثارت فطارت فخاضت الأُفُقَ الـ ... ـعُلوِىَّ تجتاحه وتَنتقبُ
فَمِنْ ثُرَيّاه أو مَجرّته ... لجامُها العسجدىُّ واللَّبَبُ (١)
مواهبٌ لا يَرُبُّهُنَّ أبٌ ... إلا شفيقٌ على العلا حَدِبُ (٢)
من معشرٍ لا يُجارُ مَنْ طَرَدوا ... ولا يَطيبُ البقاءُ إن غضبوا
مُثْرِينَ مجدًا ومُقْترِينَ لُهًى (٣) ... والمجدُ طَبْعٌ والمالُ مكتسَبُ
فُرسان يومِ الطعانِ إن طَعَنوا ... بالألسن المشكلاتِ أو ضَرَبوا
لا يَرجِعُونَ الكلام كَرًّا من الـ ... ـعِىِّ ولا يعرفون ما كَتبوا
دعا فؤادِى شوقى اليك على الـ ... ـبعدِ، فلبّيكَ والمَدَى كَثِبُ (٤)
جواب من لا يُرام جانبُهُ ... منذُ غَدَا وهو جارُك الجُنُبُ (٥)
ولا يُبالى اذا سلمتَ له ... ما حَصَدتْ من نباتها الحِقَبُ
حَمَلْتَ دُنياىَ فاسترحتُ، وقد ... طال عناءُ الآمالِ والتعبُ
وقُمتُ مذ قادنى هُداك على ... مَحَجَّةٍ لا تدوسها النُّوَبُ (١٣)
فليحمدنّى فى كلّ قافيةٍ ... تزيدُ حسنا فى دُرّها الثُّقَبُ
أمسحُها (٦) فيك أو تَقِرُّ وقد ... أوغل (٧) فى أمّ رأسها الشغبُ (٨)
حُلًى من المعدن الصريح، اذا ... غشَّ تِجارُ الأسعارِ ما جَلَبوا

(١) اللبب : ما يشد من سيور السرج فى اللبة من صدر الدابة ليمنع استئخار الرحل. (٢) الحدِب : المتعطف. (٣) لهى جمع لهوة وهى أعظم العطايا وأجزلها. (٤) كثبٌ : قريبٌ. (٥) الجارُ الجنب : جارك من غير قومك. (٦) أمسحها : أحسّنها. (٧) أوغل : يقال أوغل فى الشىء : اذا ذهب فيه وأبعد (٨) الشغب : الكلام يؤدّى الى الشر.

تَشكُرُها الفُرْسُ فى مديحك للـ ـمَعنَى، وترضَى لسانَها العَرَبُ
يُظهِرُ منها السرورَ حاسِدُها ضرورةَ الحقِّ وهو مكتئبُ
يُطرِبه البيتُ وهو يُحزِنُهُ ومن أنينِ الحمامةِ الطَّرَبُ
يا آل "عبد الرحيم" لا تزل الـ ـدنيا رحًى، أنتُمُ لها قُطُبُ
إن تفضُلوا الناسَ والحسينُ لكم ومِنكُمُ، فافضلوا، فلا عَجَبُ!
فداكُمُ خاملون لو كاثَرُوا الـ ـرملَ بأعدادهم لما حُسِبوا
لا يَخلُقُ العَدلُ فى خلائقهم ليناً، ولا يُكرَمُونَ إن شربوا
أخَّرَ أقدامَهم وقدّمكم أنّهُمُ يحسبون ما كَتَبوا

* * *

وقال وكَتَب بها الى الأستاذ الجليل أبى طالب بن أيّوب رحمه الله تعالى

قالوا رَضيتَ قلتُ ما أجدَى الغَضَبْ ما غالبَ الدهرُ فتًى إلا غَلَبْ
كيف أبالى قُبْحَ ما خيَّبنى؟ اذا علمتُمْ كيفَ أجملتُ الطلَبْ
اذا اجتهدتُ لم يَعِبْنى فعلُهُ ما لم يَجِبْ، وما قَضَيتُ ما وَجَبْ
يلومنى على الهُزال راتعٌ يحسَبُ ما أسمَنَهُ مما اكتسبْ
ومن يَرَأْ[1] مِن بِلّة الخِصْبِ دَرَى أنّ الحظوظَ منحةٌ بلا سَبَبْ
لله ما أبصرَنى بزَمَنِى! لو سَلِمَ المَجلومُ[2] من عَيْبِ الأزَبّ[3]
جَنابَى للحَمْلِ، وجاء لائما أملسُ لم يَقمِص[4] لعضّات القَتَبْ
جرِّبْ كما جرَّبتُ فى الناس تجِدْ أصدقَ ظنِّك الذى فيهم كذبْ
تستحفل الضَّرعَ فإن لامستَه عاد بَكِيئًا[5] جلدُه بلا حلَبْ

(١) يَرَأْ: يمتلئ من الطعام، وفى الأصل: يرا. (٢) المجلوم: المحلوق. (٣) الأزبّ: كثير شعر الوجه والعثنون. (٤) يقمص: يثب. (٥) البكيء: الناقة قل لبنها وفى الأصل "بكيًّا".

إنك ما استعففتَ أنتَ المُجتبَى ... وما ثطفتَ[1] فأنتَ المُجتنَبْ
نذيرةٌ فلو قبلتَ نُصحَها ... تَوقَّ مَن تأمنُ واهجرْ مَن تُحِبّْ
كم من أخٍ ملأتُ كَفَّيَّ به ... أحسبُ فى الوفاء غيرَ ما حسبْ
حَمَلتُه أطوى حياءً عيبَهُ ... كما حملتَ[2] جلديك الجربْ
وحالياتٍ من جمالٍ ونَسَبْ ... نفَّرهُنّ عَطَلى من النشبْ[3]
بكَرْنَ إشفاقاً يعبنَ مَقعَدى ... على الخمول : ما لهذا لا يثبْ؟
نراه تحتاً ونرى مَنْ تحته ... فى الفضل فَوْقاً، يا لهذا من عَجَبْ!
أما جَنَى خيرا له آدابُهُ، ... أعاذكُنَّ اللهُ من شرِّ الأدبْ
هو الذى أخَّرنى مَشارفُ السـ[4]ـسبق، فأظمَا شفتى على القَرَبْ
لا تغْترِرنَ بابن أيّوبَ اذا ... أُعْجِبَ منه بالصفايا[5] والنُّخَبْ
فإنه ممَّن ترينَ واحدٌ ... وليس كلُّ معدنٍ عرقَ الذهبْ
يطلبه قومٌ، وما اجتهادهم ... فى حلبةٍ مُدركُ رأسٍ بذَنَبْ
أكلُّ من تشجَّرتْ نسبتُهُ ... صحَّ له البطنانِ من خالٍ وأبْ!
وساعدتْهُ يدُهُ ونفسُهُ ... بالفضل والبذل فسادَ ووَهَبْ
تزحزحوا — فليس من أوطانكم — ... للأسَد الوَرْدِ[6] عن الغاب الأشَبْ[7]
ولا يروقَنَّكُمُ تشادُقٌ ... فتحسبون كلَّ مَن قالَ خَطَبْ

(١) كذا بالأصل ولعلها : تطفَّلتَ . (٢) كذا بالأصل وهو مكسور وفى بعض النسخ ورد هكذا ولعله الصواب

* حزما كما حَمَّلتَ جلديْك الجَرَبْ *

(٣) النشب : المال والعقار . (٤) المشارف : الأعالى من الأرض وقد استعاره هنا للسبق .
(٥) الصفايا والنخب جمع صفىّ ونخبة وهما ما يُصطفى ويُنتخَب . (٦) الورد : الأحمر الضارب الى الصفرة . (٧) الأشب : الملتف من الشجر .

دَعُوا قنا الأقـلامِ إن نكصتُمُ ... لحاذقِ الطعنِ اذا شاء كَتَبْ

من تاركى السـيوفِ وهْى زُبَرٌ(١) ... شـدائدٌ أسرَى لحـزّارِ القَصَبْ

قومٌ اذا نار الوغى شَبَّتْ لهـم ... كتائبا فَلُّوا شَـباها بالكُتُبْ

إن شوورِوا لم يَعجلوا أو سُئلوا ... لم يَقِـفوا تلفُّتًا الى العُـقُبْ

لا ظَهرُهـمْ لِغِيبَةٍ إن ذُكروا ... يوما، ولا مِلحُهـمُ على الرُّكَبْ(٢)

وقَصَّ(٣) آثارَهُـمُ محمـدٌ ... شهادةٌ، إنَّ النجيبَ ٱبنُ النُّجُبْ

فلا تَزَلْ نوافـذٌ صـوائبٌ ... يُصمَى بها الحاسدُ أو يَرضَى المحبّْ

ما شُكِرتْ صنيعةٌ أو ظَهَرتْ ... مودّةٌ خالصـةٌ من الرِّيَبْ

وٱختلف النيروزُ والعيـدُ، وما ... توافقا فى بُعْـدٍ ولا قُـرْبْ

تأخـذ ما تشاء من حظَّيْهما ... مقـترحًا محتكما وتَنْتَصِـبْ

وزائراتٍ(٤) طَيَّبَتْ أعطافَها ... منـك بذكرٍ لو عَدَاك لم تَطِبْ

جَـواريًا مـع الرياح بالذى ... أوليتَ، أو سَواريًا مع السُّحُبْ

كلُّ فتاةٍ قـرّ لى شِمَاسُها(٥) ... وذَلَّ فى فودىَّ منها ما صَعُبْ

تلقاك نفسا حرّةً من فارسٍ ... بنتَ الملوكِ، وفمًا من العَرَبْ

تُروَى، فلو أطربَ شيءٌ نفسَهُ ... لقـد سمعتَ من قوافيها الطرَبْ

أَضحَى وراحَ حاسدى إن قلتُها ... وحاسـدوك إن علوتَ فى تَعَبْ

---

(١) الزبر جمع زُبْرة وهى القطعة الضخمة من الحديد . (٢) يقال : ملحه على ركبتيه أى لا وفاء له وفى الأساس : "فلان ملحه موضوع على ركبتيه" أى هو كثير الخصومات كأن طول مجاثاته ومصاكّته للركب قرّح ركبتيه فهو يضـع الملحَ عليهما يداويهما به . (٣) قَصَّ : ٱقتفى . (٤) يريد بقوله "وزائرات" قصائده . (٥) الشماس : الٱمتناع والإباء .

* * *

وقال وكتب بها الى الأستاذ أبى طالب بن أيّوب أيضا

أَصَبتُ لو أَحْمَدْتُ أن أُصيبا ... وفزتُ لو كان الحجا المطلوبا

وراضَ منّى الدهرُ ظَهْرا لم يكن ... لو أَنْصَفَ الحظُّ له مَركوبا

أقسَمَ لا ازددتُ به فضيلةً ... دهرىَ إلا زادنى تعذيبا

فكلّما آنستُ منه بأذًى ... بَقّاهُ واستأنف لى غريبا

رَميتُ حظّى بوجوهِ حِيَلى ... فلم أُصِبْ ولم أقَع قريبا

تنزّهٌ يُعابُ أو مَحاسنٌ ... محسودةٌ محسوبةٌ ذُنوبا

أُنظُر الى الأقسام (١) ما تأتى به ... متى أردتَ أن تَرى عجيبا

تَجْمَعُ بين الماءِ والنارِ يدٌ ... وما جَمَعْتَ الرزقَ والأديبا (٢)

ليتَ كفانى الدهرُ مَعْ تخلُّصى ... مكروهَهُ كما كَفَى المحبوبا

أو ليتَ أعدَى خُلُقِى جنونُهُ ... فكنتُ لا سَمْحَا ولا لبيبا

يا صاحبَ الزمانِ مغترًّا به ... أنتَ دَمٌ فاحذرْ عليك الذيبا

تبعثُ ألحاظُك من وفائه ... بارقةً صَيفيّةً خَلوبا (٣)

سَلْنِى به وقِسْ علىَّ معَهُ ... فقد قتلتُ أهلَه تجريبا

بَعدَ عنائى واجتهادى كلِّه ... بالأرض حتى وَلَدَتْ نجيبا

جاءت به بعد التراخى غَلَطًا ... ثم نَوتْ من بعدُ أن تتوبا

---

(١) الأقسام : الحظوظ . (٢) يقول : أن تجمع اليد بين الضدّين الماءِ والنارِ أصعب من الجمع بين الحظ فى الرزق والفهم ، ولعله من قول المتنبى

وما الجمع بين الماء والنار فى يدى ... بأصعبَ من أن أجمع الجَدَّ والفهما

(٣) فى الأصل "حلوبا" وهو تحريف .

أبلجَ بسّامَ العشيّ واضحا ... ريّانَ مخضرّ الثرى رطيبا

تصفو المدامُ وتروقُ ما آنتمتْ ... حُسْنًا الى أخلاقه وطيبا

للمجد قومٌ وقليلٌ ما هُمُ ... وفى القليل تَجِدُ المطلوبا

كالنجم للباغِ المديد بُعْدُه ... وللعيون أن يُرَى قريبا

لا تشكُرنَّ من فتًى فضيلةً ... وليس فيها مُعْرِقا نسيبا

فإنما أعطَى "آبنَ أيّوبَ" المَدَى ... فى الشرف آقتفاؤه "أيّوبا"

يا لابسَ الكمال غيرَ مُعْجَبِ ... تركتَ كلَّ لابسٍ سليبا

إن غادر الشكرُ لسانًا ناكلا (١) ... وكان سيفا قبله مذروبا (٢)

فقد عَقَدتَ لَسَنِي (٣) وقُدتنى ... بالطَّوْلِ فى حباله جنيبا (٤)

حَسبتُ أعداد الحصى ولم أُطِقْ ... عدَّ الذى أوليتنى محسوبا

فى كلّ يومٍ شارقٍ معونةٌ ... تَبْرُدُ حرَّ جَوْرِه المشبوبا

ونعمةٌ تسير فى نُضوحها ... خَرْقَ (٥) الجديب فيُرَى خصيبا

يُخجلنى آستقبالُها فتحسَب الـ ... ـعينُ آبتسامى نحوَها قُطوبا

لو شئتُ لآسترحتُ من أثقالها ... إن كنتُ من مَكرُمةٍ متعوبا

كنتُ أخًا ، فلم تزل تَسبُغنى ... باللّطفِ حتى خِلتُنى حبيبا

فإن قَضَى الثناءُ حقَّ نعمةٍ ... أو كاد أن يَقضيَها تقريبا

وأقنعَ الميسورُ فاحبسْ شُرَّدًا ... تَسألُ عنها الشمألُ الجَنوبا

يَعلَقُ بالعِرضِ الكريم نَشرُها ... وهى به طائرةٌ هُبوبا

---

(١) ناكلا : ناكصا . (٢) المذروب : المحدود . (٣) اللسن : الفصاحة . (٤) الجنيب : يقال جنبه أى قاده الى جنبه فهو جنيب . (٥) الخرق : القفر .

اذا بنيتُ البيتَ منها ودّتِ الـ ـأسماعُ لو كانت له طُنُوبا (١)
يَخْلُدُ مسموعا ويُغنِي كلَّما عُوِّضتَ مُهْدًى عنه أو موهوبا
عُدَّ السنينَ صومَها وفِطرَها تُحْفَ مَقروءا به مكتوبا

وقال وكتب بها الى مؤيَّد السلطان أبى القاسم بن الأوحد ذى السياستين أبى محمد آبن مُكْرَم ، يشكره على ملاطفةٍ جميلةٍ لاطفه بها ، ودنانيرَ حملها اليه سنيّةٍ ، وجوابٍ أجاب به عن كتبه ، يشكر منالَه ويصف فيها السفينةَ ، وقبيحَ وساطةِ غلامٍ أُنفِذت الهديّةُ على يده ، وتعرُّضَه لها وآستبدادَه ببعضها ، ويذمُّ الغلامَ ويسأل الغرامة ، وأنفذها فى صفر سنة تسع وأربعمائة

سَلَا دارَ البخيلةِ "بالجَنابِ" (٢) متى عَرِيَتْ رُباكِ من القِبابِ ؟
وكيفَ تشعَّبَ الأظعانُ صبحا بدائدَ (٣) بين وُهْدِكِ (٤) والشِّعابِ ؟
بطالعةِ (٥) الهلال على "ضُمَيرٍ" (٦) وغاربةٍ كمنقَضِّ الشِّهابِ
حَمَلْنَ رشائقًا ومبدَّناتٍ رماحَ الخَطِّ تَنبُتُ فى الرَّوابى
وأين رضاكِ عن سُقيَا دموعى ربوعَكِ من رضاكِ عن السحابِ
بكيتُكِ للفراقِ ونحنُ سِفْرٌ (٧) وعُدْتُ اليومَ أبكى للإيابِ
وأمسحُ فيكِ أحشائى بكفٍّ قريبٍ عهدُها بحشا "الرَّبابِ"
لها أَرَجٌ بما أبقاه فيها الـ ـتصافُحُ بعدُ من ريحِ الخِضابِ
أمفصِحةٌ فأطمعَ فى جوابٍ ؟ وكيف يُجيبُ رَسْمٌ فى كتابِ ؟

(١) الطنوب جمع طنب بضم الطاء والنون وهو الحبل يشدّ به سرادق البيت . (٢) الجناب : اسم وادٍ .
(٣) بدائد : متفرقة . (٤) الوُهْد جمع وَهْدٍ وهو ما انخفض من الأرض . (٥) فى الأصل : "يطالعه" وهو تحريف . (٦) ضمير : اسم بلدة . (٧) السفر : جماعة المسافرين .

نَحَلتِ ففى ترابِكِ منكِ رَسمٌ ... كما أنى خيالٌ فى ثيابِى
وفى الأحداج مُتعبةُ المَطَايَا ... تُلينُ عرائكَ الإبلِ الصِّعابِ
بَعيدَةُ مَسقِطِ القُرْطَيْنِ تُقْرَا ... خُطوطُ ذؤابَتَيْها فى الترابِ
تَجَمَّع فى الأساورِ معصماها ... ويَقلَقُ خصرُها لكَ فى الحِقَابِ
تَعيبُ على الوفاءِ نحولَ جسمى ، ... ألا بالغدرِ أجدرُ أن تُعابِى !

وما بِكِ أن نَحَلتُ سوى نُصولٍ ... من السنواتِ أسرعَ فى خِضابى
جزِعت له كأنَّ الشَّيبَ منه ... يَسُلُّ عليكِ نَصْلاً من قِرابِ
فما ذنبى اذا وقَعتْ عُقابٌ ... من الأيّام طار لها غرابى ؟
وقد كنتُ الحبيبَ وذا نُحولى ... وهذا فى العريكة حدُّ نابى
ليالىَ لِى من الحاجاتِ حُكْمِى ... وليس وسيلةٌ بسوى شبابى

* * *

ألا لله قلبُكَ من حَمولٍ ... على عِلاَّتِ وَصْلٍ واجتنابِ
وحبُّكَ من وَفِىٍّ العهدِ باقٍ ... على بُعْدٍ يُحيلُ أو اقترابِ
هوًى لكَ فى جبالِ "أبانَ" ثاوٍ ... وأنتَ على جبالِ "عُمانَ" صابى (١)
وكان المجدُ أعودَ حين يَهوِى ... عليكَ من المَهفهفةِ الكَعابِ
وإن وراء بحرِ "عُمانَ" مُلْكًا ... رطيبَ الظلِّ فَضفاضَ الرِّحابِ
رقيقٌ عيشُهُ عَطِرٌ ثراهُ ... بِطُرَّاقِ الفضائلِ غيرُ نابى
متى تنزِلْ به تنزِلْ بوادٍ ... من المعروفِ مَرعِىِّ الجنابِ
يدبّره من الأمراء خِرقٌ (٢) ... يَذِلُّ لعزِّه غُلْبُ (٣) الرِّقابِ

(١) كلمتا "جبال" الواردتان فى هذا البيت وردتا فى الأصل "حيال" ، وأبان : اسم جبل ، وعمان : بلد باليمن . (٢) الخِرقُ : السخىّ والفتى الحسن الكريم الخليقة . (٣) الغلب جمع أغلب وهو الذى غاظت عنقه .

وَفَى ذُو المجدِ سَبَّاقا فوافَى ... يحلِّق عُرْفُه والنجمُ كابِي
وقامَ بنفسِه يسعَى ففاقَتْ ... غريزةُ نفسِه شَرَفَ النِّصابِ (١)
وبانَ به لعينِ أبيهِ بَوْنٌ ... أراه الشِّبلَ أغلبَ ليثَ غابِ
على زَمَنِ الحَداثةِ لم يُفتْهُ ... تقدُّمُ شِيبهم قَدَمَ الشَّبابِ
سَمَا لمكانهم وهُمُ شموسٌ ... فطال الطودُ أعناقَ الهِضابِ
وسيِّدُ قومِهِ من سوّدوه ... بلا عَصَبيّةٍ وبلا مُحابِي (١٦)
وقُدّم بالفِراسةِ وهو طِفْلٌ ... تُحلَّلُ عنه (٢) أَنشِطةُ (٣) السِّخابِ
وما تَركُ الشريفِ على بنيه ... وهم منه، تَجاوُزَهُ بعابِ
وإن كان الفتى لأبيه فَرْعًا ... فإن الغيثَ فَرْعٌ للسحابِ
بَلَوْهُ وجرَّبوا يوميه نُعمَى ... وبأسًا فى السكينةِ والوِثابِ
فما ظَهَروا مُخاطَبةً بوانٍ ... وما ظَفِروا مُضارَبةً بنابِ
ولا عدِموا به لَسَنًا (٤) وقَطْعًا ... عمائقَ فى الإصابةِ والصوابِ
لذلك جاوروا بالبحرِ بحرًا ... كِلَا كرميهما طاغى العُبابِ
يقول لِيَ الغنَى ورأى قُعودى ... عن السعى المموِّلِ والطِّلَابِ
وعفةَ مذهبى ظَلِفًا (٥) ومَيْلِى ... الى العيش المُرَمَّقِ (٦) وآنصبابى :
أرى لك فىّ لو خاطرتَ مَرْعَى ... يبدِّلُ صحَّةً أُهُبَ (٧) الجِرابِ
أما لكَ فى بحارِ "عمانَ" مالٌ ... يسُدُّ مَفاقِرَ الحاجِ الصِّعابِ ؟
ومولًى يوسعُ الحُرماتِ رَعْيًا ... ويَعمُرُ دارسَ الأملِ الخرابِ

(١) النصاب : الأصل . (٢) أنشطة : يريد بها جمع أنشوطة وهى عقدة يسهل حلّها مثل عقدة التكة .
(٣) السخاب بوزن كتاب : قلادة من سُكّ وقرنفل ومحاب بلا جوهر ، والسُّكّ : طيب يعجن و يقرّص و يترك يومين ثم يثقب بمسلة و ينظم فى خيط قُنّب وكلما عَتُقَ طابت رائحته . (٤) اللَّسَنُ : البيان .
(٥) الظَّلِفُ : النزِهُ (٦) المرمَّق : الذى يُتبلِّغ به (٧) أهب جمع إهاب والجراب جمع أجرب .

لعلَّ "مؤيَّدَ السلطانِ" تحنو عواطفُ فضله بعدَ ٱجتنابِ
قفلتُ ودونه متـــلاطماتٌ زَواخرهنَّ كالأُسْـدِ الغِضابِ
صَواعدُ كالجبال اذا أحسَّتْ نسـيمًا، أو نوازلُ كالجَوابي (١)
وأخضرُ لا يروق العينَ يُطْوَى عـــلى بيضاءَ سوداءِ الإهابِ (٢)
تجاذبه الأزمَّةُ من حديدٍ فَيَقمِصُ أو يُقطِّر (٣) فى الجذابِ
اذا خُوصُ (٤) الرِّكاب شكون ظمْأً شكى رُكبانُها شَرَقَ الرِّكابِ
يروعُ حُـداءُ أحبُشِها النَّواتي (٥) اذا شاقتـــك حاديةُ العِرابِ (٦)
اذا عثرتْ فليس تُقالُ ذنبـا وإن صدَعتْ فليست لانشعابِ
ولستُ بسابحٍ فأقولُ : أنجـو عسى إن ظهـــرُها يوما كَبَا بى
اذا حَلَمَتْ بها فى النوم عينى طفِقتُ أجُسُّ هل رَطِبتْ ثيابى ؟
ومالى والخِطارَ وقـــد سَقَتْنى سماءُ يديهِ من غـير آغـترابِ
وجاءتنى مَواهبُـــهُ بعيـــدا بأفضـلِ ما يجىءُ مع آقترابِ
رغائبُ من يديه فاجأتنى وَفَيْنَ رِضًا بآمالى الرِّغابِ
وزِدنَ على حساب مُنايَ لكن "وِشاحٌ" (٧) لم يكُنْ لى فى حِسابى
ندًى وَصَلَ السماحَ به ولكن تولَّى عنـــه حاجبُه حجابى
أمرتَ بها (٨) كعِرضك لم يُدنَّسْ بلا غِشٍّ يشوبُ ولا آرتيابِ
من الذهب الصريح فصار ممّا يُبَـــدَّلُ فى يديه الى الذَّهابِ

(١) الجوابى جمع جابية وهى الحوض الضخم . (٢) يصف بقوله "وأخضر" البحر و بقوله "بيضاء سوداء الإهاب" سفينة مطليّة الجرم بالجير والقار . (٣) يقطّر : يُلقَى على قُطره أى جانبه .
(٤) خوص جمع خوصاء وهى التى غارت عينها . (٥) النواتى : جمع نوتىّ وهو ملّاح السفينة .
(٦) العراب : الإبل المنسوبة للعرب ، وفى الأصل "الغراب" . (٧) وشاح : اسم غلام الأمير الذى ناوأ الشاعر على جوائزه . (٨) يريد بقوله "أمرت بها" الصلة أو الجائزة .

وقاسَمَنى مُناصَفةً عليه وجاحَدَنى ليحبسه كتابى (١)
وقال ولم يهبكَ ولم يَصُنِّى : كذلكَ فيكَ منذُ سنينَ دابى
اذا حُمِّلتُ رِفْدا أو كتابًا اليكَ لواه نَهْبِى وٱغتصابى
مَكارمُ سقتهنّ الى محبٍّ ففاز بها مُغيرٌ لم يُحابِ
بعثتَ بها الخئون، فضاع سِرْبٌ أمِنتَ عليه غائرةَ الذئابِ
ولولا أنّ خدمته وَقَتْهُ وحُرمةَ عزِّ بابك والجنابِ
لَمَا سَلِمَ البعوضُ على عُقاب ولا عُضَّ الهزبرُ بشرِّ نابِ
أَدَلَّ بكم فأخمَنى، وكانت نواحيه مآكلَ للسِّبابِ
فجَلَّ عن الهجاء بذاك عندى وقَلَّ بما أتاه عن العتابِ
سُلِبْتُ نداك فى ناديك ظلما بغارةِ صاحبٍ لك فى الصحابِ
ثلاثَ سنينَ حَوْلا بعدَ حَوْلٍ بكفِّ "وِشاحَ" مُقتَسَمٌ نهابى
وأنتَ خفيرُ مالِكَ أو يؤدَّى الىَّ ولو بمنقطعِ التُرابِ
اذا أنصفْتَنى فعليكَ دَيْنًا غَرامةُ ما تجمَّعَ فى الحسابِ
أعدْ نظرًا فكم أغنيتَ فقرًا به وجَبرتَ كَسْرًا من مُصابِ
وكم نوديتَ يا بحرَ العطايا فجاء البحرُ بالعجبِ العُجابِ
وَفَتْ فيك المنى وقَضَتْ نُذُورى فَوَفِّ عُلاكَ حقّ تُرْضِها بى
وفى يدك الغنى فابعث أمينا الىّ به وصيِّرْهُ جوابى ١٧
ولا تُحوِجْ ظَمائى الى قَليبٍ سواك على مُقامى وٱنقلابى
أُذكِّرك الذى ما كنتَ تنسَى سُفورى تحت ظلِّك وٱنتقابى
وإنى إن بلغتُ النجمَ يومًا لكان الى صنيعتك ٱنتسابى

(١) يريد وجاحدنى كتابى ليحبس عنى الذهب.

* * *

وقال فى معنًى عَرَضَ له

مَنْ بِسَلْعٍ مُطْلِعٌ لى قمـرا طال مَغيبُـهْ ؟
وأصـيلا بالحِمَى نُغِّـ ـصَ بالعاذل طِيبُـهْ
كلُّ شىءٍ حَسَنٍ حا شاكَ(١) فالعين تُصيبُهْ
عنَّفوا القلبَ على قَا تِلِهِ وهو حبيبُـهْ
كلُّ جُرْمٍ لك إلا الـ ـغَدْرَ(٢) فالقلب وَهُوبُهْ
وأقلُّ الناس ذَنْبًـا قادرٌ عُدَّتْ ذنوبُهْ

* * *

وقال وقد أوجب عليه بعض الرؤساء المشهورين وهو أبو الحسين أحمد بن عبدالله الكاتب رحمه الله حقًّا أكّده بقصده إيّاه فى علّةٍ نالته، عائدا عِدّةَ دفعاتٍ من غير أن يكون سَبَق اليه بمعرفةٍ، ولاجرى بينهما لقاءٌ إلا بالذِّكر والصفة من الأستاذ أبى الحسَن المختار بن عبد الله الذهبىّ، وواصَلَ تفقُّدَه تبرُّعا وٱبتـداءَ ما يوجب الشكر ويُعرَفُ مثلُه من أمثاله فى هـذا الوقت، وكتب بها اليه يشكره ويعتمد بفعله، وأنفـذها فى رجب سنة ٱثنتى عشرة وأربعمائة

هَوًى لى، وأهواءُ النفوسِ ضُروبُ تَجَانُبُ "قَوْمَى"(٣) أن تُهبَّ جَنوبُ
يُدُلُّ عليهـا الريفُ أين مكانُهُ ويُخبِرها بالمُـزْنِ كيف يصوبُ

(١) ورد هذا البيت كما هو فى النسخة المطبوعة، وورد فى الأصل هكذا

كلّ شىء حسن فى العين تصيبه

وهو مختل وزنا ومعنى، ولو حافظنا على الأصل لعله يكون هكذا

كل شىء حسنٍ فى الـ ـعين فالعين تصيبه

(٢) فى الأصل : "العزر" . (٣) قوسى : اسم بلدة، ومعنى البيت : أن هواه على ٱختلاف أهواء النفوس فى أن يجانب "قوسى" وهى البلدة التى بها محبوبه مخافة أن تهبّ عليها ريح الجنوب وهى ريح حارة تخالف الشمال، وقد كنى بها عن زفراته فى حرّها .

وتمشي على روض الحِمَى ثم نلتقي ... فيبلغُني منها الغداةَ هبوبُ
أمانيَ بعيدٍ لو رآها لسرَّها ... مكانَ الحيا من مقلتيه غُروبُ
ودَمْع إذا غالطتُ عنه تشاهدَتْ ... قَوارفُ فى خدّى له ونُدُوبُ
عَلَى أنّ ذِكْرا لا تزال سهامُهُ ... تَرَى مَقْتَلا من مهجتى فتُصيبُ
إذا قيل "مَىٌّ" لم يَرُعْنى بحلمه ... حياءٌ، ولم يحبِسْ بكاىَ رقيبُ
أُعير المنادى باسمها السمعَ كلّه ... على علمه أنى بذاك مريبُ
وكم لِىَ فى ليل الحِمَى من إصاخةٍ ... الى خَبَر الأحلامِ وهو كذوبُ
توقَّرُ منها ثم تسفَهُ أضلعى ... ويجمُدُ فيها الدمعُ ثم يذوبُ
وما حبُّ "مىٍّ" غيرُ بُرْدٍ طويتُهُ ... على الكُرْهِ طىَّ الرِّثِّ(١) وهو قشيبُ(٢)
رأتْ شَعَراتٍ غيَّرَ البينُ لونَها ... فأمست بما تُطريه أمسِ تَعيبُ
أساءكِ أن قالوا: أخٌ لكِ شائبٌ؟ ... فأسوأُ منه أن يُقالَ: خَضيبُ
ومن عجبٍ أنَّ البياضَ ولونَه ... اليكِ بغيضٌ وهو منكِ حبيبُ!
أحِينَ عسا(٣) غُصْنى طرحت حبائلى ... الىّ، فهلّا ذاك وهو رطيبُ؟
نُظَنِّينَهُ من كِبْرةٍ فرطَ ما انحنَى ... كأنْ ليس فى هذا الزمان خُطوبُ!
فعُدِّى(٤) سِنيه، إنما العهدُ بالصِّبا ... وإن خانه صِبغُ العِذارِ قريبُ
وفى خَطَلِ(٥) الرمح انحناءٌ، وإنما ... تُعَدُّ أنابيبٌ له وكعوبُ
همومِىَ من قبل اكتهالى تكهَّلُ ... وغدرُكِ من قبل المَشيبِ مَشيبُ
وما كان وجهٌ يوقِدُ الهمَّ تحته ... لتُنكَرَ فيه شَيْبةٌ وشُحُوبُ(٦)
لو انّ دَمِى حالتْ صَبيغةُ لونِهِ ... مُبيَّضةً ما قلتُ: ذاكَ عجيبُ! ١٨

(١) الرث: البالى. (٢) القشيب: الجديد. (٣) عسا: كبر. (٤) فى الأصل: "تعدّي" وهو تحريف. (٥) الخطل: الاضطراب. (٦) الشحوب: تغيّر اللون.

ألم تعلمى أنَّ الليـالى جحافلٌ ... وأنَّ مُداراةَ الزمانِ حروبُ ؟
وأنَّ النفوسَ العـارفاتِ بليّـةٌ ... وحمـلَ السجايا العالياتِ (١) لُغوبُ
يُسـيغ الفتى أيّامَهُ وهو جاهلٌ ... ويغتصُّ بالساعاتِ وهو لبيبُ
وبعضُ مَودّاتِ الرجالِ عقاربٌ ... لهـا تحت ظلماء العُقوقِ دبيبُ
تواصَوا على حبِّ النفاقِ، ودِينُهُ ... بأنْ يتنـافَى مَشْهـدٌ ومَغيبُ
فمـا أكثرَ الإخوانَ بل ما أقلَّهم ... على نائباتِ الدهرِ حين تنوبُ !
وقبلَ آبنِ عبـدِ الله ماخلتُ أنه ... يُرَى فى بنى الدنيا الوَلودِ نجيبُ
ألا إن بانى المجـدِ يَخلُصُ طِينُهُ ... وكلّ الذى فوق التراب مَشوبُ
سقى الله نفسا مذ رعت قُلّةَ العُلا ... فكلُّ مَراعيهـا أعمُّ خصيبُ
وحَيًّا على رغم الغـزالةِ غُرّةً ... إذا طلعتْ لم تَدْجُ حـين تغيبُ
وحصَّنَ صدرا قلبُ "أحمدَ" تحته ... يضيق ذراعُ الدهرِ وهو رحيبُ
من القوم بسّامون والجوُّ عابسٌ ... وراضون واليومُ (٢) الأصمّ غضوبُ
رأوا بابنهم ليثَ الشرى وهو سارِبٌ ... لحاجتـه ، والبحرَ وهو وهوبُ
فتًى سوّدته نفسُـهُ قبـل خَطّه (٣) ... وشابت عُلاه وهو بَعْـدُ ربيبُ
وقدّمه ـ أن يعلَقَ الناسُ عَقْبَهُ ـ ... سماحٌ مع الريح العَصوفِ ذَهوبُ
ورأىٌ على ظَهر العواقبِ طالعٌ ... إذا أخطأ المقـدارُ فهو مصيبُ
إذا ظنَّ أمرًا فاليقـينُ وراءه ... ويصدُق ظنٌّ تارةً ويحوبُ (٤)
وخُلْقٌ كريمٌ لم يَرُضْـهُ مؤدِّبٌ ... تمطّقَ (٥) فُوه الثَّـدْىَ وهو أديبُ

(١) فى الاصل : "الغالبات" . (٢) اليوم الأصمّ : العصيب الشديد . (٣) قوله : "قبل خطّه" أى قبل نبت عذاره من قولهم : خَطَّ الغلامُ إذا نبت عذاره . (٤) يحوب : يأثم .
(٥) تمطّق : تذوّق .

تحمّـــل أعباءَ الرياســةِ ناهضا بهـا قاعدا والحـادثاتُ وُثوبُ
وصاحتْ به الجُلَّى لسدّ فُروجها فأقدَمَ فيها والزمانُ هَيوبُ
وكم عَجَمتْهُ النائبـاتُ فردَّهـا رِدادًا وعاد النَّبْعُ(١) وهو صليبُ
هناك اتفاقُ النـاسِ أنك واحدٌ إذا كان للبـدر المنـير ضريبُ
وأعجبُ ما فى الجودِ أنك سالبٌ به كلَّ ذى فضل وأنتَ سَليبُ !
أأنسى لك النُّعمى التى تركتْ فمى يُصَـعِّدُ يبغى شُكرَها ويَصوبُ ؟
ملكتَ فؤادى عنـد أوّل نظرةٍ كما صـاد عُذريًّا(٢) أغنُّ ربيبُ
وكنتُ أخاف البـابلىَّ وسِحـرَهُ ولم أدر أن الواسطىَّ(٣) خَلوبُ
وغَنَّـاك أقوامٌ بوصـفِ مَناقبى فرُنِّحَ نَشـوانٌ وحَنَّ طروبُ
رفعتَ مَنـارَ الفخرِ لى بزيارةٍ وَسَمْتَ بها مَغْنـاىَ وهو جديبُ
وكنتَ لداءٍ جئتنى منـه عائدا شفاءً، وبعضُ العائدين طبيبُ
وأنهلتْنَى من خُلْقِك العذبِ شَربةً حَلَتْ لى، وما كلُّ الدواء يطيبُ
ولمـا جلا لى حُسنَ وجهك بِشرُهُ تبـيَّنَ فى وجه السَّـقام قُطوبُ
أجبتَ وقد ناديتُ غيرَك شاكيا وذو المجـد يُدعَى غيرُهُ فيُجيبُ
فَطِنتَ لهـا أُكْرومةً(٤) نام غَفْلَةً من النـاس عنها مائقٌ وأريبُ
ذهبتَ بها فى الفضل ذكرًا بصوته سبقتَ، فلم يقدر عليك طَلوبُ
لئن كان فى قسْم المكارم شَطرُها فللدِّين فيهـا والولاءِ نصيبُ
وإنأكَ من "كِسْرَى" وأنت لغيره فإنِّى فى حبّ "الوصىّ" نسيبُ
سـتَعلمُ أنَّ الصُّنع ليس بضائعٍ على"، ولا الغَرسَ الزكىَّ يخيبُ

---

(١) النبع : شجر تعمل منه القسىّ والسهام . (٢) عذريًّا : رجلا من بنى عُذرة وهم قوم مشهورون بالعشق . (٣) البابلىّ والواسطىّ نسبة الى بابل و واسط . (٤) الأكرومة : فعل الكرم .

وتحمَـدُ منّى ما سـعيتَ لكسبِهِ ... وما كلّ ساعٍ فى العَلاء كسوبُ
ومهما يُثِبْك الشـعرُ شكرا مخلّدا ... عليها، فإنّ اللهَ قبلُ يُثيبُ
وتَسمعُ فى نادى النَّدى أىَّ فِقْرةٍ (١) ... يقوم بهـا فى الوافدين خطيبُ
متى ٱمتدّ بى عُمرٌ وطالت مودّةٌ ... فربعك حُسنٌ من ثَنايَ وطِيبُ
ودونك منى ضَيغمٌ، فُوهُ فاغِرٌ (٢) ... متى ما دنا من سَرْح عِرضك ذيبُ
محاسنُ قَومٍ وَسمةٌ فى جباههـم ... ولى حسـناتٌ سِرُّهن غُيوبُ
وما الحُسنُ ما تُثنِى به العينُ وحدَها ... ولكنَّ ما تُثنِى عليـه قلوبُ
لقد عَقَلَتْ دنياك مذ قيَّضتْك لى ... وراح عليها الحِـلمُ وهو غريبُ
أظنُّ زمانى إن زجرتَ صروفَه ... سـيرجع عمّـا ساءنى ويتوبُ (١٩)
تخاتِلنى الأخبارُ ـ أخلبَ برقُها ـ ... بأنك يا بـدرَ الـكمال تغيبُ
فأمسِكُ قبلَ البين أحشاءَ مُوجَع ... لهـا بين أثناء الحـذار وجيبُ
بأىّ فؤادٍ أحمل البعدَ، والهوى ... جديدٌ، وذا وجدى وأنتَ قريبُ
فلا تصـدَع الأيّامُ شملَ محاسنٍ ... تُسـافر مصحوبا بهـا وتؤوبُ
ولا تعـدَم الدنيا بقاءَك وحدَه ... فإنك فى هذا الزمان غريبُ

* * *

وقال يمدح سيّد الوزراء مؤيَّدَ الملك أبا علىٍّ الرُّخْجىَّ، ويشكر إنعامَه فى تقديمـه وإكرامِه، وتطوّلَهُ فى تحسين وصفه وتقريظه، ويعتدّ لإحسانه بعاداتٍ مُواصِـلة فى القول والفـعل، عَقيبَ تقلّدِهِ الوزارةَ بعـد ٱمتناعِهِ من الدخول فيها، ومدافعتِهِ بالتلبّس بها، وذَكر ذلك فى القصيدة وماظهر من آثاره فى النظر، بعد نكول من سبقَ من الوزراء، وأنشدها بحضرته فى الدار بباب الشعير

(١) الفقرة : أجود بيت فى القصيدة . (٢) فاغر : مفتوح .

إذا عمّ "صحراءَ الغُمَيرِ" جُدوبُها ... كفى دارَ "هندٍ" أنّ جفنِي يصوبُها

وقفتُ بها والطَّرفُ ـ مما توحّشتْ ـ ... طريدُ رباها، والفؤادُ جَذِيبُها

وقد دَرسَتْ، إلا نشايا(١) عواصفٌ ... من الريح لم يَفطُنْ لهنّ هُبُوبُها

خليليَّ، هذى دار أنسى، وربما ... يَبِينُ بمشهودِ الأمور غُيوبُها

قِفَا نتطوّعْ للوفاء بوقفةٍ ... لعلّ المُجازِى بالوفاء يُثيبُها

فلا دارَ إلا أدمعٌ ووكيفُها ... ولا "هندَ" إلا أضلعٌ ووَجيبُها

وعَيَّرتُمانى زفرةً خَفَّ وَقدُها ... مَليًّا، وعينًا أمسِ جفَّتْ غُروبُها

فإن تك نفسى أمسِ فى سلوةٍ جَنَتْ ... فقد رجع اليومَ الهوى يَستتيبُها

وإن يُفْنِ يومُ البين جُمَّةَ أدمعى ... فعندَ جُفونى للديار نصيبُها

تكلّفنى "هندٌ" ـ إذا ألتحتُ(٢) ظامئا ـ ... أمانىَّ لم تُنهَزْ لِرِىٍّ ذَنُوبُها(٣)

وأطلبُ أقصَى ودّها أن أنالَهُ ... غِلابًا، وقد أعيى الرجالَ غَلوبُها

بمنعطف الجِزعَيْن لَمْياءُ لو دَعَتْ ... "بمدينَ" رُهبانًا صَبَتْ وصليبُها

إذا نهض الجاراتُ أبطأَ دِعصُها(٤) ... بنهضتها، حتى يخفَّ قَضيبُها

تَبَسَّمُ عن بِيضٍ صوادعَ فى الدجى ... رِقَاقٍ ثنايا، عِذَابٍ غُروبُها

إذا عادتِ المسواكَ كان تحيَّةً(٥) ... كأنّ الذى مسّ المساويكَ طِيبُها

وكم دون "هندٍ" رُضْتُ من ظَهرِ ليلةٍ ... أشدَّ من الأخطارِ فيها ركوبُها

فنادمتُها والخوفَ، تُروِى عِظامَها الـ ... ـمدامُ، ويَروَى بالبكاء شَريبُها

---

(١) نشايا جمع نشيّة وهى الرائحة . (٢) ألتحتُ : عطشتُ . (٣) الذَّنوب : الدلو .

(٤) الدعص : قطعة من الرمل مستديرة . (٥) يشير الشاعر هنا الى عادة من عادات العرب فى أعيادهم وهى أنهم كانوا اذا حيّوا يقدّمون الريحان تحيّةً وكان ذلك فى يوم من أيامهم اسمه "يوم السباسب" وفيه يقول النابغة :

رقاق النعال طيّب حجراتهم ... يحيّون بالريحان يومَ السباسبِ

فيكون معنى بيت مهيار : أنها اذا استاكت فسواكها يكون ريحانة يحيّى بها لما ناله من نكهتها .

إذا شربتْ كأسا سَقَتْنى بمثلها ... من الدمع، حتى غاض دمعى وكُوبُها (١)

حَمَى اللهُ بالوادى وجوها كواسيا ... إذا أوجهٌ لم يُكْسَ حُسْنا سَلِيبُها

بَوادىَ وَدَّ الحاضرون لو آنها ... مَواقِعُ ما أَلقتْ عليه طُنوبُها

إذا وصَفَ الحُسْنَ البياضُ تطلَّعَتْ ... سَواهِمُ (٢) يُفْدَى بالبياضِ شُحُوبُها

ولله نفسٌ، مِن نُهاها عذولُها ... ومِن صونِها - يومَ العُذَيْبِ - رقيبُها

لكلِّ محبٍّ يومَ يظفَرُ رِيبةٌ، ... فَسَلْ خَلَواتى: هل رأت ما يريبُها؟

إذا آختلطت لذَّاتُ حُبٍّ بعاره ... فأنعَمُها عندى الذى لا أُصيبُها

وساء الغوانى اليومَ إخلاقُ لِمَّتى (٣) ... فهل كان ممّا سَرَّهنّ قشيبُها؟

سواءٌ عليها كَثُّها (٤) ونَسيلُها (٥) ... وناصلُها (٦) من عِفَّتى وخضيبُها

وتعجَبُ أن حُصَّتْ (٧) قوادمُ مَفرِقى (٨) ... وأكثرُ أفعالِ الزمانِ عجيبُها!

ومن لم تغيّره الليالى بعدّه ... طِوالَ سِنِيها غيَّرته خُطوبُها

إذا سُلَّ سيفُ الدهر والمرءُ حاسرٌ (٩) ... فأهون ما يَلقى الرءوسَ (١٠) مَشيبُها

يعدِّد أقوامٌ ذُنوبَ زمانهم ... فمن لى بأيّامٍ تُعَدُّ ذُنوبُها

يقولون: دارِ الناسَ تَرْطُبْ أكفُّهم ... ومَنْ ذا يدارى صخرةً ويُذيبُها؟

وما أطمَعَتْنى أوجهٌ بآبتسامها ... فيُؤْيِسَنى ممّا لديها قُطوبُها

وفى الأرض أوراقُ الغنى لو جَذبتُها ... لَرَفَّ على أيدى النوال رطيبُها

إذا إبِلى أمستْ تُماطَلُ رَعْيَها ... فهل يَنفعَنّى من بلادٍ خَصيبُها؟

---

(١) الكوبُ: كوز لا عروة له. (٢) سواهم: متغيرات. (٣) اللمة: الشعر المجاوز شحمة الأذن. (٤) الكث: كثرة شعر اللحية. (٥) النسيل: ما يسقط من الشعر والريش. (٦) الناصل: الخارج من الخضاب. (٧) فى الأصل "خصّت" وهو تحريف، وحُصَّتْ من قولهم: رجلٌ أحصّ أى قليل شعر الرأس. (٨) المفرق: وسط الرأس وهو الذى يفرق فيه الشعر. (٩) الحاسر: من لا مغفر له ولا درع أو لا جُنَّة له. (١٠) فى الأصل "تاقى".

عَذيرَى من باغٍ يودّ لنفسِهِ ... نزاهةَ أخلاقى، ويُمسِى يَعيبُها
إذا قَصَّرتْ عنّى خُطاه أَدَبَّ لى ... عقاربَ كيدٍ غيرُ جِلْدى نسيبُها
ومِن أَمَلٍ فى سيّد الوزراء لى ... مطاعمُ يَغْنَى عن سواها كَسوبُها
إذا ما حَمَى مؤيَّدُ المُلْكِ حوزةً ... من الضُّمِّ لم يقدِرْ عليها طَلوبُها
علىَّ ضَوافٍ من سوالفِ طَوْلِهِ ... يخرِّرُ أذيالَ السحاب سَحوبُها (١)
وعَذراءَ عندى من نداهُ وثيِّبٍ ... إذا جُلِيَتْ زانَ العُقودَ تَريبُها (٢)
عوارفُ تأتى هذه إثْرَ هذه ... كما رافدَتْ أعلَى القناةِ كُعوبُها
إذا عُدّدَ المجدُ آنبرَيْنَ فواتتا ... عُقودَ البنانِ، أن يَعُدَّ حسيبُها
حلفتُ بمُسْتَنِّ البطاحِ وما حَوَتْ ... أسابيعُها (٣) من مَنْسَكٍ وحَصيبُها
وبالبُدْنِ (٤) مُهداةً، تُقادُ رقابُها ... مُوَقَّفةً (٥)، أو واجباتٍ (٦) جُنوبُها
لقام الى الدنيا، فقام بأمرها ... — على فترة — جَلْدُ الحصا وصليبُها
وغَيْرانُ لا يُرضيه إصلاحُ جسمه ... بدارٍ إذا كان الفسادُ يشوبُها
وقَاها من الأطماع حتى لو آنه ... جرى الدَّمُ فوق الأرض ما شَمَّ ذيبُها
ومدّ عليها حامياً يَدَ مُشْبِلٍ (٧) ... له عصبةٌ بعدَ النذير وُثوبُها
يَدٌ كلُّ ريحٍ تَمترِى ماءَ مُزْنِها ... فما ضرّها ألّا تهُبَّ جَنوبُها
أرى شِبهَهُ الأيّامَ عادتْ بصيرةً ... ومُذنِبَها قد جاءَ وهو مُنيبُها
وذلّتْ فأعطاها يَدَ الصفح ماجدٌ ... إذا سِيلَ (٨) تَرّاكُ الذُّحولِ (٩) وَهُوبُها

(١) فى الأصل "شُحُوبها" وهو تحريف . (٢) يريد بالتريب : الترائب وهى عظام الصدر .
(٣) الأسابيع : يريد أسابيع أشهر الحج . (٤) البدن جمع بَدَنَةٍ وهى من الإبل والبقر كالأضحية من الغنم تُهدَى الى مكة . (٥) فى الأصل : "موفقة" وهو تحريف . (٦) واجبات : ساقطات ، وفى القرآن الكريم : (فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا) . (٧) فى الاصل : "مسبل" وهو تحريف ، والمشبل : ذوالأشبال وهى أجراء الأسد . (٨) سيل : سُئِلَ . (٩) الذحول جمع ذَحْل وهو الثأر أو العداوة والحقد .

لكَ اللهُ راعى دولةٍ رِيعَ سَرْحُها ... وراح أمام الطاردين عَزِيبُها (١)

طوتْ حُسنَها ـ والماءُ تحت شفاهها ـ ... غِراثًا، وأدنى الأرضِ منها عَشِيبُها

إذا ما تراغت (٢) تقتضى نصرَ ربِّها ... فليس سوى أصدائها ما يُجيبُها

وقد غَلَب الطَّالِينَ عَرٌّ (٣) جلودها ... وفاتت أكفَّ المُلحمينَ نُقُوبُها (٤)

لها كلَّ يومٍ ناشدٌ غير واحدٍ ... تَقَفَّى المُنَى آثارَها فيُخيبُها

ومُطَّلِعٌ (٥) يَفْلِى طريقَ خلاصِها ... فيعمَى عليه سهلُها وحَزِيبُها (٦)

نفضتَ وِفاضَ الرأى حتى انتقدتَها (٧) ... وما كُلُّ آراءِ الرجالِ مُصيبُها

مُحَمَّلةً من ثِقْلِ مَنِّكَ أَوْسُقًا ... ينوء بها مركوبُها وجَنِيبُها

فعطفًا عليها الآنَ تَصْفُ حِياضُها ... وتُبْقِلْ مَراعيها وتُدْمَلْ نُدوبُها

فما رَأَمَتْ أَبْواءَها (٨) عند مالكٍ ... سواك ولا حنَّتْ لغيرك نِيبُها (٩)

تَسربلْ بأثوابِ الوزارة إنها ... لك انتُصِحتْ (١٠) أردانُها وجيوبُها

وقد طالما منَّيْتَها الوصلَ مُعرِضًا ... وباعدتَها من حيث أنتَ قريبُها

ومَن يك مولاها الغريبَ وجارَها ... فأنت أخوها دِنْيَةً (١١) ونسيبُها

بلطفِك فى التدبير شابَ غلامُها ... على السيرة المُثلَى وشَبَّ رَبيبُها

وقد ضامها قبلُ الولاةُ وقصَّرتْ ... قبائلُها عن نصرِها وشُعوبُها

فداك ـ وقد كانوا فداءك ـ منهُمُ ... جبانُ يدِ التدبير فينا غَرِيبُها

---

(١) العزيب : من الإبل والشاء التى تعزب عن أهلها فى المرعى ، وفى الأصل : "غريبها" .

(٢) تراغت : صوّتت فضجّت . (٣) العرّ : الجرب . (٤) نقوب جمع نَقْب وهو قرحة تخرج بالجنب . (٥) يفلى : يتدبّر . (٦) الحزيب : الأمر الشديد ، وفى الأصل "وحَزوبها" .

(٧) فى الأصل "اتقدتها" وهو تحريف . (٨) أبواء جمع بوّ وهو جلد الحوار يُحشى تبنا ويقرّب من أمّ الفصيل فترأمه وتعطف عليه فتدرّ . (٩) النيب جمع ناب وهى الناقة المسنة . (١٠) انتُصحتْ : خِيطَتْ . (١١) الدنية : يقال : هو ابن عمى دنية بمعنى هو ابن عمى لحًّا أى لاصق النسب .

رمَى بك فى صدر الأمور ولم يخَفْ فُلولَ نيوبِ الليثِ مَن يستنيبُها
حَملتَ له الأثقالَ والأرضُ تحتَه وراعيتَه لما عَلَتْه(١) جُنوبُها
وآخرُ أرخَى للنعيم عِنانَهُ أخو الهزلِ مِمراحُ العشايا لعُوبُها

* * *

تزخرفتِ الدنيا له فصَبَا لها مُقارَضةً يخشَى غدًا ما ينوبُها
وكان فتى أيامِهِ وابنَ لينها وأنت أبوها المتَّقى ومَهيبُها
وقاسٍ كأنَّ الجمرَ فلذةُ كبدِه يَرَى بالدماءِ نَحْلَةً(٢) يستذيبُها
مَخُوفُ نواحى الخُلْقِ، عُجْمٌ طباعُهُ إذا عولجت، مُرُّ اللحاظِ مُريبُها
إذا هَمَّ فى أمرٍ بعاجلِ فتكةٍ على غَرَرٍ(٣) لم يلتفِتْ ما عَقيبُها

* * *

وذو لُوثةٍ(٤)، مَنَّاهُ سلطانُ رأيه مُنًى غَرَّهُ محداجُها(٥) وكَذوبُها
ولم يك ذا خيرٍ فشاورَ شرَّهُ وما الشرُّ إلا أرضُ تيهٍ يجوبُها
يواثب من ظَهْرِ الوزارة رَيِّضًا(٦) زلوقًا(٧) وقد أعيَا الرجالَ رُكوبُها
ومدّ بكفِّ العنفِ فضلَ عِنانها فعادتْ له أفعَى حِدادًا نُيوبُها
رَمَى الناسَ عن قوسٍ وأعجبُ مَنْ رمَى يدٌ أرسلتْ سهما فعادَ يُصيبُها
تَوقَّ خُطًا لم تدرِ أين عِثارُها فكم قَدَمٍ تسعَى الى ما يَعيبُها
ولا تحسَبَنْ كلَّ السحابِ مَطيرةً فخاصبُها من حيث يُرجَى صَيِّبُها

(٢١)

---

(١) فى الأصل "عليه" . (٢) يستذيبها : يطلب ذوبها وهو العسل ، وفى الأصل "يستديبها" . (٣) الغرر : الخطر . (٤) اللُّوثة : الحُمق . (٥) المحداج : الصيفة قلّ مطرها . (٦) يقال : ناقة رَيِّضٌ : أوّل ما ريضت وهى صعبة بعدُ . (٧) الزلوق : الناقة السريعة ، وفى الأصل : "زليقا" ومعناها : الولد السقط للناقة اذا أسقطت وهذا لا يتفق ومعنى البيت .

وكم أَصْرمتْ[1] تحت العصائبِ لِقحةً[2] ودرَّتْ لغـير العاصبين[3] حُلوبُهـا
أَبَى اللهُ أن يُشـقِى بك اللهُ أمّةً أردتَ بهـا سُـقْما وأنت طبيبُهـا

* * *

تَطَأطَأْ لِمَنْ لو قمتَ نالك جالسًـا فمـا كلُّ أولادِ الظنون نجيبُهـا[4]
فقـد دانت الدنيـا لربِّ محاسنٍ محاسنُ قومٍ آخرين عُيوبُهـا
فيا ناظمًا عِقـدَ الكلام[5] تَمـلَّه ويا ناشر النعماءِ حيّـاكَ طِيبُهـا
إذا الأنفس اختُصَّتْ بحبِّ فضيلةٍ سموتَ بنفسٍ كلُّ فضلٍ حبيبُهـا
توافَقَ فيك الناسُ حُبًّا وأَمطَرتْ بشكرك سُحبُ القولِ حتى خَلوبُها
ملكتَ مكانَ الودّ من كلّ مهجةٍ كأنكَ لُطفًا فى النفوس قلوبُهـا
إذا الشمس لم تطلُعْ علينا، وأمرُنا بكفّك معقودٌ، فدامَ مَغيبُهـا
أنا العبـدُ أعطتـك الكرامةُ رِقَّهُ وجاءت به عفوا اليك ضُروبُهـا
رفعتَ بأوصـافى طريفًا وتالدًا كواكبَ لى عمَّ البـلادَ ثُقُوبُهـا[6]
وميّزتَنى حتَّى ملكتُ بوَحْـدَتى نواصىَ هذا القولِ يضفو سبيبُهـا[7]
وكم أملٍ أسـلفتُ نفسى ودعوةٍ قنِطتُ لهـا، واللهُ فيك مجيبُهـا
بلغتُ الأمانى فيك، فابلغ بِىَ التى تُنَفِّسُ نَفْسًا، ملءُ صدرى كُروبُهـا
وللدهرِ فى حالِى جُروحٌ وإنه بلحظك إن لاحظتَ يُوسَى رغيبُهـا[8]
ومهما تُعِرْ من نِعمةٍ فجزاؤها على الله، ثُمَّ الشـعرُ عنى يُثيبُهـا
بكلّ شَرودٍ يَقطعُ الريحَ شَوطُها ويَسرى أمامَ الغاسـقات دُبوبُهـا
تَزِمُّ[9] لِىَ الأصـواتُ يومَ بلاغِها إذا ما علا أعوادَ شِعرٍ خطيبُهـا

(١) أصرمت: انقطع لبنها. (٢) اللقحة: الناقة الغزيرة اللبن. (٣) العاصب: الذى يشدّ بالعصابة فخذى الناقة لتدرّ. (٤) فى الأصل: "يخيبها". (٥) كذا بالاصل وفى النسخة المطبوعة "الكمال". (٦) ثقوبها: ضوءها. (٧) السبيب: شعر الناصية. (٨) رغيبها: واسعها. (٩) تزمّ: تصوّت.

يروقُكَ منها جَزلُها وحَميسُها ... إذا راقَ من أبياتِ أُخرَى نسيبُها
ترى الناسَ خَلفَى يلقُطونَ(١) بَديدَها ... ويُعجِبهُم من غيرِ كدٍّ غُصُوبُها
جواهرُ، لى تصديفُها من بحورها ... صِحاحًا، وللعادِى المُغيرِ ثُقُوبُها
يَمُرُّ بها لا بائعًا يستحلُّها ... بِمِلْكٍ ولا مستوهبًا يستطيبُها
بَقِيتَ لها مستخدِما حِبَراتِها ... ومنتقِدًا ما حُرُّها وجَليبُها
موسَّعةً أيّامُ مُلكِكَ، مُعوِزًا ... على الحادثاتِ أن يَضيقَ رَحيبُها
وأعداكَ من شمسِ النهار خُلُوُّها ... وإشراقُها، لكن عَداكَ غُروبُها

* * *

وقال يمدح الوزير تاجَ المُلْك أبا غالب الحسن بن منصور ويهنّئه بالوزارة، وأنفذها اليه وهو بواسط، بعد ظَفره بأبى محمد بن سَهْلانَ، وعرَّض بذكر الحرب التى جرت بينهما، وحصولِه فى رِبْقَته، وذلك فى سنة ثلاث عشرة وأربعمائة

قضى دَينَ "سُعدَى" طيفُها المتأوِّبُ(٢) ... ونَوَّل إلا ما أَبَى المتحوِّبُ(٣)
سَرَى فأراناها على عهد ساعةٍ ... ومن دونها عَرضُ "الغُوير" "فغُرَّبُ"(٤)
فمثلُها لا عِطْفُها متشمِّسٌ ... ولا مسُّها تحت الكرى متصعِّبُ
تحيِّى نَشاوَى من سُرى الليل ألصقوا ... جُنوبا بجِلدِ الأرضِ ما تتقلَّبُ
إذا أَنِسوا بالليل جاذَبَ هامَهُم ... حوافرُ قَطْعِ الليل، والنومُ أطيبُ
وفى التُّرب مما آستصحبَ الطيفُ فَعمةٌ(٥) ... يرواح قلبى نَشْرُها(٦) المتغرِّبُ
فعرَّفنى(٧) بين الركاب كأنما ... حقيبةُ رَحلى باقِىَ الليلِ مَسْحَبُ

(١) فى الأصل: يطلقون. (٢) المتأوِّب: الطارق أوّل الليل. (٣) المتحوّب: المتعبد الذى يلقى الحوب عن نفسه. (٤) الغوير كزُبير، وغُرَّب كسكّر: اسما موضعين. (٥) فعمة: نَفْحة. (٦) فى الأصل "بشرها" وهو تحريف. (٧) فعرّفنى: فطيّبنى بعَرْفِه.

ألا ربما أعطتك صادقةَ المُنَى ... مصادَفةُ الأحلامِ من حيثُ تكذِبُ

ويومٍ كظلِّ السيفِ طال قصيرُهُ ... على حاجةٍ من جانبِ "الرَّمْلِ" تُطلَبُ

بعثتُ لها الوجناءَ(١) تقفو طريقَها ... أمامَ المطايا تستقيمُ وتنكُبُ

فمالت على حكمِ الصَّبا "لمحجَّرٍ"(٢) ... وللسيرِ فى أُخرَى مَظَنٌّ ومَحْسَبُ

أعِدْ نظَرًا وٱستأنِ يا طرفُ ربّما ... تكونُ التى تهوَى التى تتجنَّبُ

فما كلُّ دارٍ أقفرتْ "دارةُ الحِمَى" ... ولا كلّ بيضاءِ الترائبِ "زينبُ"

عجبتُ لقلبى كيف يستقبل الهوى ... ويرجو شبابَ الحىّ والرأسُ أشيبُ

تَضُمُّ حِبالَ الوصل من "أمِّ سالمٍ" ... وحبلُكَ بعد الأربعينَ(٣) مُقَضَّبُ

وليس لسوداءِ اللحاظِ ـ ولو دنا ... بها سببٌ ـ فى أبيض الرأس مَطْرَبُ

ولائمةٍ فى الحظّ تحسَبُ أنّه ... بفضلِ ٱحتيالِ المرءِ والسعىِ يُحْلَبُ

رأت شَعَثًا غطَّى عليه تَصَوُّنى ... وعيشا بغيضا وهو عندى محبَّبُ

وقد كنتُ ذا مالٍ مع الليل سارحٍ ... علىّ، لو ٱن المالَ بالفضلِ يُكسَبُ

ولكنه بالعِرضِ يُشرَى خِيارُه ... ويَنمِى على قَدرِ السؤالِ ويَخصِبُ

وما ماءُ وجهى لى إذا ما تركتُهُ ... يُراقُ على ذلِّ الطِّلابِ ويَنضُبُ

وإنكِ لا تدرين، واليومُ حاضرٌ ... بحالِ ٱختلالى، ما غدًا لِى مُغَيَّبُ

لعلّ بعيدًا ما طَلَبْتَ دونه المُنَى ... سيحكُمُ "تاجُ المُلْكِ" فيه فيقرُبُ

فما فوقه مَرمًى لظنٍّ موسَّعٍ ... ولا عنه للحقّ المضيَّعِ مَذْهَبُ

وإن فاتنى من جودِهِ وٱصطفائِهِ ... الى اليوم ما تُسْنِى(٤) يداه ويوهَبُ

وأيبَسَ رَبعى وحدَه من سَحابةٍ ... تبيتُ لمثلى من عَطاياه تَسْكُبُ

فرِجْلَى كانت دون ذاك قصيرةً ... وحظِّى(٥) فيما جازنى منه مُذْنِبُ

(١) الوجناء: الناقة المسرعة . (٢) محجَّر: كمعظَّم ومُحدَّث اسم لجملة مواضع . (٣) المقضَّب: المقطّع . (٤) تسنى: ترفع . (٥) فى الأصل "حازنى" .

ولا لومَ أن لم يأتنى البحرُ، إنما ... على قدر ما أسعَى الى البحرِ أشربُ
حَمَى بَيْضةَ الإسلامِ ليثٌ تناذرتْ ... ذئابُ الأعادِى الطُّلْسُ[1] عما يُذَبِّبُ[2]
وزانت جبينَ المُلكِ دُرَّةُ تاجِهِ ... فما ضرَّه أىُّ العمائم يُسْلَبُ
وَفَى بالمعالى مستقِلًّا بحملها ... متينٌ إذا خارت قُوَى العزمِ صُلَّبُ
تريه خَفِيَّاتِ الشَّوا كلِ فكرةٌ ... بصيرٌ بها مِن خَطْفةِ النجم أثقبُ
إذا آستقبل الأمرَ البطىءَ برأيه ... تبيَّنَ من أُولاهُ ما يَتعقَّبُ
ومُزلِقةِ المتنين تَمنعُ سرجَها ... وتُسأَلُ قُوسُ[3] النَّجمِ: من أين تُصحَبُ
أَبَتْ أن يُطيف الرائضون بجنبها ... فقوَّدتَها مملوكةَ الظَّهرِ تُركَبُ
ويومٍ بلون المشرفيَّةِ أبيضٍ ... ولكنه مما يُفَجَّرُ أصهبُ[4]
إذا أسفرتْ ساعاتُهُ تحت نَقْعِه ... عن الموتِ ظلَّت شمسُه تَتنقَّبُ
صبرتَ له نَفْسًا حبيبًا بقاؤها ... الى المجدِ حتّى جئتَ بالنصرِ يُجْنَبُ
كواسِطَ، والأنبارُ أمسِ كواسطٍ ... ومِن إيِّما يومَيْكَ لا أتعجَّبُ
وكم دولةٍ شاختْ وأنتَ لها أخٌ ... وأُخرى تُرَبِّيها وأنتَ لها أبُ
ينامُ عزيزا كهلُها وغلامُها ... وأنت عليها المُشْبِلُ المتحدِّبُ
أَرَى الوزراءَ الدارجين تطلَّبوا ... على فضلهم ما نلتَهُ فتخيَّبوا
تباطَوْا عن الأمرِ الذى قمت آخذا ... بأعجازه وآستبعدوا ما تُقَرِّبُ
فلو لحقَتْ أيامُهم بك خلتَهم ... بهَدْيِك ساروا أو عليك تأدّبوا
نَهيتُ الذى جاراك راكبَ بَغيِه ... الى حَيْنِه، والبغىُ للحَيْنِ مَركَبُ
وقلتُ: تَفَلَّلْ[5]، إنما أنت حابِلٌ[6] ... على جنبك الواهى تَحُشُّ وتَحطُبُ

(١) الطلس جمع أطلس وهو الأمعط من الذئاب. (٢) يذبّب: يدافع. (٣) قُوس جمع أقوس وهو المحنّى. (٤) أصهب: أحمر. (٥) تفلّل: انهزم. (٦) الحابل: الذى معه حبله.

دعِ الرأسَ وآقنع بالوسيطةِ ناجيًا ... بنفسك، إن الرأسَ بالتّاج أنسبُ
وإن ولىّ الأمر دونك ناهضُ الـ ... ـبصيرةِ طَبٌّ[1] بالخطوب مدرَّبُ
وأهيبُ فينا من قُطوبك بِشْرُهُ ... وما كلّ وجهٍ كالح يُتهيَّبُ
بفعلك سُدْ، إن الأسامي[2] مُعارةٌ ... وبالنفس فاخرْ لا بمن قمتَ تَنْسُبُ
تمنَّوْكَ "تاجَ الملكِ" أن يتعلّقوا ... غُبارَك، وآبنُ الريح فى السَّبق أنجبُ
فظنّوا تكاليفَ الوزارة سهلةً ... ومنكبُ "رَضوى"[3] فى العريكة يَصعُبُ
فلا زالتَ تلقَى النصرَ حيث طلبتَه ... بجَدّك يعلو أو بسيفك يَضرِبُ
تُمُدُّ لك الدنيا مَطاها[4] ذليلةً ... فتركَبُ منها ما تشاءُ وتُركِبُ
الى أن ترى ظهرَ البسيطةِ قبضةً ... بكفّيك يَلْقَى مَشرِقًا منه مَغرِبُ (٢٣)
ويُفِّيضَ لى من حُسنِ رأيك ساعةٌ ... يُساعف فيها حظّىَ المتجنِّبُ
فتُمطِرنى من عدْلِ جودك دِيمةٌ ... تَبُلُّ ثرى حالى بما أنا مُجدِبُ
لعلّ خَفِيًّا كامنًا من محاسنى ... تبوحُ به نُعماك عنّى وتُعرِبُ
ومَن لِىَ لو أنّى على العجز ماثلٌ ... بناديك يُصغِى المُفحَمون وأخطُبُ؟
فتشهد أنى ما عدمتُ فضيلةً ... الى مثلكم مثلى بها يتقرَّبُ
وتَعلم منّى كيفَ أمدحُ ناظمًا ... فإنك تدرِى ناثرًا كيف أكتُبُ

* * *

وقال وقد تُوُفِّىَ أبو الحسين أحمد بن عبد الله، وكان من معادن الفتوّة الغريبة، ومظانّ الكرم العجيبة، وجامعا للدين والمروءة والفضل والرياسة، واتفقَ قبل موته بسنين قلائل آنتساجُ مودّةٍ بينه و بينه سبقَ خبرُها، بدأ أبو الحسين بِخطْبتِها، وقصدَهُ

(١) الطبّ: البصير بالأمر والحاذق الماهر. (٢) الأسامى: الأسماء. (٣) رضوى: اسم جبل. (٤) المطا: الظهر.

راغبا فيها، وتبرّع بضروب من التفقّد وأصنافٍ من الرّعاية، تبعُدُ على كثيرٍ من أبناء الزمانِ الفطنةُ لها، فعمل هذه القصيدةَ يرثيه، وتُوُفِّيَ بواسطٍ فى شوّال سنة ثلاث عشرة وأربعمائة

نعم! هـذه يا دهرُ أمُّ المصائبِ ... فلا تُوعِدَنّى بعـدَها بالنـوائبِ
هتكتَ بهـا سِـتر التجامُلِ بيننـا ... ولم تلتفت فينـا لِبُقْيَا(١) المُـراقِبِ
وما زلت ترمى صفحتى بين عاصدٍ(٢) ... ومنحـرفٍ حتى رَمَيْتَ بصـائبِ
فرأيَكَ فى قَوْدى، فقد ذلّ مِسْحَلى(٣) ... وشأنَكَ فى غمزى، فقد لان جانبى
ولا تحسَـبنّى باسـطا يدَ دافعٍ ... ولا فاتحا من بعـدها فَمَ عاتبِ
ولا مُسبِغا فَضفاضـةً(٤) أبتغى بها ... شَبا(٥) طاعنٍ من حادثاتك ضاربِ
لهـا كنتُ أستبقى الحياةَ وأحتمى ... وأجمعُ بُرْدِى من أكُفِّ الجواذبِ
وَلَجتَ رُواقَ العـزّ حتى اقتحمتَهُ ... بلا وازعٍ عنـه ولا ردِّ حاجبِ
وأنشبتَ فى صمّاءَ عهـدى بمتنها ... صفيقَ المَطَـا زَلِيقـة بالمخالبِ
سددتَ طريقَ الفضلِ من كلّ وِجهةٍ ... وملتَ على العليـاء من كلّ جانبِ
فـلا سَنَنٌ(٦) إلا محجّـةُ تائهٍ ... ولا أمـلٌ إلا مطيَّـةُ خائبِ
أبعدَ ابنِ "عبدِ اللهِ" أحظَى براجعٍ ... من العيش، أو آسَى على إثْرِ ذاهبِ؟
وأُرسِـلُ طَـرفى رائدا فى خميـلةٍ ... من النـاسِ أبغى نُجعـةً لمَطالبى؟
وأقدحُ زَندا وارِيًا من هَوَى أخٍ ... وأكشفُ عن ودٍّ خبيئةَ صاحبِ؟
وأدفعُ فى صـدرِ الليـالى بمثـلِهِ ... فترجِعَ عنّى داميـاتِ المنـاكبِ؟

(١) فى الأصل: "كُبْقَيا". (٢) العاصد: السهم الملتوى. (٣) المسحل كمنبر: اللجام.
(٤) الفضفاضة: الدرع. (٥) شبا جمع شباة وهى حدّ كلّ شىء. (٦) السنن: الطريق.

أَبَى ذَاك قلبٌ عنه غيرُ مُغالِطٍ ... برجمٍ(١)، وحلمٌ بعدَهُ غيرُ عازبِ

وأنَّ خُروقَ المجدِ ليستْ لراقعٍ ... سواه، وصدعَ الجودِ ليس لشاعبِ

طَوَى الموتُ منه بُردةً فى دُروجها ... بقيَّةُ أيامِ الكرامِ الأطايبِ

مُحَبَّرةً، سَدَّى(٢) وألحمَ وَشْيَها ... صَناعٌ بحَوْك المكرماتِ الرغائبِ

كسا اللهُ عِطفَ الدهرِ حِينًا جمالَها ... فلما طغى قِيضَتْ لها يَدُ سالبِ

لئن دَرَسَتْ منها الخُطوطُ(٣) فإنه ... لَيَبْقَى طويلا عَرفُها فى المَساحبِ

وجوهرةً فى الناس كانت يتيمةً ... وهل من أخٍ للبدرِ بين الكواكبِ

أَبَى الحسْنُ أن يحبَى بها عِقدُ ناظِمٍ ... فتُسلَكَ، أو يسمو لها تاجُ عاصبِ

فمُدَّتْ اليها بالردى يَدُ كاسرٍ ... وكان يقيها المجدُ من يد ثاقبِ

سل الموتَ: هل أودعتُه من ضغينةٍ ... تَنَقَّمَ منها فهو بالوِتْرِ(٤) طالبى؟

له كلَّ يومٍ حولَ سَرحَى غارةٌ ... يشرِّد فيها بالصفايا النجائبِ

سُلافةُ إخوانى وصفوةُ إخوتى ... ونُخبةُ أحبابى وجُلُّ قرائبى

فليتَ عفا عن "أحمدٍ" فاديًا له ... بمُصرمةٍ(٥) مما اقتنيتُ وحالبِ

أألآن لمّا اشتدّ متْنِى بودّه ... وردّتْ مِلاءً من نَداه حَقائبى!

وجَمَّتْ لآمالى العطاشِ حِياضُهُ ... وكانت تُخَلَّى عن نِطافِ(٦) المَشاربِ!

جُعِتُ به غَضَّ الهوى حاضرَ الجَدَى ... جديدَ قميصِ الودّ سَهْلَ المَجاذبِ

كأنى على العهدِ القريبِ اعتلقتُهُ ... بطُولِ اختبارى أو قديمِ تَجاربى

سَدَدتُ فَمَ الناعى بكفِّى تطيُّرًا ... ولوَّيتُ وجهى عنه لَمَّ مُغاضِبِ

(١) الرجم: الظن. (٢) سَدَّى وألحم أى أقام سَدَاها ولُحمَتَها. (٣) فى الأصل: "الحفاظ" وهو تحريف ويريد بها خطوط البردة التى كسا الله بها عطف الدهر. (٤) الوتر: الثأر أو الحقد. (٥) المصرمة: الناقة التى كُوِىَ ضَرعها فانقطع لبنها. (٦) نطاف جمع نُطفة وهى الماء الصافى أو البقية منه.

وقلتُ : تبيَّنْ ما تقولُ لعلَّها ... تكون كتلك الطائراتِ الكواذبِ !

فكم غامَ من أخباره ثم أقشعتْ ... سحابتُه عن صالحِ الحالِ ثائبِ

فلمّا بدا لِى الشرُّ فى كَرِّ قوله ... ربطتُ نَوازِى أضلعِى بالرواجبِ (١)

ومِلتُ الى ظِلٍّ من الصبر قالصٍ ... قصيرٍ ، وظَنٍّ بالتجمُّلِ كاذبِ

ونفْسٍ شَعاعٍ (٢) قد أخلَّ وقارُها ... بعادتِه فى النازلاتِ الصعائبِ

وعينٍ هَفَا الحزنُ الغريبُ بجفنها ... فطاحَ ضياعا فى الدموعِ الغرائبِ

أُسائلُ عنه المجدَ وهو معطَّلٌ ... سؤالَ الأجبِّ (٣) عن سَنامٍ (٤) وغارب (٥)

وأستروحُ الأخبارَ وهى تسوءنى ... علائقَ منها فى ذيولِ الجنائبِ (٦)

فيُفصِحُ لى ما كان عنه مُجَمْجِماً ... ويصدُقُنى ما كان عنه مُوارِبى

فقيدُ "بميْسانَ" (٧) آستوت فى آفتقاده ... مَشارقُ آفاقِ العُلا بالمغاربِ

وقِيدَ الحياءُ والسماحُ فأُرْجِلا ... عَقيرَيْنِ فى تُرْبٍ له مُتراكبِ

تُنافِثُ عن جمرِ الغضا نادباتُهُ ... كأنّ فؤادى فى حُلوقِ النَّوادبِ

بكتْ أدمعا بيضًا ودمَّتْ جِباهَها ... فتحسَبُها تبكى دَمًا بالحواجبِ

هوتْ هَضْبةُ المجدِ التليدِ وعُطِّلتْ ... رسومُ الندَى وآنقضَّ نجمُ الكواكبِ

ورُدَّتْ رِكابُ المُخمِسين (٨) بِظمئِها ... تكدّ الدلاءَ (٩) فى رَكايا (١٠) نواضبِ (١١)

---

(١) الرواجب جمع راجبة وهى المفاصل التى تلى الأنامل . (٢) شعاع : متفرقة .

(٣) الأجبّ : مقطوع السنام . (٤) السنام : الحدبة فى ظهر البعير . (٥) الغارب : الكاهل .

(٦) الجنائب : جمع جنوب وهى ريح تخالف الشمال . (٧) ميسان : اسم كورة واسعة بين البصرة وواسط . (٨) المخمسين : الذين ترد إبلهم خمْسا ، والخمس بكسر الخاء : من أظماء الإبل وهو أن ترعى ثلاثة أيام وترد الرابع . (٩) الدلاء جمع دلو وهو معروف . (١٠) الركايا جمع ركيّة وهى حفرة يجتمع فيها الماء . (١١) نواضب : غوائر .

ومَنْ يستبلُّ المُستنتونَ[1] بسيبِهِ[2] فيَرجِعَ خُضْرًا بالسنين الأشاهبِ[3] ؟
ومولًى كشفتَ الضيمَ عنه وقد هَوى به الذلُّ فى عَمياءَ ذاتِ غَياهبِ
فلما رآك آستشعرَ النَّصْفَ وآستوتْ به رِجلُهُ فى واضحٍ مُتلاحبِ[4]
وفيمن يُصاغُ الشعرُ بَعدَك ناظما عقودَ الثناءِ حاظيًا بالمَناقبِ !
وأين أخوك الجودُ من كف راغبٍ إذا لم تكن قَسَّامَ تلك الرغائبِ ؟
ومن ذا يعى صوتى ويعتدّ نُصرتى جهادا، ووِدّى من وشيجِ[5] المَناسبِ[6] ؟
برغمىَ أنْ هبَّ النيامُ وأننى دعوتُكَ وجهَ الصبح غيرَ مُجاوِبِ
وأن لا تُرَى مُستعرِضا حاجَ رُفقةٍ ولا سائلًا : من أين مقْدَمُ راكبِ ؟
وكنتُ إذا ما الدهرُ شلَّ مَعاطِفى دعوتُك فاستنقذتَ منه سَلائبى
ذخيرةُ أنسى يومَ يوحشنى أخى و بابى اذا سُدّتْ علىَّ مَذاهبى
وكم من أخٍ بَرٍّ وإن أنا لم أجِدْ كَأَنْتَ أخًا فى أُسرتى والأجانبِ
سَرَى الموتُ من أوطانه فى مآلفى ونقَّبَ من أخلافِهِ[7] عن حبائبى
عجبتُ لهذى الأرضِ كيف تُلمُّنا لتَصدَعنَا، والأرضُ أمُّ العجائبِ
نطارِدُ عن أرواحِنا برماحِنا ونَطربُ من أيامنا للحرائبِ
وتَسحَرنا الدنيا بشَبعةِ طاعمٍ هى السَّقَمُ المُرْدِى، ونَهلةِ شاربِ
أُحدّثُ نفسى خاليا[8] بخلودها فأين أبِى الأدنَى وأين أقاربى ؟
ولا كنتُ إلا واحدا من عشيرةٍ ولا باقيا فى الناس إلا آبن ذاهب

---

(١) المستنتون : المجدبون . (٢) السيب : العطاء والعرف . (٣) الأشاهب : يقال سنة شهباء أى لا خضرة فيها أو لا مطر . (٤) يريد بقوله متلاحب : واضح وهو من باب التوكيد لقوله "واضح" قبلها . (٥) الوشيج : اشتباك القرابة . (٦) المناسب : القرابات . (٧) الأخلاف جمع خَلْف وهو البقية من الناس ، وفى الأصل "أخلاقه" . (٨) فى الاصل : "حاليا" .

فهل أنا أَجْبَى من مَقاوِل "حِمْيَر"(١) وأمنعُ ظَهرا من مُشيِّد "مَارِب"(٢)؟
وهل أخذتْ عهدَ "السموءلِ" لى يدٌ من الموت أو عندى حَنيَّةُ "حاجبِ"(٣)؟
أردّ شفارا عن نحورِ صَحابةٍ كأنىَ دَفَّاعٌ لها عن ترائبى
ولا عِلمَ لى من أىّ شِقَّىَّ مَصرَعى وفى أيِّما أرضٍ يُخَطُّ لجانبى
إذا كان سهمُ الموتِ لابدّ واقعا فياليتنى المرمىُّ من قَبلِ صاحبى
وياليتَ مقبورا "بكوفان" شاهدٌ جوارى، وإن كانت شهادةَ غائبِ
ولَيتَ بِساطَ الأرض بينى وبينه طوتْه على الأعضادِ أيدى الركائبِ
فَعُجْتُ عليه واقفًا فمسلِّما وإن هُوَ لم يَفقهْ حديثَ المُخاطِبِ (٢٥)
ولَيتَ طريفَ الودّ بينى وبينه ـ وإن طابَ يومًا ـ لم يكن من مَكاسبى
سلامٌ على الأفراح بعدَك إنها ـ وإن عشتُ ـ ليست إربةً من مآربى
إذا دنَّس الحزنَ السلوُّ غسلتُهُ فعاد جديدا بالدموعِ السواكبِ
وإن أحدثَتْ عندى يدُ الدهرِ نعمةً ذكرتُك فيها فاغتدتْ من مَصائبى
أُدارِى عيونَ الشامتين تجلُّدا وأبسِمُ منهم فى الوجوهِ القواطبِ
أُرِيهم بأنى ثابتُ الريش ناهضٌ وتحت جَناحى جانفاتُ المخالبِ
سَقَتكَ بمعتادِ الدموعِ مُرِشَّةً أفاويقُ(٤) لم تُخدِج(٥) بلَمعةِ خالبِ
يلوث خطافُ البرقِ فى جَنباتِها بهامِ الهضابِ السودِ حُمرَ العصائبِ
لها فوق مَتنِ الأرض ـ وهى رفيقةٌ بما صافحت ـ وَخْدُ القرومِ المصاعب

---

(١) المقاول جمع مِقول وهو الملك من حِميَر. (٢) مارب: يريد "مأرب" كمنزل: موضع باليمن، وقيل اسم قصر بها. (٣) يريد حاجب بن زرارة حين وفد على كسرى وأرهنه قوسه ضمانا له بوفاء العرب. (٤) الأفاويق: ما آجتمع فى السحاب من ماء فهو يمطر ساعة بعد ساعة. (٥) لم تخدج أى لم يقلّ مطرها.

تَرَى كلَّ تُربٍ كان يَعتاضُ لِينًا ... لها ، وغلامًا كلَّ أشمطَ شائبِ (١)
إذا عُمِّمتْ جَلْحاءُ (٢) أرضٍ بوبلها ... غدتْ روضةً وفراءَ ذات ذوائبِ
وإن كان بحرٌ فى ضريحك غانيا ... بجُمَّاتِهِ عن قاطراتِ السحائبِ

* * *

قال وكتب بها إلى الصّاحبِ أبى القاسِم بنِ عبدِ الرّحيم رحمهُ الله ، يهنئه بمقدَمِهِ من واسطٍ ، ويَستبشِرُه به ، ويذكُر خلاصَه من النَّبْوَةِ التى لحقتْه بها ، وذلك فى صفر سنة أربع عشرة وأربعمائة

تزِلُّ الليالى مرَّةً وتصيبُ ... ويعزُبُ حِلمُ الدهرِ ثمَّ يثوبُ
وتَستلقِحُ الآمالُ بَعدَ حِيالِها (٣) ... أوانًا ويَنأَى الحظُّ ثم يؤوبُ
ولولا قُفولُ الشمس بعد أُفولِها ... هوتْ مَعَها الأرواحُ حين تغيبُ
تَنَظَّرْ وإن ضاقت بصدرٍ رِحابُهُ ... فُروجُ صَلاحٍ ذَرعُهنّ رحيبُ
فما كلُّ عينٍ خالجْتك مريضةٌ ... وخطفةِ برقٍ خالستْك خَلوبُ
قَضَتْ ظُلُماتُ البُعدِ فيك قَضاءَها ... فُصبحا (٤) ، فهذا الفجرُ منك قريبُ
بَدَتْ أوجُه الأيّام غُرًّا ضواحكا ... وكنَّ وفى ٱستبشارِهنّ قُطوبُ
وطارحْنى عُذرَ البرىءِ وربما ... سَبقنَ وفى أعذارهنّ ذُنوبُ
أَرى كَبِدى قد أَثلجتْ فى ضلوعها ... وكانت على جمرِ الفراقِ تذوبُ
وراحت إليها بعدَ طُول ٱلتياحِها ... صَبًا قَرَّةٌ تَندَى لها وتطيبُ
سَرَى الفضلُ من مَيسانَ يُشرِقُ بعدما ... أطال دُجَى "الزَّوراءِ" منه غروبُ

(١) يريد بقوله "وغلاما كل أشمط شائب" أن الأرض ترعرعت وٱخضرت وعاد اليها لينها بعد يبسها وأن كل شائب عاد غلاما مترعرعا مما حلّ به من الخصب الذى أعاد للا رض لينها وللشائب نضرته بما عاد عليه من ترف العيش ورفاهته . (٢) الجلحاء : الأرض التى لا نبات فيها . (٣) الحيال : عدم حمل الناقة . (٤) يريد فٱنتظر صبحا .

وهبّت رياح الجودِ بُشرَى بقربِهِ ... لها سالفٌ[1] من نشرِها وجنيبُ
وما خِلتُ أن البدرَ يطلُعُ مُصعِدا ... ولا أنَّ ريحَ المكرماتِ جَنوبُ
تزاحمتِ الأيّامُ قبلَ لقائه ... بجنبيَّ من ذَنبٍ الفراقِ نتوبُ
وتُقسِمُ لى أيْمانَ صدقٍ بأنْ غدًا ... تراه، وبعضُ المُقسِمين كذوبُ
وقد زادنى شكرا — لحُسْنِ وفائها ... بما وَعدَتْ — أنَّ الوفاءَ غريبُ
كفَى البين، أنى لِنْتُ تحتَ عِراكِهِ ... وخُرتُ وعُودى فى الخطوبِ صليبُ
وقاربتُ من خَطوِى رِضًا بقضائِهِ ... ولى بين أحداثِ الزمانِ وُثوبُ
حَملتُ وُسوقَ البُعدِ فوق أضالع ... من الثِّقْلِ عَضَّاتٌ بها ونُدوبُ
أَخُبُّ حِذارَ الشامتينَ تجلُّدا ... بهنّ وما تحتَ الخِبالِ[2] نَجيبُ
فإن تُعقبِ الأيّامُ حُسْنَى تسوءُها ... فللصبرِ أُخرَى حُلوةٌ وعَقيبُ
سَمَتْ أعينٌ مغضوضةٌ، وتراجَعتْ ... الى أُنسِها بعدَ النفورِ قُلوبُ
وعادت تسرّ الرائدين نَجيلةٌ ... تَعاورَها بَعدَ "الحسَين" جُدوبُ
فماءُ الندَى عَذبُ اللِّصابِ[3] مُرَقْرَقٌ ... وغصنُ المُنَى وَحْفُ[4] النباتِ رطيبُ
سيُلقِى عصاهُ وادعًا كلُّ خابطٍ ... على الرزقِ يطوِى أرضَه ويجوبُ
وهل ينفُضُ الجوَّ العريضَ لنُجعةٍ ... أريبٌ، واوديه أعمُّ خصيبُ؟
أقولُ لآمالى وهنّ رواقدٌ: ... خذى أُهبةَ اليقظانِ، حانَ هُبوبُ
إذا الصاحبُ استقبلتِ غرَّةَ وجهِهِ ... بدا قمرٌ وافٍ وماسَ قضيبُ
ولم تَفتحِى الأجفانَ عن طَرْفِ لافتٍ ... الى نائباتِ الدهرِ حين تَنوبُ
سلامٌ! وحيّا اللهُ والمجدُ سُنَّةً ... لها فى دُجُنّاتِ الظلامِ ثُقوبُ

(١) السالف : السابق . (٢) الخبال : الكَلُّ . (٣) اللصاب جمع لِصْب وهو مضيق الوادى . (٤) الوحف : الكثير الملتفّ .

وزادَت عَلاءً فى الزمان وبَسْطَةً ... يَدٌ تُصْرِمُ الأنواءُ[1] وهى حَلُوب

لآثارِها فى كلِّ شهباءَ[2] روضةٌ ... وفى كلِّ عَمياءِ[3] المياهِ قليبُ

حمى مجدَهُ وافى الحمائل سيفُهُ ... غيورٌ اذا ما المجدُ ضِيمَ غَضوبُ

له كلَّ يومٍ نهضةٌ دون عِرضِهِ ... اذا نام حُبا للبقاءِ حَسيبُ

قليلةُ أُنسِ الجفنِ بالغُمْضِ عينُهُ ... وللعارِ مَسرًى نحوه ودبيبُ

إذا سال وادى اللُّؤمِ حَلَّتْ بيوتُهُ ... بأرعنَ[4] لا ترقَى إليه عُيوبُ

وقامَ بأمرِ المُلك يَحسِمُ داءَهُ ... بصيرٌ بأدواءِ الزمانِ طبيبُ

له مَدَدٌ من سيفِهِ ولسانِهِ ... قؤولٌ إذا ضاقَ المَجالُ ضَروبُ

إذا يَبِستْ أقلامُهُ أو تصامتتْ ... فصارمُهُ رَطْبُ اللسانِ خَطيبُ

يُرَى كلَّ يومٍ لابسًا دَمَ قارنٍ[5] ... له جَسَدٌ فوق التراب سَليبُ

ولم أَرَ مثلَ السيف عُريانَ كاسيًا ... ولا أمردَ الخدَّين وهْو خضيبُ

وقد جرّبوه عاطلًا ومقلَّدا ... وقادوه يَعْصِى حبلَهُ ويُجيبُ

فما وَجَدُوا مَعْ طُولِ ما اجتهدوا له ... فتًى عنه فى جُلَّى تنوبُ ينوبُ

فعادوا فعاذوا ناهضين بعاجزٍ[6] ... حضورُهُمُ ما أخَّروه مَغيبُ

أمينٌ على ما ضيَّعوا من حقوقه ... سليمٌ، وودّ الغادرين مَشوبُ

من البيضِ، إلا أن يُحلِّى وجوهَهُم ... -إذا هُجِروا خَلْفَ التراب- شُحوبُ

صِباحٌ، نجومُ العزِّ فوق جِباههم ... طوالعُ غُرٌّ، والنجومُ تغيبُ

---

(١) الأنواء جمع نوء وهو المطر . (٢) يريد بالشهباء : السنة المجدبة . (٣) يريد بعمياء المياه : المفازة التى لا ماء فيها . (٤) الأرعن : الجبل . (٥) القارن : الذى معه سيف ونبل أو رمح وجَعبة . (٦) العاجز : السابق ، مأخوذ من قولهم : عاجزه فعَجَزَه فهو عاجزٌ بمعنى سابقه فسبقه فهو سابق .

عصائبُ تيجان الملوك سِماتُهم ... ويومُهُم تحتَ الرِّماح عَصيبُ

إذا حِيزَ بيتُ الفخرِ حلَّقَ منهُمُ ... عليه شَبابٌ طيِّبونَ وشِيبُ

لهم كلُّ مقرورٍ عن الحِلم، ظَنُّهُ ... يقينٌ، وهَافِي[1] عزمتيه لبيبُ

تَغيضُ أكف الواجدين وكَفُّهُ ... على العُدْمِ تَهمِي مرّةً وتصوبُ

تكادُ من الإشراق[2] جِلدةُ خدِّهِ ... تَغَصُّ بماءِ البِشر وهْو مَهيبُ

يقيكَ الرَدى غَمْرٌ[3] يُجاريك فى النَّدَى ... فيعقِلُ عِيٌّ رُسْغَهُ ولُغُوبُ

إذا قمتَ فى النادى بريئًا من الخنا ... تلفَّتَ من جنبيهِ وهْو مريبُ

تَتبَّعَ يقفو الخيرَ منك بشرِّهِ ... خِداعًا، كما قَصَّ المَشَمَّةَ ذِيبُ

تنبَّهَ مشروفًا بغلطةِ دهرِهِ ... وبِنتَ بمجدٍ أنتَ فيهِ نسيبُ

وقد يُنهِضُ الحظُّ الفتى وهْو عاجزٌ ... لحاجاتِهِ حتى يقالَ : نجيبُ

أنا الحافظُ الذوّادُ عنك وبيننا ... وَشائعُ[4] من بُسْطِ الفلا وسُهوبُ[5]

شَهَرْتُ لساناً فى ودادك، جُرْحُهُ ... — إذا حَزَ فى جِلد النفاقِ — رَغِيبُ

لك الجُمَّةُ الوطفاءُ[6] من ماءِ غَربِهِ ... وعند العِدَا حرٌّ له ولهيبُ

يَسُرُّك مكتوبا وشخصُك نازِحٌ ... ويرضيك مسموعًا وأنتَ قريبُ

وكيف تَروْنى قاعدا عن فريضةٍ ... قيامى بها حقٌّ لكم ووُجوبُ

وفيكم نما غُصنِي وطالت أراكتِي ... وغودرَ عيشى الرثُّ وهو قشيبُ

سَوِىَ[7] كلُّ سهمٍ طاحَ لى فى سوائكُم ... ولى شُعبةٌ من رأيكم ونصيبُ

ولى بَعْدُ فيكم ذَروةٌ ستنالُها ... يدى ، ومُنًى فى قولها ستُصيبُ

---

(١) الهافى : الزَّالُّ . (٢) فى الأصل : "الأشواق" . (٣) الغمر : الجاهل .
(٤) الوشائع جمع وشيعة وهى الطريقة فى البُرْد . (٥) سهوب جمع سهب وهو ناحية الفلاة التى لا مسلك فيها . (٦) الوطفاء : السحابة الدائمة السَّحّ . (٧) الشوى : الأطراف ، ويقال شواه فأشواه أى أصاب شواه ولم يصب مقتله ثم استُعمِلَ فى كلّ من أخطأ غرضًا .

متى تذكروا حـقِّ أَبِتْ بوفائكم ... وظَهْرُ العـلى العاصِى علىَّ رَكوبُ
طَرِبتُ وقد جاء البشـيرُ بقربكم ... وذوالشوق عندآسم الحبيبِ طَروبُ
وقمتُ إليـه راشـفًا من ترابِهِ ... ثرًى لك يحـلو رشـفُهُ و يطيبُ
فـلا كانَ يا شمسَ الزمانِ وبَدْرَهُ ... لسعدِك من بعـدِ الطلوعِ مَغيبُ
ولا زلتَ مطلوبًا تفوتُ، ومُدرِكًا ... أواخرَ ما تبـغِى وأنتَ طَلوبُ
كأنك من حَبِّ القلوبِ مصوَّرٌ ... فأنتَ إلى كلِّ النفوسِ حبيبُ

(٢٧) وقال يفخَر

أُعْجِبَتْ بى بين نادى قَومِهـا ... "أُمُّ سعدٍ" فمضَتْ تسألُ بى
سَرَّهـا ما علِمتْ من خُلُقى ... فأرادتْ عِلمَهـا ما حَسَـبى
لا تخـالى نَسَـبا يخفِضُنى ... أنا مَن يُرضيكِ عنـد النسبِ
قَوْمِىَ آستولَوْا على الدهرِ فَتًى ... ومَشَـوْا فوق رءوسِ الحِقَبِ
عمَّموا بالشـمسِ هاماتِهُـمُ ... وبنَـوْا أبياتَهـمْ بالشهُبِ
وأَبِى "كِسرَى" على إيوانِهِ، ... أين فى النـاس أبٌ مثلُ أبى ؟
سَـوْرةُ الملكِ القُـدامَى وعَلَى ... شَرَفِ الإسـلامِ لِى والأدبِ
قد قبَستُ المجدَ من خيرِ أبٍ ... وقبَستُ الدينَ من خـيرِ نبى
وضَممتُ الفخرَ من أطـرافِهِ ... سوددَ الفرسِ ودينَ العـرب

وقال يمدح مؤيَّد الملك سيِّدَ الوزراء أبا علىٍّ، وأنشدها فى المِهرَجان الواقع فى رجب سنة أربع عشرة وأربعمائة

أَجِدَّكَ[1] بعدَ أن ضَمَّ "الكثيبُ"[2] هل الأطلالُ إن سُئلتْ تُجيبُ ؟
وهل عهدُ "اللِّوى" "بزرودَ"[3] يُطفِي أُوامَكَ[4] ؟ إنه عهدٌ قريبُ !
أعِدْ نظرًا فلا خنساءَ جارٌ ولا "ذو الأثلِ"[5] منكَ ولا "الجَنوبُ"
إذا وطَنٌ عن الأحبابِ عزَّى فلا دارٌ "بنجدَ" ولا حبيب
يمانيةٌ، تلوذُ "بذى رُعَيْنٍ"[6] قبائلُها المنيعةُ والشعوب
حمتها أن أزورَ[7] نوًى شَطُونٌ[8] براكبها، ورامحةٌ شَبوبُ
مُلَمْلَمَةٌ تضيقُ العينُ عنها إذا شرِقتْ بُجمَّتِها السُّهوبُ
ومُعجَلةٌ عن الإلجامِ قُبٌّ[9] أعنَّتُها الى الفزعِ السبيبُ
وإنكَ "بالعراقِ" وذكرَ حيٍّ على "صَنعاءَ" للحُلُمُ الكذوبُ
لعلَّ البانَ مطلولاً "بنجدٍ" ووجهَ البدرِ عن "هندٍ" ينوبُ
ألا يا صاحبيَّ تطلَّعا لى "أُشَيٌّ"[10] هل أكتسى الأيكُ السليبُ ؟
وهل فى "الشِّربِ" من سُقْيا فإنى أرى فى "الشِّعبِ" أفئدةً تلوبُ[11]
أكفكفُ بالحمى نزَواتِ عينى وقد غَصَّتْ بأدمعها الغُروبُ[12]
وأحلُمُ والمطايا يقتضيها دُوَينَ حنينها الحادِى الطَّروبُ
فمَنْ يَجهلْ به أو يَطْغَ شوقٌ فشوقى لا أبا لكما لبيبُ
وبِيضٍ راعهنّ بياضُ رأسى فكلٌّ محبَّبٍ منّى مَعيبُ

(١) أجِدَّك معناه : أجِدًّا منك، أو أبجِدِّ هذا منك . (٢) الكثيب : اسم موضع بالبحرين .
(٣) اللوى وزرود : موضعان . (٤) الأوام : حَرُّ العطش . (٥) ذو الأثل والجنوب : موضعان . (٦) ذو رعين : ملك من ملوك اليمن . (٧) فى الأصل : "أز" فرجحنا كلمة "أزور" . (٨) الشطون : البعيدة . (٩) القُب : جمع قَبَّاء وهى الفرس الدقيقة الخصر .
(١٠) أشىّ : اسم واد . (١١) الشِّربُ والشِّعب : موضعان، وتلوب : تحوم على الماء .
(١٢) الغروب جمع غرب وهو مُقدِمُ العين ومُؤخِرُها .

عَددنَ ـ مذ ٱلتثمتُ به ـ ذُنوبى ... وقبـلَ الشّيبِ أُحْبِطتِ الذنوبُ
يُجِـدُّ المـرءُ لِبْسَـتَهُ ويُبْـلِى ... وآخِرُ لِبْسَـةِ الرأسِ المَشيبُ
وكنتُ إذا عتبتُ على الليـالى ... وفى وجهى لهـا لونٌ نسيبُ
أطـاعَ شبابُهـا حِفظًـا شَبابى ... فجـاءت من إساءتهـا تُنيبُ
فمـا بالى أرى الأيّامَ تُنحِى ... عـلىَّ مع المشيبِ وهنّ شِيبُ
عَذيرِى من سَحيـلِ (١) الودّ، تحوِى ... حقيبـةَ رحـلهِ مَرِسٌ (٢) تُخيبُ (٣)
وَفَى لِى وهو مَحصُوصٌ (٤) وأضحى ... غداةَ ٱرتاش وهـو علىَّ ذِيبُ
ومحسـودٍ علىَّ تضـيقُ عـنّى ... خلائقُـهُ وجانبُـهُ رَحيبُ
لَطِيتُ (٥) له فغُـرَّ بلينِ مسّى ... وربَّ كمينـةٍ ولهـا دبيبُ
تَوَقَّ عِضاضَ مختـمرٍ (٦) أُخيفَتْ ... جوانبُـهُ وفى فيـه نُيـوبُ
فإن الصِّلَّ يُحـذَرُ مستميتًا ... وتحتَ قُبوعِـهِ أبدًا وُثوبُ
ولا تُثْـلِمْ ودادَك لى بغَـدرٍ ... فقـد يتثلَّمُ النسبُ القـريبُ
أتانى بعضَ ما يُرضى فـلو ما ... غضبتُ حَمانِىَ الأنفُ الغَضوبُ
ومَنْ هـذا يردّ عِنـانَ طِـرْفِى ... اليك، إن آستمرّ بِىَ الرُّكوبُ؟
سـترمِى عنـكَ بى إبلى بعيـدا ... وتنتظـرُ الإيابَ فـلا أؤوبُ
وربَّمـا أتاكَ بنشرِ صـيتى ... وواسـعِ حالِىَ النبـأُ العجيبُ
أُخـوَّفُ بالخيـانةِ من زمانى ... وقد مَرِنَتْ على القَتَبِ النُّدوبُ
وما وادعتُـهُ منـذ آحتربنـا ... على سـلْمٍ، فتوحشَنى الحـروبُ!

(٢٨)

(١) السحيل : الخيط غير المفتول ويراد به الضعيف . (٢) المرس : الحبال واحدها مَرَسَةٌ .
(٣) أى تخيب من يتعلق بها . (٤) المحصوص : الذى لا ريش له . (٥) لطيت له : من لَطِىَ بالارض : لصق بها، كناية عن الخضوع . (٦) المختمر : لابس الخمار .

وكيف يُرينى منه بيومٍ ... زمانٌ كلُّه يومٌ مريبُ؟
وإنى مذ غدت همى سيوفا ... لأَعلَمُ أنّنى أبدا ضَريبُ
وما جنتِ الذى يجنيه قلبى ... على جسمى العُداةُ ولا الخُطوبُ
لئن أبصرتنى رَثًّا مَعاشى ... أُطوِّفُ حولَ حظّى أو أجوبُ
فَتَحْتَ خَصاصتى نفسٌ عزوفٌ[1] ... وحَشوَ مَعاوِزى[2] كَرَمٌ قَشيبُ
سلى بيدى الطُّروسَ وعن لسانى ... فَوارِكَ[3] لا يلامسها خَطيبُ
لها وطنُ المقيم بكلِّ سمعٍ ... تمرّ به، وسائرُها غريبُ
بوالغُ فى مَدَى العلياءِ لو ما ... أعانَ رُكودَها يوما هُبوبُ
لئن خَفَّتْ على قومٍ ودقّتْ ... فما يُدعَى بها منهم مُجيبُ
ونَفَّرها رِجالٌ لم يُروِّحْ ... على أفهامِهم منها عَزيبُ[4]
فعند "مؤيّدِ المُلكِ" اطمأنّتْ ... وضمّ شَعاعَها المرعَى الخصيبُ
فكم حقٍّ به وَجَدَ انتصافًا ... وظَنٍّ فى نداهُ لا يخيبُ
وواسعةِ الذراعِ[5]، يَغُرُّ فيها ... عيونَ العيسِ رَقّاصٌ[6] خَلوبُ
اذا استافَ[7] الدليلُ بنا ثراها ... أرابَ شميمَه التُّربُ الغريبُ
تُخَفِّضُنا وتَرفَعُنا ضَلالًا ... كما خَبَّتْ براكِبِها الجَنُوبُ
اذا غَنَّتْ لنا الأرواحُ فيها ... تطاربتِ العمائمُ والجيوبُ
عمائمُ زانها الإخلاقُ لِيثَتْ ... على سُنَنٍ وَضاءَتُها الشُّحوبُ
قطَعناها اليك على يقينٍ ... بأنَّ الحظَّ رائدُه الأُغوبُ

(١) عزوف : زاهدة . (٢) معاوز جمع معوز وهو الثوب الخلق الذى يُبتذل لأنه لباس المعوزين . (٣) الفوارك : النواشز من أزواجهن ، ويشير الشاعر بذلك الى استعصاء قصائده على كلّ خطيب . (٤) فى الأصل : "غريب" وهو تحريف وقد مر تفسير العزيب . (٥) يريد "بواسعة الذراع" : الصحراء . (٦) يريد "بالرقّاص الخلوب" : السراب . (٧) استاف : شمّ .

تَرَى[1] ما لا تَرَى الأبصارُ منها ... كأنَّ عيونَها فيها قلوبُ

الى ملكٍ مخضَّـــرةٍ رُباهُ ... جَمادُ الرزقِ من يدهِ يذوبُ

يَغيضُ بنا ويُملَحُ كلُّ ماءٍ ... وماءُ بنانِهِ عِـــدٌّ[2] شَـــروبُ

تناهتْ عنه أقدامُ الأعادى ... كأنّ رُواقَه الغابُ الأشيبُ[3]

اذا ركب السريرَ عَـــلا فأوْفَى ... عـــلى مَرْباتِهِ[4] أَقْنَى[5] رَقـوبُ

يعـولُ الأرضَ ما كسبَتْ يَداهُ ... وما كلُّ آبنِ مَرْقَبَةٍ كسوبُ

متينُ قُـوَى العزيمةِ أَلمعيٌّ ... اذا ما آرتابَ بالفكرِ الأريبُ

يريه أمسِ ما فى اليـــومِ رأىٌ ... يُمِـــلُّ على شهادته الغيوبُ

بِذِبِّك مِن وراء المـلكِ قامت ... دعائم منـــه وآلتأمتْ شُعوبُ

حملتَ له بقلبـك ما تركتَ الـ ... ـجبـالَ به تُفـاخِرها القلوبُ

تَضَرَّمُ فِتْنَـــةٌ وتضـــيقُ حالٌ ... وصـدرك فيهـما ثَلِجٌ رحيبُ

وكم أَشـــفَى[6] به داءٌ عُضالٌ ... وصـنعُ اللهِ فيـــك له طبيبُ

طلعتَ على البـلاد، وكلُّ شمس ... تضىء قد آستبدَّ بها الغـروبُ

وقد قَنِط الثرى وخوتْ أصولُ الـ ... ـعِضاهِ وصَوَّحَ العُشبُ الرطيبُ

ونارُ الجَـــورِ عاليـــةٌ تَلَظَّى ... وداءُ العجـــزِ منتشِرٌ دَبوبُ

فكنتَ الروضَ تُجلِبـه[7] النُّعـامى[8] ... وماءَ المزنِ منهـمرا يصـوبُ

---

(١) فاعل "ترى" ضمير يعود الى العيس فى قوله السابق

* عيونَ العيس رقّاص خلوبُ *

(٢) العدّ : الماء الجارى الذى لا ينقطع . (٣) الأشيب : الشجر الملتفّ . (٤) المرباة : المرقبة وسُهّلت الهمزة للضرورة . (٥) الأقنى : الذى آرتفع وسط قصبة أنفه مع ضيق المنخرين وهو من صفات المدح فى البازى والصقر . (٦) أشفى به : أودى به . (٧) تجلبه : تجعله ذا جلبة . (٨) النعامى : ريح الجنوب .

كأنك غُرَّة الإقبالِ لاحت ... بعقبِ اليأسِ، والفرجُ القريبُ
هنا[1] أُمُّ الوزارةِ أَن أتاها ... على الإعقامِ منك ٱبنٌ نجيبُ
وأنك سيّد الوزراءِ معنًى ... به سُمِّيتَ، والألقابُ حُوبُ
ولو أتتِ السماءُ بمثلك ٱبنًا ... لَمَا كانت طوالعها تغيبُ
بك ٱجتمعتْ بدائدُها، ولانت ... مَعاطفُها، ومَعْجَمُها صليبُ
فلا تتجاذب الحسّادُ منها ... عُرًى يَعيا بِمِرَّتِها[2] الجذيبُ
ولا يستروحوا نفحاتِ عَرفٍ ... لها، بثيابِ غيرك لا تَطيبُ
نصحتُ لهم لو ٱنّ النصحَ أجدَى ... ولم يكن المشاورُ يستريبُ
وقلتُ: دعوا لمالكها المعالى ... ففى أيديكُمُ منها غُصوبُ
خذوا جُمّاتِه[3] الأُولَى وخَلُّوا ... أقاصِيَ لا يخابطها ذَنوبُ[4]
فكم من شرقةٍ بالماء تُردِى ... وإن كانت به تُشْفَى الكروبُ
لك اليومانِ تَكتُبُ أو تَشُبُّ الـ ... ـوغى، وكلاهما يومٌ عصيبُ
فيومُك جالسا قلمٌ خطيبٌ ... ويومُك راكبا سيفٌ خضيبُ
جمعتَ كفايةً بهما وفتكا ... ومَجمعُ ذينِ فى رجلٍ عجيبُ
وضيقةِ المجالِ[5] لها وميضٌ ... قِطارُ سمائه العَلَقُ الصبيبُ
وقفتَ له، حسامُك مستبيحٌ ... محارمَها، وعفوُك مستثيبُ
ومسودِّ اللِّثاتِ[6] له لُعابٌ ... يَجِدُّ الخَطبُ وهو به لَعوبُ
يُحال على الطروس شُجاعَ[7] رملٍ ... اذا ما عضَّ لم يُرْقَ اللسيبُ[8]

(١) هنا: أصلها هنأ وسهّلت الهمزة. (٢) المرّة: القوّة. (٣) جُمّات جمع جُمّة وهى مجتمع ماء البئر. (٤) الذنوب: الدلو. (٥) يريد بضيقة المجال: الوغى. (٦) يريد بمسودّ اللثات: القلم. (٧) الشجاع: الحيّة أو الذكر منها. (٨) اللسيب: الملدوغ.

تَغلغـلُ منـــه فى مهج الأعادى جَوائفُ[1] جُرحُها أبدا رغيبُ[2]
اذا مَـلَكَ الرقابَ به آمترينـا مضى قـلمٌ بكفّك أم قضيبُ؟
ومضْطَهَدٍ طردتَ الدهرَ عنـه وقد فَغـرتْ لتفرِسَه شَـعوبُ[3]
اذا عُصرت من الظـمأ الأَداوى[4] على الإعيـاء أو رُكب الجنيبُ
فنِـعم مُنـاخَ ظالعـةٍ[5] وسَـقْيًا ذَراك الرحبُ أو يدُك الحلوبُ[6]
عُلًا "رُنْجِيّـةُ"[7] الأبياتِ خُطّتْ على شمـاءَ ينصفها "عسيبُ"[8]
لهـا عَمَـدٌ على صـدر الليالى وفوق أوائل الدنيـا طُنـوبُ
صفا حَلَبُ الزمان لهـا، وقامت لدعوتهـا الممـالكُ تستجيبُ
وما مِن دولةٍ قَدُمت وعزت وإلّا ذكرُهـا بكُمُ يطيبُ
ومنـــكم فى سـياستهـا رجالٌ فُحُـولٌ أو لكم فيهـا نصيبُ
كرامٌ تُسـنَد الحسـناتُ عنهم وتَزلَقُ عن صَفاتِهـــم العيوبُ
مضَـوا طَلَقًا بأعـداد المساعى وجئتَ ففتَّ ما يُحصِى الحسيبُ
قنـاةٌ، أنت عاملُهـا شروعا الى نحـــر السما وهم الكعوبُ
وخـيرُ قبيـلةٍ شرفًا مـــلوكٌ لمجـــدك منهُمُ عِرقٌ ضَروبُ
فلا وضَحَ النهـارُ ولستَ شمسا ولا أَزرَى بمَطلِعـك المغيبُ
ولا برحتْ بك الدنيـا فتـاةً تُرَبٌّ[9] كما آكتسى الورقَ القضيبُ

(١) جوائف جمع جائفة وهى طعنة تبلغ الجوف ، وفى الأصـل "خوائف" وهو تحريف .
(٢) الرغيب : الواسع . (٣) شعوب : اسم المنية . (٤) الأداوى جمع إداوة وهى إناء صغير من جلد . (٥) فى الأصل : "طالعة" . (٦) فى الأصل : "الجلوب" وهو تحريف .
(٧) رُنْجِيّة : وردت هذه النسبة فى صحيفة (٤٤) سطر (١٥) عند قوله "وقال يمدح سيّد الوزراء أبا علىٍّ الرُّنْجِىّ" وقد أثبتناها كما وردت بالأصل وبالبحث عنها لم نجد غير "رُنَّج" والوزن هنا يقتضى أن تكون كما وردت بالأصل . (٨) عسيب : اسم جبل . (٩) تُرَبّ : تُرَبَّى وتُنَمَّى .

اذا ما حزتها انتفضت عِطارا (١) سوالفُها بعدلك والتريبُ
ومات الدهرُ وانطوتِ الليالى وملكُك لا يموتُ ولا يشيبُ
وقام المهرجانُ فقال مثلَ الـ ـذى قلنا وآبَ كما نؤوبُ
وعادك زائرا ما كرَّ ليلٌ لسعدك بين أنجمه ثُقوبُ
بك استظللتُ من أيامِ دهرى ومن رَمضائها فوقى لهيبُ
كفيتنِىَ السؤالَ فما أبالى سواك مَن المنوعُ أو الوهوبُ
وغِرتَ على الكمال فصنتَ وجهى فليس لمائه الطامى نُضوبُ
مكارمُ خضَّرتْ عُودى وروَّتْ ثراه وقد تعاوره الجُدوبُ
تُواصِلنى مَشانِىَ أو وِحادا كما يتناصر القَطْرُ السَّكوبُ
فما أشكو سوى أنّى بعيدٌ وغيرى يومَ ناديكم قريبُ
أفوِّقُ عزمتى شوقا اليكم ويَقبِضُنى الحياءُ فلا أصيبُ
أصدُّ وضِمنَ دَستِك لى حبيبٌ عليه من جلالته رقيبُ
اذا امتلأتْ لحاظى منك نورا نزا قلبى فطارَ به الوجيبُ (٢)
يُميلُ اليك بِشرُك لحظَ عينى ويحبِسُ عنك مجلسُك المَهيبُ
ولو أنى بُسِطتُ لكان سعىٌ وبَلَّ بِلالَه الشوقُ الغَلوبُ
أبِيتُ فما أُجيبُ سواك داعٍ ولكنّى دعاءَكُمُ أجيبُ
فإن يكن انقباضى أمسِ ذَنْبا فمنذ اليومِ أُقلِعُ أو أتوبُ
وتحضُرُ نابياتٌ (٣) عن لسانى فواقرُ (٤) ربُّها عبدٌ منيبُ

---

(١) هكذا بالنسخة المطبوعة وفى الأصل * اذا ما أخلتنا انتقضت عطارا *.
وهو غير متّزنٍ ومحرّف . (٢) الوجيب : الخفقان . (٣) نابيات : شاردات . (٤) فواقر جمع فاقرة وهى التى تثقب الخرز أو الدر للنظم ويريد أن قصائده ستأتى الممدوح ثاقبة درَّ مديحه .

أوانسُ فى فمى متيسِّراتٌ ... اذا ذُعِرتْ من الكلِم السُّروبُ
اذا أعيتْ على الشعراء قِيدتْ ... الىَّ وظهرُ رِيِّضها رَكوبُ
بقِيتُ وليس لى فيها ضريبٌ ... ولا لك فى الجزاءِ بها ضريبُ (١)
تُصاغ لها الحماسةُ من معانى ... علاكَ، ومن محاسِنِك النسيبُ
رَعيتُ بهنّ من أمَلِى سمينا ... لديك، وحاسدى غيظا يذوبُ
وهل أظمَا، وهذا الشِّعرُ سَجْلٌ (٢) ... أمــدُّ به، وراحتك القَليبُ؟

* * *

وقال يعزِّى أبا الحسين بن رَوْح النَّهروانىّ عن آبنتين له تُوُفِّيتَا فى مدّةٍ قريبةٍ، ويتوجّع له لحرمةِ الصداقةِ بينهما

على أىّ أخلاق الزمان أعاتبُهْ ... وما هو إلا صَرفه ونوائبُهْ
تَفرَّى أديمى وهو بُترٌ شِفارُه (٣) ... وجافت جروحى وهو صُمٌّ (٤) مخالبُهْ (٥)
نُدوبٌ تُقفِّى هذهِ عَقْبَ هذهِ ... وداءٌ اذا ما باخ (٦) أوقدَ صاحبُهْ
شغَلتُ يدى حينا بعدّ ذنوبِهِ ... وزِدن فقد تاركتُه لا أحاسبُهْ
طرحتُ سلاحى وٱنتزعتُ تمائمى ... وضاربُه يُنجِى علىَّ وسالبُهْ
بِبِيضٍ من الأيام هنّ سيوفُهُ ... وسودٍ من الليلاتِ هنّ عقاربُهْ
أُدامِجُه (٧) حتّى يرانِى راضيا ... مِرارا، وأَعصِى مرَّة فأغاضبُهْ
فلا هو إن أطريتُه قابضٌ يدًا ... ولا خائفٌ عارا بما أنا عائبُهْ
نصحتُك لا تُخدَعْ بسنَّةِ وجهِهِ ... فشاهده حُسْنٌ تَشوَّفَ غائبُهْ

(١) الضريب : المثيل . (٢) السجل : الدلو . (٣) تفرّى أديمى : انشق جلدى .
(٤) جافت : بَلَغَت الجوف . (٥) صُمّ جمع أصمّ وهو الصلب المتين . (٦) باخ : خمد .
(٧) أدامجه : أوافقه .

ولا تتمهّدْ قعدة فوقَ ظهره ... فما هو إلا ضيغمٌ أنت راكبُهْ

تَردّى رجالٌ قبلنا وتقطّرت[1] ... بهم شُهبُهُ دون المَدِيّ[2] وشاهبُهْ[3]

وصَرّحَ عمّا ساءهم طولُ مَحضِهِ ... خبائثَ جرّتها عليهم أطايبُهْ

حبائلُ مكتوبٌ لها نصرُ كيدها ... من الله، لا يُمحَى الذى هو كاتبُهْ

فمن مغلَقٍ مستعجِلٍ أو مؤخَّرٍ ... مُراخِيهِ يوما لا مَحالةَ جاذبُهْ

تصامتُ عن داعى المنونِ مغالطا ... وإنّى على طول السكوت مُجاوبُهْ

وقدّمتُ غيرى جنّةً أتّقِى بها ... ومن يوقَ من راميه لا بدّ صائبُهْ

أخلّاى، أيمُ اللهِ أطلب ثأرَكم ... من الدهر، لو قد أدركَ الثأرَ طالبُهْ

أفى كلّ يومٍ لى قضيبٌ مُخالَسٌ[4] ... وذخرٌ نفيسٌ منكم الموتُ غاصبُهْ؟

وكأسٍ من العلياء والحسنِ، يعتدى ... — سليما على سيفى وسَوطِى — سالبُهْ

تَطيحُ به زَندِى، وجَهدُ تحفُّظى ... بميثاقِهِ فى الغيب أنّى نادبُهْ

وكم منكمُ كالنجم رُعتُ به الدُّجَى ... زمانا، خبا بعد الإضاءةِ ثاقبُهْ

وآخرُ لمّا سامحتْنى بأصله الـ ... ـمنايا ذَوتْ أغصانُهُ وشعائبُهْ

وأضحى بنوه غِبطةً وبناتُهُ ... تُسَلُّ بهم أنيابُهُ وروَاجِبُهْ

فينزو بلبّى شجوُهُ، وتُصيبنى ... بموضعه من سِرّ قلبى مَصائبُهْ

ألا يا أخى للودّ دنيًا[5]، وكم أخٍ ... لأمّى بعيداتٍ علىّ قرائبُهْ

لحا الله خطبا، شَلّ[6] سرحَك طردُهُ ... وجمّعَ فى إلهابِ قلبك حاطِبُهْ

رمَتْك يدُ الأيّام عن قوسِ قارِنٍ ... اذا هو والى لم تخنه صوائبُهْ

سقتك بكفٍّ أدهقَتْ لك ثانيا ... ولمّا يُفِق من أوّلٍ بعدُ شاربُهْ

---

(١) تقطّرت بهم: ألقت بهم. (٢) المدى: الحوض لا تنصب حوله حجارة. (٣) الشاهب: من الخيل الذى غلب بياضه على سواده. (٤) مخالَس: مُعجَل. (٥) يقال: هو ابن أخى أو ابن عمّى دِنيا أى لحًا (٦) شلّ: أذهب.

فقَرْحٌ وقَرْحٌ لم تَـلَاحَمْ نُدُوبُهُ ودمعٌ ودمعٌ ما تعـلَّق ساربُهْ
ويا ليتـه لمّا تثـنّى تعلَّقتْ مقاديرُهُ ، أو آستوين مَراتبُهْ
ولكنّها كفٌّ هوتْ إثر إصبع (١) وحارِكُ ظهرٍ بعـدَهُ جُبَّ غاربُهْ
حَصاتان من درٍّ حَصانانِ (٢) لم تَطرْ يدٌ بهما ، مادنَّس الدُّرَّ ثاقبُهْ
هما (٣) بيضتا كِنٍّ بجانبِ (٤) مُلبِسٍ حماه الطروقَ تيهُهُ وسَباسِبُهْ (٥)
حرامٌ على السارى تضيعَ على القطا أفاحيصُهُ (٦) فى جوّه ومَساربُهْ
يحوطهما ما آسطاعَ وحفُّ جَناحِهِ شِعارُهما دون التراب ترائبُهْ
تراه يُصادى حاجبَ الشمسِ عنهما لو آنّ الردَى ما أحرز الشيءَ هائبُهْ
رزِئتَهما شمسيْنِ أقسمَ فيهما ظلامُ الأسَى ألّا تجَلّى غياهبُهْ
يعـدّون خُرْقا بالفتى فى بناتِهِ اذا ما بكَى أو ذلّ للحزنِ جانبُهْ
وكم من كريم عَزّهُ نجباؤه فعـزّ بما ساقت اليه نجائبُهْ
وبعضُ البناتِ مَن بها يُنتَج العُلا وبعضُ بنى الإنسان فى الحىّ عائبُهْ
فإلّا تكونا صارمين فِحْذوتا (٧) حُسامٍ عتيقٍ لا تُفَلُّ مَضاربُهْ (٣١)
أخى الحلم لم يَمْلِك عليه حياؤه ولا كذّبتْهُ فى الزمان تجاربُهْ
اذا وَلَدَ آستذكرنَ حزمًا إناثُهُ (٨) كما ذُكِّرتْ أخلاقُهُ وضرائبُهْ
تعزَّ آبنَ "رَوحٍ" إنما الموتُ مُدلجٌ الى أمدٍ فيه النفوسُ مَراكبُهْ
ومن أخّرتْه شمسُ يومٍ فلم يمت يمتْ حولَه أحبابُهُ وحبائبُهْ

(١) الحارك : أعلى الكاهل وعظم مشرف من جانبيه . (٢) حصانان : عفيفتان .
(٣) فى الأصل "وما" وهو تحريف . (٤) مُلبِس : مُغطًّى ويراد به : المكان المحجوب .
(٥) سباسب جمع سبسب وهى المفازة . (٦) أفاحيص جمع أفحوص وهو الموضع تفحص عنه القطا لبيضها . (٧) فى الأصل : "بحدوتا" وهو تحريف والحِذْوة : القطعة . (٨) فى الأصل : "أناثُهُ" وهو تحريف .

وأعجبُ من ذى خُبرةٍ بزمانه ... تنكّر منه أن توالَى عجائبُهْ
خُلقنا لأمرٍ أرهقتنا صدورُهُ ... فياليت شعرى ما تجرّ عواقبُهْ؟
غريمٌ مُلِطٌّ(١) لا يَمَلُّ وطالبٌ ... بغير تِراتٍ(٢) لا تنامُ مَطالبُهْ
وقد جربتْك الحادثاتُ فلا تكن ... ضعيفَ القُوَى رِخوًا لهنّ مَجاذِبُهْ
وغيرُك مغلوبٌ على حُسنِ صبرِهِ ... ولا خَطبَ إلا أنتَ بالصبرِ غالبُهْ
برغمىَ أن يَسرِى غزِىٌّ(٣) من الأسَى ... اليك ولم تُفلَلْ بنصرى كتائبُهْ
وإن كان خصما لا لسانى ينوشه ... ولا كلماتى الغاسقاتُ تواقبُهْ
ويا لِدفاعى عنك إن كان صارما ... أصافحه أو كان ليثا أواثبُهْ
ومَن لى لو أنّ الحزنَ يرعَى جوانحى ... فدًى لك لو يرضَى بقلبِىَ ناصبُهْ
فما هى إلا مهجةٌ لك شطرُها ... وموهوبُ عيشٍ أنت ماعشتَ واهبُهْ
وإن كان يُطفِى حَرَّ لوعتِك البكا ... على أنّه جاريه لا بدّ ناضبُهْ
فدونك دمعى سائلا ومعلّقا ... فجامدُهُ باقٍ عليك وذائبُهْ
عتبتُ على دهرى فسهّلَ عذرُهُ ... بأنّك باقٍ كلَّ ما هو جالبُهْ
اذا سلِمَ البدرُ التمامُ فهيّنٌ ... على الليلِ أن تَهوِى صِغارا كواكبُهْ

* * *

وقال يمدح الوزير أبا القاسم الحسين بن علىّ المغربىّ رحمه الله عند تقلّدِه الوزارةَ، ويهنّئه بالنيروز، وأنشدها فى داره بباب الشعير فى سنة أربع عشرة وأربعمائة

هل عند عينيك على "غُرّبٍ" ... غرامةٌ(٤) بالعارض الخُلَّبِ؟
نَعَمْ! دموعٌ يكتسِى تربُهُ ... منها قميصَ البلدِ المعشِبِ

(١) الملطّ: جاحد الحق. (٢) التِرات جمع تِرَة: وهى الذَّحْل. (٣) الغزىّ: الغازى وفى الأصل "عزىّ" وهو تحريف. (٤) العارض: السحاب، والخَلَّب: الذى يُرعِد ويُبرِق ولا مطر فيه، وفى الأصل "المخلب" يقال: ماءٌ مُخلِبٌ أى ذو خُلْبٍ وهو الطين، وهذا لا يتفق والمعنى.

ساربةٌ[1]، تَركبُ أردافَها معلَّقاتٌ بعـــدُ لم تَسرُبِ
ترضَى بهنّ الدارُ سَقْيًا وإن قال لها نوءُ السِّماكِ : ٱغضبى
علامـــة أنّى لم أنتكِثْ مَرائرَ[2] العهـــدِ ولم أَقضِبِ
يا سائقَ الأظعانِ لا صاغرا عُجْ عَوجةً ثمّ ٱستقم وٱذهبِ
دعِ المطايا تلتفتْ، إنها تلوبُ من جفنى على مَشرِبِ
لا والذى إن شاء لم أعتذرْ فى حبّـه من حيث لم أَذنبِ
ما حدَرتْ ريحُ الصَّبا بعـدَه لثامَها عن نَفَسٍ طيّبِ
ولا حلا البـذلُ ولا المنعُ لى مذ هُـوَ لم يَرضَ ولم يَغضبِ
كم لى على "البيضاء" من دعوةٍ لولا ٱصطخابُ الحَلْىِ لم تُحجَبِ
وحاجـــةٍ لـــولا بُقَيّاتُها فى النفس لم أطرَبْ ولم أرغَبِ
يا ماطلى بالدَّين ما ساءنى اليـــك ترديدُ المواعيـــدِ بى
إن كنتَ تقضِى ثمّ لا نلتـقِى فدمْ على المطـلِ وعِد وٱكذبِ
سال دمى يومَ الحِمَى من يدٍ لولا دمُ العشـاقِ لم تُخضَبِ
نبـــلُ رماةِ الحىّ مطـرورةً[3] أَرفَقُ بى من أعينِ الربربِ
يا عاذلى قد جاءك الحزمُ بى أقادُ فاركبنى أو فاجنُبِ
قد سدّ شيبى ثُغَـرِى فى الهوى فكيف قَصّى أَثَرَ المَهْـربِ
أَفـــلحَ إلا قانـــصٌ غادةً مـــدّ بحبـلِ الشَّـعَرِ الأشيبِ
ما لبنـاتِ العَشْرِ والعَشْرِ فى جِـــدّ بنى الخمسين من مَلعبِ
شِـيَاتُ أفراسِ الهـوى كلُّهـا تُحمَـــدُ فيهنّ سوى الأشهبِ

(١) سارية : جارية وفى الأصـل "سارية" وهو تحريف ويتعين ذلك لقوله : لم تسرب .
(٢) مرائر جمع مريرة وهى طاقة الحبل . (٣) مطرورة : محدودة .

أمَا تَرَيْنى ضاوياً عارياً ... من وَرَقِ الملتحِفِ المُخصِبِ ؟
مُحتجِزاً أندبُ مِن أمسِيَ الـ ... ـماضى أخًا ماتَ ولم يُعقِبِ (٣٢)
فلم يُثَلِّمْ ظُبَتَىْ عاملى (١) ... ما حَطَمَ الساحبُ من أكعبى .
يوعِدُنى الدهرُ بغَدراته ... قعقِعْ لغير الليثِ أو هَبهِبِ
قد غَمزتْ كفُّك فى مَروَتى (٢) ... فتحتَ أىِّ الغمزِ لم أصلُبِ
أمُفزِعى أنتَ بفَوت الغنَى ؟ ... تلك يدُ الطالى على الأجربِ
دعْ ماءَ وجهى مالئاً حوضَه ... وكُلْ سمينا نَشَبى واشربِ
إن أُغلَبِ الحظَّ فلى عزْفةٌ (٣) ... بالنفس لم تُقْمَرْ ولم تُغلَبِ
ذمَّ الأحاظِى (٤) طالبٌ لم يَجِدْ ... فكيف وِجدانى ولم أَطلُبِ ؟
آه على المالِ وما يُجتَنَى ... منهُ لو آنّ المالَ لم يُوهَبِ
راخِ (٥) على الدينا اذا عاسرتْ ... وإن أتَتْ مُسمِحةً فاجذِبِ
ولا تَعَسَّفْ كَدَّ أخلافِها (٦) ... فربَّما درَّت ولم تُعصَبِ
هذا أوانُ آستقبلَتْ رشدَها ... بوقفةِ المعتذِرِ المعتِبِ
وآرتجعتْ ما ضلَّ من حلمها ... من بين سَرحِ الذائدِ المعزَبِ
وربّما طالَعَ وجهُ المنَى ... من شرفِ اليأسِ ولم يُحسَبِ
قل لذوِى الحاجاتِ مطرودةً ... وآبنِ السبيل الضيِّقِ المَذهبِ :
وقاعدٍ يأكُلُ (٧) من لحمِهِ ... تنزُّهًا عن خَبَثِ المَكسَبِ :
قد رُفِعت فى "بابلٍ" رايةٌ ... للمجدِ من يَلْقَ بها يَغلِبِ

---

(١) العامل : الرمح . (٢) المروة : حجر أبيض برّاق يورى النار . (٣) العزفة : الانصراف عن الشىء والزهد فيه . (٤) الأحاظى : الحظوظ . (٥) راخ : أى أرْخِ . (٦) فى الأصل "أخلاقها" وهو تحريف ، والأخلاف جمع خِلْف وهو ضرع الناقة . (٧) فى الأصل : "نأكل" .

يصيحُ داعى النصرِ من تحتها : يا خيلَ مُحيى الحسَناتِ اركبى
جاء بها اللهُ عـلى فَـترةٍ بآيـةٍ من يَرَها يُعْجَبِ
هاجمـةِ الإقبـالِ لم تُنْتَظَـرْ بواسـعِ الظنِّ ولم تُرقَبِ
لم تألفِ الأبصارُ من قبلها أن تطلُعَ الشمسُ من المَغرِبِ
رِدوا فقـد زاركم البحـرُ لم يُخَضْ له الهـولُ ولم يُرَكَبِ
يشِفُّ للأعين عن دُرِّه الـ ـثمينِ صافى مائه الأعذبِ
فارتبِعوا بعـدَ مِطالِ الحَيا وروِّضوا بعـدَ الثرى المُجدبِ
قد عادَ فى "طيءٍ" ندَى "حاتمٍ"(١) وقامَ "كَعْبٌ" سيّدَ الأكعبِ
وعاش فى "غالبَ" "وعَمرُو العُلا"(٢) يَهشِمُ فى عامهـم المُـلزِبِ(٣)
وارتجعتْ "قَحطانُ" ما بزَّها من ذى الكَلاعِ(٤) الدهرُ أوحوشَبِ
وردَّ بيتٌ فى بنى "دارِمٍ"(٥) "زُرارةٌ"(٦) من حـولِهِ مُحتبِي
كلُّ كريمٍ أو فتًى كاملٍ وفاعـلٍ أو قائـلٍ مُعرِبِ
فاليومَ شَكَّ السمعِ قد زال فى أخبـاره بالمَنظَـرِ الأقـربِ
الى الوزير اعـترَقتْ نيَّها(٧) كلُّ أمـونٍ(٨) وَعرةِ المَجـذبِ
تُعطِى الخِشاشاتِ(٩) ليَـانا على أنفٍ لها غضـبانَ مستصعَبِ
مجنـونةُ الحـلم وما سُفِّهتْ بالسَّـوط ، خَرقاءُ ولم تُجنَبِ

(١) حاتم وكعب من أجواد العرب . (٢) عمرو العلا : هاشم بن عبد مناف أبو عبد المطلب وهو أوّل من هشم الثريد لقومه . (٣) الملزب : الشديد القحط . (٤) ذو الكلاع : أحد أذواء اليمن . وسُمِّى بذلك لأن حِميَر تكلّعوا على يده أى تجمّعوا وحوشب من مخاليف اليمن .
(٥) هو دارم بن مالك بن حنظلة أبو حىّ من تميم . (٦) هو زرارة بن أوفى أبو حىّ فى اليمن .
(٧) اعترقت نيَّها : أكلت شحمها ، كناية عن هزالها . (٨) الأمون : الناقة الوثيقة الخَلْق .
(٩) الخِشاشات جمع خِشاش وهو ما يدخل فى أنف الناقة أو البعير من خشب ونحوه .

بيأسُ فلُ الشّولِ من ضربها (١) لعزّةِ النفْسِ ولم تُكْتبِ (٢)
لو وَطِئتْ شَوكَ القنا نابتاً فى طُرُقِ العلياءِ لم تُنقبِ (٣)
يَخطُّ فى الأرض لها مَنسِمٌ دامٍ متى يُمـلِ السُّرَى يَكتُبِ
كأنّ حاذَيْها (٤) على قاردٍ (٥) أحمشِ (٦) مسنونِ القَرا (٧) أحقبِ (٨)
طامَنَ فى الرمل له قانصٌ أعجفُ (٩) لم يُحمِض (١٠) ولم يُرطِبِ (١١)
ذو وَفْضةٍ (١٢) يَشهدُ إخلاقُها بأنها عامينِ لم تُنكَبِ
مهما تَخَلَّلْهُ بُنيّاتُها (١٣) من "وَدِجٍ" أو "وَرَكٍ" (١٤) يُعطَبِ
فمرَّ لم يَعطِفْ على "عانةٍ" (١٥) ذُعْرًا ولم يَرأَمْ على "تَوْلبِ" (١٦)
به خُدوشٌ يتعجَّلْنهُ قدائمٌ من لاحقِ الأكلبِ (١٧)
بأىّ حِسٍّ ريعَ خِيلتْ له رنّةُ قوسٍ أو شبا مِخلبِ
يَذرعُ أدراجَ الفيافى بها كلُّ غريبِ الهمِّ والمطلبِ
يرمى بها ليلُ جُمادَى الى يومٍ من الجوزاءِ معصوصِبِ (١٨)
فى عَرْضِ غبراءَ رِياحيّةٍ عجماءَ لم تُسمَرَ ولم تُنسَبِ

(١) الضرب : السِّفاد . (٢) لم تُكتب : لم تقيّد ولم يُختَم حَياؤها حتى لا يُنزَى عليها .
(٣) لم تنقب : لم تصب بالنُّقَب وهى القُرَح . (٤) الحاذان : ما وقع عليه الذنب من أدبار الفخذين .
(٥) القارد : المتجعّد الشعر . (٦) الأحمش : دقيق الساقين . (٧) القرا : الظهر .
(٨) الأحقب : الحمار الوحشىّ . (٩) الأعجف : النحيل المهزول . (١٠) لم يحمِض : لم يصادف حَمضا . (١١) لم يرطب : لم يصادف رطبا . (١٢) الوفضة : خريطة الراعى لزاده وأداته . (١٣) بُنيّات الطريق : الطرق الصغار تتشعب من الجادّة . (١٤) ودج وورك : اسما موضعين . (١٥) العانة : اسم موضع ولغةً القطيع من حُمُر الوحش . (١٦) التولب : اسم موضع ولغةً ولد الأتان من الوحش . (١٧) الأكلب جمع كلب . (١٨) معصوصب : عصيب .

٣٣

يُشكِلُ مشهورُ الركايا[1] بها ... على مصانيف القَطَا اللُّغَّبِ[2]
حتى أُنيخَتْ وصدوعُ السُّرَى ... بالنومِ فى الأجفانِ لم تُشعَبِ
وشَمْلَةُ[3] الظلماءِ مكفورةٌ[4] ... تحت رِداء القَمرِ المُذْهَبِ
الى ظليلِ البيت رَطْبِ الثرى ... عالى الأثافِى حافلِ المَحْلَبِ
مختضب الجفنةِ ضخمِ القِرى ... اذا يدُ الجازرِ لم تُخْضَبِ
تُرفَعُ بالمَنْدَلِ نيرانُهُ ... اذا إماءُ الحىِّ لم تَحطِبِ
له مجاويفُ عِماقٌ اذا ... ما القِدر لم تُوسع ولم تُرحَبِ
كلّ رَبوضٍ[5] عُنقُها بارزٌ ... مثلُ سَنامِ الجَملِ الأنصبِ
تُعجِلها زحمةُ ضِيفانِه ... أن نتأنّى[6] حطبَ المُلهِبِ
أبلجُ فى كلّ دجى شُبهةٍ ... لو سار فيها النجمُ لم تُثقَبِ
مُوقَّرُ النادى ضحوكُ الندَى ... يلقاك بالمُرغِبِ والمُرهِبِ
تَلحظُهُ الأبصارُ شَزْرا وإن ... أكثرَ من أهلٍ ومن مَرحَبِ
مُرٌّ، وإن أجدَتْك أخلاقُهُ ... شمائلَ الصهباءِ لم تَقطِبِ
يَحُطُّ عنه الناسُ من فضلهم ... منحدرَ الرِّدفِ عن المنكِبِ
أتعبَهُ تغليسُهُ[7] فى العلا، ... مَن طَلَبَ الراحةَ فليتعَبِ
من معشرٍ لم يُهتبَلْ[8] عزُّهم ... بغلَطِ الحظِّ ولم يُجلَبِ
ولا علا ابنٌ منهُمُ طالعا ... من شَرَفٍ إلا وراءَ الأبِ

---

(١) الركايا جمع ركيّة وهى الحفرة يجتمع فيها الماء . (٢) اللغب جمع لاغب وهو المعيى، وفى الأصل "اللعب" . (٣) الشملة الكساء دون القطيفة . (٤) مكفورة : مستورة . (٥) الربوض : الضخمة، والأنصب : المرتفع الصدر . (٦) نتأنى : تنتظر، وفى الأصل "نتأبى" وهو تحريف . (٧) التغليس : السير فى الغلس . (٨) يهتبل : يغتنم .

تسلّقوا المجدَ وداسوا العلا ... وطُرْقُها يهماءُ[1] لم تُلحَبِ[2]
ووافقوا الأيّام فاستنزلوا ... أبطالَها فى مِقنَبٍ مِقنَبِ[3]
قومٌ إذا أخلَف عامُ الحيا ... لم تخترِلهم حَيْرة المَسْغبِ
أو بسَطَ اللهُ ربيعا لهم ... لم يبطَروا فى سَعةِ المَخْصَبِ
سَمَوْا وأصبحتَ سماءً لهم ... يطلُعُ منها شَرَف المَنْسَبِ
زدتَ وما انحطّوا ولكنّها ... إضاءةُ البدرِ على الكوكبِ
خُلِقتَ فى الدينا بلا مُشبِهٍ ... أغربَ من عَنقائها المُغْرِبِ
لا يَجلِسُ الحلمُ ولا يركَبُ الـ ... ـخوفُ ولم تجلِس ولم تركَبِ
إن جَنَحَ الأعداء للسَّلم أو ... تلاوذوا منك الى مَهرَبِ
كتبتَ لو قلتَ ، فقال العدا : ... أعزلُ لم يَطعَنْ ولم يضرِبِ
أو ركبوا البغىَ الى غارةٍ ... طعنتَ ، حتى قيل : لم يَكتُبِ
فأنت ملءُ العين والقلب ما ... تشاءُ فى الدَّستِ وفى المَوكِبِ
وربَّ طاوٍ غُلَّةً بائتٍ ... من جانب الشرّ على مَرقَبِ
ينظرُ من أيامه دولةً ... بقلم الأقدارِ لم تُكتَبِ
راعته من كيدك تحت الدجى ... دبّابةٌ أدهَى من العقربِ
فقام عنها باذلا بُسْلةَ[4] الـ ... ـرّاقى ولم يُرْقَ ولم يُلْسَبِ
بك استشفى الفضلُ وأبناؤه ... بعد عُموم السَّقَمِ المُنصِبِ
والتقم الملكُ هُدَى نهجِه ... وكان يمشى مِشية الأنكبِ
وزارةٌ قلّبَها شوقُها ... منك الى حُوَّلِها القُلَّبِ[5]

(١) اليهماء : الفلاة لا يُهتدَى فيها . (٢) لم تلحب : لم تسلك . (٣) المقنب : زهاء ثلاثمائة من الخيل . (٤) البسلة . أجرة الراقى . (٥) الحوّل القلّب : البصير بالامور .

جاءتك لم تُوسِع لهـا مُرغِبا ... وليَّهـا المَهـرَ ولم تَخطُبِ

كم أجهضتْ قبلَك مِن عَدْهم ... لهـا شهورَ الحاملِ المُقـرِبِ (١)

وولدتْ وهى كأنْ لم تلِد ... أمُّ اذا ما هى لم تُنجِبِ

قُمتَ بمعناها وكم جالسٍ ... تكفيه منها سِمـةُ المَنصِبِ

وهى التى إن لم يُقَدْ رأسُها ... بمحصداتِ الصـبر لم تُصحِبِ (٢)

مَزلَقـةٌ، راكبُ سيسائِها (٣) ... راكبُ ظهرِ الأسَـدِ الأغلبِ

راحتْ عـلى عِطفِـك أثوابُهـا ... طاهـرةَ المَـرفَعِ والمَسـحَبِ

فَتحتَ فى مُبهَـمِ تدبـيرها ... تَنفُّسَ البُلْجَـةِ فى الغيهبِ

وٱرتجعتْ منـك رِجالاتهـا ... كلَّ مطِيـلٍ فى الندَى مُرغِبِ

رُدَّ بنو "يحيى" و"سهلٍ" لها ... "والطاهريُّون" بنو "مُصعبِ"

فٱضرب عليهـا بيتَ ثاوٍ بهـا ... قبلك لم يُعـمَدْ ولم يُطْنبِ (٤)

وٱستخدم الأقدارَ فى ضبطها ... وٱستشر الإقبـالَ وٱستصحِبِ

وٱمدُدْ على الدنيا وجَهْـلاتِها ... ظِـلالَ حـلمٍ لك لم يَعزُبِ

وٱطلُع على النَّيروزِ شمسا اذا ... ساقَ الغروبُ الشمسَ لم تغرُبِ

تفضُـلُ ماكرَّ سِنِى عُمـرِهِ ... بملء كفِّ الحاسبِ المطنِبِ

يومٌ من الفُـرسِ أتى وافـدا ... فقالت العُـرْبُ له : قـرِّبِ

بات من الإحسان فى داركم ... — وهو غريبٌ — غيرَ مستغرَبِ

لو شاء من ينسِب لم يَعـزُهُ ... لغـيركم عيـدا ولم يَنسِبِ

وٱسمع لمغـلوب على حظِّـه ... لـو أنـك الناصرُ لم يُغلَبِ

(١) المقرِبُ التى قَرُبَ وِلادها . (٢) لم تصحب : لم تنقد ولم تذلّ (٣) السيساء : منتظم فقار الظهر . (٤) لم يعمد ولم يطنب : لم يكن له عمد ولا أطناب .

مُوَحِّدٍ لم يشكُ من دهره ... وأهلِهِ إلا الى مُذنِبِ
أقصاه عند الناس إدلاؤه ... من فضله بالنسب الأقرب
لو قِيض إنصافُك قِدما له ... عَزَّ فلم يُقْصَ ولم يُقْصَبِ (١)
عندك من برقِيَ لَمّاعةٌ ... سابقةٌ تَشهدُ للغُيَّبِ
منثورُها ذاك ، ومنظومُها ... هذا ، كلا الدرّين لم يُثقَبِ
ما زلتُ أرجوك ومن آيتي ... أنَّ رجائى فيك لم يَكذِبِ
لم يبقَ لى بعدَك عتبٌ على ... حظٍّ ولا فقرٌ الى مَطلَبِ
فاغرسْ ونوهْ منعما واصطنع ... ترضَ مضاءَ الصارمِ المُقضِبِ
وغِر على رِقّيَ من خاملٍ ... لِملكِ مثلى غيرِ مستوجِبِ
كم أحمدتْ قبلَك عُنقى يدٌ ... لكنّها سامتْ ولم تَضرِبِ
ولَدنةِ الأعطافِ لم تُعتَسفْ ... بالكَلِمِ المرِّ ولم تُتْعَبِ
من الحلالِ (٢) العفوِ لم تُستَلَبْ ... بغارةِ الشعرِ ولم تُنْهَبِ
دمُ الكرى المهراقِ فيها على ... سامعِها إن هو لم يطرَبِ
جاءك معناها وألفاظُها ... فى الحسنِ بالأسهلِ والأصعبِ
أفصحُ ما قيلَ ولكنّها ... فصاحةٌ تُهدَى الى "يَعْرُبِ"

* * *

وقال فى بعض الأغراض وقد سُئِلَهُ

ضمانةٌ يَصدُق وعدُ الضنا ... فيها ، جناها الطَمَعُ الكاذبُ
عاد بها اليومُ جديدَ الهوى ... وقد تولّى أمسُها الذاهبُ
أيّة نارٍ قَدَحتْ فى الحشا ... عينُ مَهاةٍ زَندُها ثاقبُ ؟

(١) لم يقصب : لم يُقطع . (٢) فى الأصل "الجلال" وهو تحريف .

وأىُّ ثغـرٍ ولَمًى صادنى؟ نابـلُ قلبى بهـما الصائبُ
حُبًّا له من بَرَدٍ جامـدٍ يقطُـرُ منـه ضَرَبٌ(١) ذائبُ
اللهَ يا "خنساء" فى مهجةٍ أنتِ بهـا الثـائرُ والطالبُ
إن كنتِ حرَّمتِ وصالى فمن أين دمِى حلٌّ لكم واجب
سلى سهامَ الشوقِ عن أضلعى إن صدَقتْ عينُك والحاجبُ
مَنْ مُوقِدُ النـارِ وقد أُخمِدتْ على فـؤادى ومَن الحـاطبُ ؟

* * *

وقال وكتب بها الى الأستاذ أبى المعالى هِبَة الله بن عبد الرحيم فى النيروز الواقع فى سنة خمس عشرة وأربعمائة

يا دارُ لا أَنهَـجَ(٢) القشيبُ منـكِ ولا صَوَّحَ الرطيبُ
ولا أخلَّتْ بكِ الغـوادى تَشْعَبُ ما يَصدعُ الجُدوبُ
من كلِّ مخـروقة العَـزَالِى(٣) تغلِبُ أخياطَها الثُّقـوبُ
تعجَبُ منهـا رباكِ حتَّى يضحكَ فيها الوجهُ القَطوبُ
وكان عِطْرا كما عهـدنا مَشْىُ الصَّـبا فيـكِ والهبوبُ
فـربَّ ليلٍ ثراكِ فيـه — بين نُحور العشاق — طِيبُ
عُجْنا وليـلُ المطىِّ ليـلٌ بَعْـدُ وصوتُ الحادى صليبُ (٣٥)
وما نَقضناهُ من طريقٍ مِن حيثُ رحنا عنـه قريبُ
فقـال صَحْبى : أضـلَّ هادٍ أم خُدِعَ الحـازمُ الأريبُ ؟
ليس أوانُ التعريسِ هذا قلتُ : هو الشوق لا اللُّغوبُ

(١) الضرب : الشهد . (٢) أنهج : بَلِىَ . (٣) العزالى جمع عزلاء وهى مصبّ الماء من الراوية ونحوها .

يا من رأى "باللِّوى" بُرَيقًا ... تقدَحُ نيرانَهُ الجَنوبُ
كَلَا وَلَا[1]، بينما تراهُ ... يطلُعُ أبصرتَهُ يغيبُ
كأنّ ما لاح منه وَهْنًا ... على شبابِ الدجى مَشيبُ
حدَّثنى "بالغضا" حديثا ... سَرَّ، على أنّه خَلوبُ
يقول : هيفاءُ لم يُحِلْها ... عن عهدك الناقِلُ الكذوبُ
جفونُها بَعدَكم حُنُوًّا ... ماءٌ وأحشاؤها لهيبُ
فارض، فمِن قلبها خُفوقى ... أُعدَى ومن طرفِها أصوبُ
لا وليالٍ على "المُصَلَّى"[2] ... تُسرَق فى نُسكها الذنوبُ
وما رأى "الخَيْفُ"[3] من هَناتٍ ... يغفرها المالكُ الوهوبُ
وخَلَواتٍ "بأمّ سعدٍ" ... ما بعدها لذّةٌ تطيبُ
لولا لماها لما شفانى ... "بزمزمٍ" ما سقَى القليبُ
ما ذا على مُحرِمٍ "بجَمْعٍ"[4] ... وسهمُهُ من دمى خضيبُ
وكيف والصَّيدُ ثَمَّ بَسْلٌ[5] ... تصادُ بالأعين القلوبُ ؟
يا فتكَها نظرةً خِلاسا ... سبَّبَ أدواءَها الطبيبُ
ذابت عليها حصاةُ قلبى ... يا من رأى جمرةً[6] تذوبُ ؟
قُلْ لزمانى : ما شئت فاضغط ... قد دبِرَ[7] الجابرُ الجليبُ

---

(١) كَلَا ولا أى كقولك "لا لا" ويراد بها أن هذا البُرَيق فى سرعته يطلع ويغيب كمقدار قول "لا لا" وهى لا تستعمل عادة إلا فى كلّ ما يتمّ على السرعة كقول مهيار فى غير هذا المكان .

كيف رأيت الإبِلَا * خَواطفًا كَلَا وَلَا

(٢) المصلَّى : اسم موضع . (٣) الخَيْف : اسم موضع . (٤) جَمْع : اسم موضع من مناسك الحج . (٥) بسل : حرام . (٦) كذا بالأصل وفى منتخبات البارودى "صخرة" .
(٧) دبِرَ : أصابته الدبرة وهى قرحة فى ظهر البعير .

أصبحتنى بالخطـوبِ حتّى ... لم تُبـقِ لى مقتـلا تُصيبُ
فى كل يومٍ جورٌ غريبٌ ... عنـدى عليه صبرٌ غريبُ
حتى لقـد صار لا عجيبا ... منـك الذى كلُّه عجيبُ
ولائمٍ فى عُزوفِ نفسى ... قلتُ له : أنتَ والخطـوبُ ؟
عساك — خُبْرا بالناس — مثلى ... إن رُدَّ من حِلمك العـزيبُ
فَفِى قِـلَى مَنْ تُراكَ تَحْكى ... منهـم؟ وفى تَرْكِ مَنْ تَعيبُ ؟
اللهُ لى — إن طَرَحْتُ عِرضى ... أُكلةَ آمالهـم — حسيبُ
قد كنتُ أبكى وهـم فُروقٌ ... شَتّى وأشكو وهـم ضُروبُ
فاليـوم سوّتهـم المَساوى ... عنـدى وعمّتهم العيـوبُ
فما أرى منهُـمُ بريئا ... يَخشَى ٱفتضاحا به المُـريبُ
بلى ! قد ٱستثنتِ المعالى ... بيتًا لها ذِكْـرُهُ نسيبُ
بيتًا ، شموسُ الضحَى عمادٌ ... له ، وشهبُ الدجَى طُنـوبُ
الحَسَبُ العِـدُّ[2] من بنيـهِ[1] ... كلُّ نجيبٍ نَمَى نجيبُ
من آل "عبـدِ الرحيم" مُرْدٌ ... حولَ رواقِ العُـلا وشِيبُ
تشابهوا سُـوددًا فأعطَى ... شاهدُهم فضـلَ مَن يغيبُ
كلٌّ مُحَيَّا الجبينِ طَلْقٍ ... لم يَعتسِفْ بِشرَه القُطـوبُ
راضون أن يُشبِعوا ويَضْووا[3] ... والعـامُ مسحنفِزٌ[4] غَصـوبُ
تَرْوَى عِطاشُ الآمالِ فيهـم ... وهْىَ عـلَى غـيرهم تَلوبُ
لهـم أفاويقُـها إذا ما ... أَصرَمَ ثَدْىُ الحَيَا الحَـلوبُ

(١) فى الأصل : أيحسب . (٢) العِدّ : القديم . (٣) يضووا : يُهزَلوا ، وفى الأصل : "يضروا" . (٤) مسحنفز : ماضٍ مسرعا .

دوحةُ مجدٍ، أبو المعالى غصنُ جناها الغضُّ الرطيبُ
كان فَتاها والرأىُ كهلٌ وطفلَها والحجا لبيبُ
ليثُ حِماها والدارُ حربٌ وفى السلامِ الظبىُ الربيبُ
لا فَرحةٌ تستقلُّ منه حِلْما ولا نَوبةٌ تنوبُ
تغمِزُ فيه أيدى الليالى والنَّبْعُ مستعصِمٌ صَليبُ
إذا كساه الغِنَى قميصا فهو بأيدى الندَى سليبُ
وكلُّ سعيٍ له كَسوبٍ تَغرَمُه كفُّه الوهوبُ (٣٦)
يحمى حِماه بنافذاتٍ خُدوشُها فى العِدا نُدوبُ
لا يَبلُغُ السَّبرُ(١)، ما يُفَرِّى(٢) — مُعمِّقا — جُرحُها الرغيبُ
يبعثُها مفصِحا لسانٌ ماضٍ إذا لَجلَجَ الخطيبُ
إذا فُروجُ الكلامِ ضاقتْ تَمَّ بها باعُهُ الرحيبُ
لا مَحَقتْ بدرَك الدآدِى(٣) ولا محا شمسَك الغروبُ
ورَجَع الدهرُ مستقيلا اليكَ من ذنبِهِ يتوبُ
يُقسِمُ لا شِيمَ وهو سيفٌ بعدُ ولا شَمَّ وهو ذيبُ
وعاد ظلُّ الدنيا عليكم يُورِقُ أو يُثمِرُ القضيبُ
حظُّكُمُ صفوُها وحظُّ الـ ـأعداءِ منها المُرُّ المشوبُ
ما كَرَّ عَودًا شبابُ ليلٍ يَرُدُّهُ من ضُحًى مَشيبُ

---

(١) السبر : امتحان غَوْر الجرح ومعرفة مقداره . (٢) ما يفرّى : ما يُشَقّ .
(٣) الدآدئُ : ثلاث ليال من آخر الشهر قبل ليالى المحاق أو هنّ ثلاث ليال فى آخر الشهر يُدأدِئُ القمر فيها الى الغروب أى يُسرِعُ وقد سُهِّلت همزتها ، كقول الراجز

أبدى لنا غرّة وجه بادى * كزُهْرَة النجوم فى الدآدى

وواحدتها : دَأْداء وفى الحديث "أنه نهى عن صوم الدأداء" وهى يوم الشك .

وزار يومُ النـــيروز عامَ الـ ـخصبِ كما زارك الحبيبُ
تُهدَى لكم من ثَنايَ عُونٌ[1] كلُّ آبنٍ سميعٍ لها طروبُ
قواطنٌ فيـــكُمُ وتُمسِى تجولُ فى الأرض أو تجـوبُ
فى كلِّ يومٍ تغشـاك منهـا حبيبـــةٌ ما لهـا رقيبُ
كذاك لا غائبى خبيثٌ لكم ولا شاهـــدى مريبُ
قـــلبى صحيـــحٌ لكم وودّى ما مرِضَ الودُّ والقـــلوبُ
أجبتكم قبـــلَ أن دعـوتم فكيف أُدعَى فلا أُجيبُ

* * *

وقال وكتب بها الى الرئيس سعد الملك أبى الحسين بن حاجب النُّعمان فى شوّال من ســنة سبع عشرة وأربعمائة ، ويذكُرُ قديمَ الرياسـةِ فى بيته ، وٱجتذابَه إيّاه ، وٱقتراحَه مديحَهُ ، وتواصَلَ الخطابُ على ذلك

لعلَّها — واليأسُ منها أغلبُ — إن نأتِ اليـــومَ غدًا تستقربُ
حاجةُ صـــدرٍ لك لا ملفوظةٌ ولا تَسـوغُ حُلوةً فتُشـــرَبُ
أَضْحَـكُ من مواعِدِ الدهرِ بها ممّا يجيءُ باطـــلا ويذهبُ
ودونها — أن ينتهِى لجَاجُها — ذو صِبغتيْن دِينُـــه التقلُّبُ
فى كلّ يومٍ مُرسَـــلٌ مغـالِطٌ لى عنـــده ، وشافِعٌ محبَّبُ
وحَلفـــةٌ كاذبةٌ وفى فمى شكيمةٌ[2] من أن أقولَ : تكذبُ
مُلَّ فلا الحصـاةُ من فـــؤاده تلينُ لى ولا اللسانُ يَرطُبُ
اللهَ ياهيـــفاءُ لى فى زمنٍ نعيمُهُ بعـدَكُم معـــذَّبُ

---

(١) العُونُ جمع عَوانٍ وهى النَّصَفُ فى سنِّها من كل شىء ويريد بها قصائده . (٢) الشكيمة : الحديدة المعترضة فى فم الفرس .

وكبدٍ يصدَعُها كلُّ أسًى ... بها الكبودُ القرِحاتُ تُشعَبُ
لا سلوةُ البعدِ المُريح عِصمةٌ ... منكِ ولا الهمّ المُراح يعزُبُ(١)
وكلّما أطمعَ فيكِ سببٌ ... آمُلُهُ أيأسَ منكِ سببُ
يعيشُ قلبي وهو عيشٌ مؤلمٌ ... ثم يموتُ وهو موتٌ طيّبُ
نَفْسَكَ يا مُعطى الهوى قِيادَه ، ... إنك في خَيط الهوانِ تُجنَبُ
وإن هَوِيتَ فانتصرْ بغَدرةٍ ... عن ثقةٍ أنّ الوفاءَ العطبُ
قالت على "البيضاء" أختُ عامرٍ: ... أسفرَ في فَودَيك ذاك الغيهبُ
ومن بلاياكِ وإن عبتِ به ... شبابُ حُبّي وعِذاري الأشيبُ
غدرُكِ والخمسونَ ، أيّ روضةٍ ... قشيبةٍ بينهما لا تُجدِبُ؟(٢)
وما الذي أنكرتِهِ من ليلةٍ ... يطلُعُ فيها قمرٌ أو كوكبُ؟
ما نَصَلَتْ إلا بماءِ مقلتي ... فليتها بماءِ قلبي تُخضَبُ
وعاذلٍ لا سُقِيَتْ غُلَّتُهُ ... "بالغَور" ما يُروى ولا ما يَعذُبُ
يزعمُ أن كلَّ دارٍ "رامةٌ" ... وأنّ كلَّ ذاتِ حِجلٍ(٣) "زينبُ"
حلفتُ يومَ ينحرُ الناسُ بها ... ساجدةً أذقانُها والركبُ
يُعطَى المُنَى منها الذي يَستامُهُ ... طُلًى(٤) تطيحُ وجُنوبٌ(٥) تجبُ
مثل التلاعِ(٦) بازِلًا(٧) وحِقّةٍ(٨) ... قامَ عليهنّ الربيعُ المخصِبُ
والمُشرِفاتِ من "مِنًى" كأنّها ... على ظُهور الهَضَباتِ حَدَبُ
وبالمُلبِّينَ سعَوا فنفَضُوا ... ذنوبَهم وجمَّروا وحصَبوا

(١) في الأصل "المزاح يغرب" وهو تحريف . (٢) في الأصل "تجذب" وهو تحريف .
(٣) الحجل : الخلخال . (٤) الطلى : الأعناق . (٥) تجب : تسقط . (٦) التلاع جمع تلعة وهي ما ارتفع من الأرض . (٧) البازل : الجمل المسن . (٨) الحِقّة : الناقة الداخلة في الرابعة من عمرها .

وماحَوَى ـ وأىُّ فضلٍ ماحوى ـ ذاك العتيــقُ البــارزُ المحجَّبُ
لو نُسبَ المجــدُ لَمَا كان الى غير بنى "عبدِ العزيزِ" يُنسَبُ
مِن أرضِهم طينتُــهُ وفيهِــمُ رواقُــهُ و بيتُــهُ المطنَّبُ
أَقسمَ : لا فارقَهم ، وأقســموا ما دام خُلْدًا مِن "أبانَ" مَنكِبُ
حىٍّ على رغم البــدورِ غُرَرًا تَقــدحُ فى فحم الدجى فتثْقُبُ
وردْ نفــوسا حُرّةً وأيديا تُحيلُ فى المحلِ عليها السُّحُبُ
تبادروا الجودَ فلاطوا (١) حوضَهُ، لهم ليــالى وِردِه والقَــرَبُ
وٱنتظموا سودَدهم نظْــمَ القنا لكن صدورٌ ليس فيها أكعبُ
داسُوا بأعقابِهمُ هامَ العــلا وٱقتعَــدوا ظهورَهــا وٱعتقبوا
شُمّ الأنوفِ والسيوفِ، قَصُرَتْ دروعُهم، وهى سِباغٌ تُسحَبُ
يَمشُونَ رَجْلَى (٢) فيُخالُ أنهــم من شَــارةٍ (٣) ومن شَطَاطٍ (٤) رَكِبوا
توارثوا الملكَ فــلا خلافــةٌ إلا لهــم سريرُها والمــوكِبُ
ومنهُــمُ فى حربِهــا وسلمِها رمحٌ يَخُطُّ ولسانٌ يخطبُ
حُلِيُّ كلِّ دولةٍ عاطلةٍ وبِشْرُ كلِّ نعــمةٍ تُقَطِّبُ
إذا الخطوبُ حُسِمتْ بخَــدعةٍ أو رَدعةٍ لانوا لهــا وصَعُبوا
إن كتبوا ، قلتَ : ٱصطلاما (٥) طعنوا أو طعنوا ، قلتَ : بلاغًا كتبوا
ترى الجبالَ فى الحُبَى إن جَلَسوا والأسدَ هِيجَ شَرُّها إن وَثبــوا
لهــم قُدامَى الفخرِ، ما تنقُــلُه لك الرواةُ وتريك الكتبُ
وخيرُ ما ٱستطرفْتُــهُ حديثُهــم إذا الكرامُ زانهــم ما أعقبــوا

---

(١) لاطوا : طيَّنوا . (٢) رَجْلَى : على أرجلهم . (٣) من شارة : من حسن وزينة .
(٤) ومن شطاط : من طول وحسن قوام . (٥) ٱصطلاما : ٱستئصالا .

وَولَدوا "أبا الحسين" فرأى الـ ـمجدُ به كيف نَموْا وأنجبوا
برزتَ فى عِقدِهِمُ واسطةً لها من الأبصار ما يُستلَبُ
بيضاءَ مما أَبغضَ الغوّاصُ فى الـ ـفحص عليها أنفُسًا تُحبَّبُ
ومَطلَتهم دونها أُمنيّةٌ روّاغةٌ وحِقبٌ وحِقبُ
حتى قضى الصبرُ لهم قَضاءَهُ وآستحيتِ الأيّام مما نصَبوا
فاستخرجوها تملأ الراحةَ والـ ـعينَ، فقالوا : دُرّةٌ أم كوكبُ ؟
وشَرُفَتْ فلُقِّبتْ فخرَ العلا لو لم يقَعْ دون سناها اللقبُ
وكيف لا تطلُع بدرا فيهِمُ ؟ والشمسُ جدٌّ لك والنجمُ أبُ
ألقَى الكمالُ طائعا عِنانَهُ اليك يُرخى تارة ويَجذِبُ
وأقعَصَ(١) الأقرانَ عنك قَلَمٌ ممرَّنٌ وخاطرٌ مدرَّبُ
وقمتَ قُرحانا(٢) فتيًّا بالعلا قُيِّدَ عنك القارحُ(٣) المجرَّبُ
وَرثتَ فضلا لو قَنِعتَ لكفَى لكن أَبيتَ غيرَ ما تكتسِبُ
كالليثِ لا تحلو له فريسةٌ لا ينتقِي(٤) فيها ولا يُخَلِّبُ(٥)
وكم سواك لم يحُزْ حِسابُهُ أعدادَ ما تُملى عليه الحُسَّبُ
حَويتَ إعظاما وقد مثّلتَ لى رائدَ عينىَّ وقلتَ : تَكذِبُ
أَدُميَةٌ صيغتْ أم البدرُ هَوَى وبَشَرٌ أم مَلَكٌ مُقرَّبُ ؟
معجِزةٌ جاء الزمانُ غلطا بها وآىٌ كلُّهنَّ عَجَبُ
وكرمٌ على اللسان حاضرٌ يشِفُّ منه الكرمُ المُغيَّبُ

(١) أقعص : أمات . (٢) القُرحان فى الإبل : مالم يجرَبْ قطّ ، وفى الأصل "فرحانا" وهو تحريف . (٣) القارح المجرَّب : المسنّ الذى أصابه الجرب . (٤) ينتقى : يطلب النِّقْىَ وهو مخّ العظام . (٥) يخلّب : يُعمِلُ مخالبَه .

وراحةٌ مُطلَقــةٌ طارحَهـا الـ ... عِرضُ المصونُ أن يهون النشبُ
سحرتَنى ودارُ عِزّى "بابل" ... وقُـدتنِي وأمُّ رأسى[1] تصعُبُ
ومَلّكتْنى لك نَشوانَ الهـوى ... خلائقٌ غِناؤهنّ مُطـرِبُ
ملأتَ بالبِشـرِ وِطابَ[2] أمَلى ... وبعضُهـم بكيئةٌ[3] لا تُحلَبُ
حتى رَقَى الحاوِى فأصغيتُ له ... وكدتُ معْ شدّةِ زُهدى أرغبُ
وقلت عاش "لزهيرٍ"[4] "وهَرِمٍ"[5] ... وقام فى أهل "الزُّبَيرِ"[6] "ومُصْعَبُ"
أرضيتنى عن الزمان بعـد ما ... حرَّقَ أضلاعى عليـه الغضبُ
وعاد بَرْدا وسـلاما بك لى ... ما توقِد الدنيـا وما تَحتطِبُ
أغنيتنى قبـلَ اللُّهـا مودّةً ... والودّ عنـدى خيرُ رِفدٍ يوهَبُ
وقرَّبتْنى منـك أُولَى نظـرةٍ ... حتى كأنّا لم نزل نصـطحبُ
فِراسـةٌ أيقظك المجـدُ لهـا ... وفطنـةٌ على سواك تعـزبُ
وهمّـةٌ إذا ركبتَ ظهـرَها ... أدركتَ من أخرَى العلا ما تطلُبُ
فاسمع أُقرِّطْك شُـنوفا دُرُّهـا ... لغـير آذانكُمُ لا يُثقَبُ
من المصـوناتِ التى تَعنَّستْ[7] ... خلف الخدورِ وهى بِكرٌ تُخطَبُ
تنـافسَ الملوكُ فى مُهـورها ... وآقترَعوا فى حُبِّـها وآحتربوا[8]
عنـدهُم الرغبـةُ والودّ لهـا ... وعنـدها المـلالُ والتجنُّبُ

(١) أمّ الرأس : الدماغ أو الجلدة الرقيقة التى عليه . (٢) الوطاب جمع وطْب وهو السِّقاءُ .
(٣) البكيئة : الناقة أو الشاة قلَّ لبنها . (٤) زهير بن أبى سلمى الشاعر . (٥) هرم بن سنان من أجواد العرب وقد اختصه زهير بمدائحه . (٦) الزبير بن العوام رضى الله عنه حوارىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته صفية بنت عبد المطلب ومصعب ابنه . (٧) تعنّست : صارت عانسا وهى التى طال مكثها بعد إدراكها ولم تتزوج قط حتى خرجت من عداد الأبكار . (٨) احتربوا : أوقدوا نار الحرب .

وزادها نزاهةً وورَعًا منّى أبٌ على البناتِ حَدِبُ
ليس عليه للتمنّى طاعةٌ ولا له فى الشهواتِ أربُ
لا يمدح الناسَ ولكن مدحُكم يَلزَمُ فى دِينِ العلا ويجبُ

* * *

وقال وكتب بها الى الرئيس الأجلّ عميد الكفاة أبى سعد بن عبد الرحيم، يبتذله ببعض المعاتبة، ويهنّئه بالمهرجان الواقع فى السنة المذكورة

نأتْ والأمانى بها تقرُبُ وملَّتْ وأحسَبها تعتِبُ
ومال بها الغدرُ غدرُ الطبا عِ عنّى والكاشحُ المُجلِبُ
وغيرانُ يُذْعِره آسمى بكم ويؤنسه حولَه المِقنبُ
يكون لغيرى جَناحَ البعو ضِ لينا ولى قَرْمُه(١) المصعَبُ
ومنتحِلٌ فى الهوى يدَّعِى مقامى وشاهدُه يكذِبُ
تبدّل بى — ساء ذاك البديلُ — كما بِيعَ فى الأخبثِ الأطيبُ
فيا عَجَبى من مُريقٍ دمى عنادا وقلبى به معجَبُ
ومستهزئٌ ضاحكٌ من بكاى يجدُّ بقلبى كما يلعبُ
أهيفاء، أىُّ هوى قد علمـ ـت يُقصى وأىّ أخٍ يُقصَبُ(٢) ؟
ولما آنطوَى العامُ نفسى تَرُدُّ عنك وحافزُها يَطلُبُ
صددتِ كما آنصرفَتْ بالصدى(٣) غرائبُ(٤) أوجهها تُضرَبُ
أقول : غدًا ، نظرا للوفاء وغدركُمُ من غدٍ أقربُ
وكيف اللقاءُ وقد سُدّتِ الـ ـمطالعُ يا ذلك الكوكبُ ؟
وأين النجاءُ وما الحظُّ فيه، ومنك — وأنتِ المنَى — المهربُ ؟

(١) القرم المصعب : الفحل الذى ترك فلم يُركب حتى صار صعبا . (٢) يُقصب : يُقطَعُ .
(٣) الصدى : الظمأ . (٤) الغرائب : الإبل الغريبة التى تضرب لصرفها عن الماء .

* * *

سلِ الهاجعين على "ذى الطُّلوح"[1] وطَرفى لهم حارسٌ يرقُبُ
أشمتُم يمينا سنا بارقٍ يشوقُ على أنه خُلَّبُ ؟
تألَّق مستشرفا لا يُسَلُّ حتى يُرَى سيفُه يُقْرَبُ[2]
يُبينُ ويُخفِى رءوسَ الهضابِ فتنصُلُ منه كما تُخضَبُ
يَمُرُّ فيُرغِبُ[3] فى أضلُعِى صُدوعا برَجعتِه تُشْعَبُ
وهل عنده خبرٌ إن سألـ ـتُ : ما "البانتان" و"ما "زينبُ" ؟
وهل ربعُ "غُرَّبَ" فى الباليا تِ أم هل على عهدنا "غُرَّبُ" ؟
سقَى بالحمى الأعينَ النابلا تِ من دم أحشاىَ ما تشربُ
وحيَّا الحيا أوجها لا تَغُشَّ، لُجَينُ الجمالِ بها مُذهَبُ
وفى السانحاتِ بذاك "الرُّميـ ـل" عفراءُ تاهَ بها الربربُ
من الذاهباتِ بحَبِّ القلو بِ لا تُقتَضَى رَدَّ ما تَسلُبُ
وما نُطفةٌ حصَّنتها السماءُ بأرعنَ مَرقاهُ مستصعَبُ
مصفَّقةٌ[4] حَلَبَتْ عَفوَها[5] بها المزنُ أوّلَ ما تُحلَبُ
الى أن تبقَّت لُباناتُها وكادت بما لُطفتْ تَنضُبُ
تراوِحُها وتغادى الشَّمالُ تُرقرقُ فيها وتُستعذَبُ
ولا نحلةٌ[6] بات يَعسوبُها على الحسْنِ من حذَرٍ يلسِبُ
يَغارُ فيمنعها أن تُشا رَ[7]، ما منع الشائرَ المِشغَبُ[8]

(١) ذى الطلوح : اسم موضع . (٢) يقرب : يدخل فى القراب وهو غمد السيف .
(٣) يرغب : يوسع . (٤) مصفّقة : مصفّاة . (٥) العفو : أوّل ما يحلب .
(٦) اليعسوب : ذكر النحل . (٧) أن تُشار : أن يستخرج عسلها . (٨) المشغب : المهيِّج .

تُجاذبُ فيها أكفُّ الجُنا ... ةِ غِنًى[1] مثلها مثله تَكسِبُ
ولا مِسكةٌ طاف عطَّارُها ... "بدارِينَ"[2] ينخلُ ما يَجلبُ
يبقِّرُ عنها بطونَ الظِّباءِ ... من الألف واحدةٌ تُنجِبُ
فجاءت لضوعتها سَورةٌ ... تكاد العِيابُ بها تُثقبُ
بأطيبَ من فم ذات الوشاح ... سُحورا، بلى! فمُها أطيبُ
تقول العواذلُ: دعْ ذِكرها ... ففى الذِّكر قادحةٌ تُلهِبُ
وهَبْها كعاريةٍ تُستَرَدُّ لا بدَّ أو ثَلَّةٍ[3] تعزُبُ
فقلتُ: إذن كبِدى فلذةٌ ... من الصخر أو كبِدى أصلبُ
تُزَمُّ الحمولُ فلا أستكينُ ... وتشدو الحمامُ فلا أَطرَبُ
عَذيرَى من زمنٍ لا يَسُرُّ ... بنعماءَ إلا بها يَنكُبُ
إذا قَسَمَ الحظَّ بين الرجال ... فحظِىَ من شرّ ما يُنصِبُ
تَعاوَى علىّ تصاريفُه ... تُذأبُ حولى وتَستكلبُ
فأدفعهنّ بصبرى الجميلِ ... اذا ظَلَع المتنُ والمنكبُ
سأركبُ عزمِى، حتى يطيرَ ... عن الضيم عنقاءُ بِى مُغرِبُ[4]
وإلا فعندَ عميدِ "الكفا ... ةِ" حِمًى مانعٌ وذَرًى مُعشِبُ
وراتعةٌ من أمانى العُفا ... ةِ لا هِىَ تَظمَى ولا تَسغَبُ
لها ما يُوَسِّعُ من ذَرعها ... بساطَ الرجاء وما يُرحِبُ
كريمٌ، وشائجُ[5] أعراقِهِ ... إلى العِيصِ[6] من مجده تَضرِبُ

(١) فى الأصل "عنى" وهو تحريف. (٢) دارين: بلدة مشهورة بالطيب. (٣) الثلة: جماعة الغنم أو الكثيرة منها. (٤) يقال: عَنقاءُ مُغرِبٌ وعنقاء مُغرِبَةٌ والعنقاءُ المغرِبُ وعنقاءُ مُغرِب وهو طائر معروف الآسم لا الجسم وفى المثل "حَلَّقَتْ به عَنقاءُ مُغرِبٌ". (٥) الوشائج جمع واشجة وهى الرحم المشتبكة. (٦) العيص: هو من أولاد أمية بن عبد شمس الأكبر.

توسَّعَ فى نسبٍ، كالهـلال ... إلى الشمس، أعرقَ ما يُنسَبُ
بُناةُ العلا آلُ "عبدِ الرحيـ ... ـم" يُعـرَفُ بابنِهِمُ ما الأبُ
ميامينُ، أنديةُ المكرماتِ ... لهـم تُجتبى[1] وبهـم تُعصَبُ
إذا ذَكَروا العارَ لم يأمنوا ... وإن ركبوا السيفَ لم يَرهَبوا
وجـوهٌ ميسَّـرةٌ للنـجا ... ـح باسمـةٌ والـثرى يَقطُبُ
وأيـدٍ تخفُّ إلى الأعطياتِ ... إذا حُسِبَ الفقـرُ لا تُحسَبُ
تراحُ عِشارُهُمُ[2] للشـفارِ ... فتُعبَطُ[3] من قبـلِ تُستحلَبُ
ولولا القرَى ورشادُ الضـيو ... فِ[4] لم يغدُ عبدٌ لهـم يَحطِبُ
مضَوا تضمنُ المجـدَ أحداثُهم ... وذكرهُـمُ خالدٌ طيِّبُ
وقام "أبو سـعدهم"[5] ذائدا ... بمـيراثه وبمـا يكسِبُ
فتـاهم بما عُدّ من سِـنِّه ... وشـيخٌ وأحلامهم تعـزُبُ
كفته بديهـةُ حِـدْثانِه ... قـديمَ الرجالِ وما جَرّبوا
وغَلَّس حـتى انتهى واحـدا، ... له المجلسُ : الصـدرُ والموكبُ
كثيرِ الغَنـاءِ قليـلِ العنـاءِ ... فما يسـتريح وما يتعَبُ
وما يَغـمِزُ الخطبُ فى عُوده ... إذا انقلب الزمنُ القُلَّبُ
أبىٌّ جوادٌ، فيـومَ الخصـام ... يَحُجُّ، ويومَ النـدى يَغلبُ
يَرى النفسَ تلك الـتى لا تُذَ ... لُّ والمـالَ ذاك الذى يُوهَبُ
أصـاخ بكم لِىَ حـظِّى الأصـ ... ـمُّ واعتذر الزمنُ المذنبُ

(١) تجتبى : تصطفى، وفى الأصل "تجتنى" وهو تحريف . (٢) العشار : النوق .
(٣) فتعبط : فتُنحر . (٤) يريد : لولا ما يوقدونه للقرى من النار التى يُرشَد بها الضيوفُ الى أحيائهم ما احتطب لهم عبد . (٥) فى الأصل : "زايدا" وهو تحريف .

وذلّلتُمُ لِي ظهورَ الرجا ... ءِ ما شئتُ أركبُ أو أجنُبُ
وكنتم مآلى ومالى نلسـ ... ـتُ أرهبُ شيئا ولا أرغبُ
وردَّ الودادُ اليكم قِيا ... دَ قلبى فما عنكُمُ مَذهبُ
وحلّأتُ(١) عن حوض شعرى الملو ... كَ وهو لكم مُغدِقٌ مُعذَبُ
صوارمُه دونكم تُنتضَى ... وأذيالُه حولكم تُسحَبُ
أَحنُّ لكم حَنَّة العاشقين ... فأمدحكم مثلَ ما أنسِبُ
على مللٍ فيكُمُ لا تزال ... بجنبى قوارفُهُ تَنْدُبُ
متى آتِ لم أكُ مستكرَها ... وأنأَى فما أنا مستقرَبُ
وكم ماطرٍ فيهِمُ بالوفاءِ ... إذا رمتُ أنصافَهُ(٢) يحلِبُ
يُدير كئوسَ الهوى بيننا ... فيسقِى الغرامَ ولا يشرَبُ
ومن حاسدٍ لِىَ، أرسانُهُ ... بما ساءنى عندكم تُجذَبُ
إذا خافنى دبَّ فى دوركم ... بعيبى كما دبَّت العقربُ
فلا وشَقاوتِهِ ما يَشُقّ ... على البدر أن تَنبحَ الأكلُبُ
ولو كنتُ أُغلى عليكم رضاىَ ... لما سرّكم أننى أَغضبُ
ولكن فؤادٌ لكم رقّهُ ... فما يستبيع ولا يَهرُبُ
يُريه الهوى أنّ إمساكه ... بكم من تنقّلِهِ أصْوبُ
وأنّ الحِفاظَ وحبَّ الوفاءِ ... على طينِ طابعِهِ أغلبُ
فلا تنتزعكم يدٌ تستمـ ... ـيحُ مِنّى ولا قاهرٌ يَغصِبُ(٣)

(١) حلّأت : منعتُ، ومعذَب : منزوع ما فيه من قذًى . (٢) أنصافه : أى نصف ما يحلبه فى قِربه، ومنه : قربة نَصفَى أى بلغ فيها الماءُ أو غيرُه نصفَهُ . (٣) فى الأصل "يغضب" ولا يتفق والمعنى .

ولا أَعدَمَنْ منكُمُ أُسـرةً بأيسـر عُتبَى لها تعـتِبُ
وغُـرٍّ مفـوَّفةٍ كالبرو دِ أو هى من حَوكها أقشبُ
تجارِى بروجَ العلا أو تعود وشرقُ النجوم لها مَغـرِبُ
يُذِلُّ النـوالُ لكم صعـبَها فكلُّ شـوامسها[1] تُركَبُ
بكم هـامَ رِيقُها[2] فى الشـبابِ وهـذا لكم عمرُها الأشيبُ
على كلِّ يومٍ جديدِ السـعو دِ ومن حُسنِها سِمةٌ تغرُبُ
فإن جاءكم أعجمىُّ اللسـا نِ فهْى لسانٌ له مُعـرِبُ
فتبقونَ وهى بواقٍ قعـودٌ ما[3] آختلَف الصـبحُ والغيهبُ

* * *

وقال وكتب بها الى أبى الحملات شبيب بن حمّاد بن مَزْيَد، وقد كرّر الرغبةَ اليه فى ذلك، وثقّل بجماعةٍ من الأصدقاء سامهم تنجُّزَ مديحه، وذلك فى شهر ربيع الآخر سنة تسع عشرة وأربعمائة

طَرقتْ على خطَر السُّرَى المركوبِ والليـلُ بين شَبيبةٍ ومَشيبِ
وعلى الرحائل ساجدون دحا[4] بهم سُكْرانِ : سُكْرُ هوًى وسُكْرُ لُغوبِ
دعَموا الخـدودَ بأذرعٍ مضعوفةٍ وتواقعـوا لمناكبٍ وجُنوبِ
وتعـلَّلوا طرَبا إلى أوطانهـم بحنين كلِّ منـدَّب[5] مجلوبِ
فكأنَّ صَحْبى نافختهم قَرقَفٌ[6] أو فزٌّ بينهُـمُ عِيابُ الطِّيبِ
فعجبتُ للزَّورِ القـريبِ دنا به قَـدرٌ وليس مَزارُه بقـريب

(١) الشوامس جمع شامس وهو الفرس يمنع ظهره. (٢) الريّق : أوّل العمر. (٣) هذا الشطر دخل على أوّله "الخرم" وهو ذهاب "الفاء" من "فعولن". (٤) دَحا بهم : رَمَى بهم. (٥) المنَدَّب : الذى به آثار الجروح. (٦) قرقف : من أسماء الخمر، وفزّ : سال وندِىَ.

يَسرِى وحيدا "بالعراق" وأهلُه ... ما بين قُنَّةِ "لَعلَعٍ" و"عَسيبِ"
وأبى سَلامةَ إنما جَلبَ الكرى ... منها عـدوًّا فى ثيـابِ حبيبِ
لو حُكِّمتْ يقظَى لمـا زارت بلا ... عِدَةٍ ولا وصلتْ بغـيرِ رقيب
يا أخت "فِهرٍ" والمحبة بيننـا ... نسبٌ، وإن ناداكِ غيرُ نسيبِ
لولاكِ لم أشِمِ الخلابَ ولا صبتْ ... نفسى لأحلامِ الكرى المكذوبِ
ولكان لى مندوحةٌ "بالحَزْنِ"(١) فى ... أخويك من رشأٍ له وقضيبِ
ناهضتُ حبَّك والنحولُ يخوننى ... وكتمتُ سرّك والدموعُ تَشِى بى
وحَملتُ حتى قيلَ : مات إباؤه ... وجزعتُ حتى قيلَ : غير لبيبِ
فاذا وذلك ليس عنـدكِ نافعـا(٢) ... لمـا مِلتِ وقـلَّ منـك نصيبى
نتجرّمين الذنب تجـزينى به ... والشيبُ والإقلالُ كلُّ ذنوبى
ثِنتان لو خُيِّرتُ فى كلتيهما ... عُمـر الربا مالى وعُمْـر مَشيبى(٣)
ولقد حَبستُ عن اللئامِ مَطامعى ... وأطلتُ فى دار الهـوان مَغيبى
وعزفتُ والأرزاقُ مطمحُ ناظرى ... أَنِفًـا من المتمنِّنِ الموهوبِ
مالى أذلُّ وسيف نصرى فى فمى ... والصونُ بين مآزرى وجيوبى
وعلىّ دون الحاسدين ونَبـلِهم ... دِرعان من فِطَنى ومن تجـريبى

(١) الحزن : اسم موضع .
(٢) يريد "فإذا هـذا وذلك" كقول عبـد الرحمن بن عبد الله أو عبد الله بن عبـد الرحمن بن أبى عمّار المشهور بالقسّ وهو صاحب سلّامة المغنية

باتت تعلّلنا وتحسب أننا * فى ذاك أيقاظ ونحن نيامُ
حتى اذا سطع الضياء لناظر * فاذا وذلك بيننا أحلامُ

وكقول أبى كبير الهذلىّ

فاذا وذلك ليس إلا ذكرُه * وإذا مضَى شىءٌ كأنْ لم يُفعَلِ

(٣) كذا بالأصل رسما وشكلا ولعله :

ثنتان لو خُيِّرت فى كلتيهما * عُمَرَ الرُّبَا مالى وعَزَّ مشيبى

وحمـايةُ الأحرارِ تحفظُ جانبى ... والفضلُ يمنع سارحى وعزيبى

(٤١) وإذا فزعتُ لجأتُ من أَسدٍ إلى ... أَسدٍ تأشَّبَ فى القنا المخضوبِ

ونزلتُ فى غُرفِ العـلا متظلّلا ... بالعـزّ تحت رواقها المضروبِ

وعلِقتُ منهـا ذمّـةً ومـودّةً ... أن فات "حمّادٌ" بحبلِ "شبيبِ"

الماجد آبن الماجدين وربما ... تجدُ النجيبَ وليس بآبن نجيبِ

وآبن القِرى وآبن الصوارم والقنا ... والخيـلُ تَخـلِط أرجلا بسبيبِ

والواهبِي ما لا يُجـاد بمثـلِه ... والسـالبى ما ليس بالمسـلوبِ

والراكبين الى ذوى حاجاتهم ... ظَهرا من الأخطار غير رَكوبِ

جادوا فقال المالُ: سُحْبُ مَواهبٍ ... وسطَوْا فقال الموتُ: أُسدُ حروبِ

وتتابعوا فى المجـد ينتظمونه، ... والرمحُ أُنبـوبٌ على أنبـوبِ

كانوا الأسنةَ فى "مَعَـدٍّ" كلِّها ... والناسُ بين مَعاقِدٍ وكُعوبِ

إن فوخروا شهِدت لهم أيّامهم ... فيـها بكلِّ معـلَّم مكتوبِ

يتوارثون مَكارما مُضَريّةً ... إرثَ النبوّةِ فى بنى "يعقوبِ"

دَرَجوا عليها آخذين بحكمها ... لم يُفسـدوا حسـناتِها بعيوبِ

وجرى أبو الحملاتِ يطلبُ شأوَهم ... أكرِمْ به من لاحقٍ وطلوبِ

قالوا: الهمامُ، فأفرجَتْ أبطالُهم ... لك عن طريق الضيغمِ المرهوبِ

لقبٌ يصدّق فيـك معناه آسمَه ... ومن الرجالِ مُموَّهُ التلقيبِ

لك يا "شبيبُ" صباحَها ورواحَها ... عَقـرُ الكماةِ بها وعَقـرُ النيبِ

وعلى سلاحك أو سماحك أُركِزتْ ... راياتُهـا بفِـنائها المطـلوبِ

أصبحتَ غرّةَ مجـدها فبياضُه ... مستخرَجٌ من لونك الغـربيبِ

وعلامةُ العـربىّ دُهمـةُ وجهه ... ومن الوجوه البيضِ غيرُ حسيبِ

والبدرُ أشرفُ طالعٍ فى أفقه ... وبياضُه المرموقُ فوق شُحوبِ
لله بيتُك أمنُه وجِفانُه ... والحق بين مَخافةٍ وجُدوبِ
ومكرَّماتُ النسلِ تُهوِن (١) فى القِرى ... بالمصطفى منها وبالمجنوبِ
وإذا الوَقودُ خَبَا جعلتَ لحومَها ... حطباً لنارِ الطارق المجلوبِ
من كلِّ مُشرِفةٍ تحدّث هامةً ... وردِيفةٍ (٢) عن "ضحرةٍ" (٣) و"عسيبِ" (٤)
الكُور (٥) فى وضح الصباح لظهرِها ... والسيفُ فى الظلماء للعُرقوبِ
حُدّثتُ والخبرُ الجلىُّ مصدَّقٌ ... عن سيبك المتدفِّقِ المسكوبِ
وشمائلٍ لك فى الندَى مطبوعةٍ ... كالتبر ليس صفاؤه بمشوبِ
وبما عَرفتَ فضائلى ووصفْتَها ... ورغِبتَ فى ودّى وفى تقريبى
فاستاق منك غريبَ أشعارى الى ... متوحِّدٍ فى المكرماتِ غريبِ
فبعثتُها لك فاتحا ما بيننا ... بابَ الوصال ونُهزةَ الترغيبِ
من كلِّ ساريةٍ بذكرك، صيتُها ... فى الأرض بين فدافدٍ وسُهوبِ
تزدادُ صبرا فى الزمان وقوّةً ... أبدا على الإدلاج (٦) والتأويبِ (٧)
وهى التى شَجَبَتِ الملوكَ وخودِعوا ... منها عن المنفوس والمرغوبِ
فاستقربوها مغرَمينَ بها وما ... تزدادُ غير تمنُّحٍ ونُكوبِ
وتفرّدتْ فى ذا الزمانِ بمعجزٍ ... لم تُؤتَ من ردٍّ ومن تكذيبِ
فاعرف لها حقَّ الزياره بغتةً ... وتلقَّها بالأهلِ والترحيبِ

---

(١) تهون : تهين . (٢) يريد : من كلّ مشرفةٍ هامةً وردِيفةٍ أى تابعة لها تحدّث عن ضحرةٍ وعسيبٍ كنايةً عما لهذه النوق من الضخامة والارتفاع حتى صارت تحكى الجبال . (٣) ضحرة : جبل .
(٤) عسيب : جبل باليمن وقد تقدّم . (٥) الكور : الرحل . (٦) الإدلاج : السير بالليل .
(٧) التأويب : السير جميع النهار .

وأكرِمْ عليها تجتلبْ أخواتِها إن الصلاةَ تتمُّ بالتعقيبِ
طلبتك تأملُ أن تنالَ بك الغنى فلئن وفَيْتَ لها فغيرُ عجيبِ

* * *

قال وكتب بها الى الصاحب عميد الحضرة ذى الرتبتين أبى طاهر بن حمّاد ، وقد بلَغه جميلُ ذكرِه به ، وتشوّقُه اليه ، وٱستحسانُه لشعرِه ، وكان قد واصلَه بهدايا يريدُ بها مفاتحتَهُ ، وسفَرَ فى ذلك أبو الحسَن المختار بن عُبَيد الله الذهبىّ لأجل ما كان بينهما من المودّة والصحبة بمكاتبةٍ جامعاً بين الحقّين

٤٣ نظرةٌ منكِ ويومٌ "بالجريبِ"(١) حَسْبُ نفسى من زمانٍ وحبيبِ
فمَن الواقفُ بى بينكما جمعَ الفُوقَ(٢) على سهمٍ مُصيبِ ؟
وقفةً لا أشتكى من بعدِها غُلَّةَ الصدرِ ولا ذلَّ الغريبِ
يا آبنةَ "الجمرةِ"(٣) من "ذى يزَنٍ" فى الصميمِ العِدِّ والبيتِ الرحيبِ
ما لكم — لا أجدبَ اللهُ بكم — يرتعى جاركُمُ غيرَ الخصيبِ ؟
الجدَى يمنعُه ذو جِدةٍ(٤) والجنابُ الرحبُ ينبو بالجُنوبِ
ورماحٌ دون أضيافِكمُ تأخذُ السالمَ فيكم بالمريبِ
أتّقيكم والهوى يقدُمُ بى وأغضُّ الصوتَ والدمعُ يَشِى بى
ومن الشِّقوةِ فى زورتِكم أنّ عينَ الرمحِ من عينِ الرقيبِ
لا يكن آخرَ عهدى بكمُ — يا وُلاةَ القلبِ — ليلاتُ القليبِ(٥)
يا لمَن ينكُص عن غِزلانكم وهو وثّابٌ على الليثِ الغضوبِ

(١) الجريب : اسم واد . (٢) الفوق : موضع الوتر من السهم . (٣) يريد بالجمرة : إحدى جمرات العرب وهى القبيلة لا تنضمّ الى أحد . (٤) الجدة : اليسار والسعة . (٥) القليب : اسم ماء بنجد .

ومتى العزُّ؟ وفى أبياتكم أعينٌ تقهرُ سلطانَ القلوبِ
يا صَبا "نجدٍ" ويا بانَ "الغضا" أُرفُقا بى بالثنِّى والهبوبِ
وآسلما، لا مثلَ ما طاحَ دمى منكما بين نسيمٍ وقضيبِ
قَسمَ البينُ فما عدّل بى غدرةَ الوافى وتبعيدَ القريبِ
وقضى الدهرُ فخالتْ صِبغةٌ عُدَّ ذنبُ الدهرِ فيها من ذنوبى
وفؤادى يشتكى جَورَ النوى وعِذارى يشتكى جَورَ المشيبِ
كم أُدارى عَنَتَ الأيّام فى غَبْنِ حظّى وأُطاطى للخطوبِ؟
وأردّ الحزمَ فى أُفوصِه وهو هافٍ يتنزَّى للوثوبِ
قاعدا والجَدُّ قد رحَّلَ بى والمعالى يتقاضَيْن ركوبى
جِلسةَ الأعزلِ يلوى يَدَهُ وسلاحى بين كُورِى وجَنيبى
أمدحُ المثرِين ظنًّا بهِمُ ربّما يُقمَر بالظنّ الكذوبِ
كلُّ وغدِ الكفِّ منبوذِ الحيا طيِّبِ المحضرِ مسبوبِ المغيبِ
يمنع الرِّفدَ وتلقى وفدَه قِحَةُ البخلِ بإدلالِ الوهوبِ
يطلبُ المدحَ لِأن يفضحَهُ وهو قبلَ المدحِ مستورُ العيوبِ
قلتُ للا مال فيه — كَذَبَتْ أُمُّهُ — : إن كنتِ آمالى فخيبى
جَلَبُ الأرضِ عريضٌ دونه وسُرَى العيسِ وإدمانُ اللّغوبِ
وغلامٌ آخذٌ ما طلبتْ نفسُه أو فائتٌ كلَّ طلوبِ
يقمحُ(١) الضيمَ ولو أبصرهُ ليلةَ العِشرِ على الماءِ الشَّروبِ
ما أذلَّ الخصبَ فى دارِ الأذى وألذَّ العزَّ فى دار الجُدوبِ
يا بنى كلِّ نعيمٍ ضاحكٍ فى حِمى وجهٍ من اللؤمِ قَطوبِ

(١) يقال : قمح البعيرُ اذا رفع رأسه عن الشرب كارها له .

قد ملناكم على شارتكم (١) ويضيقُ الصدرُ فى البيتِ الرحيبِ
وعسى الدنيا التى أدَّتكُمُ تصطفينا من بنيها بنجيبِ
ماجدِ الشيمةِ سهلٍ، ليلُه للقِرَى، صبٌّ إلى الحمدِ طَروبِ
يكسِبُ المالَ لأن يُتلِفهُ والعلا فى يدِ متلافٍ كَسوبِ
تَخبُث الأيدى وفى راحتِهِ من نداه أرجُ المَشتَا المَطيبِ
كابنِ "حمّادٍ" ولا مثلَ له هل ترى للبدر فرداً من ضريبِ
جاذبَ الرُّوَّاضَ عن مِقودِهِ (٢) مِرِسٍّ تُنكِرُهُ كفُّ الجَذيبِ
ودعا الناسَ الى تسويدِهِ واسعُ الجمرةِ وهّاجُ الثُّقوبِ
أين يا سائقَها؟ أين بها؟ (٣) جعجعِ الآمال فى غيرِ عزيبِ
جَمَعَ "الصاحبُ" من أطرافها (٤) وفى حيْرَى الطُّرقِ عَمياءِ النُّكوبِ
ضمَّها بالرأيِ حتى ٱلتأمتْ (٥) شُلَّتاها من شُذوذٍ وشذوبِ
ويدٍ — لا تربتْ تلك يدًا — (٦) رِبقةِ الجانى وفكِّ (٧) المستنيبِ
سلَّتِ الدولةُ منه صارما شرِقَ الصفحةِ ظمآنَ الغُروبِ
طَبعَ الأقبالُ من جوهرِهِ زُبْرةً تقدحُ نيرانَ الحروبِ
لو أطاعته يدٌ حاملةٌ لم تُكذِّبْ ظبتاهُ عن ضَريبِ
جرَّبوه ماضيا حيثُ مضى صادعَ الوحيِ ومحتومَ الغيوبِ (٤٣)
قَلِقًا، يَنفِى الكرى عن وجهِهِ علمُه أنَّ المعالى فى الهبوبِ
أَلْمعِيًّا سوّدته نفسُهُ والمساعى قبلَ تسويدِ الشعوبِ

---

(١) الشارة : الحسن والزينة، وفى الأصل : "شاربكم" وهو تحريف . (٢) المرس : ذو المراس والشدة . (٣) جعجع : أنِخْ . (٤) الوفى : ما شرف من الأرض . (٥) الشلة : البعيد تطلبه . (٦) الربقة : العروة فى الحبل يشدّ به البَهْم . (٧) فى الأصل المستثيب .

قدّمتْـهُ صاعدا عن قومِهِ ... مَصْعَدَ اللّهذمِ(١) قُدّامَ الكعوبِ
هَبَبوا منه بليثٍ فى الوغى ... قرِمِ(٢) الأظفارِ مشتاقِ النّيوبِ
خيرِ من خَبَّتْ(٣) له أو وَخَدتْ ... للجدَى ذاتُ سَنامٍ وسَبيبِ
يأخذُ الحاجاتِ من حيثُ غلتْ ... غيرَ معذولٍ على حبِّ الغُصوبِ
تحسَبُ الغابةَ مما أجترّهُ ... حومةً بين عَقيرٍ وتريبِ
ماضيا لم يثنِهِ عن قصدِهِ ... هجمةُ الليلِ ولا طولُ الدؤوبِ
جَمَعَ الجودَ الى البأسِ كما ... شعشعَتْ نارٌ بماءٍ فى قضيبِ
راحةٌ لم يَعلَقِ البخلُ بها ... وفؤادٌ لم يُسفَّهْ بالوجيبِ
ولسانٌ يخصِمُ السيفَ به ... يترك الفارسَ عبدا للخطيب
مَنْ رسولٌ سَعِدتْ رحلتُهُ ... — يومَ أدعوهُ بلبّيْكَ — مجيبى ؟
ناصحُ الجيبِ بما حمّلتُهُ ... حيثُ يَخشَى مُرسِلٌ غشَّ الجيوبِ
لم أكلّفهُ سُرى البيدِ ولم ... أتعسّفْه بأخطارِ السُّهوبِ
عيسُه(٤)، ملمومةٌ(٥) يركب منها ... مطمئنا ظهرَ مِذلالٍ رَكوبِ
تقسِمُ الماءَ بباعٍ مطلَقٍ ... وفقارٍ(٦) مُرسَلِ(٧) الحبلِ سَروبِ
صعبةُ الخلقةِ سهلٌ أرضها ... فهو بين اللينِ منها والصَّليبِ
ساريا ليستْ عليه خيفةٌ ... ما وقاه اللهُ سَوْراتِ الجَنوبِ
قل لنوتيِّك : شَرِّعْ آمنا ... حَدَثَ التيّارِ والموجِ العصيبِ
رِد بها "ميسانَ" واحبسها على الـ ... ـمَعقِلِ الممنوعِ والوادى العشيبِ

(١) اللهذم : القاطع من الاسنة . (٢) القرِمُ . ذو الشوق وأصله من القَرْم وهو شدّة الشهوة الى الطعام وكثر حتى قيل فى الشوق . (٣) فى الأصل "حنت" . (٤) ملمومة : مستديرة ويريد بها السفينة . (٥) كذا بالأصل ولعله قد ردّ هذا الشطر من "فاعان" الى "فاعلاتن" وفى النسخة المطبوعة "يركبها" . (٦) الفقار : ما انتضد من عظام الظهر . (٧) فى الاصل "الخيل" وهو تحريف .

فاذا ضـاقت فعـلّقها "أَبَا" طاهرٍ" تَعلَقْ بفرّاجِ الـكروبِ
والى ذى الرتبتيْن آبتـدرتْ فُرصُ المجـدِ وحاجاتُ الأريبِ
قل له عَنّى : حيَّتـك العُـلا بوكيفٍ من حَيَا الشكرِ صَبيبِ
وسَقَى عِرضَك ـ ما آستسقيتَه ـ بارقٌ من مِدَحى غـيرُ خَلوبِ
ترفُلُ الأحسـابُ فى روضـتِهِ مَرفَلَ الغـادةِ فى البُرْدِ القشيبِ
خيرُ ما آستثمرَ من غَرس الندَى وآجتنَى من غُصُنِ الجودِ الرطيبِ
وبذلتَ الوفْـرَ حتى آبتعتَـهُ هَمَّ آدابك من حُسنٍ وطِيبِ
جاءنى أنّـك مشـعوفٌ به شَعَفَ العذرىّ (١) بالخشفِ الربيبِ
راغباً أن تصْطَفَى من جِدّه والفكاهاتِ بمـدحٍ أو نسيبِ
وتُحَلَّى منـه عِقـدا ، باقيـا نخـرُهُ فى كلِّ جِيـدٍ وتريبِ
قلتُ : فضلٌ عَجَبٌ من دهرنا وهـو من فاعله غيرُ عجيبِ
ما تبالى حين تَستامُ العلا أخطيبُ الشمسِ أم أنتَ خطيبى
أَنَا من يُعطيـك مجـدا حاضرا ويُبَقّى لك مجـدا فى العَقيبِ
لا كقولٍ يطرد "الساقى" (٢) به جذوةً تخمـدُ من قبـلِ اللهيبِ
كم يُمَنّينى عـلى سلطانِهـا نفْسَ مَرجُوٍّ ومَخشِىٍّ مَهيبِ
وآبتغَى بالمـالِ أن يشرِيَنى فترفَّعْتُ فطارتْ عفَّـتى بى
لكن آشتقتُ وقـد سُمِّيتَ لى بسماتِ الفضلِ والجودِ الغريبِ
فافـترعْ خيرَ هَـدِىٍّ (٣) وأَثِبْ خيرَ ما جادت به نفسُ مُثيبِ
واذا صرتَ نصـيبى منهُـمُ فقد آستوفيتُ من دهرى نصيبى

(١) الخشف مثلثة : ولد الظبى . (٢) لعله آسم شخص يعنيه . (٣) الهدىّ : العروس .

* * *

وقال وقد اتفق بُعدُ وزير الوزراء عميد الدولة أبى سعدٍ ونزوله "أوانا"[1]، مستوحشا من سببٍ خافه ببغداد، وظهور التأسُّف ممّن فيها على بُعده، وتلوُّح قُرب عَوده، فكتب اليه يبشّره بذلك، ويذكُر صحّةَ تفاؤله بالسلامة فى مثله، وأنفذها الى "أوانا" فى النَّيروز

(٤٤)

نرقُّ، وتقسو "بالغوير" قلوبُ ... ونَسألُ سكّانَ "الغضا" ونُجيبُ[2]

وتهفو على "ذاتِ النقا" بحلومنا ... وجوهٌ تُريحُ الوجدَ وهو عزيبُ[3]

وقفنا ومنّا رابطٌ جأشَ قلبِهِ ... بريءٌ ومحلولُ العزاءِ مريبُ

تَجاذَبُنا أيدى الحميّةِ والهوى ... ونأبى على الأشواقِ ثمّ نُجيبُ

نغالطُ ألحاظَ المها عن قلوبنا ... و"بالرمل" قارىٌّ[4] السهامِ مُصيبُ

اذا أخفقَ القنّاصُ راح بكل ما ... يَرَى مُطعِمٌ للصيد منه كسوبُ

قَضَى من دماءٍ ما استحلَّ وحلّقتْ ... به نيّةٌ[5] ـ عما أشاط ـ شَعوبُ[6]

فما هو بعد "النّعفِ"[7] إلا عُلالةٌ ... أحاديثُ نفسٍ تفترى وتحوبُ

تَسرُّك منها ـ والدجَى فى قميصه ـ ... زخارفُ يحلو زُورُها ويطيبُ

فتطرَبُ والشادِى بها سامرُ المنى ... وتشربُ ما يَسقِى وجفنُك كُوبُ

حمى الله عينا من قَذاها على الحِمى ... تجِفُّ[8] ضروعُ المزنِ وهى حَلوبُ

---

(١) أوانا : اسم بليدة . (٢) هذا البيت ورد فى الأصل هكذا رسما وشكلا :

"تَرَقُّ وتقسو بالغُوير قلوبُ * ويُسأَلُ سكان الغضا ويُجيبُ"

ولمّا لم نوفّق الى معنى نطمئنّ اليه اضطررنا الى تصحيفه . (٣) فى الأصل "غريب" وهو تحريف .

(٤) القارىّ : نسبة الى قبيلة اسمها "القارة" وهم رماة ومنه المثل "أنصف القارةَ من راماها" .

(٥) عما أشاط : عما عرّضه للقتل . (٦) شعوب : متشعبة . (٧) النعف : اسم بلدة .

(٨) فى الأصل "تخفّ" وهو تحريف .

اذا قلتُ : أفنى البرق جَمَّـةَ مائهـا ... مراها مرورُ البرقِ وهى جَنوبُ

بكت وغديرُ الحىّ طامٍ فأصبحت ... عليـــه المطايا الحائماتُ تلوبُ[1]

وما خلتُ قبـلى أنّ عينا ركيّةٌ ... ولا أنّ مِلح الماقِيَيْنِ[2] شَروبُ !

وليلةَ "ذاتِ البانِ" ساهرتُ طالعا ... من النجم لم يُكتَبْ عليـه غروبُ

أسائلُ عن نومى وضـوءِ صباحها ... وأعيا ، فأىّ الغائبين يؤوبُ ؟

سَرتْ تخبط الوادى الىّ وصُحبتى : ... طريحٌ عـلى أقتابِهِ وكئيبُ

أناخوا الى تعريسـةٍ[3] قلّ عُمرُها ... فما هى إلا خَفقةٌ وهبـوبُ

فللريحِ منهـم أعينٌ ومسامعٌ ... وللـترب منهـم أذرعٌ وجُنوبُ

فزارت فحيّت مِسكا بفـؤادِهِ ... له نازعٌ من شوقه وجَـذيبُ

فيا لك باقى ليـلةٍ لو تخلّصتْ ... من الغِشّ يُقذِى صفوها ويشوبُ

ولكن نهانى الخوفُ : قم أنت مدركٌ ، ... وصاحَ الظلامُ : الصبحُ منك قريبُ

ولم أدرِ أنّ القربَ عينٌ حفيظةٌ ... علىّ ولا أنّ الوصـالَ رقيبُ

يخوّفنى عضّ الزمان ، ومنكبى ... رَديدٌ على حملِ الزمانِ جليبُ

تعـودتُهُ لا خاضـعا لخطوبه ... وكيف وكلُّ العيش فيـه خطوبُ ؟

وكم غمـزةٍ فى جانبى لم أقل لها : ... أَلِمتِ ، وجُرحى ـ لو شكوتُ ـ رغيبُ

تعـمّق فيها مُخلِبا ومُنيِّبا[4] ... وأقلعَ والنبـعُ[5] الأصمُّ صليبُ

وهل أتغطّى منـه خوفا وموئلى ... جنـابٌ منيعٌ للوزير رحيبُ ؟

ودونِىَ منه إن مشى نحوِىَ الأذى ... طِـرابٌ تدمّى الناعلاتِ ولُوبُ

---

(١) تلوب : تحوم حول الماء من العطش ، ومنه : إبل لُوبٌ . (٢) الماق : مجرى الدمع من العين أو طرفها من جهة الأنف . (٣) التعريسة : الاستراحة فى آخر الليل . (٤) أى باحثا بمخلبه ونابه . (٥) النبع : شجر تعمل منه الرماح .

وحصداءُ[1] من نُعماه، كلُّ مسدَّدٍ ... له حيدُ عن سَردها ونُكوبُ
حمانى من الأيّام أروعُ لو حمَى ... شبابِيَ لم يُقدِمْ عليه مَشيبُ
رعَى "شرفُ الدين" العلا برعايتى ... فما شَمَّ ريحا حول سرحِيَ ذيبُ
أثرْ بُزلَها[2] يا طالبَ المجدِ والغنى ... وخاطِرْ بها فالبُنُ الخطارِ نجيبُ
وطرِّقْ هواديها الجبالَ وخلِّها ... تجوبُ مع الظلماءِ حيث تجوبُ
تقدَّمْ بها فالسعدُ بالمرءِ مقبِلٌ ... ولا تتهيَّبْ فالشقاءُ هَيوبُ
أقِمْ بابنى "عبد الرحيم" صدورَها ... اذا حطَّ منها أو أمالَ لُغوبُ
وغنِّ بهم أسماعَها إن حدوتَها ... تحِنّ اذا حنَّت لتطرَبَ نِيبُ
ففى العيس قلبٌ مثلُ قلبك ماجدٌ ... وسمعٌ الى ذكرِ الكرام طروبُ
تيمَّمْ أعالى "دِجلةٍ" فأنِخْ "شامةً"[3] ... بحيثُ تَبُلُّ العيشَ وهو جديبُ
وناصِ بها[4] فرعَ "الدُّجَيلِ" فعندَه ... مَرادٌ يعمُّ الرائدين عَشيبُ
وقلْ "لعميد الدولة": آسمعْ فإنها ... مَلاحمُ إن فتَّشتها وخُطوبُ
لحظتَ ذَرا أعجازها من صدورها ... وبعضُ ظنونِ الألمعيِّ غيوبُ
وداويتَها بالرأى حتى كفيتَها ... وما كلُّ آراءِ الرجالِ طبيبُ
عجِلتَ لها مستأنيا ما وراءها ... وللأمرِ بادٍ ظاهرٌ وعَقيبُ
خلَصتَ خلوص التبرِ منها مسلَّما، ... عليك وميضٌ صادعٌ ولهيبُ
وقالوا خِطاءً: مسرعا متعجلا، ... وقد يتأنَّى فى الأمور طَلوبُ
وأهونَ بالتغريرِ فيها كأنه ... بجِدّ الخطوبِ المثقلاتِ لَعوبُ
وما علموا أنَّ السهامَ مَوارقٌ ... ولا أنّ خَطْواتِ الأسودِ وُثوبُ

(١) الحصداء: الدرع المحكمة. (٢) البزل جمع بازل وهو الجمل المسنّ. (٣) دجلة وشامة: اسما نهر وجبل. (٤) يقال: ناصاه: أخذ كل منهما بناصية صاحبه والدجيل: شِعب فى بغداد.

سهرتَ ونامَ الغِمر عما رأيتَـــهُ ففـزتَ، وطرفُ الألمعيِّ رَقوبُ
كأنَّ لك اليـومَ المنعَّمَ صبحةً[1] ويومُ الحريصِ المستغرّ عصيبُ
وقالوا: طَوَى "بغدادَ" بغضا وسلوةً و"بغـــدادُ" مغنًى للحياة خصيبُ
وظنُّوك إذ فارقتها أنَّ قلبَها ـ على قلة الإعراضِ عنك ـ يَطيبُ
وقد تظعنُ الأشخاصُ والحبُّ قاطنٌ ويكثر هجـرُ البيتِ وهو حبيبُ
وما الملكُ إلا جَنَّـــةٌ عمّ نورها ومـذ غبتَ عنها سُهمةٌ وشحوبُ
فكيف غدت شلاء[2]! لا بدمِ العدا ولا بعطارِ الغانياتِ خضيبُ!
بكى وحشـةً وهو المغيضُ دموعَهُ وأنَّ لحَرِّ الجُـرحِ وهو ضريبُ
وكنتَ له وجها ضحوكا فبِشرُهُ عُبوسٌ — وقد فارقته — وقُطوبُ
يُوَرِّي[3] حياءً والنـــدامةُ غُصـــةٌ لها خَدشةٌ في صـــدره ونُدوبُ
الى ماجدٍ في صـــدره قمرُ الدجى اذا تمَّ، راضٍ والهزبرُ غَضوبُ
تُقبِّلُ منـــه راحةٌ تقتلُ الصدَى تَعـلَّمَ منها المزنُ كيف يصوبُ
رسَتْ في الندَى حتى آستقرَّت عروقُها من البحرِ، والعرقُ الكريمُ لَصوبُ[4]
يدٌ، تعجبُ الأقلام من أُنسِ سيفِه بهـا، وهـو فيما بينهنَّ غريبُ
اذا آختصموا، قالت: تأخَّرْ، فإنما لنا السـبقُ، فآتبعنا وأنت جنيبُ
فيأبَى له الحـــدُّ المصمِّم أنه يؤخَّرُ والأقـــلامُ عنـــه تنوبُ
وتجـــرِي هَناتٌ بينهنّ وبينـــه يُحكِّمُ فيها فارسٌ وخطيبُ
فيجعـــلُ للأقلام فيها نصيبَها بحقٍّ، وللسـيفِ الحسامِ نصيبُ
وقد زعموا أنَّ الحجا متكهِّلٌ وأنّ رجالاتِ السيادةِ شِيبُ

(١) الصبحة: نوم الغداة. (٢) شلاء: متعطِّلة الكفّ. (٣) يورَّى: يتّقد.
(٤) اللصوب: الناشب اللاصق.

فلله منك المنتهى فى اقتبالهِ ... ومَنْ رَبَّ أمرَ الناس وهو ربيبُ
ومَنْ بسقَتْ أغصانُه فتفرَّعتْ ... على الشجرِ العادى[1] وهو قضيبُ
ولا تُبلِ أثوابَ الوزارةِ بعدما ... كستك بها الأيّام وهى سليبُ
تَقمَّصَها قومٌ وما خُلِقتْ لهم ... فهانوا، ومن بعضِ الجَمالِ عيوبُ
أنتك فصار الرقُّ فى يدِ مالكٍ ... وقد دنَّستها بذلةٌ وغُصوبُ
وسالَمَ معناها بسوددِك اسمَها ... وبينهما فى آخرين حروبُ
تَنافَى بيوتُ معشرٍ وبيوتُها ... وأنت لها فى جانبيك نسيبُ
فما بيت "إسماعيلَ" عنها بنازحٍ ... ولا أنّ بها "عبدُ الرحيم" غريبُ
فلو هبَّ مَيْتٌ من كراه فقام أو ... تطلَّعَ مرموسُ[2] الجبين تريبُ[3]
لَقرّتْ عيونٌ أو لسُرَّتْ مَضاجِعٌ ... بأنّك ميراثٌ لها وعقيبُ
إذنْ لرأت منك الذى الشمسُ لا تَرَى ... بأنجمها فى الأفق حين تغيبُ
نَشرتَ لهم فخرا يعيشُ حديثُهُ ... ويخلُقُ[4] عمرُ الدهر وهو قشيبُ
لئن عَمَّ شرٌّ أو أُسِرَّتْ ضَغائنٌ ... ببغيٍ، فإنّ الله عنك حسيبُ
وقد علمتْ نجوَى رُقاك عقاربٌ ... لها نحوكم تحت الظلام دبيبُ
ولم تك إلا هفوةً واستقالها الـ ... ـزمانُ وذَنبا وهو منه يتوبُ
ولا بدَّ للإقبال من يومِ عَودةٍ ... تدافعُ عنه العينُ حين تصيبُ
وكم رافعٍ لى بالعداوةِ صوتَهُ ... يُهبِهُ فى إيعادِهِ ويُهيبُ!
قوياً على ظلمى بسيفِ عدوّكم ... وعهدى به بالأمس وهو يخيبُ
يُظنّ ـ وحاشاكم ـ عُراى تقطّعتْ ... وأنّى أخيذٌ[5] والزمان طليبُ

(١) العادىّ : القديم . (٢) المرموس : المدفون فى الرمس . (٣) التريب : المعفّر بالتراب . (٤) يخلق : يبلَى . (٥) الأخيذ : الأسير .

وأنَّ قناتِى بعدكم ستُلينُها ... ضُروسٌ له مـذروبةٌ ونُيـوبُ

ولم يدرِ أنّ "الشامَ" لو حالَ دونكم ... وزيّلتُـهُ(١) عنكم لكنتُ أصـيبُ

فقلتُ : لفيكَ الترْبُ أو فوقك الحصَى ... تغيبُ أُسـودُ الغابِ ثمّ تؤوبُ

غدًا تُطلِـعُ الراياتُ ـ والنصرُ تحتها ـ ... كتيباً يولّيـهِ النجاحَ كتيبُ(٢)

٤٦ تَرَى المجدَ فى أطرافها خافقَ الحشا ... سرورا بما ضمَّت وأنتَ كئيبُ

و"بغـدادُ" طلقٌ وجهُها متبسّمٌ ... ولِلمُلكِ من بعـد الخمودِ شُـبوبُ

بشائرُ، لى فى مثلِهنَّ مواقفٌ ... أصدَّق فيها والزمانُ كذوبُ

مجـرَّبةٌ فيكم كأنَّ عيونَهـا ... لها خلفَ أستارِ الغيوبِ ثُقوبُ

تمـرّ لكم طـيرى يمينا بزجرها ... على مَشهدٍ منى وحين أغيبُ

نشـدتُكُم باللهِ كيف رأيتُمُ ... مَناجحَهـا(٣)، والعـائفات تخيبُ(٤)

فقولوا : نعَمْ وُفِّقتَ، وٱرعوا ذِمامَها ... غدًا، وغـدٌ للناظرين قريبُ

بكم يابنى "عبد الكريم"(٥) أنجلَى القذَى ... وأصـبحَ وعرُ الجودِ وهو لحيبُ(٦)

اذا أجدبتْ أرضى وسُدَّتْ مَواردى ... فعنـدكُمُ لى روضـةٌ وقليبُ

ولما رأيتُ الحبَّ فى الهزلِ(٧) سُـنَّةً ... عشقتكُمُ، والعاشقون ضُروبُ

فمَن يُعطِ منكم طالبا فوق حقّهِ ... فحـقِّ دَينٌ لازمٌ ووُجـوبُ

فـلا قَلَصتْ عنى سحائبُ ظلّكم ... فمنهـا مُرِذٌّ(٨) تارة وسَحُوبُ

---

(١) فى الاصـل : زلّيتُه ولم نعثر على هـذه الكلمة فى كتب اللغة ولعلها محرفة عن "زيّلتُـه" .

(٢) الكتيب : الفرقة من الجيش . (٣) العائفات : الزاجرات للطير . (٤) فى الأصل : "تجيب" ولعله تحريف . (٥) كذا بالأصل ولعله "عبد الرحيم" كما يعيّنه قوله قبل ذلك فى نفس هذه القصيدة * أقم يبنى "عبد الرحيم" صدورها *
وقد ورد ذكره لهـذا الاسم فى عدة قصائد . (٦) اللحيب : الواضح . (٧) الهزل : الافتقار والضيق . (٨) المرذّ : السحاب الذى يهمى بالرذاذ وهو المطر الضعيف .

ولا عـدِمَتكم نعمةٌ خُلقتْ لكم ودنيا لكم فيها الحياة تطيبُ
يزوركُم النَّيروز مقتبَلَ الصِّبا وقد دبَّ فى رأس الزمان مشيبُ
تصوّح أغصانُ الأعادى وغصنكم من السعد ريَّانُ النباتِ رطيبُ
دعاءٌ حيالى فيه ألفُ مؤمِّنٍ(١) تَوافقُ منهم ألسنٌ وقلوبُ

* * *

وقال وكتب بها الى أبى الحملات شبيب بن حمّاد بن مَزْيَد ، يعاتبه على تأخير رسمه ، وتغافلِهِ عن مقابلة قصائدَ أنفذها الى حضرته ، وذلك فى شعبان سنة عشرين وأربعمائة

ألا مَن مبلغٌ "أسدا" رسولا متى شهِدَ الندىَّ فما أغيبُ
وعوفٌ منهمُ أربى ، "فعوفٌ" عيونُ "خُزَيمةٍ"، وهم القلوبُ
أفرسانَ الصباح اذا اقشعرّتْ من الفزعِ السنابك والسبيبُ(٢)
وضاق مَخارجُ الأنفاسِ حتّى تُفرَّجَ عن سيوفكم الكروبُ
ويا أيدى الحيا والعامُ جدبٌ ووجهُ الأرض مغبرٌّ قَطوبُ
مَجازرُ تُفهق(٣) الجفَناتُ منها ونارُ قِرًى شرارتُها لهيبُ
اذا جَمدَ الضيوفُ تكفَّلتهم لها فِلَذٌ وأسنمةٌ تذوبُ
ويا أقمارَ "عدنانٍ" وجوها يشِفُّ على وَضاءتها الشحوبُ
أصيخوا لى فلى مَعكم حديثٌ عجيبٌ يوم أنشوه(٤) غريبُ
متى أنصفتُمُ فالحقُّ فيه عليكم واضحٌ لى والوجوبُ
وإن أعرضتُمُ ورضيتموهُ فإنّ المجدَ ممتعِضٌ غَضوبُ

(١) فى الأصل "ممّين" . (٢) السنبك : طرف الحافر . (٣) تُفهق : تُملأ .
(٤) أنشوه : أشيعه وأحدّث به .

حديثٌ لو تلوه على "زهيرٍ" غدا من مدحه "هَرِماً" يتوبُ
بأىّ حكومةٍ وبأىّ عـــدلٍ أُصابُ من القريض ولا أُصيبُ ؟
وكم أعراضكم تزكو بمـدحى وتنجحُ والمنى فيكم تخيبُ !
تردُّونَ الغُصـوبَ بكلّ أرضٍ وتوجَـدُ فى بيوتكم الغُصوبُ !
وتحمون البلادَ وفى ذراكم حريمُ الشِّـعرِ منتهَكٌ سليبُ !
وعنـدكُمُ لكلِّ طريدِ قومٍ جِوارٌ مانعٌ وقِـرًى رحيبُ !
وأبكارٌ وعُونٌ من ثنائى عجائفُ، عيشُها فيكم جديبُ !
محبَّبـةٌ اذا رُوِيَتْ فإمّا طلبتُ مهورهنَّ فلا حبيبُ
اذا أحسنتُ فى قولٍ أُساءُ الـ ـفعـالَ كأنّ إحسانى ذنوبُ
أجرُّ المَطْلَ عاما بعـد عامٍ مَواعـدَ برقُها أبدًا خـلوبُ
ويا لَلنَّاسِ أَسلُبُ كلَّ حَيٍّ كرائمَهُ ويسلبنى "شَبيبُ" !
أمدُّ اليـه أرشيةَ[1] المعالى فيعطِشُنى وراحتُـه القَليبُ
وأُلبسُـه ثيابَ المدحِ فخرا فيُمسِكُ لا يُجيبُ ولا يُهيبُ
ويسمحُ خاطرى فيـه ٱبتداءً ويمنعُ وهـو بذّالٌ وهوبُ
ولم نَعرِفْ غلاما "مَزْيَدِيًّا" يناديه السماحُ فـلا يُجيبُ
ولو ناديتُ من كَثَبٍ "عليًّا" تدفّق ذلك الغيثُ السَّكوبُ
وَمنَّ على عوائده القُـدَامَى مُضِىَّ الريح جدَّ به الهُبوبُ
ولو "حمّادُ"[2] يزقو لى صداه لَأُكرِمَ ذلك الجسـدُ التريبُ
أُصولكُمُ وأجدرُ إذ شهدتم مقـامَ علائهـم ألّا يغيبوا
فما لك يا "شبيبُ" ـ خَلاكَ ذمٌّ ـ تَجِفُّ وعندك الضَّرعُ الحلوبُ ؟

(١) فى الأصل "أرسنة" . (٢) يزقو : يصيح .

وما لحـــريدةٍ خفيتْ لديكم تكادُ عـــلى طُفولتها تشيبُ
محلَّلة النكاح بلا صَـــداقٍ وذلك عنـــدكم إثمٌ وحُوبُ
يَطيبُ الشيءُ مرتخَصا مباحا ومُرتخَصُ المدائح لا يطيبُ
فأين حياءُ وجهِك يوم تُحدَى بها فى وصفك الإبلُ اللُّغوبُ ؟
وأين حياء وجهك فى البوادى اذا غنَّى بها الشادى الطروبُ ؟
وكيف تقول: هذا وصفُ مجدِى فلا أُجدِى عليـــه ولا أُثيبُ ؟
وكم نَشَزتْ(١) على قومٍ سواكم فلم يعلَقْ بها الرجلُ الطَّلوبُ
وراودنى ملوكُ النـاس عنها وكلٌّ باذلٌ فيها خطيبُ
فلم يُكشَفْ لها وجهٌ مباحٌ ولم يُعرَفْ لها ظهرٌ ركوبُ
فلا يَغرُرْك منها مَسُّ صِـلٍّ يلين وتحت هَـدْأته وُثوبُ
أخافُ بأن يعاجِلَنى فيطغَى فتُصـــبح(٢) بالذى تُثنِى تَعيبُ
وتَشرُدَ عنكُمُ متظلِّماتٍ وتبغون الإياب فلا تؤوبُ

* * *

وقال وكتب بها الى عميد الرؤساء أبى طالب بن أيّوب، وقد استقرت له وزارةُ الإمام القادر بالله رضوان الله عليه مكانَ أبى الحسن بن حاجب النعمان، يذكر ذلك ويهنّئه بالنَّيروز الواقع فى شهر ربيع الاول سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة

جاء بها ــ والخيرُ مجلوبُ ــ طيفٌ على الوَحـــدةِ مصحوبُ
طوى الفـــلا يركب أشواقَه والشـوقُ فى الأخطار مركوبُ
ساعةَ لا مَسرَى عـــلى شقّةٍ تَعيا بها الـــبُزْلُ المصاعيبُ
يرغبُ فى الظلماءِ مستأنسا وجانبُ الظلماءِ مرهـــوبُ

(١) نشزت : امتنعت، وفى الأصل "نشرت" وهو تحريف (٢) أى فتصبح قصائده .

أحسنَ بى حتى تخيّلتُه أصدقَ شيءٍ وهو مكذوبُ
أنّى تسدّيتَ لنا "باللّوى" "وصارةٌ" دارك "فاللُّوبُ"(١)
وبيننا عَمياءُ من أرضكم دليلُها أبلَهُ مسلوبُ
لا يهتدى الذئبُ الى رزقِه فيها ولو شَمَّ بها الذيبُ
فزرتَ شُعْثًا طاف ساقى الكرى عليهمُ والطاسُ والكوبُ
فما تدلّى النجمُ حتى ٱلتوى مماكسٌ(٢) منهم وشِرّيبُ
بِتُّ ورحلى بكِ رَيحانةٌ نمَّ عليها الحسنُ والطيبُ
كأنما ذيلُ الصَّبا فوقها بالقَطرِ أو ذيلُكِ مسحوبُ
يا ٱبنةَ قومٍ وجَدوا ثأرَهم عندى بها والثأرُ مطلوبُ
لولاكِ — والأيّام دوّالةٌ — ما ٱستعبَدَ الفُرسَ الأعاريبُ
أراجعٌ لى بضمانِ المنَى "ملحوبُ" أو ما ضمّ "ملحوبُ"(٣)؟
وصالحاتٍ من ليالى الحِمى ما شابَها إثم ولا حُوبُ
لهوىَ نُسكٌ ووجوهُ الدمى تحت دجاها لى محاريبُ
وذاهلٍ عابَ حنينى لها ولم يعِبْ أنْ حنّتِ النيبُ
قال: سَفاهٌ ذكرُ ما قد مضى وظَنَّ أنَّ اللومَ تأديبُ
ما لكَ؟ لا أحببتَ إلا ومِن فوقك سوطُ العذلِ مصبوبُ
إنْ أَبْكِ أمرا بعد ما فاتنى فقد بكى قبلِىَ "يعقوبُ"
وأنكرَ الصبوةَ من شائبٍ حتى كأنْ ما صبتِ الشّيبُ!
وهل عَدَتنى شيبةٌ فى الحشا إذ مَفرِقى أسودُ غِربيبُ

(١) اللوب وما قبلها: أسماء مواضع. (٢) المماكس: المشاكس. (٣) ملحوب: اسم موضع.

لا لاقطٌ فيها ولا خاضبٌ ... والشَّيبُ ملقوطٌ ومخضوبُ

يَغلبُ فيها الحبُّ أمرَ النُّهى ... والحزمُ بالأهواءِ مغلوبُ

أَمَا تقنَّعتَ بها رثَّةً ... لابسُها عُريانُ مسلوبُ؟

تلاقتِ الأوجهُ مَقتاً لها ... عنِّى فمُزورٌّ(١) ومقطوبُ

ناصعةٌ فى العين لكنّها ... تُبغَضُ، والناصعُ محبوبُ

فقد أراها وضيا وجهها ... لى شَرَكٌ فى البيضِ منصوبُ

أيّامَ فى قوسِ الصِّبا مَنزَعٌ ... ونَبلُهُ المكنونُ مَنكوبُ

وقد أزورُ الحىَّ مُستَقبِلاً، ... لى منهُ تأهيلٌ وترحيبُ

وأَغشِمُ(٢) البيتَ بلا آذنٍ ... وهو على الأقمارِ مضروبُ

وأَشهَدُ النادى، فمستعبَدُ الـ ... ـسمعِ بآياتى ومخلوب

ومُوصَدُ الأبوابِ ناديتُهُ ... حتى بدا لِى وهو محجوبُ

خادعتُ من سلطانِه صخرةً ... فانبَجَستْ(٣) لى وهْى شُؤبوبُ

ورحتُ عنه والذى يَملكُ الـ ... ـمملوكُ والغاصبُ مغصوبُ

فاليومَ إنْ صرتُ الى ما ترَى ... فهْى الليالِى والأعاجيبُ

آنسنى بالعُدمِ توفيرُه ... عِرضِى وأنَّ المالَ موهوبُ

---

(١) المزورّ: المائل بجنبه، والمقطوب الذى به عبوس. (٢) أغشم البيت: أدخله غصبا، وفى الأصل "أعشم" وهو تحريف، وقد شككنا فى صحة هذه الكلمة حتى أكدها قوله فى هذه القصيدة

ما هجمتْ غَشْمًا ولا ضره ... تدرُّجٌ فيها وترتيبُ

وقوله فى قصيدة أخرى

تَعلَقُ بالآذانِ موصولةً ... غَشْما بلا إذنٍ ولا حاجبِ

(٣) انبجست: تفجّرت.

جرَّبتُ قـوما فتجنَّبتُهـم ورُسُـلُ العـقلِ التجاريبُ
وزادنى خُـبراً بمن أتَّـقِى أنّى بمـن آمنُ منكوبُ
قل لأخى الحِرص : آسترحْ إنما حَظُّـكَ إدلاجٌ وتأويبُ
اذا الحظوظ آنصرفتْ جانبا لم يُغنِ تصـعيدٌ وتصـويبُ
مالكَ تحتَ الهُونِ مسترزقا ؟ وإنما رزقُـك مكتوبُ
لا تذهبنَّ اليـومَ فى ذِلةٍ فاليومُ من عُمـرك محسـوبُ
وإن جهدتَ النفسَ فى مكسَبٍ فالمجدَ، إنَّ المجـدَ مكسوبُ
جَدَّ آبنُ "أيّوبَ" ولو قد ونى كفَاهُ ما شَـيَّدَ "أيّوبُ"
رأى رُوَيدَ السير عجـزا به فسـيرُهُ حُضْرٌ وتقـريبُ
سما الى المجد، فقال العـدا : له طـريقٌ فيـه ملحوبُ
ساد طـريرَ الماءِ (١) حتى آنتهى والشَّـيبُ فى فوديه أُلهـوبُ
والرمحُ لا يُذْرَعُ (٢) إلا إذا تكامَلَتْ فيـه الأنابيبُ
أضحى وزيرُ الدِّين ذا مَغرَمٍ : وزارةُ الدنيا وتعـذيبُ
رتبـةُ عِزٍّ، فخـرُها عاجلٌ وأجرُها ذُخـرٌ وتعـقيبُ
ما هجمتْ غَشْماً ولا ضـرَّه تـدرّجٌ فيها وتـرتيبُ
وزارةٌ ما زال من قومـه مُعـرِّقٌ (٣) فيها ومنسـوبُ
أبناءُ "عبّاسٍ" و"أيوبَ" مـذ تفـرَّعوا ربٌّ ومربوبُ
خـلائفُ الله وأنصارُهـم فصاحبٌ طابَ ومصـحوبُ

(١) طرير الماء : غضّا فتياً . (٢) يذرع : يقاس بالذراع . (٣) المعرّق : العريق .

لا ودُّهم غِلٌّ ولا حبلُهم ... يوما بغدرِ الكفِّ مقضوبُ

جارهُمُ يؤكل فى جَورِهم ... ومالُهُمْ بالإفكِ منهوبُ

وما على مُقْصٍ سواكُمْ اذا ... أدناكمُ فى الرأيِ تثريبُ

لا تلِكم العاداتُ منكم ولا ... أُسلوبكم تلك الأساليبُ

باسم عميدِ الرؤساءِ الذى ... ما زاد فى معناه تلقيبُ

رُدَّ عليها بعدَ ما أُيِّمتْ ... أبناؤها الغُرُّ المَناجيبُ

اِكفِ الذى(١) آستكفوْك وآحملْ لهم ... ما تَحمِلُ الصُّمُّ الأهاضيبُ

مُلهِمَ الجنبِ أمينَ القُوى ... وكلُّهم أدبرُ(٢) مجلوبُ

وقُدْ أعاديك بأرسانهم(٣) ... قَسْرًا فمركوبٌ ومجنوبُ

وآرتعْ من الدولة فى ظُلةٍ ... رواقها بالعزِّ مطنوبُ

محميَّةِ الروضةِ مرقيّةٍ ... والروضُ بالرُّعيانِ(٤) مسلوبُ

أفياؤها(٥) فيحٌ(٦) وماءُ الحيا ... فى ظلِّها السابغِ مسكوبُ

وآصحبْ من النَّيروزِ يومًا يفِى ... بالعزّ إن خان الأصاحيبُ

يكُرُّ بالإقبال ما خولِفتْ ... صدورُ دهرٍ وأعاقيبُ

(١) الذى بمعنى الذين وهو فى الجمع كالواحد .

(٢) الأدبر : البعير تصيبه القرحة .

(٣) الأرسان : الحبال .

(٤) الرعيان جمع راع وهو معروف .

(٥) الأفياء جمع فىء وهو الظلّ .

(٦) فِيحٌ : فِساحٌ .

يغشاكُمُ يخـــدِمُ إقبالَكم ما حنَّ للفُـــرجَةِ مكروبُ
لا تستجيرون "بعمرٍو"(١) ولا واعدَكُم بالعُمرِ "عُرقوبُ"(٢)

* * *

وقال وكتب بها الى بعض أصـدقائه من الكتّاب، وهو المهذب أبو المنصور الحسن بن علّ بن المزرع، وكان غائبا فقدم يغبط له بالورود، ويحثّـه على ٱلتزام حاجةٍ له كان ٱبتداء الشروع فيها بعد عتابه إياه على تفريطه فيها

من ناظرٌ لى بين "سَلِع" و"قُبا"(٣) كيف أضاء البرقُ أم كيف خَبَا ؟
نبّهنى وميضُـــه ولم تَـــنَمْ عيـــنى ولكن ردَّ عقلا عَزَبا
قرّتْ له بنـاتُ قلبى خافقـا(٤) وٱستبردتْه أضلعى ملتهبا

(١) يريد الإشارة الى عمرو الملقّب "جسّاس" وقصته أنه طعن "كُلَيباً" أخا "المهلهل" التغلبىّ صاحب حرب البسوس فألقـاه على الأرض فقال له "كُلَيب" : يا "عمـرو" أغثنى بشربة ماء فأجهز عليه وفى ذلك يقول الشاعر

المستجير بعمرو عنـد كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار

وفى مجمع الأمثال للميدانى

المستغيث بعمرو عند كربتـه كالمستغيث من الرمضاء بالنار

والمشهور "المستجير" الخ

وقد سار هـذا البيت مثلا يضرب لمن يستجير فيزيده المستجار بلّية على بليّته . (٢) عُرقوب رجل من العمالق وقصته أن أخًا له أتاه يسأله فقال له عرقوب : اذا أطلعت هـذه النخلة فلك طلعها فلما أطلعت أتاه للعِدَة فقال : دعها حتى تصير بلحا، فلما أبلحت قال : دعها حتى تصير زهوا، فلما زهت قال : دعها حتى تصير رطبا، فلما أرطبت قال : دعها حتى تصير تمرا، فلما أتمرت عمد اليها عرقوب فى الليل فجدّها ولم يعط أخاه شيئا فصار مثلا فى الخلف . وقال الاشجعىّ

وعَدتَ وكان الخلفُ منك سجيةً مواعيـدَ عرقوبٍ أخاه بيَثْرَبَ

و"يَثْرَب" بالثاء والراء المفتوحة موضع باليمامة وبعضهم يقولها "يثرب" بالثاء وكسر الراء وهو خطأ .

(٣) سلع وقباء ويقصر موضعان . (٤) بنات قلبى : خواطرى وهواجسى .

كأنه يحلو ثنايا "بالغضا" رُوقًا[1] وينهلُّ لَمًى أو شَنَبا
يا لبَعيدٍ من "مِنًى"، دَنَا به ـ يوهمنى الصدقَ ـ بُرَيقٌ كَذَبا
ولنَسيمٍ سَحَرٍ "بحاجرٍ" رَدَّتْ به عهدَ الصِّبَا ريحُ الصَّبا
أليَّةً، ما فتح العطَّارُ عن أعبقَ منه نَفَسًا وأطيبا
سل مَن يدُلُّ الناشدين "بالغضا" على الطريد ويردّ السَّلَبا؟
أراجعٌ لى؟ والمُنَى هَلْهَلَةٌ[2] فطالعٌ نجمُ زمانٍ غَرَبا
وطوفةٌ بين القِبابِ "بِمِنًى" لا خائفا عينا ولا مرتقبا
مستقبلًا بهَاهُنَا وهَاهُنا مقترعا علىّ أو مجتذبا
ألقَى الوصالَ مسفرًا لى وجهُهُ والغدرَ لى مع قبحِهِ منتقبا
هناك مَنْ باعَ الغوانى حِلمَهُ بالخُرقِ[3] عُدَّ الحازمَ المجرِّبا
ولائمٍ ملتفتٍ عن صبوتى يُنكرها، ولو أحبَّ لَصَبا
اذا نَسبتُ بهواى ساءه مُصَرَّحًا ولو كَنَيْتُ غَضِبا

---

(١) روق جمع أروق وهو الذى تطول ثناياه العُلَا السُّفلَ . (٢) فى النسخة المطبوعة "تعلّة" وفى الأصل "هلهلة" ولم نوفّق الى معنًى لها يتّفق والسياق إلا على وجه بعيد، فمن معانيها "التأنى والانتظار" و"تخفيف الثوب وسخف نسجه" و"ترقيق الشِّعر"؛ واذا صحّ ظنّنا فلعل الشاعر يريد الإشارة الى تكرار المتمنّى لكلمة "هَلْ" الاستفهامية فى كلامه كلّما خطر بباله هاتفٌ من خواطر التمنّى بالتساؤل طلبًا لما يحسبه عزيزا عليه أو حنينا الى ما هو حبيبٌ الى نفسه كقول من يقول متمنيا

* هل مشرقٌ نجمُ سعدى بعدما أفلا *
* هل بالغ عزمى أوجَ العلا *
* هل راجعٌ عهدُ الصِّبا *
* هل أرى ليلَ وليلَى بالغضا *

وما إلى ذلك وهو كثير، و"الهَلْهَلَةُ" فى هذا المقام أشبهُ بقولهم "العنعنة" وهى تكرارُ كلمةِ "عَنْ" عند ما يُراد بها التكثير من أسماء الثقاتِ على صحّة الإسناد . والله أعلم . (٣) الخُرْق : الحُمق .

وما عليه أن غَرِمتُ "بابلا" "بحاجرٍ" و"فاطما" "بزينبا"
يلومنى لا مات إلا لأنما أو عاش عاش بالهوى معذَّبا
قال : عشقتَ أشيباً، يعدُّها منقصةً، نعم! عشقتُ أشيبا
هل شَعَرٌ بُدِّلْتُهُ بِشَعَرٍ مُبَدِّلِى من أربٍ لى أربا ؟
أبَى الوفاءُ والهوى ، وبالغُ مَعذرةً من سِيمَ غدرا فأبى
ما أنا من صِبغةِ أيّامكُمُ ولا الذى إن قَلَبوه انقلبا
ولا ابنُ وجهين أَلُمُّ حاضِرا من الصديقِ وألومُ الغُيَّبا
قلبىَ للإخوانِ شطُّوا أو دنَوا وللهوى ساعفَ دهرٌ أو نبا
مَن عاذِرى من مُتلاشٍ كلّما أذنَبَ يوما وعَذَرتُ أذنبا
يَضحكُ فى وجهىَ ملء فِمِه وإن أغبْ وذُكِرَ اسمِى قَطَّبا
يطيرُ لى حَمامةً فإن رأى خَصاصةً دبَّ ورائى عقربا
ما أكثرَ الناسَ وما أقلَّهم وما أقلَّ فى القليل النُّجَبا
ليتهُمُ — إذ لم يكونوا خُلِقوا مهذَّبين — صَحِبوا "المهذَّبا"
فعلَّمتْهم نفسُهُ كيف العلا ووِدُّه كيف الصديقُ المجتبَى
ووَرَدوا من خُلْقِه ويدِهِ أبردَ ما بلَّ الصدَى وأعذبا
مثل "أبى منصورَ" فَلْتَلَذَّ لى الـ ـدنيا ولا سَرَّ سواه ابنٌ أبا
أُتركْهُ لى غنيمةً باردةً يا دهرُ واذهبْ ببنيك سَلَبا
اللهُ جارٌ لفتًى أجارنى على زمانٍ لم أُفتْهُ هَرَبا
وفرَّجتْ عنّى يَدَا إسعادِهِ حوادثا ضغطْنَنِى ونُوَبا
لما رأى الأيّام فى صروفها نارا تَشُبُّ ورآنى حطَبا
قام لها يَصْلَى بها وناشِنِى فلم أذق حَدًّا لها ولا شَبا

وصان وجهى لاقيا بوجهه ... ذلَّ السؤالِ وكفانى الطلبا
عِفتُ فلم أشربْ سوى أخلاقه ... اذا كئوسُ الشَّرب دارتْ نخبا
وصحَّ لى جوهرةً من معدنٍ ... أملسَ لا يُنبتُ إلا الذهبا
من معشرٍ تُنْمَى العلا اليهمُ ... هم أهلُها والناسُ منها (١) غُرَبا
كما اقترحتَ، حربُهم وسلمُهم ... شدُّوا (٢) رباطَ الخيلِ أو شدُّوا الحُبا
ساسوا يعدّون الملوكَ واحتبوا ... وسْطَ النَّدِىِّ يصفون العرَبا
يرضيك من حديثهم شاهدُهم ... وفى القديم ما سألتَ الكُتُبا
اذا رجال طأطأَ اللؤمُ بهم ... قَعْصا (٣) فشمُّوا بالأنوف الرُّكبا
طالوا ينالون ثعالبَ (٤) القنا ... تحسَبُ ماشيهم بُسُوقًا ركبا
وحدّثتْ فروعُهم عن أصلهم ... تحدُّث الناجِم عما غَرَبا
لبَّيك مشكورا كما لبيَّتنى ... وقد دعوتُ قُدُفًا لا كَثَبا
وكنتَ لى بابا الى مطالبى ... ـ لولا قعودُ الحظّ بى ـ وسببا
تعجَّبَ الناسُ وقد وَلِيتَها ... أُكرومةً، فقلتُ: لا لا عجبا
عينِىَ منِّى ويدى فهل تُرَى ... يفوتنى ـ ما سَلِما ـ ما طَلَبا ؟
وكيف لا تحفِزُه لأربى ... مودّةٌ تمَّت فعادت نسبا ؟
ومِقةٌ لو خلَصتْ لابنِ أَبِى ... منِّىَ هزَّ عِطفَه وطربا
وإن يكن هوَّمَ فيها ناسيا ... وعاجَ عن طريقها وجَنَّبا

(١) فى الأصل "منهم" . (٢) فى الأصل "سلُّوا" ولعلّها محرّفةٌ عن "شلُّوا" بمعنى : أرسلوا من قولهم : "شلَّت العين دمعَها" بمعنى أرسلته ودفعته، أو عن "حلُّوا" اذا كان المراد "بالرِّباط" ما تُربط به الدابّة، أو عن "شدُّوا" اذا كان يراد "بشدّ الرِّباط" إعدادُ الخيل وارتباطُها لجهاد العدوّ فى الحرب وهو ما رجّحناه ؛ وفى القرآن الكريم (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ) .
(٣) القعص : داء فى الصدر كأنه يكسر العنق . (٤) الثعالب جمع ثعلب وهو طرف الرمح الداخل فى جُبِّ السنان، وفى الأصل "تعالب" وهو تحريف .

وقَـدَحتْ فى أملى عنـدهُمُ ... قادحـــةٌ لم يك فيهـا مذنبـا
فقد قبِلتُ العـذرَ أو قتلتُـه ... علمـا وقـد عاتبتُـه فأعتبَا
وٱستقبل الرأىَ وأعطَى ذمّةً ... تصفحُ للآنف عمّـا ذهبـا
فاشكر لهـا وكالةً منّى على ... نفسِىَ وٱقض دَيْنهـا إذ وجبا
من لك مثـلى بأخٍ مسـامحٍ ... ترضيه بالعـذرِ اذا ما غضبا ؟
وٱحذر على مجدِك أُخرَى تنتقِى (١) ... عَظـم الوفاءِ وتجـرُّ الرِّيبَـا
شَمِّرْ عن الساقين فى ٱستداركها ... وٱمحُ بَوَادى شرِّها معتقِبـا
ولا يزالُ أمَـلى يَقنَعُ لى ... بدون ما سدّ خَصاصى (٢) نَشَـبا
ذاك ودعنى شاكيا وسائلا ... وخذْ حـديثى غَزَلا منسَّـبا
كان جناحُ الشوق أمسِ طائرى ... منسِّرا (٣) فى كبِدى مخلِّبـا
وأَكَلَ البينُ سمينَ جلَدِى ... حتى غدا سَنَامُ صدرى ذَنَبـا
بانَ بك العيشُ الذى يسرُّنى ... وعاد لما عدتَ لى مقـتربا
قال البشير: قادمًا، فقلتُ: مَنْ؟ ... قال: "أبو منصور"، قلتُ: مرحبا
وقمتُ لا أملِكُ ما يَسَـعُهُ ... غـير نعِمْتَ من جَزاءٍ وحبـا
أرشفُ من فيه مكانَ ٱسمك، لا ... أحسَـبنى أرشفُ إلا الضَّربا (٤)
عَطْفٌ من الأيّام لى ونظَـرٌ ... جاء وما كنتُ له محتسِـبا
لكنّنى بالبعـدِ فى أثنـائه (٥) ... أُصبحُ أو أُمسِى مَروعا مُتعَبا
اذا ٱطمأنَّتْ أضلُعى تذكَّرتْ ... نواك فاهتزَّتْ جوًى لا طرَبا
فادفعْ به صدرَك ـ ما ٱستطعتَهُ ـ ... يوما تردّ شملَ أُنسى شُـعَبا

(١) تنتق : تُخرج النِّقْىَ وهو مخّ العظم . (٢) الخصاص : الفقر . (٣) منسِّرا : باحثا بمنسره وهو منقاره . (٤) الضرب : الشهد . (٥) فى الأصل "أبياته" .

راخِ يديكَ فى ٱمتـدادِ حبلِهِ وطاوِلِ الوقتَ به أن يُجـذَبا
وخَفْ على قلبى غدًا من وقفةٍ يكون لى فيها الوداعُ العطَبا
ولا تدَعْنى أسأل الرُّكبانَ عن قلبٍ دوٍ(١) وأستطِبُّ الكتُبا
لا أقفرتْ منكَ ربوعٌ عَمُرَتْ أُنسا ولا أيبسَ عيشٌ رَطُبا
ولا برحتَ مالكا مقتسِرا نواصِىَ الإقبالِ أو مغتصِبا
حتّى تكونَ باديا وحاضرا بين النجوم بانيًا مطنِّبا

* * *

وقال يمدح عميدَ الرؤساء أبا طالب بن أيوبَ فى النّيروز

أَبلغْ بها أُمنيَّـةَ الطـالبِ فالرزقُ بين الرِّدفِ والغـاربِ (٥١)
ولا تُذمِّمْ(٢) لوجاها(٣) فما الـ ـراحـةُ يومًا فى مَطا(٤) اللاغبِ
ليلتُها فى الدائبِ المنتـقِ بُغامُها(٥) فى السارحِ العـازبِ
حُداؤها فى الرَّكبِ أحظَى لها من نَعـقةِ الراعى أو الراكبِ
فاوتَ بين الطيرِ حالاتُها من باطشٍ أو فَرِقٍ هائبِ
فالخسفُ للجاثمِ فى وكـرِهِ والخصبُ للقاطعِ والكاسبِ
أفلحَ من داوسَ طُرْقَ العـلا موفّقـا للسَّـنَنِ اللاحبِ
تُعجِبُـه الفضـلةُ فى ماله ما لم تَشُـبْها مِنّـةُ الواهب
ذلك فى المولَى، غدًا فى العدا مَثلبـةٌ، فٱسـددْ فمَ الثالبِ
خوفى من العائب لى نجـوةٌ من الأذى تُشكَرُ للعـائبِ
والنـاسُ أصحـابِىَ ما لم تَمِلْ وُسوقُ أثقالى على صـاحبِ

(١) دوٍ : مريض . (٢) تذمِّم : تَلُم . (٣) الوجى : الحفا . (٤) المطا : الظهر .
(٥) البغام : الصياح بأرخم ما يكون فى صوت الناقة .

أكون ما آستغنيتُ عن رفدهم ... جِلدةَ بين العينِ والحاجب
فإن عَرَتْ أو حدَثَتْ حاجةٌ ... فالحبلُ مَلْقِيٌّ على الغاربِ
وكم أخٍ غَيَّرَهُ يومُه الـ ... ـمُقبلُ عن أمسِ به الذاهبِ
كنتُ وإيّاه زمانَ الصدَى ... كالماء والقهوةِ (١) للشاربِ
ومَدّ باعيْه (٢) فخلّى يدى ... نهباً لكفّ القابضِ الجاذبِ
مرّ فلم يعطِف لحُبِّ الصِّبا الـ ... ـجانى ولا حقِّ العلا الواجبِ
كأنّ ما أحكمتُ من ودّه ... أبرمتُهُ (٣) للمِسحَلِ (٤) القاضبِ
الله للمغصوبِ فيكم على ... ديونه يا شِيعة الغاصبِ
قد قلتُ (٥) للخابط خلفَ المُنَى ... مباعدا : قاربْ بها قاربِ
احبس مطاياك فما فى السرى ... إلا جنونُ الطمعِ الكاذبِ
لا تطلبنّ الرزقَ من معدِنٍ ... ينبوعه غيرُ "أبى طالبِ"
فالبحرُ مَن خلّفَهُ خلْفَهُ ... لم يقتنع بالوشلِ الناضبِ
خاطَرَ فى المجدِ فغالَى فتًى ... لم يخشَ منه قَمْرةَ الغالبِ
وكاثَرَ الناسَ بإحسانِه ... فلم يحزْهُ عددُ الحاسبِ
اذا آحتبى (٦) ينسبُ علياءه ... دار عليه قُطْبُ الناسبِ
ضمّ الى ما كسبتْ نفسُهُ ... سالفةً فى عرقِهِ الضاربِ
فظلّ لا يَشْرُفُ من جانبٍ ... إلا دعاهُ الفخرُ من جانبِ
من معشرٍ تضحكُ أيمانُهم ... إن آدّ (٧) عامُ السنةِ (٨) الشاحبِ

(١) القهوة : الخمرة .
(٢) فى الأصل "باعاه" .
(٣) المسحل : المنحت .
(٤) القاضب : القاطع .
(٥) الخابط : الذى يسير على غير هدى .
(٦) فى الأصل "اجتبى" وهو تحريف .
(٧) فى الأصل "آ" فرجحنا كلمة "آد" بمعنى : آشتدّ .
(٨) السنة : الجدب .

تُحلَبُ أموالهُمُ ثَرَّةً[1] والضرعُ مبسوسٌ[2] على الحالبِ
لهم نَدىً شَرِقٌ[3] منهُمُ بكلِّ مخطوبٍ له خاطبِ
لانائمُ السامرِ فى الليلةِ الـ ـطُّولَى ولا منتقرُ[4] الآدبِ
هم وَزَرُوا الدولاتِ وآستنصحوا رَعْياً على العاطفِ والسارِبِ
وهم سيوفُ الخلفاءِ التى تُعلِّمُ الضربَ يدَ الضاربِ
غاروا نجومًا ووفَتْ بابنهم[5] شهادةُ الطالعِ للغاربِ
حَذَا وزادته قُوَى نفسِهِ، والمجدُ للموروثِ والكاسبِ
زيادةَ البدرِ بشَعشاعِهِ على ضياءِ الكوكبِ الثاقبِ
ليتَ عيونا لهمُ فى الثرى مغضوضةً[6] بالقدَرِ اللازبِ
تراك فى رتبتهم جالسا تأمُرُ فى العارضِ والراتبِ
حتى يُقِرَّ اللهُ منها الذى أُقذِىَ بالرامسِ والتاربِ
قد عَرَفَ "القائمُ بالأمرِ" مذ سَلَّكَ أنَّ القطعَ للقاضبِ[7]
ظَهَرتَ[8] بالعِفَّةِ سلطانَهُ، هذا وما الزاهدُ كالراغبِ
وصنتَ ما حَسَّنَ من ذكرِهِ عن دنَسِ القادحِ والقاصبِ[9]
فلا تَزَلْ عندك من طَوْلِهِ ما عنده من رأيك الصائبِ
ولا خَلَا دَستُك من مركبٍ غاشٍ ومن راجٍ ومن هائبِ
ودام لى منك ربيعى الذى يُرضِى رياضِى بالحَيَا الساكبِ

---

(١) ثرة : غزيرة . (٢) المبسوس : الذى لا يدرّ . (٣) فى الأصل "شرف" وهو تحريف . (٤) المنتقر : الداعى بعضا دون بعض، وفى الأصل "مستنفر" . (٥) فى الأصل "باتهم" وهو تحريف . (٦) اللازب : اللازم . (٧) القاضب : السيف القاطع . (٨) ظهرت : أعنت . (٩) القاصب : الجزّار، وقد كنى به عمن يقطع لحوم الناس ذما .

٥٢

وجُنّتِي الحصداءُ (١) إن صاح بى دهرِىَ : لاسَلْمَ ! فقم حاربِ
مالىَ فى فقــرى الى ناصرٍ ســواك مَنْ أحمِى به جانبى
فى ودّك آستبليتُ ثوبَ الصِّبا وفيــه أنضــو بُردةَ الشــائبِ
قلــبى لك المأمونُ تقليبُــهُ ما قام "ريّانُ" (٢) على "مارِبِ"
أبيضُ ثوبِ الودّ صافٍ على لونَيْــهِ من راضٍ ومن عائبِ
وكُلّمــا أُنســيتُمُ صُحبــتى ذكّرَنيكُمْ زَمنُ "الصاحبِ"
وخُــرّدًا أرســلتُها شُرّدًا (٣) من حابلٍ منكم ومن حائبِ (٤)
كلّ فتــاةٍ مَــعَ تعنيسها تفضَحُ حُسنَ الغادةِ الكاعبِ
ضوافيًا من فوقِ أعراضِكم للمُســدِلِ المُرخِى وللساحبِ
سارتْ مع الشمس وعمّت مع الـ ـغيث فمن ذاكٍ (٥) ومن هاضبِ (٦)
تعلّقُ بالآذان موصــولةً غَشْما بلا إذنٍ ولا حاجبِ
تنصُبُ أعلامًا لكم ، سَيرُها فى الأرضِ ، فلتُشْكَرْ يدُ الناصبِ
كَرّرتِ الأعيادُ أعدادَها (٧) والمهــرجاناتُ على الحاسبِ
حتى لقد خافت بما أكثرتْ ملالةَ القــارئ والكاتبِ

* * *

وقال يمدح كمال الملك و يهنّئه بالنيروز

لكِ الغــرامُ وللواشى بكِ التعبُ وكلُّ عذلٍ اذا جَــدَّ الهوى لَعِبُ
أما كفاه آنصرافُ العينِ مُعرِضــةً عنــه ، وسمعٌ بوقْرِ الشوق محتجِبُ

(١) الحصــداء : الدرع المحكمة الضــيقة الحلق . (٢) ريّان ومأرب : جبــل و بلد .
(٣) الحابل : الصائد ، لنصبه الحبالة . (٤) الحائب : القاتل ، و يريد بهذا البيت أنه يشرد قصائده فى كل واد خوفا من حابل يقيّدها أو حائب يقتلها . (٥) الذاكى : المتقد . (٦) هاضب : ماطر وفى الأصل : هاصب . (٧) الضمير فى أعدادها يعود الى القصائد .

وأنّ قلبا وأحشاء مُدغدَغةً ... اذا آستقامتْ حُمول الحيّ تضطربُ

لاموا عليكِ فما حلّوا وما عقَدوا ... عندى، وعابوا فما شقّوا ولا شعَبوا

فكلُّ نارِ هوًى فى الصدر كامنةٍ ... فاللّوم يُسعرها والعذلُ يحتطبُ

آهًا لوحشة ما بينى وبينكُمُ ... اذا خلَتْ من دِلاءِ الجيرةِ القُلُبُ

وعَطّت (١) القُور (٢) والأجراع (٣) نوقُكُمُ ... طُروحَ عينى وحالت بيننا الكثُبُ

مَن أشتكى الشوقَ إذ هَزّت وسادتَهُ ... مدامعٌ تَنتحى أو أضلعٌ تَجِبُ

فما أسفتُ لشىءٍ فائتٍ أسفى ... من أن أعيشَ وجيرانٌ "الغضا" غَيَبُ

قد كنتُ أسرِقُ دمعى فى محاجره ... تطيّرًا بالبكى فاليومَ أنتحبُ

لا يُبعدِ اللهُ قلبًا ظلّ عندكُمُ ... لم يُغنِنى عنه نِشدانٌ ولا طلبُ

سلبتموهُ فلم تُفتُوا برجعتهِ ... وربّما رُدّ بعدَ الغارة السلَبُ

فأين إذمامُكم (٤) قبلَ الفراق له ... ألّا يضامَ ولا تمشى له الرِّيَبُ؟

أسيرةٌ لكُمُ فى الغدرِ حادثةٌ ... تَخُصّ، أم رجَعتْ عن دينها العرَبُ؟

يا أهل ودّى، وما أهلًا دعوتُكُمُ ... بالحقّ لكنها العاداتُ والدُّرَبُ

كُنّا بها نتسمّى قبلَ غدركُمُ ... فاليومَ كلُّ آسمِ ودٍّ بيننا لقبُ

أشبهتم الدهرَ فى تلوين صِبغتهِ ... فكلُّكم حائلُ الألوان منقلبُ

كنتم علىّ مع الأيّام إخوتَها ... وليس إلا عُقوقى بينكم نسبُ

صبرًا وإن كان ملبوسا على جزَعٍ ... ظُلمتُ، والصابرُ المظلومُ محتسِبُ

لعلّ عازبَ هذا الحظّ يرجِعُ لى ... يوما وقاعدَ هذا الجدّ بى يثبُ

---

(١) عطّت: شقّت. (٢) القور جمع قارة وهى الجبل المنقطع عن الجبال أو الأرض ذات الصخور. (٣) الأجراع جمع جَرَع وهو الأرض ذات الحزونة تشاكل الرمل وقيل فى الرملة السهلة.
(٤) الإذمام: أخذ الذمّة.

ولَيتَ أنَّ "كمالَ المُلكِ" خالصةٌ ... آراؤه لى ورأىُ الناسِ مؤتشِبُ(١)

بل ليتَ أنَّ قضاياه مواهبُهُ ... فكان إنصافُه فى عَرضِ ما يَهَبُ

فتًى قَنِعتُ به من بين مَنْ حَملَتْ ... خُوصُ الركابِ(٢) فسارت تُنقَلُ الرُّكُبُ(٣)

أحببتُه حُبَّ عينى أختَها ويدى ... يدى، ولى فى مَزيدٍ منهما أربُ

وكان لى حيثُ لاجفنٌ لناظرِهِ ... حفظًا وصَونًا ولا تحمِى الظُّبا القُرُبُ(٤)

عَطفًا لحقٍّ وإسبالًا على ذممى ... كأنّه وهو مولًى فى الحنوّ أبُ

يرعَى شواردَ فيه لم تَسِرْ معَها ... ريحٌ ولا طمعتْ فى شأوها السحُبُ

فغالبتنى على ذاك المكان يدٌ ... للدهر، كان لها ـ مذ ملّنى ـ الغلَبُ

مَلالةٌ لم تَطِرْ فيها مُطاوَلةٌ ... وبِغضةٌ كالتجنّى ما لها سببُ

قَسَا فأصبَح للواشين بى أُذُنًا ... تَليقُ ما آختلقوا عنّى وما آجتلبوا

لو قيل: إنّى سرقتُ السمعَ أو صرفوا ... الىَّ تبديلَ دينِ الله أو نَسَبوا

لَمَا آمترَى أنَّ رُسْلَ الله بى جُبِهوا ... بالردِّ أو حُرِّفَتْ عن أمرىَ الكتُبُ

فقل له ــ طيَّب اللهُ الوفاءَ له ... والحقُّ يَسفِرُ والبهتانُ يَنتقِبُ ــ :

يا ناقدَ الناس كشْفًا عن جواهرهم ... متى تَغيَّرَ عن أعراقِهِ الذهبُ؟

وكيف أفسدَ سوءُ الحظِّ خُبرَكَ بى ... حتّى بدا لك أنّ الدرّ مَخشَلَبُ(٥)!

أغيْرَ أنَّ فَراشًا طار ينأم بى(٦)؟ ... لو شئتَ كان بنار الردِّ يلتهبُ

أبعد أن رضتنى عشرينَ أو صَعِدتْ ... لا الجرىُ تُنكره منّى ولا الجَنَبُ(٧)

يُروَى لك الحُرْقُ(٨) عن حزمِى فتقبلُه ... صفحًا ويجذبُك الواشى فتنجذبُ!

---

(١) مؤتشب: غير صريح. (٢) خوص جمع خوصاء وهى التى غارت عينها. (٣) الركب جمع ركاب. (٤) القرب جمع قراب وهو غمد السيف. (٥) المخشلب: الخرز لا قيمة له.
(٦) ينأم بى: يهمس بى. (٧) الجَنَبُ: شبه الظَّلَع. (٨) الحُرقُ: الحُمقُ.

حاشاكُمُ أن تكونوا عَونَ حادثةٍ ... أو ترتمينِي على أيديكم النُّوَبُ
أذنبَ الحبُّ والإخلاصُ عندكُمُ؟ ... فإنّ ذنبي الى أيّامِيَ الأدبُ
أَمَا وقَومِكَ، والمجدُ التليدُ لهم ... ـ اذا حلفتُ بهم ـ والدينُ والحسبُ
ما خلتُ ـ والدهر لا تَفنَى عجائبُهُ ـ ... أنّ العلا نافقٌ فى سُوقها الكذبُ
ولا عجبت لدهرى كيف يظلمنى ... وإنما ظلمكم أنتم هو العجبُ!
يامَن به صحَّ سُقمُ العيشِ واجتمعتْ ... على توحدِهِ الأحزابُ والشُّعَبُ
ومَن كَفَى المُلكَ ما لم يَكفِ صارمُهُ ... وردَّ عنه الذى ما ردَّه اليَلَبُ[1]
ومَن توسَّط أفقَ المجد فاعتدلتْ ... به البدورُ ولبَّت أمرَهُ الشهُبُ
على بساطِكَ تُقضَى كلُّ مُبْهِمةٍ ... يعنو بها الخطْبُ أو تعيا بها الخطَبُ
وهالةُ البدرِ دَستٌ أنت راكبه ... وتارةً هو غابُ الضيغم الأشِبُ
بِشْرٌ وقورٌ، وجِدٌّ ضاحكٌ، ورضًا ... لولا الطلاقةُ خِلْنا أنه غضبُ
جَرَى بك الخُلُقُ الفضفاضُ وانقبضتْ ... بك المهابةُ فالسَّلسالُ واللهبُ
وأفقرتك العطايا، والثناءُ غنًى ... وأنصبتك العلا، والراحةُ النَّصَبُ
مَن عندَهُ نَشَبٌ لا مجدَ يعضُدُهُ ... فإنّ عندك مجدا ما له نشبُ
حَلَلْتُ بأسمك عَقْدَ الرزق فاندفعتْ ... عُراه تُفصَمُ لى عفوا وتنقضبُ
وكنتَ واسطةَ العِقد الذى انتظمتْ ... عنه السلوكُ ولم تُخدَشْ به الثُّقَبُ
أنتم رفادةُ ظهرِى إن وَهَى جَلَدِى ... ودَرَّةُ العيشِ لى والضَّرعُ معتصَبُ
ومشربى العِدُّ والغدرانُ غائرةٌ ... منكم لِيَ الحوضُ أو منكم لِيَ القَرَبُ
قدَّمتمونى فلى رهنُ السباقِ، ومَنْ ... يلزُّنِى[2] بعدُ: مجنوبٌ ومعتقبُ

(١) اليلب: الدروع أو جلود تلبس مثل الدروع.
(٢) يلزّنى: يلزمنى ويلصق بى.

عِزّى بنفسى ولكن زادنى شرفا ... أنى اليكم ـ اذا باهلتُ(١) ـ أنتسبُ
والنـاسُ غيرُكُمُ مَن لا يجاوزنى ، ... أبياته عَمَـدٌ تُبنَى ولا طُنُبُ
اذا صفوتم فلا وِرْدى ولا صَدَرى ... منهم وإن أملَحوا يوما وإن عذُبوا
لى منكم الجبهةُ الغـرّاء والعُنُقُ الـ ... ـتلْعاءُ والناس بعـدُ الرُّسغُ والذنَبُ
فلا تَنـلْنى الليـالى فيكُمُ بيـدٍ ... إلا التَّـبابُ(٢) لها والشـلُّ والعطبُ
ولا تُصبكم عيـونُ الدهر إنّ لها ... الى الكمال لحاظًا سهمُـها غَرَبُ(٣)
وإن أتَى رائدُ النيروزِ مجتـديًا ... أيْمانَكم فالروابى الخُضْرُ والعُشُبُ
فمن جبـاهكُمُ نورُ الربيع لنـا ... ومن أكفّكُمُ الأنواءُ تنسكبُ
يومٌ يكُرُّ به إقبـالُ جَـدّكُمُ ... غدًا على ملككم ما كرّت الحِقَبُ
تَجلُونَ من حسنه حظَّ العيـونِ فلا ... أشعار فيكم حظوظُ السمع والطربُ
فما بقيـتم فأيّامى بعـزّكُمُ ... كما أُحبُّ وأحـوالى كما تجبُ

* * *

وقال وكتب بها الى الوزير زعيم الدين فى المهرجان

اذا فاتهـا روضُ الحمى وجَنـوبُهُ ... كفاها النسيمُ البابلىُّ وطِيبُـهُ
وكم حُبَّ من وادٍ الى العيش مجدِبٍ ... وأُبغِـضَ مَثْرًى(٤) آخَـر وخصيبُهُ
وما الجانبُ المسكونُ إلا وفاقُـهُ ... هَوَى النفسِ ، لا خضراؤه وعَشيبُهُ
فدعها تَلُسُّ(٥) العيشَ طوعَ قلوبها ... فأمرعُ ما تـرعاه ما تستطيبُهُ

---

(١) باهلت : حاججت مفتخرا . (٢) التباب : الهلاك . (٣) يقال : سهمٌ غَرَبٌ : لا يُدرَى راميه . (٤) المثرى : محل الثراء . (٥) تلسّ : تتلف الكلأ بمقدّم فمها .

وإن الثماد (١) البرض فى عز قومها ... لأنقع من جم (٢) يذل غريبه

وأشبعها ألا تكون طرائدا ... اذا شل (٣) من سرح المسيم (٤) عزيبه

وأن كان حيا بالحمى - إن توفرت ... من الوجد - مبرى (٥) دائها وطبيبه

وكل هلال "ذو الأراك" حجابه ... يسر البدور الطالعات مغيبه

تحول الرماح "العامرية" دونه ... فيقنط راجيه ويعيا طلبه

وأتعب من حاولت يا قلب وصله ... حبيب سنان السمهرى رقيبه

يصيب بعيدا سهمه كل من رمى ... وترميه أيد حوله لا تصيبه

يلوم على "نجد" ضنين بدمعه ... اذا فارق الأحباب جفت غروبه

وهل طائل فى أن يكثر عذله ... اذا قل من إصغاء سمعى نصيبه؟

وما الناس إلا من فؤادى فؤاده ... لأهل "الغضا" أو من حبيبى حبيبه

سأرعى الذى بينى وبين ملون ... شربت على صفوى له ما يشوبه

خذينى بغير الغدر خلقا وإن جنى ... على الوفاء : قرفه وندوبه

فذلك طين الأرض لم تبن فطرتى ... عليها وما ماء سقانى قليبه

خلقت يدا دون الصديق وجنة ... يرد بها عن صدره ما ينوبه

ركودى الى الجرح العريض ركوده ... اذا رام أمرا أو هبوبى هبوبه

وأصفح عنه عاذرا متأولا ... وإن كثرت زلاته وذنوبه

ويقنعنى منه ظهارة وجهه ... فلا أسأل التفتيش كيف مغيبه

ومن طال عن خبر الأخلاء بحثه ... ليبلوهم لم يخل مما يريبه

دعينى يكن خصمى زمانى وحده ... وتكفيك لى أحداثه وخطوبه

---

(١) الثماد البرض : الماء القليل النزر . (٢) الجم : الماء الكثير . (٣) شل : طرد .

(٤) المسيم : الذى يرعى السوام وهى الإبل من قولهم : أسامها أى أرعاها . (٥) مبرى : مبرئ .

هو الطِّرْفُ غرَّتْ رِحلتى خطواتُهُ (١) وزُمَّتْ (٢) فكان الليثَ صعباً ركوبُهُ

أصافح من كفَّيه صِلَّ خديعةٍ لغـــير التحايا أهـــلُهُ ورحيبُـــهُ

ولولا رجالٌ هم أساةُ جروحِـــهِ جَـــرَتْ بدمى أظفارُهُ ونُيـــوبُهُ

لتسقِ بنى "عبـد الرحيم" أكفُّهم فأَروَى الحيـــا وكَافُـــهُ وصبيبُهُ

وما السيلُ ذو الدَّفَّاعِ (٣) يرغُو جُفاؤه (٤) بأمرعَ من وادٍ نداهم يَصـوبُهُ

هم القاتلونَ الأزْمَ (٥) والعامُ مسنتٌ (٦) يقطِّبُ فى وجهِ المُسيم جـدوبُهُ

وهم إن شكا الفضلُ الغريبُ انفرادَه قبائلُه دون الورى وشُعوبُهُ

ملوكٌ على الأيَّام بيتُ عـلائهم تُناط بأعناق النجوم طُنـوبُهُ

رَبَا الملكُ طفلًا ناشئا فى حجورهم وأشيبُ هـذا الدهر بعـدُ ربيبُهُ

لهم تاجُهُ المعصـوبُ أيّامَ تاجِـهِ وفيهـم أخيرا سيـفُهُ وقضيبُهُ

مواريثُ فيهـم نصُّها إن مضى أبٌ يَسُـدُّ الذى سدَّ ابنُـهُ وينوبُهُ

وأمواتُهـم فيهم كأحياءِ غـيرهم (٧) اذا ظلَعَ المركوبُ جاء جَنيبُـهُ

اذا ما "زعيم الدين" حدَّثَ عنهُمُ توارَدَ شُبّانُ الفخارِ وشيبُـهُ

هو البُلجةُ البيضاءُ فى وجـه عزِّهم اذا شان عِزَّ القـوم بابنٍ شحوبُهُ

يَرَى نصرَهم ماسار من حسن ذكرهم فتنشرُهُ أفعـالُهُ وتُطيبُـهُ

فتًى كُملتْ فيـه أداةُ اكتهالِهِ وغصنُ الصِّبا لم يَعْسُ بعـدُ رطيبُهُ

تحمَّـل أعباءَ الرياسـة ناهضا فمـا لان من عرض الرجال صليبُهُ

ومن عجبٍ أن البِكارَ (٨) جليـدةٌ وقد عُقِـرَتْ بُزْلُ الطريق ونِيبُـهُ (٩)

---

(١) يقال : رَحَل البعير رِحلةً أى وَضع عليه أداة رَحْلِه . (٢) زمّت : شُدّت . (٣) الدفّاع : الموج .
(٤) الجفاء : الزَّبَد . (٥) الأزم : الضيق . (٦) مسنت : مجدب . (٧) فى الأصل : "نجيبه" وهو خطأ . (٨) البكار : الفتيّات من الإبل . (٩) النيب : جمع ناب وهى الناقة المسنة .

وكم سابقٍ فيهم ولم يَخْفَ رُسغُهُ ... ولا ٱبتلَّ فى شَوطِ الرِّهانِ سبيبُهُ
ومِن منجبٍ فيه أبوه وأمُّهُ ... وما وَلَدُ الإنسانِ إلا نَجيبُهُ
لهم يومَ يحتدُّ الجلادُ كميُّهُ ... ويومَ الترامى بالكلام خطيبُهُ
فلا محفلٌ إلا وفيهم صدورُه ... ولا مجفلٌ إلا وفيهم قلوبُهُ
"أبا حسنٍ" باهِلْ بهنَّ فضائلا ... لحاسدها حَرُّ الجوى ولهيبُهُ
يَعيبُك مَثنًى على الغيظ صدرُهُ ... خوافِقُهُ تَزوِى (١) به ووجيبُهُ
وكيف يَنالُ العيبُ أطرافَ ماجدٍ ... محاسنُ أبناءِ الزمانِ عيوبُهُ
وقال: وهلْ فى الناس من هو فوقه؟ ... فقلتُ: نعم! إن كان فيهم ضريبُهُ
كريمٌ اذا ما ظلَّ يَقسِم مالَهُ ... فأنزرُهُ مستقسَما ما يُصيبُهُ
يحبُّ ثراءَ المال حبًّا لبذله ... وليس كَسوبَ المالِ إلا وَهوبُهُ
أطلتَ يدى بالنصر فى نَيلِ مطلبى ... فأصبح لى أقصاه وهو قريبُهُ
وأمكنتنى من ظَهر حظِّى وعُرفِهِ ... فأسمحَ لى بعد الشِّماسِ رَكوبُهُ
وأغنيتنى عن كلِّ مرعًى أرودُه ... وجُفَّ على تيهِ الطريق أجوبُهُ
وكم جَمَدَ الرزقُ البطىءُ على يدى ... فسلسلتَ من كفَّيْك ماءً يُذيبُهُ
ولا خِلفَ (٢) إلا من عِصابِك (٣) دَرُّهُ ... ولا جَفْرَ (٤) إلا من ندالك ذَنوبُهُ
اذا روَّعتْ سَرحِى من الدهر رَوْعَةٌ ... زأرتَ فلم يعسِلْ (٥) من الخوف ذيبُهُ
فقد صار يحبونى الذى ما سألتُهُ ... ويخطبُ منّى المدحَ مَن لا أجيبُهُ
فلا يَخْبُ من نُعماك بدرٌ أضاءَ لى ... زمانى ولا نجمٌ هدانى ثُقوبُهُ

(١) تزوى به: تذهب به. (٢) الخلف: الضرع. (٣) العِصابُ: شدُّ فخذى الناقة بحبل لتدرّ، ومنه: "مثلى لا يدرّ على العِصاب". (٤) الجفر: البئر لم تُطوَ وهو مذكّر. (٥) فلم يعسل: فلم يضطرب فى عَدْوه.

ولا تتغـيَّرْ من وفائـك عادةٌ يَرَى المجـدُ فى أثنائها ما يعيبُهُ
ولا برِحتْ تطرو(١) اليـك شـواردٌ يلَـين لها وعرُ الفـلا وسُهوبُهُ
مُطبِّقةٌ ما طبَّـق الأفقُ، سـيرُها بوصـفك مسرى ليـلِها ودؤوبُهُ
من الـكَلِم السهـلِ المنيعِ مرامُهُ على النـاس والنَّزرِ الكثيرِ عجيبُـهُ
تَرقرَقَ حُسنا فامـترَى كلُّ سامع به وهو مخـلوبُ الفؤاد طـروبُهُ
أُسربِلُ منه المهرجانَ مُفاضـةً يُصان بها عُريانُه وسـليبُهُ
ينـوبان من ناديك أمنـعَ جانبٍ وأنضرَ رَبعٍ : غضُّـهُ وقشيبُـهُ(٢)
مدى الدهر ما هبَّ النسيمُ لناشقٍ ودبَّ على وجـه الصعيدِ دبيبُـهُ
على شَرْطِ(٣) عزٍّ لا تحـولُ رسومُهُ وسَرحِ نعـيمٍ لا تُراعُ سُـروبُهُ

* * *

وقال يمدح الوزيرَ عميدَ الدولة أبا سعد بن عبد الرحيم، وأنفذها اليه وهو معتزلُ النظرِ لهفوةٍ جرَتْ بينه وبين الأتراك اقتضت تغيُّبَهُ، ويُعرِّضُ بذكر الساعى به عند شاهانشاه جلالِ الدولة رحمه الله، وذلك فى المهرجان الواقع فى شوال من سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة

يا قلب من أين على فَـترةٍ رُدَّ عليـك الولَهُ العـازبُ ؟
أبعـدَ أن مات شبابُ الهوى شاورَك المحتنِـكُ الشائبُ
وبعدَ خمسين قضَتْ ماقضتْ وفضـلةٍ أغفلها الحـاسبُ
هبّتْ بأشواقك "نجـديةٌ" مطمِـعةٌ، أنت لهـا واجبُ ؟
ما أنت يا قلب وأهـلَ الحمى وإنما هم أمسُـكَ الذاهبُ

(١) تطرو: تأتى من مكان بعيد، وفى الأصل "تطر". (٢) غض وقشيب مرفوعان على أنهما بدل متطوع والقطع فى البدل جائز كما فى النعت. (٣) كذا بالأصل ولعله "صَرْح".

لم تذكر الغائبَ من عهدهم ... إلا لأنْ يأكلَك الغائبُ
قد وعظَتْ واعظةٌ من حجا ... بوعظها ما زَهِدَ الراغبُ
فاردُدْ على الريح أحاديثَها ... ففى صِباها ناقلٌ كاذبُ
جاءت وقد أفرقَ[1] تهدى الصِّبا ... لا سَلِمَ المجلوبُ والجالبُ
ودون "نجدٍ" وظباءِ الحمى ... أن يُقرَعَ المَنسِمُ والغاربُ
والفيلقُ الشهباءُ من "عامرٍ" ... والطاعنُ الغيرانُ والضاربُ
والشمسُ أدنى من "تميميةٍ" ... طالعُها من "رامةٍ" غاربُ
لو سَبقَتْ بالغدرِ فى قومها ... لَمَا وَفَى فى قوسه "حاجبُ"[2]
مكنونةٌ بيضاءُ لم يُعدِها ... فى البدو لونُ العربِ الشاحبُ
إن وُصفت تيَّمها وصفُها ... أو نُسبتْ أعجبها الناسبُ
فلا تَغُرَّنَّك نفَّاحةٌ ... منها ولا بارقةٌ خالبُ
يا راكبَ الأخطارِ تهوى به ... انزلْ، كُفيتَ السيرَ يا راكبُ
مالَك ـ والراحةُ قد أمكنَتْ ـ ... تشقَى بما أنتَ له طالبُ!
قد آن أن يُعفَى الكليلُ المطَا ... وأن يُراحَ النَّصبُ اللاغبُ
إنّ المقيمَ اليومَ فى غِبطةٍ ... يحسدها السارحُ والساربُ
قد أربَعَ الوادى "ببغداد" وآبَ ... تلّ الثرى واتّسع الجانبُ
أظلَّها من سُحْبِ أيدى بنى ... "عبدالرحيم" الهاطلُ الهاضبُ[3]
ورجَعَتْ طالعةً شمسُهم ... فيها وعاد الكوكبُ الثاقبُ
الى "عميد الدولة" آسترجع الـ ... ـنافرُ أنسا وأوَى الهاربُ

(١) أفرقت : بان الشيب فى مفرقك .
(٢) حاجب : هو حاجب آبن زرارة وقد تقدّمت الإشارة اليه فى صحيفة (٥٩) .
(٣) الهاضب : الماطر ، وفى الأصل "القاضب" .

عَمَّ وسَوَّى عادلا جُـــودهُ حتى آستوى المحرومُ والكاسبُ
طَبَّقَ فى التـــدبير أغراضَـــهُ سهما فسهـــما رأيُه الصائبُ
وأدّب الأيّامَ بالحـلم، والـ ـجهـلُ على أخلاقها غالبُ
والمُلكُ سَرحٌ نام رُعيانُه وهبَّ يطغَى ذئبُـــهُ السارِبُ
كانت جحيما ترتمى بالأذى، فى جانبيهـا الشررُ اللاهبُ
فأَخمـــدَتْ هيبتُهُ كلَّ ما هبَّ عليها المُوقِـــدُ الحاطبُ
صَبَّ عليهـا الدَّمَ لمّـا غدتْ بالماءِ لا يُطفئُها الساكبُ
فهامـــةٌ ساقطـــةٌ فوقهـــا حَصْدًا وجنبٌ حولها واجبُ
عشواءُ خطبٍ لم يكن ينجـلِى حتى يؤوبَ القـــمرُ الغـائبُ
يا "شَرَفَ الدين" تمدَّحْ بها فالعُجبُ فى أمثالهـا واجبُ
ما زال تنـــكيلُك بالمجـرِم الـ ـمُصِرِّ حتى خافـــك التـائبُ
صَـــدْعٌ من الدنيـا تداركتَهُ لولاك ما كان له شاعبُ
جاذبه النـــاسُ يرومـــونَهُ دهرا فلم يعـــلَقْ به جاذبُ
لا العاجـــز الوانى تأنَّى له منهـــم ولا المجتهـــدُ الدائبُ
سَلَمتَ بالعـادة فى جســمه رأيًا هو الصَّمصامةُ القاضبُ
قـــد ظهَرتْ رايةُ أيّامـكم وطبَّـق الأرضَ بهـا الجائبُ
وجَمَـــعَ الألسنَ تفضـــيلُكم فآصـــطلحَ المـادحُ والثالبُ
لا يَصلحُ الأمرُ على غـــيركم لا عارض منـــه ولا راتبُ
ولا تـــدرُّ المـالَ أخـــلافُهُ وغـــيرُ أيديكم له حالبُ
وزارة مجلسُـــها منصِبٌ له آصـــطفاك الله والناصبُ
أنتَ لهـا ـ فآشدد يمينا بها ـ الأخُ وآبنُ العمِّ والصاحبُ

فإن تعزَّلتَ وفارقتَها ... أو نابَ فى تدبيرها نائبُ
كان فراقًا لك تسديدُهُ ... وللأعادى سهمُهُ الحائبُ
بَعُدتَ فانحصَّ الذى رِشْتَهُ ... وانقبضَ السائمُ والساربُ
فاعطِفْ على الدنيا وما قد جَرَى ... به عليه القدرُ اللازِبُ
فالليثُ لا يغمز فى زأره ... وإن ألحّ النابح الواثبُ
فى جِلدِه ذمّى وفى عظمِهِ ... مُظَفِّرٌ(١) فى عزّكم خالبُ(٢)
مَشَى بها الماشى الى حتفه ... يا بؤسَ ما أعقبَهُ العاقبُ
يا باسطا من كفِّه مُزنةً ... يَبسمُ منها البلدُ القاطبُ
ومَن حَمَى الأرضَ فما فوقَها ... للخوف مسلوبٌ ولا سالبُ
والمصطفى المحبوب من ماله ... يَخبِطُ فيه العائثُ الناهب
أغنيتنى عن كلِّ غرَّارةٍ ... سحابُها المصعِقُ والحاصبُ
وكلِّ مبذولِ الحمى بابُهُ ... واللؤمُ عن أمواله حاجبُ
لا يخلُقُ الخَجْلَةَ فى وجهه ... لا مادحٌ أثنَى ولا عائبُ
وصُنتَ وجهى بعد ما شفَّنى ... من مائه المترَفُ والناضبُ
وخَلَطَتْنِى منك نُعمى بها ... شَجَّرنِى(٣) فى بيتك الناسبُ
وحُطْتَنى أمنًا وقد ثارَ لى ... بالشرِّ صِلُّ الرملةِ الواقبُ
كلبٌ أتى الليثَ فأغراه بى ... وقال وهو الفاجرُ الكاذبُ
وغُدَّ دعىّ ليس من شكله ... ما هو كاسٍ بأسمه كاسبُ
أعداه من مِهنةِ آبائِهِ ... عِرْقٌ الى اللؤم به ضاربُ

(١) مظفِّر: غارزٌ أظافره . (٢) الخالب : الجارح بمخلبه . (٣) شجرنى : جعلنى من شجرتكم أى من ذوى قرباكم .

ولم يكن لو أنه كاتبٌ ... يُراعُ منـــه الشاعرُ الكاتبُ

وعند شعرى — لو هجا مثلَهُ — ... لعرضـه القـاصمُ(١) والقـاصبُ(٢)

فابقَ لأن تُرغِمَ لى أنفَـهُ ... أنفٌ لعـمرى أجدعٌ تاربُ

٥٧ وألبس من الدولة فَضفاضـةً ... يَسحَبُ من أذيالها الساحبُ

وأقسِمْ ليـوم المهرجان الحيا ... وفْـدًا، فنـعمَ الوافـدُ الآئبُ

يومٌ لآبائـك فى حفظـه ... عهـدٌ يُراعَى حقُّـهُ الواجبُ

وأصبـحْ بفخرٍ طـيرُه أيْمن(٣) ... وفى عداك البـارح الناعبُ

ما غَرَّدتْ ورقاءُ أو دافعتْ ... فتخاءُ(٤) عن أفراخها خاضبُ(٥)

واسمعْ اذا شُدَّت لها حَبوتى ... أفصـحَ ما فاهَ به خاطبُ

مرصوعةً باسمـك من خيرِ ما ... لاثَ على مَفـرِقه عاصبُ

عنـدك منها غَرِدٌ مطربٌ ... وعند من عاديتَـه نادبُ

من معـدِن الجِدّ ولكن تُرى ... رقَّتُها أنّى بها لاعبُ

لا ربَّ "عُمْدَانَ"(٦) وعَى مثلَها ... سمعًا ولا مَن دارُه "مأربُ"(٧)

وامضِ مع العـادةِ فى مَهرها ... على طـريقِ نهجُهُ لاحبُ

فما تَطيبُ الأرضُ موهوبةً ... عنـدى لولا أنك الواهبُ

---

(١) القاصم : الكاسر . (٢) القاصب : القاطع . (٣) البارح من الطير : ما يمرّ الى الياسر وهو الذى يتشاءم به . (٤) الفتخاء : العقاب اللينة الجناح . (٥) خاضب : محمرّة الأظفار . (٦) عُمْدَان : قصر باليمن بناه "يَشْرُخ" بأربعة وجوه أحمر وأبيض وأصفر وأخضر .

(٧) يشير الى سبأ بن يشجب بن يعرب الذى بنى قصر مأرب .

* * *

وقال يمدحه ويهنّئه بالمهرجان، وكتب بها اليه وهو مقيم بعُكْبَراء وقد شارف العَوْدَ الى النظر بالوزارة بعد اعتزاله منها مُدَيْدَةً، وتقرّر ذلك له، يتشوّقه ويذكر الحالَ، وذلك فى سنة ستّ وعشرين وأربعمائة

عزفتُ فما أدرى الفتى كيف يرغبُ ... وعفتُ فما أشكو القذى كيف يُشربُ

وروّضنى لليأسِ هجرُ مَطامعى ... فبُغض عندى الوفر وهو محبَّبُ

رأيتُ الغنى ما نَدَّ عنّى ففاتنى ... فكيف يَخافُ الفَوْتَ من ليس يَطلُبُ

وأرضَى عن الأقدارِ كيف تصرَّفَت ... وغيرِىَ بالأقدارِ يَرضَى ويغضَبُ

أأشرِى بعرضى رِفدَ قومٍ معوضةً ... وأُشعِرُ نفسى أنّ ذلك مكسَبُ؟

فلا جرَّ رزقٌ(١) غِبطةً وهو يُحتَدَى ... ولا سَدَّ مالٌ خَلَّةً(٢) وهو يُوهَبُ

هنيئا لربِّ الرائحاتِ خلاصُهُ ... إذا ضافنى مما يعُقُّ(٣) ويَحلبُ

ومِن قَودِها لى فى الصِّلاب ثنيّةً(٤) ... وبزلاءَ(٥) تعصِى فى القيادِ وتُصحِبُ(٦)

تركتُ لمعطى النائلِ الغمرِ نَيلَهُ ... وإنى الى تَرْكِ البخيلِ لأقربُ

فلا المدحُ فى المُسنِى الجوادِ أكُدُّه ... ولا اللَّحزُ(٧) المنّاعُ ذَمّى يَرهَبُ

ويظلمنى المولَى وفى فِىَّ ناصرٌ ... وكفِّى، فلا أشكو ولا أتعتَّبُ

اذا ذهبتْ بى رغبةٌ عن تلاده ... طريقًا فما لى عنه بالودّ مذهبُ

له خِصبُهُ دونى ولى نَوْطَةٌ(٨) به ... وعَوْنٌ على أيّامه وهو مُجدِبُ

---

(١) فى الأصل "رزقا". (٢) الخلة: الفقر. (٣) مما يعقّ: مما يذبحه.
(٤) الثنية: الناقة الطاعنة فى السادسة. (٥) البزلاء: الناقة الطاعنة فى التاسعة وليس بعد ذلك اسم لسن. (٦) تُصحِبُ: تنقاد ذليلة بعد صعوبة. (٧) المسنى الذى يجعل الجائزة سنية واللحز: البخيل الضيق الخلق. (٨) نوطة: تعلّقٌ.

وللحبِّ منّى — ما أمِنتُ خيانةً — مَحَـلَّةُ قلبٍ قلّما يتقلَّبُ
أُجِرَّ الهوى — ما لان — فَضْلَةَ مِقودى ويَعِسـفُنى حينا فآبَى وأجذبُ
وما كلّما فارقتُ أشربُ دمعتى ولا كلّما غنّى الحَمامُ أُطَرَّبُ
وكم أَلِفتْنى ظبيـةٌ وهى فَـدَّةٌ فملتُ ولم أعطِفْ وقد عنّ ربربُ
أحبُّ الوفاءَ مُجسما ومغـزّلا وأصحَبُـهُ فيما أجِـدُّ وألعبُ
وأُعطِى يدى ما خِلتُنى متفضـلا وأمنعها ما خلت أنّى أرغبُ
فلو لقِيتْ أيّامُ دهرى خلائقى لكانت عـلى جَهْلاتِهـا تتأدَّبُ
ولو أنها للسِّـلم جانحـةٌ معى لكانتْ على الشـحناء بى تتحبَّبُ
وكنتُ لها عُذرا الى كلِّ ماجدٍ يَرَى أنها فى حربِ مثـلَى تُذنِبُ
ولكنّها عَجماءُ، سيّانِ عندها شدَا جاملٌ[1] أو قال هُجْـرا مؤنِّبُ
تَشُطُّ بأحبـابى الذين أودُّهم وتدنو بجـارٍ لا أُحبُّ فتقصِبُ
ولو أنها تأوِى لصونى لقرَّبتْ بعيـدا وشطَّت بالذين تُقرِّبُ
كواكبُ آمالى وأقمـارُ مَطلبى نأتنى، وفى الأحبابِ بدرٌ وكوكب
تَطَلَّعُ حينا من بُروج سُـعودِها عـلىَّ ويطويهـا البعادُ فتغـرُبُ
اذا قلتُ: هذا العامُ حسبُ، وبعده الـ ـثَّواءُ، أتى فى الأمر ما ليس يُحسَبُ
فكم يَحمِلُ الثقلَ الضعيفُ وكم تَرَى يُقِلُّ[2] وُسوقَ[3] البعـدِ جنبٌ مندَّبُ!
وكم تَكتسِى فى ظلِّ قـومٍ أعزةٍ قوادمُ ريشِى ثم تعـرَى فتُسلَبُ!
ويأخذُ منّى الحاضرون بخلهم فواضـلَ ما يُعطى السماحُ المغيَّبُ!
أيدرى الوزيرُ مَن كُنِى عنه أو عُنِى؟ نعم هـو يدرى ما أُعَمِّى وأُعرِبُ

(١) الجامل: ذو الجَمَل ويريد به "الحادى". (٢) وسوق جمع وسق وهو الحمل، وفى الأصل "وشوق". (٣) منـدّب: مقرّح.

وإنى بحبلٍ غيرِ أطنابِ بيتِه ... على بيتِ شِعرٍ ناصحٍ لا أطنِّبُ
سِماتُ بنى "عبد الرحيم" سلائطٌ(١) ... على وجهِ أشعارى تُنيرُ وتَثقُبُ
لهم جُمَّتا فكرى مُطيلا ومُقصرا ... وصفوتُه صِرفًا وبالماء تُقطَبُ(٢)
فلو قلتُ : إنى فى مديحِ سواهُمُ ... صدقتُ، لقال الشعرُ فى السرِّ: تكذبُ
هُمُ أمكنونى من ظهورِ مآربى ... فأركبُ منها ما أشاء وأجنُبُ
ألَمَّ بهم ما لا يُلَمُّ بشاعبٍ ... وأرأبُ فيهم صدعَ ما ليس يُرأبُ
وأستعتب الأيَّامَ وهى مُصِرَّةٌ(٣) ... بهيبتهم حتى تفىءَ فتُعتِبُ
هُمُ رحِمى والأقربون معقَّةٌ(٤) ... وفيهم أبِى البِرُّ الرؤوفُ ولا أبُ
ودولتهم — لا عُطِّلتْ — لِى مَواسِمٌ ... وأيّامهم سُوقٌ بفضلى تُجلِبُ
ذُخِرتُ لهم كنزا مواريثَ قومهم ... فمن رامنى من غيرهم فهو يَغصِبُ
فلا أسمعَتْ "ذُبيانُ" بعدى وبعدَهم ... بنى "منذرٍ" عذرا به العفوُ يُوجَبُ
ولا فرِحتْ أقيالُ آلِ "أميَّةٍ" ... بما سَيَّرتْ فيها "تميمٌ" "وتَغلِبُ"
أيا راكبَ العشواءِ يطرَحُ صدرَها ... خِطارا على الشِّقِّ الذى هو أتعبُ
تَرى ظلَّها فى الشمس تحسَبُ أنّه ... لأُخرَى سواها لاحقًا أو ستقرُبُ
تغارُ اذا ما أبصرتْ ظلَّ سُنبُكٍ ... على الأرض جَلَّى سابقا وهى تَعقُبُ
كأن فجاج الأرض نَقْدٌ(٥) لركضِها ... تُغيرِ عليهِ كيفَ شاءت وتَنهبُ
تَنُصّ(٦) مقاضاتين(٧) للسير تلفظُ الـ ... ـمُحالَ وتُوعِى الحقَّ نصحًا فتوعبُ
وكالئةٍ ترعَى الشخوصَ كأنّها ... أخو ليلةٍ(٨) — بات الربيئةَ — يرقُبُ

(١) سلائط جمع سليطة وهى الزيت أو الدهن يناربه . (٢) تقطب : تُمزَج . (٣) يقال : أصرّ الفرس بأذنه أى سوّاها ونصبها للاستماع . (٤) معقة : عقوق . (٥) فى الأصل "نقلٌ" ولعله تحريف . (٦) فى الأصل : "مفاضاتين" . (٧) فى الأصل "للسرّ" . (٨) الربيئة : المتطلع يرقب العدو .

اذا اقتضيتَ فى ذمّة النجم حاجةً ... فتلك لديها دعوةٌ لا تخيَّبُ
تحمَّلْ سلامى واحتقبْ لِىَ حاجةً ... تُضيءُ لك المسرَى وطُرْقُك غَيْهَبُ
الى "شرفِ الدين" انتزعْها إهابَها ... ودعْها على نارِ السِّياط تلَهّبُ
الى مَلِكٍ لا يسلُكُ النومُ جفنَهُ ... وفى المُلْكِ صدعٌ بالسهاد يُشَعَّبُ
ولا تبلُغ الأثقالُ غايةَ جهدِه ... اذا ظلّت البُزْلُ المصاعيبُ تشغَبُ
تفحَّصَ فى الآراءِ حتى أرينَهُ ... على غير فحصٍ - أىّ أمريْه أصوبُ
وأتعبَه التدبيرُ حتى أراحه ... وقد تستريح النفسُ من حيث تتعبُ
فكن مُبلغًا عنّى، وحظُّك عندَه ... اذا أنت باسمى فُهتَ أهلٌ ومرحبُ
وقل يا عميد الدولة اعطفْ وإن جَنتْ ... فما زلّةٌ إلا وعفوُك أرحبُ
تَلافَ عصاها أن تُشَقَّ فإنها ... بسوء القضايا تُلتَحَى وتُشذَّبُ
ودارِكْ ذَماها[1] وهو بعدُ، فربّما ... تخور القُوَى أنْ ينفعَ المتطبِّبُ
يقرِّبك الإقبالُ حينا فتؤنس الـ ... ـحياة ويُقصيك الشقاءُ فتُعطِبُ
ومن أعجب الأشياء تعليلُها بمَنْ ... تَرَى عجزَه من حظِّه يتعجّبُ
فإن يبلغوا بالداء لا يحسمونه ... وعندهُمُ منك الدواءُ المجرَّبُ
اذا طُلّقتْ منك الوزارةُ أصبحتْ ... مُجَذَّذةً[2] من حُسنها تُتسلَّبُ
تغوثُ[3] بالأسحار تدعُو صَباحَها ... وتبكى زمانَ الوصل منك وتندُبُ
تَخالُ بها ربعا مُحيلًا تساقطتْ ... تحاجلُ فيه الشاحجاتُ[4] وتنعَبُ
بنيتَ بها بِكرَ الصِّبا فمَن الذى ... يُصفّى هواها وهى شمطاءُ ثَيِّبُ
وأبرحُ من تعنيسها وهى أيِّمٌ[5] ... اذا غبتَ من يُسمَى لها وهى تُخطَبُ

(١) يريد ذماءها وهو بقيّة النفس . (٢) مجذّذة : مقطّعة . (٣) تغوث : تستغيث .
(٤) الشاحجات : الأغربة التى فى صوتها غلظ . (٥) الأيّم : التى ليس لها زوج .

وهذا أوانُ الشدِّ فانهضْ بحملِها ... وثِبْ واثقا، إنَّ العلاءَ تَوثُّبُ
فما كلُّ ما آستوضحتَ فيها هدايةٌ ... وليس ضلالا كلُّ ما تتنكَّبُ
قد آشتاقك المُلْكُ الذى أنت أنسهُ ... وأُوحِشَ صدرٌ منه وآرتاعَ موكِبُ
وقد أعجفَ(١) الرُّوَّادُ وآعتصروا الحيا ... من الصخر اذ أمست سماؤك تُحجَبُ
وقُصَّ جَناحُ الشِّعرِ لا الطبعُ جاريا ... يَرِقُّ ولا مستولَدُ الفكرِ يُنْجِبُ
فنحن كأنَّا لم نصِفْ مَلِكا ولم ... نقم قطّ ما بين السِّماطين(٢) نخطُبُ
وكائنْ لنا من موقفٍ متشهِّرٍ ... لديك يطيبُ القولُ فيه ويعذُبُ
تميزُ به عُتْقُ(٣) القوافى وهُجْنُها(٤) ... وتعلمُ ما ذا يُجتبَى ويحبَّبُ
ووجهك بسّامٌ الى المدح مقبِلٌ ... عليه ووجهُ الدهر جهمٌ(٥) مقطَّبُ
وكم ثَمَّ من مسترزِقٍ حلَفتْ له ... لُماك — وبَرَّتْ — أنه لا يُحبَّبُ
وعيشٍ يبيسٍ بالسماح بللتَهُ ... ووجهُك فيه من بنانك أرطَبُ
رعَى اللهُ منك البحرَ لم أَرَ بعده ... بلَى ربّما أفعمتَ والبحرُ ينضُبُ
ومَطرَحَ آمالى الذى كلُّ ضيِّقٍ ... عليه فسيحٌ عنده لِىَ مَرغَبُ
ومالى اذا أعسرتُ من كلِّ وجهةٍ ... وجاهى الذى من بعضه المالَ أكسِبُ
تأجَّنُ(٦) غُدرانى وماؤك سَلسَلٌ ... وتخبُثُ أوطانى وتُربُك طيِّبُ
وَجُودُك لى سِيّان ما كنتَ حاضرا ... قريبا، وما ينأَى وما يتقرَّبُ
فلولا مضيضُ الشوقِ لم أشكُ غُصّةً ... ولا أجحفَ التَّردادُ بى والتقلُّبُ
ولكنّك العينُ التى كلُّ غبطةٍ ... اذا هى لم تُوجَدْ عناءٌ معذِّبُ

(١) يقال : أعجف القوم : هزلت مواشيهم وصارت عِجافا . (٢) السماط : الصفّ ، يقال : قام القوم حوله سِماطين أى صفّين . (٣) العُتْق جمع عتيق وهو النجيب من الخيل . (٤) الهجن جمع هجين وهو غير العتيق أو الذى ولدته برذونة من حصان عربىّ . (٥) الجهم : المكفهرّ الوجه . (٦) تأجن : تصير آجنة متغيرة طعم الماء ولونه .

فـلا حَوَّلتْ عـنى ظِلالَكَ خُطّـةٌ تَحُـلُّ ولا محـذورةٌ تَتَرَقَّبُ
وعشتَ لمثـلى واحدا فى زمانه وللنـاسِ بعـدى يطلبون وتُطلَبُ
أجازى نداك الغَمـرَ نَشرا(١) مخـلَّدا كلانا مطيـلٌ فى معانيـه مُطنِبُ
بكلّ مطـاعٍ أمرُها مستجيبةٍ لدعوتهـا الأسماعُ تُرجَى وتُوهَبُ
تَوَلَّجُ(٢) لا تخشَى تلوُّنَ آذنٍ، لهـا الخلواتُ والرواقُ المحجَّبُ
يُتمُّ لها بالفضـلِ مَن لم تُقَلْ(٣) له ويُعظِمُها العيَّابُ والمتعصِّبُ
لهـا كلُّ صوتٍ، كلُّ راويه مُبلِغٌ فصيحٌ، ومَن غنَّى به فهو مُطرِبُ
تَصفَّتْ فقد كادت مع التبر تُقتَنَى ورقَّتْ فقد كادتْ مع الماء تُشرَبُ
مصدَّقة فى المـدح أسرفَ أو غَلَا ومأمونة ما تسـتزيدُ وتَعتِبُ
تزورك، يوما فى نَديِّك تُجتَلَى ويوما مع السُّفَّار تُقـرَا وتُكتَبُ
تسوقُ التهـانى خلفَها وأمامَها تُصعِّدُ فى الدنيـا بكم وتُصَـوِّبُ
تذكّركم من حقِّها إن نسيتُمُ بما تَقسِم الأعيـادُ حظًّا وتنصِبُ
تَرَفَّعُ عن تيـه المصيبِ وعُجبِـهِ ولكن بكم فخـرا تتيـهُ وتَعجَبُ

* * *

وقال يمدحه ويهنّئه بالمهرجان الواقع فى سنة سبع وعشرين وأربعمائة

سَل الركبَ إن أعطاكَ حاجتَكَ الرَّكبُ مَنِ الكاعبُ الحسناءُ تمنعها "كعبُ"(٤)؟
قضى أنهـا مغـلوبةٌ لينُ عطفها وحصَّنها ـ أن تُملَكَ ـ الأُسُدُ الغُلْبُ
حموها وذبُّوا أن تُرامَ وما حَمَوا قلوبَ الهـوى من مقلتيها ولا ذَبُّوا
وهزّوا القنا الخطّار والبيضَ دونها، فمَن طالبٌ؟ والمانع الطعنُ والضربُ

(١) فى الأصل : بشرًا .
(٢) تَوَلَّجُ : تدخل .
(٣) فى الأصل "يقل" .
(٤) كعب : اسم قبيلة .

يخافون صوتَ العار أن يُصبحوا بها ... حديثا وأفواه المواسم تَستَبُّ
وما العارُ إلا أنّ بين بيوتهم ... قلوبَ المحبين السلائبُ(١) والنَّهبُ
لئن أشحطوها أن تُزارَ فبيننا ... مواثيقُ، بُعدُ الدار إن رُعِيتْ(٢) قربُ
وإن حُجبتْ والريح تَسفِرُ(٣) بيننا ... بنجوَى فؤادَيْنا فما ضَرَّت الحُجْبُ
وفى دارها "(٤) بالروضتين" لناظرٍ ... شفائفُ(٥) ضوءِ البدرِ تكفُرُه(٦) السحب
ومنها ومن أترابها فى ثرى الحمى ... عبائقُ تَهديها الصَّبا لِيَ والتربُ
وقفتُ وصحبى فى "اللِّوى" فأملَّهم ... وقوفِيَ حتّى قد وقفتُ ولا صحبُ
أُذاكِرُهُ مَرآةَ يومِى بأهله ... فيشكو الذى أشكو ويصبو كما أصبو
ولم أحسَبِ الأطلالَ تُخضعها النّوى ... ولا أنّ جسم الربع يُنحِلُهُ الحبُّ
تحدَّثْ بما أبصرتَ يا بارقَ الحمى ... فإنك راوٍ لا يُظَنُّ بك الكذبُ
وقلْ عن حشًى من حَرّها وخفوقها ... تعلَّمتَ ما تنزو خِطارا وتشتبُّ
وعن بدَنٍ لم يبرح الشوقُ مُعرِيًا ... وشائظُهُ(٧) حتى التقى الجنبُ والجنبُ
فلو أنه فى جفنِ ظبيةِ حابلٍ ... مكانَ القذَى ما كان يَلفِظُه الهُدبُ
وهذا ضنا جسمى وقلبىَ عندها ... فكيف به لو كان فى جسدى قلبُ
فُطرتُ على طينِ الوفاء ودِينِهِ ... فنفسى اليه بالغريزة تنصبُّ
فكم نائمٍ عنّى وثيرٍ مِهادُهُ ... وجنبى له عن لين مَضجَعه ينبو
أصابرُ فيه الليلَ حتى أغيظَهُ ... فتحسُدَ أجفانى على السهر الشهبُ
وأعجبُ ما حدّثتُهُ أنّ ذمّةً ... وفَتْ فارسٌ فيها وخاسَت(٨) بها العُربُ

(١) السلائب : كل ما أخذ قهرا . (٢) فى الأصل : دعيت . (٣) تسفر : تكون سفيرا . (٤) الروضتين : اسم موضع . (٥) الشفائف : الستائر يُستَشَفُّ ما وراءها . (٦) تكفره : تحجبه . (٧) وشائظ جمع وشيظة وهى قطعة عظم تكون فى العظم الصميم . (٨) يقال : خاس بالعهد أى أخلفه .

عذيرِى من الأيّام أونحمن مرتعى ... ورنّقن لى من حيثُ يُستعذبُ الشُّربُ

تُناوبُ قومًا غَضَّها وهشيمَها ... وكلٌّ نصيبى من معيشتها الجدبُ

أُخلِّى عليهم عفوَها(١) ودُرورَها ... فأرضَى بلا ذلٍّ بما كدَّه العصبُ(٢)

وأتركُها تَرْكَ المسالِم قادرا ... لأسلمَ منها وهى لى أبدا حربُ

وكم قد شكوتُ الدهرَ لو كان مُشْكِيا ... وعاتبتُ جورَ الحظّ لو نفع العتبُ

بلى فى يدى ـ لا أكفُرُ اللهَ ـ جانبٌ ... من العز لى فيه الوسيعةُ والرَّحبُ

ومنبعُ جُود لو قنعتُ كفى الغنى ... وبلَّ غليلى ماؤه العَلَلُ(٣) السَّكْبُ

تعوّد جوِّى غيمَهُ ونسيمَهُ ... وأرضِىَ أن تزكو عليه وأن تربو

أقِلْنى من التغرير يا طالبَ العلا ... ومن كدِّىَ الآمالَ تنهضُ أو تكبو

فلولا الندَى العِدُّ "الرحيمىُّ" ما جرى ... الى أيكتى ماءٌ ولا اخضرَّ لى ترِبُ

هم الناس ناسى والزمانُ زمانُهم ... ربيعى وكسبى من رضاهم هو الكسبُ

نَمَلَّحْتُ(٤) فيهم وٱلتحفتُ بريشهم ... فوكرِى بهم حيث ٱستوى الماءُ والعشبُ

وحسْبى غنًى أو سُودَدا أنَّ بحرَهم ... وسيِّدهم عند الملمات لى حَسْبُ

الى "شرَفِ الدين" ٱنتشطنا حبالَها ... تُعانِقُ(٥) فى نفض الطريق وتختبُّ(٦)

سلائلُ ماصفَّى "الغضينُ وداحِسٌ"(٧) ... وحازت كلابٌ رهنَها وٱعتلت كلبُ

بناتُ الفلا والريحِ كل حسيرة ... اليها الرياحُ المستقيماتُ والنُّكْبُ

---

(١) العفو : اللبن أوّل مايحلب . (٢) العصب : أن تُعصب فخذا الناقة لتدرّ، وفى الأصل "العضب" . (٣) العلل : المتتابع، وأصله الشرب بعد الشرب تباعا . (٤) تملّحتُ : سمنتُ وفى الأصل : تلمّحتُ . (٥) تعانق : تسير العنَق وهو ضرب من السير . (٦) تختبّ : تسير الخبب . (٧) الغضين وداحس : اسما فرسين، يضرب بأحدهما المثل يقال : "هو أشأم من داحس" .

كَسِيرِ(١) العصا المقدودِ لو سُلكتْ بها ... ثُقوبُ(٢) الخروت لم يضق دونها ثَقْبُ
تُخالُ عِناناً فى العِنان من الطَّوَى ... وإن شُطِبتْ(٣) بالسوط قلتَ هى الشَّطْبُ
تُحَطُّ اليه وهى قُلْبٌ(٤) من الطَّوَى ... وتُركَبُ عنه وهى مُجفَرةٌ(٥) قُبُّ
الى مَلِكٍ لا يملكُ الخوفُ صدرَه ... خُفوقا ولا يغشَى على رأيه الخطبُ
ولا يطَّبيه(٦) التيهُ فى معجزاته ... اذا هامةُ المفتون أسكرها العُجبُ
مهيبِ الرضا مستصفَحِ السخطِ بالغٍ ... به القولُ ما لا يبلغ البأتر العضبُ
مُحيطٍ بآفاق الإصابة رأيُهُ ... بديهاً، ورأىُ الناسِ مختمرٌ(٧) غِبُّ
اذا رَفَعتْ للإذن(٨) سَجْفاً رواقُهُ ... فللأعين الإشراقُ والآنُفِ(٩) الترِبُ
مَقامٌ تُلاقِى عنده النِّعمُ السُّطَا(١٠) ... ويجتمع الرُّغْبُ المحبَّبُ والرُّهْبُ
اذا أَمَرتهُ مُرَّةٌ من حفيظةٍ ... تسوءُ، نهاه خُلْقه البارِدُ العذبُ
تصوّرَ من حُسنٍ وحِلمٍ ونائلٍ ... ففى الدَّستِ منه البدرُ والبحرُ والعضبُ(١١)
من القوم لم تُضرَبْ عليهم إتاوةٌ ... ولم يَعتبِدْهم غيرَ خالقِهم ربُّ
صدورُ قلوبٍ فى المجالسِ والوغَى ... اذا رشَحوا فاضوا وإن قدَحوا شبُّوا
ومدَّ "عميدُ الدولة" العِرضَ راسخا ... فحدَّثَ عن ضَربِ العلا الرجلُ الضَّرِبُ(١٢)
وما علمتْ أمُّ الكواكبِ(١٣) قبلَه ... وقبلهُمُ أن الهلالَ لها عَقْبُ

---

(١) السير: القِدَّة من الجلد، ويقال فى مثل مولَّدٍ: "ليس فى عصاه سير" يضرب لمن لا يقدر على ما يريده. (٢) الخروت جمع خُرت وهو ثقب الإبرة ويريد بها هنا الإبر نفسها. (٣) شطبت: خط فيها السوط بما يخلفه عليها من الأثر. (٤) قلب جمع قلباء: مقلوبة الشفاه. (٥) مجفرة: عظيمة الجنبين. (٦) لا يطبيه: لا يستميله. (٧) غبّ: متأنّى فيه. (٨) السجف: كل سترين مقرونين بينهما فرجة. (٩) الآنف جمع أنف وهو معلوم. (١٠) السطا جمع سطوة. (١١) العضب: السيف. (١٢) الضرب: الماضي الندب الخفيفُ اللحم. (١٣) أمّ الكواكب: الشمس.

وأنَّ شروقَ الشمس عنهم سينتهى ... الى مَلِكٍ فى صدره الشرقُ والغربُ
أرى المُلك بعـد الميْل قامت قناتُه ... ولُوحِمَ منه بعد ما ٱنصدعَ الشَّعبُ
لك البُلجة البيضـاءُ إن مات فخرُهُ ... وفى يدك التفريجُ إن غَشِىَ الكربُ
وقد علِمتْ أمّ الوزارة أنهـا ... اذا غبتَ ثكلَى قَصْرُها الدمعُ والندبُ (١)
وتُطمِعُ مخـدوعَ المنى فى نكاحِها ... مَطامع كدَّتهـا وأنت لهـا خِطْبُ (٢)
ودبُّوا لهـا تحت الظلام عقاربا ... ولو حسبوا وطء الأخامِص ما دبُّوا
ولمّـا رأَوا عنهـا ٱلتفاتَك عاجلوا ... وُثوباً، وقِدْمًا طاح بالقَدَمِ الوثْبُ
رَقَيْتَ بفضـل الحلم شَوكَةَ لَسْبِهم ... فقـد ماتت الأفعَى وقد برأَ اللَّسْبُ
هُمُ عقـروها إذ تعاطَوا فعُـذِّبوا ... ورأيُك فيهم "صالحٌ" (٣) وهُم السَّقبُ (٤) ٦١
ورامُوا التى يَرضَى بها الخُرقُ وحدَهُ ... خِداعا وتأباها الحـزامةُ واللُّبُّ
ومن دونها أن يخطبَ الليثُ هُدنةً ... من الذئب أو يبكى من العطش الضبُّ
تُحدِّثُهم أحلامُهم أنَّ ظهـرَها ... رَكوبٌ ولكن يُكْذَبون اذا هَبُّوا
صِلُوها فما يشقَى من اليوم سعدُها ... عليكم ولا تَذْوَى (٥) وأنتم لهـا قطبُ
ولا برحتْ فيكم تَجُـرُّ عزيزةً ... سرابيـلَ لا يُخفِى ذلاذِلَها (٦) السَّحْبُ
ضَممتَ عزيبَ الملك بعد ٱنتشارِه ... وأفرشـتَه أمناً وقد ذُعِرَ السِّربُ
وما زلتَ بالتـدبير تركبُ صعبَه ... الى سهله حتى ٱستوى السهلُ والصعبُ
أَحَبَّك ودًّا مَن يخافُك طاعةً ... وأعجبُ شىءٍ خِيفـةٌ معَها حُبُّ
ولو نشَزتْ عنك القـلوبُ لردَّها ... لسانُك هذا الحلوُ أو وجهُك الرَّطْبُ

(١) قصرها : غايتها . (٢) خِطب : خاطب . (٣) صالح : اسم نبىّ من أنبياء الله صلوات الله عليهم . (٤) السقب : ولد الناقة . (٥) تذوى : تذبل . (٦) الذلاذل : أسافل القميص الطويل واحدتها : ذُلْذُل ، وقيل : أثواب تلبس فوق بعضها كل واحد منها أقصر مما تحته لتظهر كلها للناظرين .

فما مُقلةٌ إلا وأنتَ سوادُها ... ولا كبدٌ إلا وأنت لها خِلبُ (١)

وأما القوافى فهى منذ رعيتَها ... بطائنُ وادٍ كلُّ أعوامه خِصبُ

يكاثفها نبتا ويعذُب مَشرَبا ... فلسّاتُها (٢) خَضْمٌ ورشفاتُها عَبُّ

صحائحَ مُلْسًا كالدِّهانِ وعهدُنا ... بها عند قومٍ وهى مُجفلةٌ جُربُ

وكم بكْرةٍ منها لمدحك قُدتُها ... فقرّت ومن أخلاقها الغَشْمُ والشَّغْبُ

تغاديك أيام انتهانى بوفدها ... مكرّرةً لُبسًا وهنّ بها قُشْبُ

بشائرُ ملكٍ صدقُه فيكَ، لا يهى ... له رُكنٌ ولا يقصِّرْ له طُنْبُ (٣)

وأنّ يدَ اللهِ البسيطةَ جُنّةٌ ... تقيكم وأحزاب السعودِ لكم حزبُ

يزورُكمُ قلبى بها مثلَ منطق ... فلا الغِشُّ مَخشِىٌّ عليها ولا الخِبُّ (٤)

وأمدحُ مَن أعطاكمُ مِن لسانِهِ ... وأرضاكمُ مَن قلبُه بِكمُ صبُّ

فلا تعدَموا منها عرائسَ عُطَّلًا ... لها من أياديكم قلائدُ أو قُلْبُ (٥)

اذا مشتِ الأقران حولَ خريدةٍ ... فوَحدتُها فى الحسنِ ليس لها تِربُ

أجُدُّ بها والطبعُ يُجرِى خلالَها ... طُلاوةَ رَقراقٍ تُرِى أنها لِعْبُ

وغيرُكمُ يرتاب بى إن مدحتُه ... لعرفانه ألّا يحِلَّ لها الغصبُ

فأرفعُه بالفعلِ لو كان فاعلا ... وقد خَفَضَتْهُ من نقيصتِهِ رُبُّ (٦)

يُساءُ كأنّى بالثناء أسُبُّهُ ... لعمرُ أبى إنّ النفاقَ هو السبُّ

---

(١) الخِلب : جحاب الكبد . (٢) اللسّة : أخذ الدابّة النباتَ بجحفلتها . (٣) كذا بالأصل وفى النسخة المطبوعة .

* له ركنُ عزّ أو تقصِّر له طنبُ *

(٤) الخبّ بفتح الخاء وكسرها : الخداع ، وفى الأصل "الحب" وهو تحريف . (٥) القُلبُ : السوار . (٦) ربَّ لغةٌ فى ربَّ ، والبيت مكتظٌّ بكثير من التورية النحويّة .

* * *

وقال فى سمكة

وكالرقمِ يحسَـــبه من قــرا ... ويُعرَفُ ممَّنْ إذا مَن كُتبْ
من البَهْمِ لو طَلَب النطقَ ضلَّ ... وفى الأنبياءِ إذا ما طُلِبْ(١)
يبادر خيـلَ الوغى الدُّهمَ والـ ... ـورادَ(٢) بشهباءَ(٣) تُجـلِى الشهبْ
بحيث تُرَى مخطفاتُ(٤) الحـديـ ... ـدِ يضعفن عن مرهفات القَصَبْ(٥)
إذا ما تَرَدَّى(٦) نجـا سالمـا ... ويُقعِص(٧) إن قام أو إن وثبْ
يكون بدرعٍ فيلقَى وإنْ ... تسربلَ درعين لاقَى العطبْ(٨)

* * *

وقال فى سُمَارِيَّة(٩)

وجاريةٍ فى مجَارى الحيـاةِ ... خلعت(١٠) عليهـا رداء الشـبابِ
وحلَّيتُهَا حِليـــةَ المشـــرفـ ... ـىّ فوق حمـائلِهِ والقـــراب

---

(١) يريد بالبَهْـم البهائم ، وسمّيت بذلك لما فى صوتها من الإبهام ، ويستوى فيها كلّ ذات أربع قوائم من دوابّ البر والماء . ويريد بقوله "وفى الأنبياء" سورة "الأنبياء" فى القرآن الكريم وما تضمّنته حكاية عن سيدنا "يونس" عليه السلام من قوله تعالى : (وَذَا ٱلنُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِباً) الآية .
(٢) الدهم : السود ، والوراد : الحمر . (٣) "بشهباء" أى "بدرع بيضاء" وهى كناية عن إهاب النون لبياضه وللمعان ما عليه من قشور تظهر كالنجوم لناظرها . (٤) مخطفات الحديد : لعله يريد بمخطفات الحديد الشصوص جمع شِصّ وهى حديدة عقفاء يصاد بها السمك [صِنارة] .
(٥) القصب : عروق الجناح وعظامها ، ويريد بها "الزعانف" وهى أجنحة السمك وغيرها مما يدافع بها عن نفسه . (٦) اذا ماتردّى : اذا ما سقط فى اللجّة واتخذ سبيله فى البحر سربا . (٧) يقعص : يقتل رغم أنفه . (٨) يريد أن هذا الحوت يلقى كل ما ينتابه بدرعه أى بإهابه لمتانته حتى اذا لبس درعين — كناية عن إهابه وعن الشبكة التى يحيطه الصيّاد بها — فانه يلاقى الموت والهلاك .
(٩) سُمَارِيّة : نوع من السفن الصغيرة تركب فى الأنهر . (١٠) بالأصل "جَعلتُ" .

إذا غادةٌ منعَتْ وطأَها تبطَّنتُ منها ذلولَ الركابِ
وخرَّقَ ما تحتَه ظهرُها كما تخرقُ الشمسُ ثوبَ السحابِ
وأحمدُ من جسمها أنه كريمُ العظام لئيمُ الإهابِ (١)

* * *

وقال فى الدفاتر

وصفحةِ وجه من وجوهٍ عَلِقتُها أراعِى خدوشا فوقها ونُدوبا
تَعرَّضُ لى والغانياتُ صوادفٌ فأذكُرُ أصداغا لها وتَرِيبا
أكونُ حليما تارةً ما اجتليتُها وقُورًا وأحيانا أكون طَروبا
ويُعجِبنى منهنّ أنّى لا أرى حبيبا لقلبى أو أراه قريبا
سَبَتنى بألفاظِ الرجال وطابَ لى جَناها ولم تنطقْ ولم أَرَ طيبا
فأودعتُها ما أودع اللهُ مهجتى جلابيبَ خيطت لأثقلَ جيوبا
تُقصِّر عن أقدامِها ورءوسِها وتملأ أصلابا لها وجُنوبا
إذا عُرِّيتْ منها وَقَتْها عيوبَها وإن أُلبِستها لم توارِ عيوبا

قافيــة التــاء

وقال وكتب بها الى الصاحب أبى القاسم بن عبد الرحيم يمدحُه ويذكُر ظفرَه بعدوٍّ كان يناوئه ويهنّئه بمهرجان سنة إحدى عشرة وأربعمائة

ما أنكرتْ إلا البياضَ فصدّتِ وهى التى جَنَتِ المشيبَ هى التى
غرّاءُ يَشْعَفُ قلبَها فى نحرِها وجَبينِها ما ساءنى فى لِمّتى
لولا الخلافُ وأخذُهنّ بدينه لم تكلَف البيضاءُ بالمُسودّةِ

(١) إشارة الى بياضها وسواد جرمها .

أأنستِ حين سَريتِ فى ظَلمائها ... ونفرتِ أن طلعتْ عليـك أهلّتى ؟
ولقدعلمتِ ـ وعهدُ "رامةَ" عهدُنا ... فَتيِيْن ـ أنّى لم أشبْ من كَبرة
وإذا عددتِ سنِىَّ لم أك صاعدا ... عَددَ الأنابيب التى فى صَـعدتى (١)
أَجَنيتُهـا من خَـلّةٍ (٢) فى مَفـرِقى ... فتكونَ عنـدك قادحا فى خُلّتى (٣) ؟
نَكِروا ـ فلا عَرَفوا ـ "برامةَ" وقفةً ... مَيـلاءَ نادتها الديارُ فلبّتِ
وألام فيك وفيك شِبتُ على الصِّبا ... يا جَورَ لائمتى عليـك ولِمّتى
وحننتُ نحـوك حَنَّـةً عربيّـةً ... عِيت، وتُعذرُ ناقةٌ إن حنّتِ
ماذا على الغضبانِ ؟ ما آسترفدتُه ... دمعا ولا آستوقفتُهُ من وقفـتى
أبغى الشـفاءَ بذكره مِن مُسقمى ... عجبـا لمن هـو علّتى وتعلّتى !
يا هلْ لليلاتٍ "بجَمعٍ" عودةٌ ؟ ... أم هل الى وادى "مِنًى" من نظرةٍ ؟
والحاصبات، وكلُّ موقع جمـرةٍ ... يَنبـذْنَها فى القلبِ مَوقِدُ جمـرةِ
ومِن المحـرَّم صـيدُهنّ خليعةً ... طابت لهـا تلك الدماءُ وحَلّتِ
حكمتْ عليـك بقلبِ ليثٍ مُخدِرٍ ... ورنتْ اليـك بعـين ظبيٍ مُفلِتِ
ورأيتُ أمَّ الخشفِ تَنشُـد بيتها ... أفأنتِ تلك سرقتِ عينَ الظبيـةِ !
نَشَطُوا عن الركب الحبالَ فنفَّروا ... سكّانَ أضـلاعى بأوّلِ نفـرةِ
رفعوا القبابَ، وكلُّ طالبِ فتنةٍ ... يرنو اليـك وأنتِ وحدكِ فتنتى
لا آستوطأتْ منّى مكانَكِ خُلّةٌ (٤) ... كلُّ الفـؤاد نصيبُ ذاتِ الكِلّةِ (٥)

(١) الصعدة : القناة . (٢) الخَلّة : الحاجة . (٣) الخُلّة : الصداقة . (٤) الخُلّة : الخليلة . (٥) الكِلّة : الستر الرقيق أو غشاء يُتوقّى به من البعوض [ناموسيّة] .

* * *

يامن يلوم على اجتماعى قاعدا ... والأرضُ واسعة الفُروج لنهضتى
ويَرى الرجالَ وكلُّهم متكثِّر ... بصحابةٍ فيلومنى فى وَحدتى
أُعذُرْ أخاك فما تهجَّر مُشمِسا ... حتى تقلَّص عنه ظلُّ الدَّوحةِ
كيف اعترافى بالصديق وكيف لى ... بالفرق بين محبتى من بِغضتى ؟
وقلوبُ أعدائى الذين أخافُهم ... مغلولةٌ لِىَ فى جسوم أحبَّتى
رقَص السرابُ فراقنى من راقصٍ ... كَشَرتْ مودّتُه وراءَ الضَّحكة
ورأيتُ فاغرةً ظننتُ كُشورَها ... طلبًا لتقبيلى فكان لنهستى (١)
وَلَدَ الزمانُ الغادرين فما أرى ... أمَّ الوفاء سوى المقِلِّ المُقلِتِ (٢)
وهُزِلتُ أن سَمِنَ اللئامُ وإنما ... ذلُّ المطامع حزَّ عزَّةَ جَوْعتى
ولكلِّ جسمٍ فى النحول بليَّةٌ ... وبلاءُ جسمى من تفاوتِ همّتى
أمَّا على كذبِ الظنون فإنها ... صدَقتْ أمانٍ فى "الحسين" وبرَّتِ
المجدُ ألقحَ فى السماء سحابةً ... نَتجَتْ به مطرَ البلاد فعمَّتِ
أَروَى على يَبَس الشفاهِ وبيَّضتْ ... كفّاه باردةً سوادَ الحِرَّة (٣)
متهلِّلا أعدَى بخُضرة جودِه ... جدبَ الرُّبَى من أرضها المغبَرَّةِ
"بالصاحب" انفتقتْ لنا ريحُ الصَّبا ... خِصبا وغنى الساقُ (٤) فوقَ الأيكةِ
كُفِلَتْ بأُولَى مجدِه أيامُهُ الـ ... ـأخرَى فأحيَا كلَّ فضلٍ ميِّتِ
شَرفًا بنى "عبد الرحيم" فإنما ... تُجنَى الثمارُ بقدرِ طِيبِ المَنبِتِ
لكُمُ قُدامَى المجدِ لكن زادكم ... هذا الجَناحُ تحلُّقا فى الذّروةِ
غدتِ الرياسةُ منكُمُ فى واحدٍ ... كَثُرتْ به الأعدادُ لمّا قلَّتِ

(١) النهس : النهش . (٢) المقلت : المرأة لا يعيش لها ولد . (٣) الحِرّة : الحجارة السود . (٤) الساق : الحمام .

عَطفتْ لكم يدُهُ وزَمَّتْ آنُفا ... شُمًّا لغير خِشاشِهِ ماذلَّتِ
لما تقلَّدها وكانت ناشزًا ... ألقتْ عَصاها للمقام وقَرَّتِ
موسومة بكُمُ فمَن تَعلَقْ بها ... دعواهُ يَفضحُهُ عِلاطُ(١) الوسمةِ
نِيطتْ عُراها منه بابنِ نجيبةٍ ... سهلِ الخُطَا تحتَ الخطوبِ الصعبةِ
يقظانَ يلتقطُ الكرى من جفنِه ... نظرُ العواقبِ وآتقاءُ العِذرةِ(٢)
لا يطمئنُّ على التواكُلِ قلبُهُ ... فيما رعى إن نامَ راعى الثَّلَّةِ
تدجُو(٣) الأمور وعندَه من رأيه ... شمس إذا ما جَنَّ خطبٌ جلَّتِ
ويُصيبُ مرتجلًا بأوّل خَطْرةٍ ... أغراضَ كلِّ مخمِّرٍ ومُبيِّتِ
تَدمَى بنانُ النادمين وسِنُّهُ ... ملساءُ إثرَ ندامةٍ لم تُنكَتِ
ما ضمَّ شملَ المُلكِ إلا رأيُهُ ... بعد آنتشار شَعاعِهِ المتشتِّتِ
حَسَرَ القذَى عن حوضِهِ وسقَى على ... طولِ الصدَى فشفَى بأوّلِ شربةِ
من بعد ما غمَزَ العدا فى عُودِهِ ... وآستضعفوا قَدَمًا له لم تثبُتِ
ولربَّ بادئةٍ وكانت جذوةً ... كُلمتْ ضِراما "بالحسينْ" وتمَّتِ
حاميتَ عنه بصولةِ المتخمِّطِ(٤) الـ ... ـعادى وهَدْيِ المستكينِ المُخبِتِ(٥)
وإذا عُرَى الحزمِ آلتقتْ عَلقَ الفتى ... بمَدَى السريعِ على خُطَا المتثبِّتِ
إن الذينَ على مكانِك أجلبوا ... ضربوا الطُّلَى(٦) بصوارمٍ ماسُلَّتِ
طلبوا السماءَ فلا هم آرتفعوا لها ... شُلَّ(٧) الأكفُّ ولا السماءُ آنحطَّتِ
وبودّ ذى القَدَمِ القطيعةِ ماشيا ... لو أنّها سلمتْ عليه وزلَّتِ

(١) العلاط : سمة فى عرض عنق البعير، ومنه : لأعلُطَنَّك عَلْطَ البعير . (٢) العِذرةُ : اسم بمعنى المعذرة . (٣) تدجو : تُظلِم . (٤) المتخمّط : الشديد الغضب . (٥) المخبت : الخاشع المتواضع وفى القرآن الكريم (وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ) . (٦) الطُّلى : الأعناق أو أصولها . (٧) شُلّ جمع أشلّ .

خان السُّرى ركْبَ القِلاصِ (١) وسُلِّمتْ ... بُسُطُ الفلاةِ الى القُروم (٢) الجِلّةِ (٣)

يَفديك مُرتابٌ بغلطةِ حظِّه ... سَرَقَ السيادةَ من خِلالِ الفَلتةِ

ما رُدَّ يوما عازبٌ من عقله ... إلا رأى الدنيا به قد جُنَّتِ

قُبِضتْ يداه وما يبالى سائلٌ ... بخِلتْ عليه يدُ امرئٍ أو شَلَّتِ

وأرى الوزارةَ لا يُعاصِلُ (٤) نابَها ... حاوٍ سواك على اختلاف الرُّقيةِ

يرجوك ريِّضُها لمتنٍ مُزلِقٍ ... قد قُطِّرتْ (٥) فُرسانُهُ فتردَّتِ

يشتاق ظهرُك صدرَ مجلسها وكم ... شكَت الصدورُ من الظهورِ وضَجّتِ

وإذا التفتَّ الى الأمور رأيتُها ... مذخورةً لك من خِلالِ تلفُّتى

فألٌ متى يامنت سانحَ طيرِهِ ... صدقَتْ عِيافتُها بأوّلِ زجرةِ

فهناك فاذكُرْ لى طريفَ بِشارتى ... بعلاك واحفَظْ تالدًا من صحبتى

لو شافَهَ الصُّمَّ الجلادَ محدِّثٌ ... عنكم بنى "عبد الرحيم" لأصغتِ

أو عُوِّضتْ بكم السماءُ وقد هوتْ ... أنوارها بَدَلَ النجومِ تسلَّتِ

الباذلون فلو تُصافحُ راحَكم ... ريحُ الصَّبا وهى الحيا لاستحيتِ

والقائلون بلاغةً فلو احتبَتْ ... أمُّ الفصاحة بينكم لأذَمَّتِ (٦)

أنِستْ بفاتحة الكتاب شِفاهُكم ... ورزقتُمُ ظَفَرَ الكتابِ المُسكِتِ

---

(١) القلاص جمع قَلوص وهى الشابّة من الإبل . (٢) القروم جمع قَرْم وهو الفحل من الإبل وقيل : السيد العظيم على التشبيه بالفحل وقد اجتمع كلاهما فى قول المتنبى :

ولكنّا نداعب منك قَرْمًا * تراجعت القرومُ له حِقاقا

أى نمازح منك سيدا عظيما صارت فحول الرجال بالنسبة اليه كالنياق بالنسبة الى فحول الجمال ، وحقاق جمع حِقّ وهى الناقة التى سقطت أسنانها هرما . (٣) الجلّة جمع جليل . (٤) يعاصل : يعوج .

(٥) قُطِّرتْ : ألقيت على قُطرها . (٦) لأذمّت : لأعيت وتخلفت .

لكُمُ أنحنى صَيَدى(١) وأعسلَ حنظلى ... للجتـنى وتولّدتْ حُوشيّتى(٢)

وسجرتمونى منصفين مودّةً(٣) ... ورفادةً يومَىْ رَخاىَ وشدّتى

أعشبتُمُ فبطِنْتُ(٤) فى مَرعاكُمُ ... والدهرُ يقنَعُ لى بفضلِ الجِرّةِ(٥)

أدعو وغابَ أبى وقلّ عشيرتى ... فيكون نصرُكُمُ إجابةَ دعوتى

ومتى تقيّدُنى الليالى عن مدًى ... قمتم فأوسعتم اليها خطوتى

عجِبَ المديحُ وقد عَمَمتكُمُ به ... من رَجعتى فيه عَقيبَ ألَيّتى

حرّمتُه زمنا فكنتم وحدكم ... من بينِ مَنْ حَمَلَ الترابُ تحلّتى

هو جوهرٌ، ما كلُّ غائصةٍ له ... بالفكر تَعلمُ ما مكانُ الدُّرّةِ

ويَصحّ معناه ويسلَمَ لفظُهُ ... ونظامُه، وهناك باقى العلّةِ

كم خاطبٍ بأعزّ ما تحوِى يدٌ ... عذراءَ منه وعِرضُهُ دونَ ابنتى

ولقد زففتُ لكم كنائنَ خِدرِه ... فكرمتُمُ صِهراً ووالِىَ عُذْرَةِ

من كلّ راكبةٍ بفضلِ عَفافِها ... والحُسنِ عُنْقَ العائبِ المتعنّتِ

عزّتْ فما عَثرتْ بغير معوِّذٍ ... بِلعًا(٦) ولا عَطستْ بغير مُشمّتِ

أَمَةٌ لكم بجزيل ما أوليتُمُ ... وتُصانُ عندكُمُ صِيانَ الحُرّةِ

سلِمتْ على غَرَرِ الخلاف، ولادُها ... فى أُمّةٍ ووِدادُها فى أُمّةِ

مَدّتْ الى "ساسانَ"(٧) ناشرَ عِرقِها ... وقضت لها "عدنانُ" بالعربيّةِ

يُصغى الحسودُ لها فيشكرُ أُذنَهُ ... طربا وودّ لغيظه لو صَمّتِ

---

(١) الصَّيَدُ : رفع الرأس كبرا . (٢) الحوشيّة : وحشىّ الكلام وغريبه ويريد أنه صار مولّدا بعد حوشيته . (٣) سجرتمونى : ملأتمونى، وفى الاصل "سحرتمونى" ولعله تحريف . (٤) بطنت : عظم بطنى من الشبع . (٥) الجرّة : مايفيض به البعير فيأكله ثانية . (٦) لعا : كلمة تقال عند العثرة دعاء بالانتعاش . (٧) ساسان : جدّ ملوك الأكاسرة الساسانية .

تَسرِى رفيقةَ كلِّ يومٍ مُؤذِنٍ (١) بسعادةٍ فاذا ألمَّ ألمَّتِ
تَروِى لكم عن "ذى القرون" حديثَهُ (٢) قِدْماً ويُحيى نشرُها "ذا الرُّمَّةِ"
أحمدتُمُ ماضىَّ فى أمثالها ولئن بقيتُ لتحمَدُنَّ بقيَّتى

* * *

وقال فى غرض له

رعى الله يوم البين ظبيا أذمَّ (٣) لى بما أثَّر التوديعُ فى وجناتِهِ
تعاطيتُ إلا النومَ بعد فراقِهِ كأنِّى عليه مُسقَمٌ بحياتِهِ
وصرتُ أذمُّ الدهرَ فى الليل ما دجا وعهدى به والليلُ من حسناتِهِ

* * *

وقال يرثى الصاحب بن عبد الرحيم ويتفجّع له

قِفَا نِضوَيْكما "بالغَمْرِ" (٤) نسألْ حَفِيًّا (٥) أينَ مثوَى المكرماتِ ؟
وأىَّ ثرًى كريمِ العرقِ سِيطَتْ (٦) به رِمَمُ المعالى الدارساتِ ؟
وأينَ لذكرها تحتَ الغوادى مَطارحُ أعظمٍ فيها رُفاتُ ؟
وكيف تكوّرتْ بيدِ المنايا الـ ـغزالةُ مَدْرَجًا (٧) للسافياتِ ؟
وإن أصفَى (٨) مَزادُكما فمُدَّا بأذنبةٍ (٩) هُنالكَ مُترَعاتِ
أناملُ "للحسين" غبرنَ حينا ضرائرَ للغيوث المُرزِمات (١٠)
ولُوذَا مُسنَدَيْنِ بجنب طَودٍ من المعروف عالى الهضبِ عاتى

(١) ذى القرون : الإسكندر . (٢) ذا الرمة : اسم شاعر . (٣) أذمّ لى : أخذ لى عليه الذمّة . (٤) النضو : المهزول من الإبل وغيرها . (٥) الحفىّ : العالم يتعلم الشىء بالاستقصاء وفى القرآن الكريم (يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا) . (٦) سيطت : خُلطت . (٧) الغزالة : الشمس ، والسافيات : الرياح تحمل ترابا . (٨) أصفى : خلا . (٩) أذنبة جمع ذنوب وهو الدلو . (١٠) المرزمات : المجلجلات بالرعد .

فثَمَّ الجارُ محمىُّ النَّواحِى ... وثَمَّ الرِّعىُ مكتهِلُ النباتِ
وثَمَّ الوجهُ أبلجُ والمساعى الـ ... ـكِرامُ وثَمَّ حاجاتُ العُفاةِ
قِفَا فتنادَيا فلعلَّ صوتًا ... سيزقو (١) أو يُصيخ الى الدُّعاةِ
وقولا : كيف يا حَنَشَ الرمالِ آخـ ... ـتُدِعتَ ولستَ من قنَص الرُّقاةِ ؟
مَن الحاوى الذى آنتزعتْ يداهُ ... نيوبَ العزِّ من تلك اللَّهاةِ ؟
لعمرُ العاطفين اليك ليلًا ... لنعمَ أخو العشايا الصالحاتِ
ونِعمَ عدوّ مالِكَ كنت فيهم ... وخصبُ الجالباتِ الرابحاتِ
ومأوَى كلِّ مُطَّرِدٍ تُرامِى ... به الأخطارَ أيدى النائباتِ
لِمَنْ خيلٌ تُضمَّر للسرايا (٢) ... وفُرسانٌ تُخمَّر للبَياتِ ؟
وأندِيةٌ وأروقةٌ رِحابٌ ... تَضُمُّ بدائدَ الفضلِ الشتاتِ ؟
ومَنْ للحكَماتِ من القوافى ... تطيرُ بهنَّ أجنحةُ الرُّواةِ ؟
ومَنْ لى يَزحَمُ الأيّامَ عنّى ... وقد هجَمتْ علىّ مصمِّماتِ ؟
ويجذِبُ من يد الزمن المُعاصى ... بأضباعِى (٣) الى الزمن المُواتِى ؟
ومَن ذا قائلٌ : خذْ أو تحكَّمْ ؟ ... إذا أنا قلتُ : هَبْ ، أو قلتُ : هاتِ
وما أنا والعزاء وقد تقضَّتْ ... حياةٌ تُستَمَدُّ بها حياتى
يُعنِّفُ فيك أنْ صُدِعتْ ضلوعى ... خَلِىُّ القلبِ من تلك الهَناتِ
كأنّى فيك أُبعَثُ بالتأسّى ... على جزعى وأُغرَى بالعظاتِ
رزئتُك أطولَ الرجلين باعا ... وأمضَى الصارمين على العُداةِ
وأوفَى من سِراج الأفق نوراً ... إذا الأيّام كانت داجياتِ

(١) سيزقو : سيصيح . (٢) السرايا جمع سَرِيَّة وهى قطعة من الجيش . (٣) أضباع : جمع ضبع وهو العضد .

كأنّى قبلَ يومِك لم أُفزَّعْ ... بصائحةِ العشيِّ ولا الغَداةِ
ولم تُطرَفْ بفاجعةٍ لحاظى ... ولم تُقرَعْ بمَرْزِئةٍ(١) صَفاتى
بكيتك فى العُناةِ فحين قالوا : ... قُتِلتَ ، وددْتُ أنّك فى العُناةِ(٢)
أصاب السيفُ منك غِرارَ(٣) سيفٍ ... وحُطَّ بك الفُراتُ الى الفُراتِ
فلا زالت هى البُتْرُ(٤) النَّواتِى(٥) ... سيوفٌ أسلمتك الى النواتى(٦)
ذوائبِ أسرتى وكرامِ صَحبى ... وإخوةِ شِدَّتى وبنى ثِقاتى
هوت "بالصاحب" القِرطاتُ(٧) منّى ... فَرُحْتُ بعاطلاتٍ مُصْلَماتِ(٨)
لقد خُولستُ وُسطَى العِقدِ منكم ... به وخُدِعتُ عن أُخرى القناةِ
فيا مطلولُ ، بلَّ ثراك صبحًا ... صلاةُ الله تَتبعُها صلاتى
لقد واسيتنى فى العيش دهرا ... فمالى لم أُواسِك فى الممات
عَسى وبَلى لنا لا بدّ يومٌ ... سيَقضِى فيك ممطولَ التِّراتِ
فإن أَجزعْ فماضٍ كلُّ ماضٍ ... وإن أصبِرْ فآتٍ كلُّ آتِ

* * *

وقال وكتب بها الى الأستاذ أبى الحسن المختار بن عبد الله الذهبىّ الكاتب ، يذكُر سرورَه بمودّتِه من بين الإخوان ، وقد سأله ذلك

دعْها تكُنْ كالسَّلْفِ(٩) من أخواتِها ... تَجرِى بها الدنيا على عاداتِها
ما هذه يا قلبُ أوّلُ عثرةٍ ... قذَفتْ بك الأطماعُ فى لَهَواتِها
هى ما علمتَ ، وإن ألِمتَ لفضلةٍ ... من ثِقلِ وطأتِها وحدّ شَباتِها

(١) المرزِئَة : المصيبة . (٢) العناة جمع عانٍ وهو الأسير . (٣) الغرار : الحدّ .
(٤) البُتْر : المقطوعة . (٥) النواتى : المتمايلة ضعفا . (٦) النّواتى : الملاحون .
(٧) القِرطات : القُرط ما يُعلّق بالأذن وجمعه قِرَطَة والقرطات جمع الجمع وفى الأصل "الفرطات" .
(٨) مصلمات : مقطوعة الآذان . (٩) السَّلَف : المتقدم ، وسكّنت لامه للضرورة .

كم خطوةٍ لك فى المُنى إزليقةٍ (١) لم تنتصرْ بلَعًا على عثَراتِها
وذخيرةٍ طفِقتْ يداك تضمُّها والدهرُ خلفَك مولَعٌ بشَتاتِها
ووثيقةٍ ألجأتَ ظهرَك مُسنَدًا بغرورها فسقطتَ فى مَهواتِها
لو كنتَ عند نصيحتى لم ترتَبِقْ (٢) بمشُورةِ الآمالِ فى حَلقاتِها
وهَوًى أطعت أميرَهُ فى لذّةٍ متبوعةٍ لم تنجُ من تَبِعاتِها
يبنى السفينَ اللامعاتِ سرابُها ويُعَدّ مخدوعا ترابُ فلاتِها
وفتاةِ قومٍ لا ينامُ مُغيرُهم رُمتَ اقتسارَهُمُ على خلَواتِها
شحذوا المُدَى لك دونها فركِبتَها تغترُّ حتّى طِرتَ فى شَفَراتِها
ويَمينِ جاريةٍ * سَلَكْتَ فى مِسباحِها وذَهَبْتَ فى آناتِها (٣)
ما كانَ قبلَكَ لِلحفاظِ شريعةٌ فى دِينِها أبدًا ودِينِ لِداتِها
نظرَتْ فكنتَ ضريبةً لحسامِها ومشَتْ فكنتَ دَريئةً (٤) لقَناتِها
ومضيتَ تتبعُ وصلَها ولسانُها (٥) والرشد عند صدودِها ووشاتِها
نَمْ، قد سهرتَ فدونَ يومِ وفائِها — وهى التى جرَّبتَ — يومُ وفاتِها
واشكر لها كَشْفَ القِناعِ فإنها غَدرتْ فكان الغدرُ من حسناتِها
واذكرْ مآربَ غيرَها واعجبْ لها غصبتك آفتُها على لذّاتِها!

* * *

ومُلثَّمينَ على النِّفاق بأوجهٍ صُمٍّ يصيحُ اللؤمُ من قَسَماتِها (٦)

---

(١) إزليقة : لم نعثر على هذه الكلمة ولعله يريد بها "زلّاقة" .
(٢) لم ترتبق : لم تُدخِلْ رأسك فى الربقة وهى عروة فى الحبل الذى يشدّ به البهم وقد تقدّم .
(٣) هكذا ورد بالأصل رسما وشكلا ولم نوفق الى صحة وزنه ولا الى اكتناه ألفاظه ومعناه .
(٤) الدريئة : الحلقة يُتعلَّم الطعن عليها .
(٥) لسانها أى المتكلم عنها ويريد به الواشى .
(٦) القَسمات جمع قَسمة بفتح السين وكسرها : الوجه، أو ما بين الوجنتين والأنف .

صبغوا الوفاءَ بياضَه بسوادِه ... والمكرماتِ هبوبَها بسُباتِها

متراهنين على الدنيَّةِ أحرزوا ... غاياتِها وتناهبوا حَلَباتِها

ورِثتْ نفوسُهمُ خبائثَ أصلِها ... لؤمًا وزادت دِقَّةً من ذاتِها

أيدٍ تجفُّ على الربيع وألسنٌ ... سَرَقَ السرابُ الإفكَ من كلماتِها

يَصِفُ المودّةَ بشرُها ووراءه ... بِشرُ الزجاج يشِفُّ عن نيّاتِها

دَسُّوا المكايدَ فى مواعدَ حُلوةٍ ... كانت عقاربَ والكِذابُ حُماتِها (١)

خِلَقٌ إذا حَدّثت عن أخلاقِها ... فكأنما كشَّفت عن سَوْآتِها

لله آمالٌ أَرَقتُ دماءَها ... فيهم فلم يتعلَّقوا بذِيَاتِها

وكرائمٌ ولَّيتُ فَضَّةَ عُذرِها (٢) ... منهم سوى أكفائِها وكُفاتِها

غُرٌّ أهنتُ على اللئام كرامَها ... وأبحتُ أبناءَ العُقوقِ بناتِها

أهمتُها فيهم سُدًى مظلومةً ... تبكى أراجزُها على أبياتِها

يتنا كرون حقوقَها من بعد ما ... عُلِطوا (٣) على أعراضهم بِسِماتِها

من كلّ مفتوحٍ اليها سمعُهُ ... مضمومةٍ كفّاه دون صِلاتِها

يَهوَى العُلا فاذا ٱرتق ليناله ... ردَّاهُ (٤) حبُّ الوفرِ من شُرُفاتِها

حيرانَ يتبعُ من أخيه ونجلِهِ ... ما يتبعُ الأصداءَ من أصواتِها

مَن عاذرى منهم ومَن لحرارةٍ ... أشرجتُ (٥) أضلاعى على جمراتِها ؟

ولُحُطَّةٍ خَسْفٍ عصبتُ بِعارِها ... رأسَ العلا وحططتُ من درجاتِها ؟

أنا ذاك جانيها فهل أنا آخذٌ ... غيرى بها وهو الذى لم يأتِها (٦) ؟

(١) حُمَات جمع حُمَةٍ وهى إبرة العقرب تَضرِبُ بها . (٢) العُذْر : البكارة . (٣) عُلطوا : وُسِمُوا . (٤) ردّاه : أسقطه . (٥) أشرجت : جمعت أشراجها والاشراج : العُرى .
(٦) يأتها : يأتيها وقد سهّلت الهمزة .

يا حظُّ ما لك ؟ لا أقالك عثرةً ... جارى الحظوظِ وغافرٌ زلّاتِها

كم أشتكيك وأنت صِلُّ حَمَاطَةٍ[1] ... لا يطمعُ الحاوون فى حيّاتِها ؟

عيشٌ كَلَا عيشٍ ونفسٌ ما لها ... من مُتعةِ الدنيا سوى حسَراتِها

وتودّ حين تودّ لو ما بُدّلتْ ... أحبابَها من جَورها بعُداتِها

ويزيدها جَلَدا وفرطَ تجلُّدٍ ... بين العدا الإشفاقُ من إشماتِها

إن كان عندك يا زمانُ بقيّةٌ ... ممّا يضامُ بها الكرام فهاتِها

صبرا على العوجاءِ من أقدارِها ... لا بدّ أن تجرى الى مِيقاتِها

ولعلّها بالسخط منك و بالرضا ... أن تستقيمَ طريقُها بُحداتِها

كم مثلها ضاقتْ فجلّ[2] ضِيقَها ... يومٌ ولم يُحسبْ جَلَا غَمَراتِها

ولقد كتزتُ فهل علمتَ مكانهُ ... من صفوِ أيّامى ومن خيراتِها ؟

خِلًّا تنخّلَه ٱرتيادى واحدا ... صحّتْ به الدنيا على عِلّاتِها

غلِطتْ به أمُّ الزمان فأنجبتْ ... فيه وخابت فى بنى عَلّاتِها[3]

لى منه كالئةُ العيون وبسطةُ الـ ... ـأيدى الثقاتِ اذا عدمتُ ثِقاتِها

وقرابةُ الأخِ، غيرَ أنّ مسافةً ... فى الودّ لم يبلغ أخى غاياتِها

مِن ما نعى حَرَمِ الإخاءِ ونافضى ... طُرُقِ الوفاءِ فمُحرِزى قصَباتِها

والسالمين على تلوّنِ دهرهم ... وتحوّلِ الأشياء عن حالاتِها

واذا الأكارعُ والزعانفُ عوّروا ... من خلّةٍ كانوا مكانَ سَراتِها

نبّهتُه ومن العيون غضيضةٌ ... حولى وأخرى كنتُ أخت قَذاتِها

(١) الحماطة شجرة التين أو الجمّيز وعشبة خشنة المسّ . (٢) حلّل : فرج . (٣) بنو العَلّات : بنو أمّهاتٍ شتّى من رجل واحد ، واحدتها "عَلّة" وهى الضَّرّة .

فأثرتُ منه أبا الشبول فمالت الـ (١) (٢) ـأرماحُ تدعسُه (٣) على غاباتها

ملآن من شرفِ السجيّة، نفسُه تحوى الفضائلَ عن جميع جهاتها

منقادة للمكرماتِ، وأنفسٌ تدَعُ العلا وتُقادُ فى شهواتها

ما آختارت المختارَ لى إلا يدٌ وثِقتْ لمُغرسها بطيبِ جناتها

لله خائلةٌ رأيتُ ودادَها بدلالة التوفيقِ فى مرآتها

ردَّ الزمانُ به شبيبةَ عيشتى بعد آشتعال الشَّيبِ فى شَعَراتها

وتسوّمت غُرًّا محجَّلةً به أيامُ دهرٍ قد نكِرتُ شِياتها

كم خَلَّةٍ داويتُها بدوائها منه ونعمَى كان من أدَواتها

وملمّةٍ وَلِىَ الزمانُ فُتوقَها منّى رقعتُ به وسيعَ هَناتها

من حاملِ صُحف الثناءِ أمانةً (٤) لا يستطيعُ النَّكثُ قرعَ صَفاتها

شكرا كما ضحكتْ اليه (٥) مجودةٌ "بالحَزْن" (٦) باقى الطلِّ فى حَنواتها

يغدو فينقُلُ ثِقلَها بسكينةٍ (٧) فى سَمْتِها هَدْىٌ وفى (٨) إخباتها

طَبٌّ بعلم فُروضها وقُروضها حتى يؤدِّيَها على أوقاتها

أبلغ "أبا الحسَن" التى ما بعدها مرمًى لغالبة المنى ورُماتها

عنّى: مُغلغَلةً تُسِرُّ حديثَها (٩) أمَّ الكواكبِ أو أعيرَ صِفاتها

من منبع الحُلوِ الحلالِ اذا غدا مِلحُ القرائح ذاهبا بفُراتها

لو نازل الرُّهْنانَ (١٠) حطَّ قِنانَها (١١) فصبت اليه وحلَّ من عَزَماتها

(١) الشبول جمع شبل وهو آبن الأسد. (٢) بالأصل "تمالت" وهو تحريف. (٣) تدعسه: تدفعه. (٤) فى الأصل: "النَّكْتُ". (٥) مجودة: ممطورة. (٦) الحنوات جمع حنوة وهى العطفة. (٧) السمت: السير على الطريق بالظن. (٨) الإخبات: خروج القوم للخبت وهو المطمئن من الارض. (٩) أمّ الكواكب: الشمس. (١٠) الرُّهنان: اسم موضع ولعله مشهور بقنان جباله. (١١) قِنان جمع قُنّة وهى قلّة الجبل.

٦٧

يَجزيك عن كسبِ العلاء وحبِّه ... ما تَنطقُ الخرساءُ بعدَ صُماتِها (١)

وتردُّ أعراضَ الكرام كأنّها ... يمنيّـــةٌ تختالُ فى حِبراتِها (٢)

ثَمَنا لودِّك، إن يكن ثَمناً له ... بذلُ القوافى فيك مكنوناتِها

تسخو به لك من نَخيلةِ سرها ... نفسٌ ترى بك ما ترى بحياتِها

* * *

وقال وكتب بها الى أبى قَوامٍ ثابتِ بنِ علىّ بن مزيدٍ يتنجَّزه وعدا وذلك فى رجب سنة تسع عشرة وأربعمائة

خصيمايَ من "ظمياءَ" واشٍ وشامتُ ... وحظَّاى مظنونٌ لديها وفائتُ

وقلبى لها وحشيَّةٌ ضلَّ خشفُها ... تُطاولُ تبغيه الرُّبا وتلُافتُ

مضت ليلةٌ تقتصُّه بعـــدَ ليلةٍ ... ويومٌ تداجيه الشخوصُ الثوابتُ

تناشِدُ عنه النجمَ : أين طريقُهُ؟ ... تحارفُه طَورا وطَورا تسامتُ (٣)

ولا هو منها حيث يُجمَـــعُ شاردٌ ... ولا يُرتجَى للعَـــودِ إن عاد فالتُ

سوى أنها مرّت بماءِ سُوَيقةٍ (٤) ... سُحَيرا (٥)، ورامٍ بالشريعةِ بائتُ

على يده للـــرزق أذلغُ (٦) أحرسٌ (٧) ... وضَلعاء (٨) فوها ساعةَ النزع صائتُ

يقوت شِعاثاً (٩) مقترين (١٠) بفضلها ... أطابت له أو جانبتـــه المَقاوتُ

فما رابها إلا دمٌ ونُـــويرةٌ (١١) ... ومنتقياتٌ (١٢) ـ من عظامٍ ـ رَفائتُ

---

(١) الصُّمات : لغة فى الصُّموت وهو السكوت . (٢) حبراتها بكسر الحاء وفتحها جمع حِبَرة : ضرب من برود اليمن . (٣) تسامت : تقابل وتوازى . (٤) سويقة تصغير ساقية .

(٥) سحير تصغير سحر . (٦) الأذلغ : متشقق الشفتين ويريد به السهم ، وفى الأصل "أذلع" .

(٧) الأحرس : القديم العادىّ الذى أتى عليه الحَرْسُ أى الدهر . (٨) الضلعاء : القوس المعوجّة .

(٩) شعاثا : غُبْر الرءوس . (١٠) مقترين : معسرين . (١١) نويرة تصغير نار .

(١٢) منتقيات : أُكلَ نِقْيُها وهو مخّها .

فعادت تُماشي اليأسَ موضعَ ظلِّه ... وللحَيْن ـ لو أغنى الحِذارُ ـ مَواقتُ

وخبّرني السُّفّارُ أن قد تبدَّلتْ ... فقلت : حديثٌ مُضحِكٌ وهو كابتُ (١)

أسدَّ مكاني في الهوى مَنْ تعوّضتْ ؟ ... مدًى وأبيها بيننا متفاوتُ !

أمِنْها خيالٌ والجُنوبُ خوافقٌ ... بجانب "خَبْتٍ" (٢) والجفونُ خوافتُ ؟

طوى الليلَ نجمًا وهو يستثقلُ الخُطا ... بساهلةِ الأردافِ ثم يعانتُ (٣)

فبتنا به في ضَوعةٍ وإنارةٍ ... وبانُ "اللوى" خزيان والبدرُ باهتُ

نرى أنّ فأرَ (٤) المسك تحتَ رحالنا ... فتائقُ من أردانه وفتائتُ

سل الخِيمَ (٥) بالبيضاء من جانب الحمى : ... أتُجمِعُ أوطاري بكنّ الشتائتُ ؟

وهل لطريدٍ سلّه الدهرُ مُدرَكٌ ... فتُعقَلَ لي لا تكنّ الفلائتُ ؟

اذ العيشُ حيٌّ والزمانُ مراهقٌ ... فتًى وريحانُ البطالةِ نابتُ

تلوَّنَ رأسي صِبغتين فميّتٌ ... وذو نبّةٍ أو لاحقٌ متماوتُ

وأمست على أيدي الغواني حبائلي ... وهنّ بأطراف البنان بتائتُ (٦)

وما الدهرُ إلا داءُ همٍّ مماطلٌ ... مدى العيشِ أو خطبٌ هجومٌ مُباغتُ

عذيري من الإخوان لا أستشفُّ من ... قلوبهمُ مَنْ وامقٌ لي وماقتُ

خِفافا الى ما ساءني فمصالتٌ (٧) ... به أو مُداجٍ ، كيف لي لو يصالتُ ؟

جعلتُ الجفاءَ عُوذةً لي منهمُ ... وفي الناس أجساما قلوبٌ عَفارتُ

وعلّمني نَبذي لهم وتوحُّدي ... بنفسيَ أنّي في التكثّر غالتُ (٨)

---

(١) كابت : محزن . (٢) خَبْت : من قُرى "زبيد" باليمن . (٣) يعانت : يشقّ عليه .

(٤) الفأر : النافجة وهو وعاء المسك . (٥) الخيم : اسم جبل . (٦) بتائت : مقطوعة .

(٧) المصالت : المضارب بالسيف . (٨) الغالت : الذي يغلط في الحساب وقيل : الغَلَتُ في الحساب ، والغلط في القول .

سل السارحَ المخدوعَ أعجف مالَه ... جَفاءُ السُّمى[1] والسنونَ السوانتُ[2] ،
توغّل يرجوها وتُخلفُ ظنَّه ... مَنابعُ أكدَى ماؤها ومَنابتُ :
الى أين ؟ وٱبن الغاضريّة[3] شاهدٌ ... يغرُّك نجمٌ أو يدلُّك خارتُ[4]
تلقّ الحيا من جَوِّه وٱرعَ روضَه ... تَدرّ العجافُ أو تعيش المَوائتُ
ألا إنما بدرُ السماءِ ٱبنُ شمسها ... وبدرُ بنى "عوفٍ" على الأرض ثابتُ[5]
فتًى ، لا على الأعذارِ بالعهد ناكثٌ ... ولا مَعَ فرط الجود للسنِّ ناكتُ[6]
يبيتُ خميصا جنبُه ووسادُه ... وطارقُه خِصبا كما شاء بائتُ
اذا الليلةُ الطُّولَى أمرّتْ وأيبستْ ... فللضيف منه مُتمِرُ الليلِ رابتُ[7]
تَرى مالَه ما سلَّه الجودُ لا التى ... تناعرُ[8] حوليها الحداةُ المَصاوتُ
رخىُّ البنانِ فى النوائب كلّما ... أضبَّ[9] على المال الحسيبُ[10] المباكتُ[11]
تَهادَى نساءُ الحىِّ وصفَ حنانه ... وتأباه فى الروع الرجال المَصالتُ[12]
ترى الحلمَ مشحونا وراء ردائه ... اذا مرَّ يزرو الطائشُ المتهافتُ
فهل مبلغٌ عنى "خُزَيمةَ" ما وعى ... حصاها البديدُ أو رباها الثوابتُ ؟ :
وَفَى لكِ مجدا ما تَعُدِّين فى "أبى" ... قَوامٍ" اذا خان الفروعَ النوابتُ
ولدتِ وأولدتِ الكبيرَ، ومثلُه ... قليلٌ وأُمّاتُ الصقورِ مقالتُ[13]
سبقتَ فلم يعلَقْ غبارَك جامحٌ ... وفتَّ فلم يملكْ صِفاتِك ناعتُ

(١) السمىّ جمع سماء وهو المطر . (٢) السوانت : المجدبة . (٣) الغاضريّة نسبة الى "غاضرة" : قبيلة من أسد . (٤) الخارت : الدليل الحاذق الذى يهتدى الى أخْراتِ المفاوز وهى مضايقها وطرقها الخفيّة . (٥) ثابت : اسم ممدوحه . (٦) ناكت : قارع . (٧) الرابت الذى يضرب على جنب الصبىّ بيده لينام . (٨) تناعر : تصوّت . (٩) أضبَّ على المال : أخفاه وأمسكه . (١٠) الحسيب : الحاسب . (١١) المباكت : المستقبل غيره بما يكره . (١٢) المَصالت جمع مِصلت وهو الشجاع . (١٣) مقالت جمع مِقلات وهى التى تلد واحدا ثم لا تلد .

وجرَّبك الأعداءُ غمـــزا وهِزّةً ... فما خدَشتْ فى مَروتَيْك النواحتُ

فداك صـديقٌ وجهُـهُ، وفؤاده ... مُعادٍ على دين المعالى مُعانتُ

يريك الرضا والغـلُّ حشو جفونِهِ ... وقـد تنطقُ العينان والفمُ ساكتُ

طوَى بِغضةً فى جفنـه فهو باسمٌ ... وفى فيــه ليثٌ كاشرٌ لك هارتُ (١)

أهبتُ بشِعرى فانبرت لك عيسُهُ ... بما حملتْ وهى الخُضوعُ الخَوابتُ

فعـادت بمـا أرعيتَها، ولِبانُهـا (٢) ... طَواعٍ (٣) على لىّ الحبـالِ ضواغتُ (٤)

ونادتك لُغواتُ (٥) السؤال فأفصحت (٦) ... يداك وأيدى المـانعـين صوامتُ

وأوسـعتنى مالًا أتى لم تُخَضْ له الـ ... ـديباجى ولم تُنفَضْ عليه السَّبارتُ (٧)

وخُلْقًا كما شعشعتهـا ذهبيَّـــةً ... "ببابلَ" أهدتهـا اليك الحوانتُ

ولم تك ـ حاشا مجدِ نفسك ـ كامرئٍ ... تَصـامَمَ عنّى وهو للمدح ناصتُ

وقومٍ كأن الشِّـعر فيهـــم بليّـةٌ ... أعرّت (٨) وعافتها الأكُفُّ الزوافتُ

فكن سامعا ما آمتدّ باعُك فى العلا ... وسُرَّ محبٌّ أو تخيَّبَ شـامتُ

ثناءً، فمُ الراوى عليـك مسـلِّمٌ ... به ومصـلِّى الشكر باسمك قانتُ

تزورك منه فى أوانٍ فروضها ... قوافٍ لهـا عنـد الكرام مَواقتُ

يُفِدْن الغنى أضـعافَ ما يستفدنَهُ ... وهن بقايا والعطايا فـوائتُ

أقول لأيّامى : دعى لىَ أو خذى ... فمـا أنتِ إلا المقبـلاتُ اللوافتُ

فلست أبالى مَن تزيَّل ركـبُهُ ... "وثابت" لى على المودة ثابتُ

---

(١) الهارت : واسع الشدق . (٢) لِبان جمع لَبون وهى الغزيرة اللبن . (٣) طواع جمع طاعية وهى الطائعة . (٤) ضواغت جمع ضاغتة وهى التى تلوك بأسنانها ونواجذها ، وفى الأصل "طواعت" . (٥) لُغوات جمع لُغوة كغُرفة وهى اللغة . (٦) فى الأصل "فأصبحت" ولا معنى لها . (٧) السبارت جمع سُبروت وهو القفر لا نبات فيه . (٨) أعرّت أى جاءت بالعرّ وهو الجرب .

* * *

وقال وكتب بها الى تاج الدولة أبى المكارم بن مُكرَم بعد انقطاعه عن مدحه وأنشده إياها فى عيد النحر

حماها بأطراف الرماحِ حُماتُها ... فلا حَفلُها منّا ولا خَلواتُها

وذبّب(١) عنها من "عُقَيلِ بن عامرٍ" ... أراقمُ لا تَحوى شَباها رُقاتُها

عشيرةُ مكلوءِ البيوتِ محصَّنٍ ... يَعِزُّ بنوها أن ترام بَناتُها

معودة طردَ العيوب غيوبُها ... اذا حفِظتْ عوراتِها أسَلاتُها(٢)

وحرَّم واليها الوُلوعَ بذكرها ... وإن عَتبت أخرى عليها سِماتُها

فهل مغمَزٌ(٣) فى جانبٍ من ورائه ... "سلامةُ" يا قلبى وهذى حَصاتُها؟

فكم فى بيوت "العامريّات" من هوًى ... يُناط كما نيطت بها خالفاتُها

ومثلُكَ أسرَى لا يُسام فداؤها ... هوانا وقتلى(٤) لا تُساق دياتُها

بلى لكَ منها فى الكرى إنْ وفَى الكرى ... وفى الريح حظٌّ إن جرت نفحاتُها

وليلٍ "بذى ضالٍ" قصيرٍ طويلُه ... على البُدْن، تَطوى دَرجَه ناجياتُها

ترى العيسُ فى أجوازه بقلوبها ... الى قصده ما لا ترى لحظاتُها

بها من حنينٍ(٥) تحته ما بركبها ... وإن نطقوا الشكوى وطال صُماتُها

اذا الريح قرّت(٦) فاستهزّت ضلوعَهم ... تصلّوا بما تُذكى لهم زفراتُها

سَرتْ بنشاوَى من مُعاقرة السُّرى ... وسائدُهم فوق الثرى رُكَباتُها

نضَوا ما نضَوا من ليلهم ثم هوَّموا ... غِرارا(٧) وقد خاط العيونَ سِناتُها(٨)

---

(١) ذبّب: دافع. (٢) أسلات جمع أسلة وهى مستدقّ اللسان. (٣) الحصاة: العشيرة القوية الكثيرة العدد. (٤) فى الأصل: "قَلبى" وهو تحريف. (٥) قرت: بردت. (٦) تصلّوا: استدفأوا. (٧) الغرار: القليل من النوم. (٨) سنات جمع سِنَةٍ وهى فتور يتقدم النوم.

على ساعةٍ جِنُّ الفلاةِ ووحشُها ... تريها الشخوصَ الزُّورَ عنا فلاتُها
تخطَّت الينا "الغورَ فالعرضَ فالحمى"(١) ... وما ذاك مَمشاها ولا خُطواتُها
فبتنا لها فى نعمةٍ شُكِرتْ لها ... وما هى جَدواها ولا أعطياتُها
عواطفُ دُنيا فى الكرى لو أردتُها ... على مثلها يقظانَ عزَّ ٱلتفاتُها
فلم أرها وعند قومٍ أداتُها ... من العيش إلا وهْىَ عندى أداتُها
سقى الله شرًّا دوحةً لى سَيالُها(٢) ... وللناس مُلْقَى ظلِّها وجَناتُها(٣)
ولودا، ولى من حظِّها بطنُ حائلٍ ... معنَّسةٍ(٤) شابت وشابَ لِداتُها
أغامز منها صخرةً "إرميّةً"(٥) ... تفُلُّ النيوبَ وهى جَلْدٌ صَفاتُها
وكيف تسامُ النَّصْفَ أمٌّ تلوَّنتْ ... مَعارِفُها إن حُوشيتْ مُنكَراتُها
تُرِى الوكلَ المغمورَ كُحلَ لحاظِها ... وكُلُّ أخى الهمِّ البعيدِ قَذاتُها
هوت برءوس الناسِ سُفْلًا وحلَّقتْ ... بأذنابها مجنوبةً طائراتُها
فعندك منها أن ترى ببُغاثِها(٦) ... كواسبَ جوٍّ حُصَّ(٧) فيه بُزاتُها(٨)
ركبتُ من الأيّامِ ظهرَ ملوِّنٍ ... صبائغُهُ(٩)، والخيلُ شتَّى شِياتُها
وقلَّبتها يوما فيوما مجرِّبا ... فلا سوءُها يَبقَى ولا حسناتُها
سأحملها حتَّى تخِفَّ وُسُوقُها ... وأحلُم حتى ترعوِى جَهَلاتُها
لعلَّ مميتَ الحظِّ يُحييه آنفًا ... فإنَّ الحظوظَ موتُها وحياتُها
فلا يؤيِسَنْكَ صدُّها من وصالها ... ولا مَطلُها من أن تَصحَّ عِداتُها
ألم ترَ مُلكَ "المكرَمِيِّين" نارُهُ ... خبت غَلَطا ثم ٱعتلتْ وَقَداتُها

(١) الحمى وماقبله أسماء مواضع . (٢) السيال : نباتٌ له شوك . (٣) الجناة : كل ما يجنى كالجنى . (٤) الحائل : العقيم ، والمعنّسة : التى طال مكثها ولم تتزوج . (٥) إرميّة نسبة الى إرم . (٦) البغاث جمع بغاثة : شرار الطير . (٧) حصّ : قصّ . (٨) بزاة جمع باز . (٩) فى الأصل "صبائعه" .

هفا الدهرُ فيهـم مستغرًا بغـيره ... فخاضـوا وشاكَتْ رِجلَه عَثراتُها
بَغَى نقلَ ما أُعطُوا سـفاهًا ولم تكن ... هضابُ "شَرَوْرَى"[1] زائلا راسياتُها
هم السحبُ ملء الأفقِ والدهرُ تحتها ... جُفاءٌ اذا سالتْ به سائلاتُها
علا السيلُ حتى "الصينُ" يُفعَمُ بَحرُها ... فيطغَى وفى "بغدادَ" يجرى فُراتُها
حمى "ناصرُ الدين" العلا بعد من مضى ... فضُمَّتْ قَواصـيها ولُمَّ شَـتاتُها
وأضحى "بتاج الدولة" العزُّ مفـرِقا ... لهـا، تتلظَّى فوقـه خَرَزاتُها
وإن فروجا سدَّها مثـلُ سعيه ... لضيِّقةٌ أن تُرتَجَى خَطَفاتُها
رعاها أبو الأشـبالِ حتى دنا بها ... لها من شميمِ سَرحِها حسراتُها
أخـو عزماتٍ لا يُراع صـديقُها ... — كما لم ينم — ولا تنام عُداتُها
كريمُ المحيَّا رطبـةٌ قَسَماتُهُ ... اذا ما الليوثُ آستجهمتْ عابساتُها
على الصدرِ منـه هيبةٌ تملأ الحشا ... ممـرَّرةٌ، أخـلاقـه مُحلياتُها
ومن رأيه فى الحربِ عَضبٌ وذابلٌ ... وما الحـرب إلا سيفُها وقَناتُها
كريمٌ فما الأحسابُ إلا آقتناؤها ... لديه ولا الأموالُ إلا هِباتُها
اذا آعترضَتْهُ هِزة الجـود ساكنا ... نزت بالنـدَى فى كفّه نَزَواتُها
أفاد النـدَى فـلم تزل برياضـه ... رياحُ العـلا أو صَوَّحت شَجراتُها
من القوم فضَّوا عُذرة الأرض سادةً ... وشابت وهـم أربابُها وولاتُها
فمن حلمهم أركانُها وجبالُها ... ومن جودهـم أمواهُها ونباتُها
وليسوا كمن جُنَّ الزمانُ برفعـه ... وجاءت به من دولةٍ فَلَتاتُها
ولا كذبا طارت به الريح طـيرةً ... فأقعصه أن طأطأتْ عاصفاتُها
تقيَّلتُهـم والنفس يَكرُمُ أصلُها ... على عِرقها السارِى فتكرُمُ ذاتُها

(١) شروري : اسم جبل .

بك اهتزّ فرعاها وأينعَ ظلُّها ... وطاب جَناها وانتهت بَرَكاتُها
جمعتَ لها شُذّانَ(١) كلِّ فضيلة ... تعزّ على من رامها مفرداتُها
فمن كان من قومٍ سَفًا(٢) فى أديمهم ... وزعنفةً(٣) تُزْرَى فأنتَ سَراتُها(٤)
لئن عَركتْ فى جنب طودِك نبوةٌ ... من الدهر لا تُمحَى بعذرٍ هَناتُها
وهزّ العِدا من حسنِ صبرِك صعدةً ... فقد عَلِموا بالهزّ كيف ثباتُها
وما كنتَ إلا الشمسَ، لِيثَتْ جَهامةٌ ... على خدِّها ثم انجلت غاشياتُها
تنصّل منها الملكُ لمّا تبيّنتْ ... لعينيه أُخْراها ومعتقباتُها
وأبصرها شنعاءَ يبقَ حديثُها ... ذميما ولا تبقَ له عائداتُها
فردّك ردَّ السيف فى الغِمدِ لم تُعب ... مَضاربُهُ إن ثُلِّمتْ شَفراتُها
فكيف يَليقُ الحسنُ أوجُهَ دولةٍ ... اذا عدِمتْ تيجانَها خَرزاتُها
رعى الله نفسا لا الغنى زادها عُلًا ... ولا فقرُها حُطَّتْ له درجاتُها
معظَّمةً فى حدِّها وسنانِها ... وسلطانِها لا ما حوت مَلَكاتُها
اذا قزعتْ(٥) يوما من الدهرِ نكبةٌ ... اليها، عَسَتْ(٦) فلم تُسغْها لهاتُها
وأنت الذى تُعْطى ـ وعامُك أشهبٌ ـ ... عطاءَ رجالٍ خُضِّرتْ سنواتُها
مع الجود أنّى مِلتَ غيرَ مصرِّفٍ ... يمينَك إلا حيثُ شاءت عُفاتُها
أقلنى أقلنى جفوةً ما اعتمدتُها ... وهجرةَ أعوامٍ خَلَتْ ما ابتدأتُها(٧)
وسعياً بطيئا عن مقامى من العلا ... لديك إذا الأقدام فازت سُعاتُها
فما كان إلا الحظُّ منكم حُرِمتُهُ ... ودنيا كثيرٌ بالغنى فلتاتُها
تريد بنفسى كلَّ ما لا تريده ... وتمنعها ما تقتضى شهواتُها

(١) الشذّان : ما تفرّق . (٢) السفا : الشعر الخفيف على الأديم وفى الأصل "شغى" .
(٣) الزعنفة : طرف الاديم كاليدين والرجلين . (٤) السراة : الظهر . (٥) قزعت : أسرعت .
(٦) عست : اشتدّت وصلبت . (٧) يريد ما ابتدأتها .

وإنّى لكم ذاك الذى لا حبالُه ... تَرِثُّ ولا يُخشَى عليه آنبتاتُها (١)
مقيمٌ على نعمائكم حافظٌ لها ... مُضِبٌّ (٢) على ما أوجبت حُرُماتُها
يُنقِّلُ قوما قربُهم وبعادُهم ... ونفسىَ لا تهفو بها مُبْدِلاتُها
تحنُّ الى أيّامكم فى ذراكُمُ ... وتحفزها من عهدكم مُذكِراتُها
وعندى لكم - إن أسخطتكم سوالفى - ... عوائدُ ، تُرضِى مجدَكم آنفاتُها
تسيرُ على عاداتِها بصفاتِكم ... طوالعَ تمشى بالعلا مُثقَلاتُها
نوازلَ فى عرض الفلا وصواعدًا ... تُرَدُّ على رَوْحاتِها غُدُواتُها
تُخالُ هواديها بنشرِ علائكم ... بُرودَ "زُبَيدٍ" (٣) نُشِّرتْ حِبَراتُها
يَقُصُّ بها تحت الظلام سميرُها ... وتَرجُزُكم وجهَ النهارِ حُداتُها
تَطرَّبُها الأسماعُ فيكم كأنما ... عزيفُ الملاهى ما تقولُ رواتُها
كأنّ الأولى دارتْ عليهم بيوتُها ... بنو نَشوةٍ دارت عليهم سُقاتُها
مبشِّرةً أيامَكم باتصالها ... تُرِى الحسنَ قبلَ أن تُرَى أخرياتُها
خوالد ما لبَّى الحجيجُ وطوَّفوا ... وعَجَّتْ بسفحَىْ مَكّةٍ عَرفاتُها
وما عقروها واجباتٍ جُنوبُها ... تَفَجَّر من لَبّاتِها فاجراتُها
تزوركم الأعياد مجلوّةً بها ... تحلَّى بما صاغت لكم عاطِلاتُها
اذا لَعَنتْ قوما لئاما فإنما ... على ذكركم تسليمُها وصَلاتُها

* * *

وقال يمدح الوزير زعيم الدين الحسن فى المهرجان

أهفو لعُلوىِّ الرياح اذا جرَتْ ... وأظنُّ "رامةَ" كلَّ دارٍ أقفرتْ
ويشوقُنى روضُ الحمى متنفِّسا ... يَصِفُ الترائبَ والبروقَ اذا جرَتْ

(١) الآنبتات : الآنقطاع . (٢) المضبّ : الحريص . (٣) زبيد : اسم موضع .

متعلِّلاتٍ بعـدَ طارقـةِ النـوَى ... أو أبرأت داءَ الجـوى أو علَّلتْ

يا دِينَ[1] قلبٍ من ليالى "حاجرٍ" ... مَكرَتْ به فقضتْ عليـهِ وٱنقضتْ

ومَضـاجعٍ "بالنَّعْفِ" بات يعـدُّها ... غُنما وأصـبح ودُّه لـو لم يبِتْ

ومليحةٍ لو أنصفتْ عينُ المها ... فى الحسن ماثنَتِ الصليفَ[2] ولا رنتْ

بيضاءَ من كَلَلِ الخـدور وربّما ... ذُكرتِ بداوةُ قـومِها فتسهَّمتْ

أخذَتْ وأعطتْ من ضياء الشمس ما ٱحـ ... ـتكمت فجمَّعتِ الجمالَ ووفَّـرَتْ

وكأنما وَلِيَتْ خَطائـطَ وجهِها ... يدُها فجاءتْ فى الكمالِ كما ٱشتهَتْ

ملكت على باناتِ "جوٍّ"[3] أمرَها ... فلها الإمارةُ ما ٱسـتقامتْ وٱنثنَتْ

فاذا أرادتْ بالقضـيبِ مَسَاءَةً ... وتنقَّـمَتْ جُرما عليـه تأوَّدتْ

سنحتْ لنـا دون الغـدير فما سَقَى ... صفوُ الغـدير وعذبُه مَنْ أعطشَتْ

ورَمتْ فـلولا أنها ثُعَليَّـةٌ[4] ... قُلنـا : رأت ثُعَـلاً رَمى فتعلَّمتْ

غَدَرتْ فـلولا أنَّها نَذرتْ دمى ... لم تعرِف النَّـذر الذى فيـه وفَتْ

وعلى "النقا" والعيسُ تَحْفِـرُ فى النقا ... أخفافُها من ثِقـلِ ما قد حُمِّلتْ

حلَفتْ على قتـلى فلمَّـا أن رأت ... بذَمايَ باقيـةَ الرِّماقِ تأوَّلتْ

أبشر فانـك فى الحيـاةِ مخـلَّدٌ ... يا من رأى يومَ "القليبِ" ولم يَمُتْ

وتشرَّفتْ[5] لتشبَّ جمـرةَ صـدرِهِ ... بنتُ الأراكِ[6]، وهل تُشَبُّ وما ٱنطفتْ؟

وُرقاء ذكَّرها الحـداةُ هوًى لهـا ... طـارت ألائفُها[7] به فتذكَّرتْ

هتفتْ على خضراءَ، كيف ترنَّمتْ ... من فوقِها مالت بهـا فترنَّحتْ

---

(١) الدين الداء، ومنه * يادينَ قلبكَ من سلمى وقد دينا * (٢) الصليف : عرض العنق .

(٣) جو : اسم لناحية اليمامة . (٤) ثعلية نسـبة الى ثعل وهو أبو قبيـلة مشهورة بالرمى .

(٥) ٱرتفعت فوق الشرف وهو الجبل . (٦) يريد بنت الأراك "الحمامة" . (٧) الالائف : الألّاف .

لو كان ينجو من علاقاتِ الهـوى ... شيءٌ لضُـعْفٍ أو لمَرحمـةٍ نَجتْ
ولقـد طربتُ كما حزنتُ لصوتِهـا ... فشككتُ هل غنّت بشجوٍ أو بكتْ
قف يا أخا الملهوف وقفةَ مُرسَـلٍ ... حمـل الأمانةَ هَضـبةً أو أُدِّيتْ
وٱجهَـر بصـوتك للتى لو خاطبتْ ... فى السرّ أوعالَ القِنـانِ لأسمعتْ
(٧١) وقـل التحيـةَ والسـلامَ وحاجةً ... من بعدِ أن خابت وإن هى أُنجِحتْ
يا أختَ "سـعدٍ" فيم بات معـذَّبا ... قلـبى عليكِ كأنما عينِى جَنَتْ؟
رُدِّى الفـؤادَ علىَّ فهـو وديعـةٌ ... مضـمونةٌ مغرومةٌ إن ضُيِّعتْ
إن كان ظنُّكِ بالخيـانةِ والقِلَى ... أن يشمَتَ اللاحِى عليك فقد شَمِتْ
وعميّـةِ الأوضاحِ خرساءِ الصـدَى (١) ... عَشِيَتْ على ضوءِ الصباحِ وأظلمتْ
مَرَدَتْ على عينِ الدليـلِ ورأيِهِ ... فتخالُه فيهـا أضـلَّ بما خَرَتْ (٢)
تتغـايرُ البَـوْغاءُ (٣) تحتَ شميمِـهِ ... فيهـا ويُنكَرُ صَـوتُهُ والمُلتفَتْ
مركوبةٍ، جَوْبُ المهـارى جـوَّها ... غَرَرُ المقامِرِ فيـه أخْسَتْ أوزَكتْ (٤)
واذا الركابُ ٱستيأستْ فى جَهلها ... كيف النجاءُ توكَّلتْ وٱستسلمتْ
داوسـتُها أبغى العَـلاءَ بهمّةٍ ... لو شاورت أمَّ الشـقيق لَمَا سَمتْ
تفلى على الكـرماء تنفضُ منهُـمُ ... طرقَ المَطالبِ أسهلتْ أو أحزنَتْ
ووراءها ـ لولا المطامعُ منهُـمُ ـ ... قُرَباءُ لو قنعتْ بهـم ما أبعـدتْ
نبِّهْ بنى "عبـدِ الرحيم" ولا تُبَـلْ ... معهم عيونَ الدهر كيف ٱستيقظتْ
وٱسـتفتهم فى المجـدِ تسألُ أنفسا ... لَقِنتْ على جهـل الورى وتفهَّمتْ
خَبُثَ الترابُ وما عليـه، وماؤها ... شرفٌ فطابت وحـدَها وتطهَّـرتْ

(١) يريد بهذا الوصف "الصحراء" .
(٢) يقال : خرت الأرض أى عرفها ولم تخف عليه طرقها .
(٣) البوغاء : ما يثور من الغبار .
(٤) أخست أو زكت : لعبت بالفرد أو بالزوج .

فكأن زاكى عِرقِها لم يُسقَ من ... ماءِ الزمانِ وفى ثراه ما نبتْ
قومٌ اذا حدَرَ التناكرُ لُثْمَهم(١) ... وجلا الصِّفاحُ أكفَّهم فتحسَّرتْ(٢)
كفرتْ وجوهُهم البدورَ وآمنتْ ... لأكفِّهم أيدى السحابِ فكفَّرتْ
شفعوا العلاء تليدَه بطريفه ... فتقدّمت عليا‌ؤهم وتأخَّرتْ
ولدتهم الأرضُ التى قد أجمعتْ ... فى الأكثرين فأكيستْ(٣) وتنجّبتْ
جاءت بهم وهى الوَلودُ كأنّهم ... غُرباءُ جاءوا فى العقامِ أو القَلَتْ
متواردين على العَلاء كأنّهم ... ضربوا له ميقاتَ يومٍ لم يفُتْ
راضوا الأمورَ، فتيُّهم كمسنِّهم ... سَوْمَ الكعوبِ تلاحقَتْ فتنظَّمتْ
شَرَعوا الى ثُغَرِ الخطوب ذوابلا ... لولا صنيعةُ نفسها ما فُضِّلَتْ
جُوفًا(٤) ترى الصمَّ الصعابَ وراءها ... فى الحرب تقفُو ما حذَتْ أو مَثَّلتْ
كتبوا على شهب الطروس لنا كما ... طَعنوا على الخيل الوِرادِ أو الكُمتْ(٥)
والجالسُ القوّالُ منهم آخذٌ ... منها بأنفاس الشجاع المنصلتْ
خذ من حديثِهمُ حديثَ قديمهم ... وأعجب لأطراف العلا كيف ٱلتقتْ
وأسأل "زعيم الدين" عما خلفه ... من مجدهم فهو الشهادة والثَّبتْ(٦)
قمرٌ هو المِرآة عن أحسابهم ... مهما رأت مما يقابلها حكتْ
أدّى فروضَهمُ وسَنَّ نوافلا ... فى المجد تممت الفروضَ وكمّلتْ
فضحَ السوابقَ مالكٌ أشواطَه ... جارَى الرياحَ فخُلَّ عنه وقُيِّدتْ
وتقرّطت أيامُه بيتيمةٍ ... منه صفَتْ للناظرين وأشرقتْ

---

(١) لثم جمع لثام . (٢) تحسرت : تعرّت . (٣) أكيست : ولدت أولادا كَيْسَى أى ظرفاء فطنين جمع "كيِّس" . (٤) جوفا جمع جوفاء . (٥) الكمت جمع كُمَيت وهو الفرس فى لونه كُمتة أى حمرةٌ مشوبة بسواد . (٦) الثَّبتُ : الحُجّة .

لم يدرِ جهـدُ الغائصين وكيـدُهم ... من أىّ أصداف البحار آستُخرِجتْ

قـد جوَّلوا فيهـا الظنونَ وأكثروا ... بالخوض لما آستُغرِبتْ وآستُعظِمتْ

قالوا : من البحر المحيطِ تصعَّدتْ ... لا ! بـل من الفلكِ المحيطِ تـنزّلتْ

بيضاء ملء يد المـنى ملمـومة ، ... مَلَكَ المنَى وحوَى الغنى مَن أُعطِيتْ

يا جامعَ الحسناتِ بعـد شـذوذها ... مِزَقاً(١) وموجدَها أوانَ تعـذّرتْ

ومقطِّـر الأقران عن صَهَواتِ ما ... رُبطتْ من الرأى الأصيل وضُمِّرتْ

كم واثقٍ منهـم بعِصـمةِ رأيه ... وحسـابِهِ من هفـوةٍ أو من غَلَتْ

ضايقتَـه حـتى أقـرَّ بعجـزه ... لمـا وضعتَ له يديك على النُّكَتْ(٢)

ومُنطِّقٍ ظنَّ البـلاغةَ آيـةً ... نُصِبتْ له علَمـا وشخصا صُوِّرتْ

قال الكثيرَ موسِّـعا لهَـواتِهِ ... عُجْبـا فلمّـا قلتَ واحدةً سكتْ !

حَسِب الفصاحةَ فى التشادقِ وحدَه ... ما كلُّ ما وُصِف الأُسودُ به الهَرِتْ(٣)

وأرى الوزارةَ مـذ حَملتَ لواءَها ... نُصِرت على فشـل الولاة وظُفِّرتْ

ساندت فيهـا ما عليك صـلاحُهُ ... وفسادُه إن أَصلحتْ أو أُفسِدتْ

(٧٢) ثَنَّى أخـوك أخاك فيهـا مُسهِما ... وبُعثتَ ثالثَهـا الذى بك عُزِّزتْ

أنـتم فوارسُها المَـذَاودُ دونهـا ... إن حوربت وملوكُها إن سـولمتْ

وظهـوركم لصـدورها مخلوقةٌ ، ... مظلومةٌ إن ضويقت أو زوحمتْ

نُصبتْ لكم وتمهّـدتْ فمـتى طـرا ... من غيركم طارٍ(٤) نَبَتْ وآستوحشتْ

هى مِلكُكم فمـتى آستُعيرت منكُمُ ... لتجمّلٍ وأردتمـوها آسـتُرجِعتْ

(١) مزق جمع مِزَقة وهى القطعة من الثوب . (٢) النكت جمع نُكتة وهى المسئلة الدقيقة اخرجتْ بدقة نظر و إمعان فكر . (٣) الهرت : آتساع الشدقين . (٤) طارٍ : يريد " طارئ " .

أبناء نِسبتِها وأبعلُ[1] عُذْرِها[2] ... واذا عَدَتكم أعزبت وتأيَّمتْ

تَفدى "أبا الحسنِ" التراب وطئته ... قِمَمٌ هوت من تحتِ رِجلك إذ علت

ومحدِّثٍ بك فى الوساوس نفسَه، ... نفسٌ لعمرك ضَلَّةٌ ما سَوَّلتْ

لو ثاقلوك به وأُلقِيَ "يَذبُلُ"[3] ... معه لكانت قِسمةً ما عُدِّلتْ

أغنيتنى بك عن سواك فلم أُبَلْ ... فُتِحت أنامِلُ معشرٍ أو أُقفِلتْ

وسُقيتُ أعذبَ شربتيك فما أرى ... بأسا ببارقةٍ همَتْ أو أخلبتْ

وصفوتَ لى بالودّ، والصهباءُ لم ... تَشُبِ العقولَ بطعمها حتى صفتْ

أنكرتُ ودَّ أخى وعهدَ أحبّتى ... وكريمُ عهدك طينةٌ ما أخلقتْ

فمتى طَلبتُ من الزمان سواك أو ... شَرْواك[4] فاشهدْ أنَّ ذاك من العَنَتْ

ولتُرضِيَنَّك ما سمعتَ نواهضُ ... بالشكر لم تَخَفِ اللُّغوبَ ولا ونَتْ

يقضين ما أُسلفن من أيدى غِنًى ... وَسِعتْ حقوقَ المقرضين وأفضلتْ

يَغنَى بها العرضُ الفقيرُ وإن رأت ... عِرضا غنيًّا زيَّدته وأثَّلتْ

ريحانة ما آستُنشِقت أرواحُها ... وسلافة تُصحِى اذا ما أَسكرتْ

تقضى على الألباب أين خلاصها ... من شَوبها ما آستُحظِيت أو أُلغِيتْ

ضجَّتْ منابرُها بدعوتها لكم ... فلو آدعت بكم النبوَّةَ صُدِّقَتْ

إن صاحبتْ يوما اليكم عاطلا ... حلَّتْه أو تَفِلَ[5] النواحى عَطَّرتْ

والمهرجان وكلّ يومٍ عادكم ... فى لطفه مما كستْ أو زَخرفتْ

فتملَّها وتملَّه متلوّةً ... ومُقابَلًا ما كرّ أو ما أُنشِدتْ

حتى ترى الأجداثَ تنفضُ أهلَها ... والشمسَ فى خضرائها قد كُوِّرتْ

---

(١) أبعل جمع بَعْل وهو الزوج. (٢) عُذْر جمع عَذراء وهى البكر. (٣) يذبل: اسم جبل.
(٤) الشروى: المِثْل. (٥) التَّفِلُ: المنتن الريح، وفى الأصل "تقل" وهو تحريف.

* * *

قافيـــة الجـــيم

بعـــد خلو حـــرف الثـاء

وقال وكتب بها الى الأستاذ أبى منصور بن ماسرجيس ، وقد ورد من سفرةٍ كان أبعدَ وأطال أمدَها وآتفق إنفاذُه إيّاها اليه فى المهرجان الواقع فى جمادى الأولى من سنة تسع وأربعمائة

لِمن الحُمولُ سلكن "فَلْجا"(١) يَطلُعنـــهُ فجًّا ففـــجّا ؟
يخبطنَ بالأيدى الطريـ ـقَ فما يكدن يجدن نَهجا
ســـودٌ بما صبغ الهجـ ـيرُ جلودَهن الحمـــرَ وَهْجا
من كلّ حامـلةِ الهـلا(٢) ـبِ بنَى عليها البينُ بُرجا
بيتا يســـير وفيـــه قلبـ ـك فهو جسمك خِيل حِدْجا(٣)
لك من وراء سجـوفه ـــ ما أوسعَتْها الريحُ فَرْجا ـــ
رِمٌ ونصـــــلٌ لا كما سَمَّـــوهما هَيـــفا(٤) وغُنْجا(٥)
كالبَيْضِ لم تلُحِ السما ءُمُ كِنَّهنَّ فلُحنَ بُلْـجا
لما أيِسنَ من الظلا م رَفعنَ لى فنظـرنَ سُرْجا
وعلى الطليعـــة فاردٌ(٦) كالرئم خافَ فـــرام ملْجا
خالستُ قُبلتَـــه الوشا ةَ كما آدغمت الحرفَ دَمْجا
ففتحتُ عن غُرٍّ(٧) تمـ ـجُّ المســـكَ والصهباءَ مجّا

---

(١) فلج : اسم بلد . (٢) الهلال : ما آستقوس من البعير عند ضمره . (٣) الحدج : مركب من مراكب النساء كالهودج . (٤) الهيف : ضمور البطن ورقة الخاصرة . (٥) الغنج : الدلال . (٦) الفارد : المتفرّد . (٧) غرّ : بيض .

٧٣

لو لم تكن مخلوقةً للرشفِ لم يُخلقن فُلْجا
ومؤاخِذٍ أن حرت يو م وداعهِ والبينُ يَفْجا (١)
لو كان خاصمنى بعيـ ـشى وحده كان الأحجّا
وبسيطةٍ دون العلا ءِ نفضتها نشرا ودَرْجا
كلَّفتُ حاجاتى بها مَرِحا يرى التغرير أحجى
وأخٍ صفوتُ كما صفا ومزجتُ لمّا شاء مزجا
رمتُ التمام لودّه وأراد إجهاضا وخَدْجا (٢)
أمَعِى هزيلا ثم أنـ ـت علىَّ إن أُعطيتَ نَفْجا؟ (٣)
ومفارقٍ لى "كابن عيسى" غَمَّ أيّامى وأدجى
راودتُ قلبى عن نوا ه فكلّما لاطفتُ لَجّا
وحملتُها كالداء أشـ ـرُجُ فوقه الأضلاعَ شَرْجا
متنظّرا هذا الإيا بَ لعُرّها كيًّا ونُضْجا
فإن انتصرتُ بقربه فلقد صبرتُ وكنتُ مُلْجا (٤)
أو عُدنَ أيّامى الحسا نُ به فقد أسلفن سُمْجا (٥)
يابن الوزارة أثبتتْ فى بيته وتدا أشجّا (٦)
أبلَى وأخلقَ قومُهُ أثوابَها فوُرِثنَ نُهْجا (٧)
يتنقلون على مرا كبها فما يضعون سَرْجا
ومشت أمورٌ بعدهم بمعاشرٍ فمشينَ عُرجا

---

(١) يريد "يفجأ" أى يباغت .
(٢) الخدج : إلقاء ولد الدابة قبل أيام تمامه .
(٣) النفج : فخر الإنسان بما ليس عنده .
(٤) يريد "مُلجأً" .
(٥) سمجا : قباحا .
(٦) الأشج : المشجوج الرأس .
(٧) نُهجا : بالية .

من آل "ما سرجيس" محـ ـسودُ العـلا يُخشَى ويُرجَى
متقيِّـلٌ فى المجـد سُنَّـ ـةَ مغرمين به أَلَجّا(١)
جارِين سـدَّ الجوَّ شَـو طُهُمُ وشـقَّ الأرض رَجّا
فصـلُ الخطـابةِ ناطقٌ ما قال إلا كان فَلْجا(٢)
مسـتردفا يـدَه وأخـ ـرسَ عجَّ فى القرطاس عجّا
كالرمح أُرهِفَ صـدرُهُ وكعوبُهُ نَصْـلا وزُجّا(٣)
هـذا يمـجُّ بما يَجُـ ـطُّ دمًا وذاك يَجُـدُّ دَرْجا(٤)
مَلَكَ السماحُ يديـه، يَمـ ـرُجُ(٥) فيهما العافين مَرْجا
مغـرًى بأثقال النـوا ل يخالها دَيْنًا وخَرْجا
سـوّغتنى ودًّا غـبر تُ بِرَنْقِهِ(٦) غَصَّانَ أَشْجَى(٧)
وسحـرتنى بخـلائقٍ كنَّ العيون فكنّ دُعْجا
فلتطرقنّـك ما بكر ن غواديا وسرين دُلْجا
زُهرٌ كثابتـة النجو م سوائرٌ يَهدِجن هَدْجا(٨)
موسـومةٌ بك أنك الـ ـمقصود فيهنّ المُرجَّى
ما أُنشـدتْ خِلتَ البرو دَ عُرِضن تَفـويفا ونَسجا
وسـواك يسمعها فيحـ ـزن سمعُهُ من حيث يُشجَى(٩)
يـرتاب منهـا بالثنـا ء كأنه بالمـدح يُهجَى

(١) ألجّ : ركب اللجّة . (٢) الفلج : الاستظهار على الخصم ومنه المثل « من يأت الحكم وحده يفلُج » . (٣) الزجّ : الحديدة التى فى أسفل الرمح . (٤) الدرج : التزام المحجّة فى الكلام . (٥) يقال : مرج الدابّة : أرسلها ترعى فى المرج ومرج بمعنى خلط أيضا . (٦) الرنق : غير الصافى . (٧) أشجى : أغصّ . (٨) يهدجن : يمشين فى ارتعاش . (٩) يشجى : يطرب .

خادعتُه فأضرَّ بى غِشى، وكان الصدقُ أنجَى
فتملَّها ما راح سر حُ أو رأيتَ البيتَ حُجَّا

* * *

قافيـــة الحاء

وقال يهنّئ أبا منصور يَزْدَانْفادار[1] بالنيروز

أشوقا ومَن تهوَى خلىَّ الجوانح ؟ لك اللهُ مِن وافى الأمانةِ ناصح!
فما كلّ عهدٍ بالسليم على النوى ولا كلّ ثاوٍ حافظٌ عهدَ نازح
حبيبُك من خلَّفتَ بين ضلوعه — وسرتَ — فؤادا لا يلين لكاشح (٧٤)
لمَن منزلٌ أنكرتَه فعرفتَه وقد راح أهلوه بطيبِ الروائح
خليلىَ — والواشون حولى عصابةٌ فمن مُسرفٍ فى لومه ومُسامح —
أَجِلْ فى جناب الركب طرفَك هل ترى أسى بارحا أو طائرا غيرَ بارح؟
وخلفَ الستور الرُّقْمِ[2] من كان بينُه — على طولِ ما ستّرتُ حبّىَ — فاضحى
وهبتُ له عينى وقلبى وإنما لعزّته هانت علىَّ جوارحى
أفى كل دارٍ صاحبٌ أصلَحتْ له الرعايةُ قلبى وهو لى غير صالح؟
وخاطبُ شكرٍ يُرخص البخلُ مهرَه عليه فيُمسى وهو ألأمُ ناكح
أهزُّ بعتبى منه طودا كأننى أريد لأكسو العَيرَ[3] جلدةَ سابح[4]
اذا ما عليل البخل لم يُبرِ داءَه مخافةُ هاجٍ لم يُثبْ قولَ مادح
بلى! فى فتًى من أسرتى إن شكرتها منائحُ تُعطيه حلالا مدائحى

(١) كلمة فارسية معناها : القاصد وجه الله . (٢) الرقم : التى بها خطوط من قولهم : رقم الثوب أى خططه ومنه الأرقم وهو الثعبان لخطوط فيه سوداء و بيضاء . (٣) العير : الحمار .
(٤) السابح : الفرس .

هنيئا لكم يا طالبي سيبِ كفِّه أبيحت قَلِيبا فليفـز دلوُ ماتِح
يُخـيِّمُ غادٍ للسـؤال ورائحٌ بساحـةِ غادٍ للسماحـةِ رائح
صباحُك ـ والنيروز يحلوه فانعمن ـ رأى خيرَ مصبوحٍ، رأى خيرَ صابح
هو الجَذْع (١) فاستقبل به بَكرَ عامه (٢) وإن كان مما كرَّ فى سنِّ قارح (٣)
اذا وجه يومٍ غيره كان عابسا تبسّم عن ساعاتِ أبلجَ واضح
وعش بين جَدٍّ للخطوب محاربٍ حرىٍّ وجدٍّ للسـعود مُصالِح
سليما على الأيام طـرًّا، طِوالُها رقاقُ العشايا صالحاتُ المفاتح

* * *

وكان بينه وبين أبى الحسين أحمد بن عمر النَّهْروانىّ — وهو من الآحاد المعروفين المعدودين فى البغداديّين — مودةٌ ترتفع عن حدّ القرابة، ومجانسةٌ ترفع المنافسة، وتسقط المحاسدة، وفضائلُ تستوفيه الأفراح؛ وكان أبو الحسين أخلَّ بعادَته فى مكاتبته، ورأى كتبه عند جماعةٍ من إخوانه، فشقَّ ذلك عليه، واتفق أنه عَقَد لنفسه عَقدَ نكاحٍ بالنّهروان، فكتب اليه يعاتبه فى الجفاء ويهنّئه بالعَقد

لها بعد خطوٍ لات حين مَراحِ قضاءٌ بوصـلٍ غـدوةً برواح
وهل هى إلا رقـدةٌ فاسمحا بها وحسـبكما أن توقظا لسماح
وإلا فسـيرُ الريح أسرعُ طِيّـةً وكم هبَّ لى شـوقٌ هبوبَ رياح
أقول لها — والنّهروانُ طريقُها — : هُنـاكَ آسنحى لا زلتِ طيرَ نجاح
ألمِّى بها فى السّحب ثم تحفَّـلى (٤) فسُـحبى تحيّاتى بأنضرِ ساح

(١) الجَذَع : الجديد وهو من البهائم : ما قبل الثنىّ وسكنت الذال للضرورة . (٢) البكر : الفتىّ من الإبل . (٣) القارح من البهائم : الذى آنتهى سنه . (٤) تحفّلى : تجمّعى .

وقولى : سلامٌ "يابن رَوحٍ" تظنُّه ... صبيبةَ طلٍّ فى صُبابةِ(١) راحِ
شكوتُ فيالَلشوقِ أين تصبُّرى ... ونمتُ فيا لَليلِ أين صباحى!
وغرَّك إسماحى فسرّك أن ترى ... اذا عنَّف المقتادُ كيف جِماحى
رعى الله ظبيا سارحا لِىَ رعتَه ... بنفْرةِ قلبٍ للعُقوقِ مُباحِ
وتوهَبُ للعذر الصُّراح مودّتى ... لديك وبعض العُذر غير صُراحِ
رسائلُ تعدونى وكُتْبٌ تجوزنى ، ... صدای على ماءٍ يُذادُ قَراحِ(٢)!
تلوح لعينى كلّما مرّ خاطف ... بناحيةٍ منها بكت بنواحى
بمن ـ ليتَ شعرى وهى ليتٌ تعجُّبٍ ـ ... يُرَدُّ شبابى إن حملتُ سلاحى
أبِن لِىَ هل جاذبتنى فى مودّةٍ ... فعيّرتنى يا صاحِ عَيرة صاحِ
وهل رمتَ أسبابَ السماء لِبغيةٍ ... فحلّقتَ إلا طائرا بجَناحى
سقى الله نفسى كيف يَكرُمُ عهدُها ... على نفرٍ ممن أُحبّ شِحاحِ
أروم آنتصارا منك ثم يردُّنى ... هوًى لم تدنِّسه ملامةُ لاحى
فأعمِدُ فى الودّ الحدادِ(٣) صوارمى ... وأكسِرُ فى الحبّ السَّداد رماحى (٧٥)
فلا تتكرنْ هذى العوائدَ إنما ... لسانِىَ سكرانٌ وقلبِىَ صاحى
ولا تُلزمنّى فى العتاب بقيّةً ... فسادُك فيها فاتكٌ بصلاحى
ولما أتانى ما أقرَّ جوارحى(٤) ... وأبرأَ من تلك الهَناتِ جِراحى
خلطتُ التهانى بالتشاكى مُرجّيًا ... بموضع جِدّى أن يكون مزاحى
وبعدُ ! فيا لله أيّة فَرحةٍ ... تخبّرنى عن أىّ فوزٍ قِداحِ(٥)!

(١) الصبابة : البقيّة . (٢) القراح : العذب الصافى . (٣) الحداد : ذو الحدّة .
(٤) جوارح جمع جارحة وهى العضو . (٥) القداح جمع قِدح وهو سهم الميسر .

اذا كانت الجوزاءُ للمشترى حُلّى ... وكان قِباحٌ غيرُها لقباحِ
فما اتفق السعدان حتى تكافآ ... أعزُّ بطونٍ (١) فى أعزِّ بِطاحِ (٢)
ولو قيل : غيرُ الشمس سيقت هديّةً ... الى البدر لم أفرح له بنكاحِ
فأنتم بنو مالٍ على الدهر هالك ... وقاءً لأعراضٍ عليه صِحاحِ
شبابٌ مراجيحٌ (٣) تفرّعتِ النُّهى (٤) ... بهم عن شيوخٍ فى الندىّ مِلاحِ
تعقّبْ غدًا يُمنا وسعدا بها "أبا الـ ... ـحسين" وسعيا مؤذنا بنجاحِ
كأنك بالأشبال حولك ربّضا (٥) ... ليومٍ رُواء (٦) أو ليومٍ كفاحِ
صَباحا صَباحا ! كلُّ يومٍ بشارةٌ ... الى سبعةٍ مثلِ البدورِ صباحِ

* * *

وقال وأنشدها أبا القاسم بن ممّا فى يوم المهرجان

ما كان سهما غار بل ظبيٌ سنحْ ... إن لم يكن قتلَ الفؤادَ فقد جرحْ
جلبَ الجمالَ يريد أنفسَنا به ... ثمنا فتاجرناه فيه كما اقترحْ
أرجتْ جِنانَ "السفح" فيه بنافضٍ ... رُدنيْه عن عَرف الجِنان اذا نفحْ
عَرَقُ المجاسدِ (٧) فاض ماءُ شبابه ... والوردُ أطيب منه ريحا ما رشحْ
فى جيده الكافورِ سبحةُ عنبرٍ ... ما كان أغفلنى وليس عن السُّبَحْ
وأَمَا ومِشيتِهِ — توقّرَ تارة ... صلَفا وأحيانا يُجنُّ من المَرَحْ —
ومَواعدٍ لىَ فى خلال وعيده ... مَزجتْ بدمع صبابتى دمعَ القدَحْ،
لأشاطرنَّ هواه جسمى إن وفَى ... ولأبخلنّ على العواذل إن سمحْ

---

(١) بطون جمع بطن وهو دون القبيلة . (٢) بطاح جمع بطحاء وهى المسيل الواسع فيه دقاق الحصباء . (٣) المراجيح : الحكماء . (٤) النهى جمع نُهية وهى العقل . (٥) ربّضا : جثّما . (٦) الرواء : حسن المنظر . (٧) المجاسد جمع مِجْسد وهو القميص يلى البدن .

راحت تعنّفُ فى الصِّبا : ما آن أن ... يثنيك عن أشر[1] الثّنى نَهىُ القَرح[2]

والخمسُ والعشرون تعذرُ فاسدا ... لو ناهزتْه الأربعون وما صلحْ

منّاك ظنُّك بى غرورا أننى ... أصحو، وفى الظنّ المحالُ المطّرَحْ

كالليث والغمرُ استغرَّ بثغره ... فدنا اليه فاسئلى عمّا كلَحْ[3]

"والصاحبِ" التمس الغمامُ تشبّها ... بيديه، لا جَرَم انظرى كيف افتضحْ

جاراهما ويكاد يغرق فيهما ... بالجود إلا أنه فيه سَبحْ

للعزّ ما منعَ "الحسينُ" فلم تنَل ... كفُّ الزمان، وللمكارم ما منحْ

إن هَمَّ أبصر غايتيه بحزمه ... كالطَّرف يُدرِك نورُه أنّى طَرَحْ

أو جَدَّ فى خطبٍ كفاه ووجهُه ... متبسّمٌ، فيقول حاسدُه : مزحْ[4]

كم نعمةٍ لم تُلهِه عن عصمةٍ ... وجمادِ عامٍ لم يُعقْهُ أن انفسحْ[5]

ومدامةٍ عذراءَ بات نديمَها ... وبغارةٍ شعواءَ يومئذٍ صبحْ

رفقا بجُرّبُه وقل فى ناره ... إن أُضرِمتْ وقد اشتواك بما لفحْ

واهتزّ كلكلُه فكنت سحيقةً ... بددا[6] فأين يكون ركنك إن نطحْ[7] :

بى أنت، ضجّ السيفُ حتى إنه ... لو كان يومَ يُسَلُّ ذا صوتٍ لبَحّْ

وشكا جوادُك فى الضوامرِ بثّه ... لمّا استراحت وهو تحتك لم يُرَحْ

طِرفٌ تعوّد أنه لو طارد الـ ... ـريحَ الشّمالَ عليه فارسُه بطَحْ[8]

وأغرُّ يُسرِج[9] ـ يوم يُسرَجُ ـ وجهُه ... زُهرَ الكواكبِ قام فيها أو سرحْ

---

(١) الاشر : البطر . (٢) يريد بالثنى شرخ شبابه وبالقرح كبره . (٣) كلح، يقال : كلح وجهه : تكشر فى عبوس . (٤) فى الأصل : "مرح" وهو تحريف و يعينها قوله فى أوّل البيت "جدّ" . (٥) فى الأصل "إن انسفح" وهو تحريف . (٦) بددا : متفرقة . (٧) هذه الكلمة فى الأصل غير موجودة وقد رجّحناها ليستقيم المعنى و يتّزن الشطر . (٨) يريد بقوله "بطح" : ألقى الريح على وجهها وتقدّمها . (٩) يسرج : يضيء .

ومؤدَّبِ الأعضاءِ لا يهفـو به ... جنباه، ما حسَّ(١) الغلامُ وما مسحْ
فسواه ما خلع اللجامَ ومدَّ طغـ ... ـيانا وما منع الركابَ وما رمحْ
ولك المقامُ زأرتَ فيه، والقنا ... أجَمٌ(٢)، فهان على عرينك من نبحْ
والرأىُ أعجزه الصوابُ فلم يُشرْ ... فيه سواك ولو أشار لما نصحْ
أمؤاخذى كرما علىَّ قضيتُهُ ... إن ضاق عنه لسانُ شكرى أو رزحْ(٣)
غَفْرًا متى قصَّرتُ عنك فإننى ... بالمدح أولَى لو بلغتُك بالمِدَحْ
هذا ولم تَخفُرك(٤) قدرةُ خاطرى ... ما جاءه عفوا وما فيه كدحْ
كم نومةٍ للعاشقين وهبتُها ... ليلا أراقب ديكه حتى صدحْ
والليلة البهماءُ تُولِد فكرتى ... غرّاءَ يحسدها الصباحُ اذا وضحْ
ولأنتَ باستحسانها أنطقتنى ... وشرحتَ بالإكرام صدرى فانشرحْ
ونسيتَ ما أعطيتَنيه وفيهمُ ... ـ حاشا سماحك ـ مَنْ اذا أعطى لَمَحْ
فلغيرك المتسهِّلُ المبذولُ فى آسـ ... ـترخاصه ولك الغرائبُ والمُلَحْ

(٧٦)

* * *

وقال وكتب بها الى الأستاذ أبى طالب بن أيّوب فى عيد الأضحى

لمَن الحُمول بجوّ "ضاحى"(٥) ... من باكرٍ غَلَسًا(٦) وضاحى
مِثل الأَداحِى(٧) تحتها ... أمثالُ أُمَّاتِ(٨) الأداحى
يحملن أفمارا حَمَلـ ... ـن السقمَ فى مُقَلٍ صحاحِ
من دون أطراف الحديـ ... ـث لهنّ أطرافُ الرماحِ

(١) يقال : حسَّ الدابة : نفض التراب عنها بالمِحسَّةِ وهى آلة ينفض بها الغبار . (٢) الأجم جمع أجمة وهى الشجر الكثير الملتفّ . (٣) رزح : أعيا . (٤) لم تخفرك : لم تُوفِك . (٥) ضاحى : اسم موضع . (٦) الغلس : ظلمة آخر الليل . (٧) الأداحى جمع أدحيّة وهى بيض النعام فى الرمل . (٨) أمّات جمع أمّ .

مَن مخبرى عن رائحـ ـين نكرتُ بعدهُمُ مراحى ؟
هيهات لو صدق الدليـ ـلُ سألتُ ليلى عن صباحى
والنجمُ يحمل كأسها منها الحبابُ بغير راح
حَظَرَ الكرى مَنْ لا يُطا ع سواه فى حَظْر المباح
راضٍ اذا سفك الدما ءَ بما تقلَّد من جُناح
كَثُرَ الملاحُ وما له مِثْلٌ بإقرار الملاح
بأبى ثناياه لقد غولطتُ عنها بالأقاحى
غَلَطَ المُقايس بابن "أيـ ـوبَ" السحابةَ فى السماح
"ومحمدٌ" أزكى نسيـ ـمَ ثرًى وأندَى بطنَ راح
وأعمّ حين يخصّ جو دُ الغيث ساحا بعد ساح
طالت به عينٌ الى الـ ـعلياء واسعةُ الطماح
ويدٌ تقلِّبُ أنملا تِ مكارمٍ سُبُطٍ(١) سِجاح(٢)
لم تدرِ أنّ اللهَ خا لقُ هذه الأيدى الشحاح
من معشرٍ يتذمّمو ن المالَ ليس بمستباح
لا يُطعَمون مع العشـ ـىّ حلاوةَ النَّعمِ المُراح
فاذا تزاحمت الوفـ ـود على بيوتهم الفِساح
يَسِروا(٣) فكان لمن يفو ز بضيفه فوزُ القِداح
فى عِرضهم سَرَفُ القِصا صِ(٤) وما لهم هَدرُ الجراح

---

(١) سبط : من قولهم فلان سبط البنان أى كريم وهو من باب الكناية نقيض قولهم : جعد البكف كناية عن البخل . (٢) سجاح : لينة سهله . (٣) يسروا : لعبوا بالقداح .
(٤) السرف : الإفراط ومجاوزة الحدّ فى القصاص ، وفى الأصل هكذا رسما وشكلا "شَوْفُ العصاصِ" .

فاذا ٱنتضَـوا زُبَرَ الصحا ... ئف ثلّموا زُبَرَ الصِّـفاحِ
واذا قِيامـةُ سـؤدُدٍ ... كذَبتك فى الصُّوَر القِباحِ
بلَجوا عـلى ضوء الصَّبا ... حِ ببهجة الغُـرر الصِّباحِ
لبّيك عـدةَ ما ٱكتسبـ ... ـتُ وقد دعوتُك من صلاحِ
وضممتنى والدهـرُ مجـ ... ـتمعُ الصروف على ٱطراحى
واذا شهرتُ عليـه سيـ ... ـفا عاد يُدمينى جِـراحى
قد كنتُ مقترِحا فجـا ... ءك الزمانُ عـلى ٱقتراحى
لا توسـعنِّى من نوا ... لك فوق ما يَسَعُ ٱمتداحى
دعـنى أطيرُ بشكره ... ما دام يحملنى جَناحى
فى كلّ شـاردةٍ مبا ... عِـدةِ الغـدوِّ مع الرواحِ
بِكرٍ ولودٍ من بنا ... تِ الناتجات بلا لقاحِ
أحبُـوك منها كلّ عيـ ... ـد بالخـريدةِ (١) والرَّداحِ (٢)
تصـف اللطائمُ (٣) طيبَها ... من طيبك الشرف الصُّراحِ
ما كُسِّرت رُجُمُ الحِما ... رِ وسُوِّقت بُدُنُ الأضاحى

* * *

وقال يرثى الرئيس أبا الحسن بن محمد بن الحسن الهُمَانىّ الكاتب، وكان بقيّـة الأعيان فى صنوف الفضـل، وواحد الزمان فى كمال الأدب، وممن أوجب عليه حقوقا فى المودة، وٱتخذ عنده حرمات من التفقّد والمراعاة، وتوفّى فى رجب سنة ثمان وأربعمائة، ودفن فى مدينة المنصور

(١) الخريدة : العذراء . (٢) الرداح : المرأة الثقيلة الأوراك، وثقل الأوراك من صفات الحسن فى النساء . (٣) اللطائم جمع لطيمة وهى ناجفة المسك أو المسك نفسه أو العير التى تحمل الطيب .

أُغَشُّ بآمالى كأنّى أُنصحُ ... وأبقَى لأشقَى بالبقاء وأفرحُ

وأصبو الى وجهٍ من الدهر مسفرٍ ... ضحوكٍ، ووجهى فى انخمار مكلّحُ

ويعجبنى إملاء يومٍ وليلةٍ ... وما الموتُ إلا غابقٌ أو مصبّحُ

مَطلتُ بدَينى والغريمُ مصمّمٌ ... وأحسنتُ ظنّى والمسيءُ مصرّحُ

تُدَمّى المنايا الناسَ حولى وإنما ... دمى ذاك فى أثوابهم يتنضّحُ

وأسلو اذا أبصرتُ جِلدىَ أملسا ... وما صحّةٌ فى الجلدِ والقلبُ يُجرَحُ!

اذا مرَّ يستقرى مَن الهالكُ الردَى ... يميّلُ فى أبنائه ويرجّحُ

تطامنتُ أرجو ان أفوتَ لحاظه ... فأخفَى وعينُ الموت "زرقاءُ" تلمحُ

وقد غرّنى ليلُ الشباب فأين بى ... أضلَّ وفجرُ الشيب عُريانُ مصبحُ؟

وأقرب شىء من قضيبٍ جُفوفُهُ[1] ... اذا الورقاتُ الخُضرُ ظلّتْ تصوّحُ

تتيّمَ بالعُمرِ الجذاعُ[2] وخانهم ... فما لىَ أرجو ودّه حين أنزحُ

وقد كان قدّامى مدًى منه يُرتجَى ... هو اليومَ مُلقًى من ورائى يُطرَحُ

حسوتُ بمُرِّ الدهر حبّا لحلوه ... فطورا يُصفّى لى وطورا يُصبّحُ

اذا برَّنى فى صاحبٍ بزَّ صاحبا، ... أغنّى بشعرى تارةً وأنوّحُ

أبيحُ الترابَ أوجها كان مُسخطى ... على الشمس منها الساهمُ[3] المتلوّحُ[4]

وأحثو بكفّى أو أشقُّ حفيرةً ... يُهال على قلبى ثراها ويُضرَحُ

ترى الحق مطروفا وتعشى لواحظٌ ... يراقصها هذا السرابُ الملوّحُ

يودُّ الفتى أن البسيطةَ دارُهُ ... وما فوقها مالٌ عليه يروّحُ

وسيعةُ بطنٍ جلَّ ما هو مُحرِزٌ ... ومطرحُ جنبٍ جَهدَ ما يتفسّحُ

---

(١) الجفوف : اليبس . (٢) الجذاع جمع جَذَع وهو الشاب الحدث . (٣) الساهم : الذى تغيّر لونه وبدنه مع هزال . (٤) المتلوح : الذى تغيّر لون وجهه .

تبايعنا الدنيا مُنًى بنفوسنا ... فتوكسُ غَبنا والمُبايع مُصلِحُ
فلا نحن من فرط الخسارة نرعوى ... ولا هى ترضى فرطَ ما هى تَربحُ
فما لكِ يا دنيا وأنتِ بطينةٌ ... ونحن خِماصٌ تبخلين ونسمحُ!
ألا طرقتْ لا يملأ الليلُ صدرَها ... ولا تتحاشى صارخا حين تَصْبحُ
مغلغلةً لا طودَ يعصمُ ما ٱرتقت ... ولا موئلٌ من حيث تهبطُ أبطحُ (١)
وَصولًا الى البيت الذى تستضيفه ... ولا مُوقدٌ يُورِى ولا كلبَ ينبحُ
لها من قِرًى ما ٱستصلحتْ وتخيَّرتْ ... حشايا (٢) تُوَطَّى أو صفايا (٣) تُذَبَّحُ
أصابت صريحَ المجد من حيث ينتمى ... وغضّت لحاظَ الفضل من حيث تطمحُ
وحلَّت فحكّت بَرْكَها (٤) من "محمدٍ" ... بجانب ركنٍ لم يكن قبلُ يُنطَحُ
قويمٍ على عرك الخطوب، فما له ... وقد زحمته زحمةٌ يتطوَّحُ!
سلا مُقعصَ الأقران: من أىِّ طعنةٍ ... تَقَطَّر عن ظَهر الكفاية يُطرَحُ؟
وقاطِعَ مَثْناةِ الحبال حرانُهُ: ... بأىّ زمامٍ قِيدَ يعنو ويُسمِحُ؟
ومَن هُزَّ من بين الوسائد طودُه ... وفى دسته "ثهلانُ" (٥) لا يترزحُ!
وقولا وإن لم يخرق التربَ صائحٌ ... اليه ولم يفهم صدَى الأرض موضحُ:
"أبا حسنٍ" أمّا الرجاءُ فخائب ... وأما الرجا فيما نعاك فمنجحُ
حملتُ الرزايا جازعا ثمّ صابرا، ... على ذاك حسنُ الصبر بعدك يقبُحُ
وواصلتُ من أحببتُ ثم فقدتُه ... فما نازلٌ إلا وفقدُك أبرحُ
ذكرتُك إذ غَصّ الندىُّ فلم يُشرْ ... نَصيحٌ ولم ينطق لسانٌ مُفَصِّحُ

---

(١) الأبطح: المسيل الواسع فيه دقاق الحصى كالبطحاء. (٢) حشايا جمع حشيّة وهى الفراش المحشو. (٣) الصفايا جمع صفيّة وهى الناقة الغزيرة اللبن المصطفاة. (٤) البَرْك: الصدر.
(٥) ثهلان: اسم جبل.

ولا أضمرتْ صدقا مَعاقدُ حبوةٍ ... جثا بفخارٍ ربُّها يتبجَّحُ
وقد غاض بحرٌ كان فكرك مدَّه ... وأُرتجَ بابٌ كان فى فيك يُفتَحُ
وقد جاء نجمٌ من جُمادَى بليلةٍ ... بليلٍ يريك الطولُ أن ليس تُصبحُ
يسائلُ عن اطناب بيتك ضيفُها ... ردائدَ خطفِ البرقِ فيما تُلوِّحُ
تعيَّفُ[1] طيرا بارحاتٍ يسرنه[2] ... بفقدك قد كانت ميامينَ تَسنحُ
فبات صعيدُ الأرضِ والريحُ زادُهُ ... شقيًّا بما يَستافُ أو يتنفَّحُ
بليلةِ بؤسٍ فات مُعتامَها القِرَى ... كما فاتها منك المصلِّى المسبِّحُ
وللأمرِ كنتَ الليثَ إما حفظتَهُ ... تَعاوَتْ تَعاطاه ثعالبُ تَضبحُ[3]
رُعِى بعدك الشِّقُّ الذى كنت حامياً ... له وعتا الخَرقُ الذى كنت تَنصحُ[4]
وخُلِّىَ للعجزِ التنافسُ واستوى ... على الجهلِ سَرحٌ سائمٌ ومُسرَّحُ
وقام رجالٌ كان فضلُك مقعِدا ... لهم فتراءوا للعلا وترشَّحوا
بلا عائبٍ تُزرِى على سيئاتهم ... محاسنُه، والنقصُ بالفضلِ يُفضَحُ
لئن حَرَصوا فيما عَمرت تعافُه ... فربَّتَ ساعٍ للدنيّة يكدحُ
تمالَوا على ما كنتَ تأباه أوحدًا ... ومَنَّوا بما استضعفتَه وتمدَّحوا
وما ازدحموا أن القذى بعدك انجلى ... عن الماء لكن يشربون وتَقمحُ[5]
فداكَ - وهل حيٌّ فداءٌ لميّتٍ - ؟ ... قصيرُ الخطا يكبو بما كنتَ تجمحُ
تعجَّبَ لمّا ساد من حظِّ نفسه، ... وقد يُدرِك الجَدُّ الدنىَّ فيُفلِحُ
ولمّا رأيتَ الدهرَ ضاقت ضلوعُه ... بحملك وهى للئام تَفسَّحُ
أنفتَ من الدنيا الذليلةِ عارفا ... اذا عيشةٌ ضامتك فالموت أروحُ

(١) تعيّف : زجر . (٢) يسرنه : جئن من جهة اليسار . (٣) تضبح : تصوّت .
(٤) تنصح : تخيط . (٥) تقمح : ترفع رأسك كرها للماء .

وذكّرنيـــك الودُّ أحليتَ طعمه ... وأصفيتَ فهو الآن يَقذَى ويَملَحُ
ضَربتُ عن الإخوان صفحا مؤملا ... بأن الردى لى عنـــك وحْدَك يصفحُ
وأغنيتنى ودًّا ورفـــدا بحاجـــةٍ ... من اليـــوم ما أرتادُ أو أتمنَّحُ
أعلّل نفسى عنـــك لو أن مُستَما ... يُفيق بنوعٍ من جوًى أو يُصـــبَّحُ (١)
وأرقَعُ أيّامى أروم صـــلاحَها ... وقد فسد العيشُ الذى كنت تُصلِحُ
سألتُ بك الأيّام أرجـــو مســـرّةً ... فلما أَبت إلا الـــتى هى أتـــرحُ
ضحكتُ الى ناعيـــك أحسب أنه ... ـ وقد جَدَّ ـ إكبارا ليومك يمـــزحُ
عفا ربعُ أنسى منك ضيقا، وما عفا ... بساحـــةِ قلبى مـــنزلٌ لك أفيحُ
به ساكنٌ من طيبِ عهـــدك عامرٌ ... يُريح عَزيبَ الحُزن من حيث يَسرحُ
اذا ذبَلَت فيـــه على الصـــبر جمرةٌ ... خمودا ورَى زندٌ من الذّكر يَقـــدَحُ
وذاك اللسانُ الرَّطبُ لا زال فى فمى ... هو اليومَ يرثِى، مثـــلَه أمسِ يَمدحُ
يقول وإن لم يُغنِ عنك وإنما ... مـــلأتَ إناءً نعمـــةً فهـــو يرشَحُ
ولو رُدَّ قبلى الموتُ بالشِّعر أو مضى ... شَبا لَسِنٍ أو عاش فى الدهر مُفصِحُ
نجا لائذا بالعـــزّ فى غـــير قومـــه ... ـ وقد سبق الناسَ ـ الغريبُ المقرَّحُ (٢)
ومســـتنزلُ (٣) "النعمان" عن سطواته ... بما يَنتـــقِى من عِذرةٍ (٤) ويَنقّحُ
و"عُروةُ" (٥) لم يُصغِ الردى لنسيبه ... ولم يُعطَ فى "قَيسٍ" (٦) مناه "المُلوَّحُ" (٧)
وغيّر "غيلانُ" (٨) المهارى بعَنسِـــه (٩) ... فلم تُنجه من عَدوة الموتِ "صيدحُ" (١٠)

(١) يصبَّح : يُسقَى الصبوح . (٢) يشـــير الى امرئ القيس وكان يقال له : ذو القروح لأن قيصر ألبسه قميصا مسموما فتقرّح جسمه ومات غريبا "بأنقرة" وفى ذلك يقول

أجارتنا إنا غريبان ههنا ... وكلّ غريب للغريب نسيب

(٣) يشير الى النابغة الذبيانىّ حين هجا النعمان بن المنذر ثم عاد اليه معتذرا . (٤) العِذرة : المعذرة .
(٥) عروة بن حزام هو أحد العشاق الذين قتلهم العشق . (٦) اسم مجنون ليلى . (٧) اسم أبى مجنون ليلى . (٨) غيـــلان : اسم ذى الرمّة الشاعر . (٩) العنس : النـــاقة القوية .
(١٠) صيدح : اسم لناقة ذى الرمّة .

ولكنه شَرطُ الوفاء وغمّةٌ ... على الصدر بٱستخراجها أتروَّحُ
ذممتُ فؤادى فيك والحزنُ محرقٌ ... وعاتبتُ جفنَ العين والدمعُ مُقرِحُ
وما عجبٌ للدمع أن ذَلَّ عزُّه ... فما جَمّ إلا أنه لك يُنزحُ
وأُقسمُ ما جازاك قلبٌ بما طوَى ... غليلا ولا قولٌ يطولُ فنشرحُ
ولا كان فى حكم الوثيقة أن أرى ... عليك الثرى كَلًّا وجسمِى رَيِّحُ
وما أنا إلا قاعدٌ عن فضيلةٍ ... اذا قمتُ فيها مائلا أترنَّحُ
سقاك — وإن كان الثرى بك غانيا ... عن السحب — غادٍ بالحيا متروِّحُ
حمولٌ(١) لماء المزن تطفو لصوبه ... فواغرُ أفواهِ الحواءِ فتطفَحُ
اذا خار ضعفا أو ترانَى حَدتْ به ... مواقرُ(٢) من نوءِ السماكين دُلَّحُ(٣)
يُخفِّلُ طردُ الريح فيها كأنها ... سفينٌ جوارٍ أو مَراسيلُ(٤) جُنَّحُ
شجاعٌ كأنتَ أو جوادٌ بمائه ... فإن عاقه ضنٌّ فعينىَ تَسفَحُ
ليعلمَ قبرٌ بالمدينة أننى ... من الغيثِ أَوْفَى أو من الغيثِ أَسمَحُ

* * *

وقال وكتب بها الى الصاحب أبى القاسم بن عبد الرحيم فى المهرجان يهنّئه به

أمرتُكُمُ أمرى "بنَعمانَ" ناصحا ... وقلتُ : ٱحبسوها تلحقِ الحىَّ رائحا
فما ريتمونى تَخبُرون ٱجتهادَها ... فأُبتم بلا حاجٍ وأُبنَ(٥) طلائحا
وقد صدَقتنى فى الصَّبا عن مكانهم ... أخابيرُ(٦) أرواحٍ سبتنى نوافحا
كأنّ الثرى من طيبها فَتَّ فوقه ... مجيزون من "دارِينَ"(٧) فأرا فوائحا

(١) فى الأصل "حموك" . (٢) مواقر : مثقلات . (٣) دلّح جمع دالح وهو السحاب الكثير الماء . (٤) مراسيل جمع مرسال وهى الناقة السهلة السير . (٥) الطلائح جمع طليحة وهى الناقة التى أعياها السير . (٦) خبر جمعه أخبار وجمع الجمع "أخابير" . (٧) دارين : فُرضة بالبحرين يُجلب اليها المسكُ من الهند .

لقاءٌ على "نَعمانَ" كان غنيمةً ... وهيهات يدنو بعـد أن فات نازحا

حَمَى دونه حَرُّ "السماوة" ظَهرَها ... وعبَّس وجها ناجرٌ(١) فيه كالحا

الى الحول حتى يشربَ القيظُ ماءهم ... "بنجدٍ"(٢) وإما يسلخون البوارحا

لعلّك فى إرسالِيَ الدمعَ لائمٌ ... وقد عطَف النـاسُ المطىَّ جوانحا

نعم ، قد تجرّعتُ الدموعَ عليهـمُ ... عِذابا وأقرحتُ الجفونَ الصحائحا

وما قلتُ : غاضت بالبكاء ركِيَّةٌ(٣) ... من العين إلا أَرسلَ الشـوقُ ماتحا

فهل ظبيةٌ "بالغور" يَجزِى وفاؤها ... هوًى لم يُطِعْ فيها على النأى كاشحا؟

اذا اعترضتْه من سلوٍّ معوضةً ... محاسنُ فى أخرى رآها مَقابحا

ومن أين يَنسَى من يَرَى الغصنَ مائلا ... مثالَكِ والظبىَ المـروَّعَ سانحا!

أرى عينه عينيك و"الغـورُ" بيننا ... فأَدمَى، لقد أبعـدتَ يا سهمُ جارحا!

يعنِّفُ فى حُبِّ البـداوة فارغٌ ... من الوجد لم يَقرِ الغـرامَ الجوانحا

فياليتَ لى من دار قومى وأسرتى ... جـوارَكِ رواحًا عليك وصابحا

ومن تُرَّهاتِ(٤) الريف أرضا قطنتُها ... من الجـدب فيها يأكلون النواضحا(٥)

اذا ما شربتُ الوصـلَ عَذبا مرقرَقا ... بها لم أعَفْ أن أشرب الماء مالحا

دعُونى "ونعمانَ الأراك" أروده ... يجاوبُ صـوتى طيرَه المتناوحا

عسى سارحٌ من دار "ميَّةَ" يامنٌ ... يُقيِّضُ لى عن شائمٍ طار بارحا

سقَى ما سقَتْ خدّى الدموعُ الحيا الغضا ... بواكرَ من جمّاته وروائحا

فكم ليـلةٍ فيه نضوتُ حميـدةٍ ... وألبستُ يوما بُرقُعَ العيشِ صالحا

---

(١) يقال "لصفر" ناجر: وهو الشهر الواقع فى صميم الحرّ، وفى الاصل "ناجز" (٢) البوارح جمع بارح وهى الريح الشديدة الباردة . (٣) الماتح : الذى يستق وهو على رأس البئر . (٤) الترّهات : الطرق الصغار تتشعب عن الجادّة واحدتها تُرَّهة . (٥) النواضح : الإبل التى يُستقَى عليها ، واحدها ناضح .

وهمٍّ ترى القلبَ الرحيبَ وراءه ... من الضيقِ لهفا يستعيبُ المَراوحا (١)

تلطَّفتُـه (٢) حتى وجدتُ مَفارجا ... لصدرِىَ من غُمّاته ومَسارحا

وبحرٍ من الآل الغرور محرَّمٍ ... ركبتُ له من سير "لاحق" (٣) سابحا

الى حاجةٍ فى طُرْقها الجِدُّ كلُّه ... فأدركتُها جذلانَ أُحسَبُ مازحا

ومضطغِنٍ (٤) أن قدَّمتنى زوائدٌ ... من الفضل أخفَتْه وقد كان واضحا

يعيّرنى الحِدْثانَ وهو أعزُّ لى ... كفى جَذَعا أن فاتَكَ الشوطَ قارحا

وهل ضائرى شيئا ـ اذا جئتُ آخرا ـ ... تأخُّرُ ميلادى وقد جئتُ فاصحا

وهَرٍّ فلم يُطرَدْ فعضَّ سفاهةً ... وعقرُك لى أنى حقَرتُك نابحا

وزَنتُ بحلمى جهلَه لا أجيبه ... فلله منَّا مَن تمكَّن راجحا

وعجماءَ من وحش القوافى خدَعتُها ... ولم تُعطِ قبلى جِلدَها قطُّ ماسحا

خطبتُ اليها عُذرَها فتحلّلتْ ... وكانت حراما لا تلامس ناكحا

وعادتُها فى المدح ألا أذيلها ... ولكنَّ قوما يكرمون المدائحا

تمنّى بنى "عبد الرحيم" ومجدَهم ... رجالُ أمانٍ لم يقعن نجائحا

وريموا، فما حَطَّ الثريّا لباعه ... فتًى ظنَّها كفًّا فمدَّ مُصافحا

كرام مضوا بالجود إلا صُبابةً ... أعاروا نداها الهاطلاتِ السوافحا

لهم من تليد العزّ ما يدّعونه ... اذا خِفْتَ فى دعوى الحسيبِ القوادحا

اذا نشَروا الأغصانَ من شجراتهم ... على ناسبٍ عُدُّوا الملوك الجحاجحا

تواصَوا فطابوا فى الحياة وأُكرِموا ... نفوسا وطابوا ميّتين ضرائحا

---

(١) المراوح : المفاوز تخترقها الرياح واحدتها مَروحة .
(٢) تلطفته : ترفقت فيه .
(٣) لاحق : اسم فرس معروف عند العرب .
(٤) المضطغن : الحاقد .

وأَخْفَى "الحسينُ" خطفَهم[١] بشُعاعِه ... كما أخفت الشمُس النجوم اللوائحا
فتًى لا يريد المجـدَ إلا لنفسـه ... ولا المـالَ إلا قسمةً ومَنائحا
ينـازع أزْماتِ السنين بأنملٍ ... جوابرَ للأحوال تُسـمَى جوارحا
أنامل من يُسرٍ اذا ما أدارها ... على مغلَقاتِ الرزق كنَّ مَفاتحا
أقام على وجه الطـريق بوجهـه ... مجيرَ النهـار عاقرَ الليـل ذابحا
بحيث السـماح لا يخيِّبُ سائلا ... وحدُّ الصفاح لا يخيِّبنَ صائحا
اذا عجـزتْ يوما مواعظُ صفحه ... عن الأمر ولَّاه القنـا والصفائحا[٢]
ويأبى فيأتى مَشـرعَ[٣] الدمِ واردا ... حريصا ويأتى مشرعَ الماء قامحا[٤]
يصيب بأطراف العـوالى مُحاربا ... عِداه، وأطـرافِ الكلام مُصالحا
اذا هزَّ رمحا طاعنا خِيـلَ كاتبا ... سَدادا، وطِرسًا كاتبا خِيلَ رامحا[٥]
أقـول لأيّامى وهن عواثر ... بحظِّى: لَعًا، قد أدرك الذنبُ صافحا
اذا "الصاحبَ" استبقيته لى ورهطَهُ ... فمرِّى بقـومٍ طائراتٍ طوائحا
أذمّوا على الآمال لى وتعاقـدوا ... على رَقْعِ خَلَّاتى أكفًّا نواصحا
غَبرتُ زمانا أمنع الناسَ مِقـوَدى ... حَرونا الى غير المطـامع طامحا
أَعِزُّ فلا ألقى ابنَ مالٍ مؤمِّـلا ... لمـالٍ ولا يلقـانِىَ الدهرَ مادحا
مع النـاس حُرًّا خاطرى، غير أنهـم ... بأخلاقهـم يستعبدون القرائحا
وما كنتُ فى طرد الخطوب بُمنهـم ... بأوّلِ داجٍ يستضىء المصابحا
بك اعتدلتْ حُوشيّةٌ من تصعّبى ... وراخيتَ من أنسى فأصبحَ سارحا
صَحِبتُك لم يَمسحْ عِذارى سـوادُه ... وها أنا قد غطَّى سـوادى المسائحا[٦]

(١) يريد خطفهم الأبصار بضوئهم . (٢) الصفائح جمع صفيحة وهى السيف العريض .
(٣) المشرع: المورد . (٤) القامح الذى يرفع رأسه عن الماء كرها له وقد تقدّم . (٥) الرامح: ذو الرمح . (٦) المسائح جمع مسيحة وهى شعر جانبى الرأس .

وسدّيتَ[1] عندى نعمةً ليس ناهضا ... ثنائى بها ما لم أجدك مُسامحا
فكن سامعا فى كلّ نادى مسرّةٍ ... شواردَ فى الدنيا ولسن بوارحا
حواملَ أعباءِ الثناء خفائفا ... صعِدن الهضابَ أو هبَطن الأباطحا
يَرَى المفصِحُ المفتونُ عُجْبا بشِعرِه ... لها ناقصا ما سَرّه منه رازحا
اذا قمتُ أتلوها أقشعرَّ كأننى ... تلوتُ مَزامِيرا بها ومَسابحا
تزورك ، لا زالت تزور بشائرا ... يسوق التهانى وفدُها والمَفارحا
يضُمُّ الزمانُ شملَ عزِّك نظمَها ... ويطرحُ مَن عادَى علاك المَطارحا

* * *

وقال وكتب بها الى الأستاذ الرئيس أبى منصور بن ماسرجيس يهنّئه بالمهرجان الواقع فى سنة إحدى عشرة وأربعمائة ، ويعتذر له ويعرِّض بذكر قومٍ يحسدونه على الشعر ويغتابونه

أيا ليلَ "جوٍّ" مَنْ بشيرُك بالصبح؟ ... وهل مِن مَقيلٍ بعدُ فى ظُلَل الطَّلح[1]؟
وماؤكم استشفيتُ "زمزمَ" بعده ... فما بَرَدَتْ لُوحِى[2] ولا رفَدتْ جُرحى
سَرقتُ على سؤرِ[3] البخيلة نهلةً ... بها لم أكن أدرى أتُسكر أم تُصحى؟
قضت ساعةً "بالحق" أن ليس عائدا ... بها الدهرُ فى يومٍ بخيلٍ ولا سَمِحِ
فما لكَ منها غيرُ لفتةِ ذاكرٍ ... اذا قلتُ : بَلَّتْ ، أوقدتْ لوعةَ البَرْحِ[4]
أيا صاحِ ، — والماشى بخير موفَّقٌ — ... ترنَّمْ "بليلَى" إن مررتَ على "السفحِ"
وقامرْ بعينِى فى الخليط مخاطرا ... عسَت نظرةٌ منها يفوز بها قِدحى
وسلْ ظبيةَ الوادى : أأنتِ أم التى ... حكتكِ على قلبى بلحظتها تُنحى؟

(١) سدّيت بمعنى أسديت . (١) الطلح : شجر عظام من العضاه واحدتها طلحة .
(٢) اللُّوح : العطش . (٣) السؤر : الحوض . (٤) البرح : شدة الأذى والمشقة .

رَمتْ بجفنَت واستصفحتْ، هى عامدٌ ... ألا أين جُرم العامدين من الصفح!

وليـلٍ لبسناه بقـربك ناعمٍ ... بطائنَ ما بين القلائد والوُشح (١)

ويُضحى ويُمسى ضوءُ وجهك بيننا ... سراجا، وضوءُ البدر يُمسى ولا يُضحى

ولما استوى قسمُ الملاحة فيكما ... تكلّمتِ حتى بان فضلُك بالمِلح (٢)

تذمُّ اطراحى وُدَّ قومٍ ومدحَهم ... وما مسَّها حملى الهوانَ ولا طرحى

تعاوت على سَرح القريض تقصُّهُ ... ذئابٌ لها من عجزها نَقْدُ السَّرح (٣)

تَجانَفُ عن حُلوِ الكلام وصفوِه ... اذا ولِعت جهلا وتكرعُ فى المِلح (٤)

اذا كان للتقبيل والشمِّ أصبحت ... تماضغه ما بين أنيابها القُلْح (٥)

ترى كلَّ علج يحسبُ المجدَ جَفنةً (٦) ... تُراوحُ (٧) أو قَعْبا يخمَّرُ للصَّبح (٨)

اذا رشَحت من بَهْرِه (٩) وانتفاخه ... أياطلُه (١٠) ظنَّ الفصاحةَ فى الرشح

اذا معجزاتُ الشعر عارضن فهمَه ... حَلبنَ بكيئا (١١) لا تدرُّ على المسح

لكلِّ غريبٍ نادرٍ فى فؤاده ... وأحقادِه فعلُ النكاية فى القَرْح

اذا الغيظُ أو جهلُ الفضيلة عاقه ... عن المدح فى شىء تجمّلَ بالقَدح

وكم دون حُرّ القولِ من جِنح ليلةٍ ... اذا أظلمتْ لم يورِ فيها سوى قَدحى

وقافيةٍ باتت تحارب ربَّها ... فنازلتُها شيئا فألقت يدَ الصلح

وصلتُ اليها والأنابيبُ حولها ... تَكسَّرُ لمّا كنتُ عاليةَ الرمح

اذا شئتَ أن تبلو امرأً أين فضلُهُ ... من النقصِ فاسمع منه إطراىَ أو جَرحى

(٨١)

(١) الوشح جمع وشاح وهو معروف . (٢) الملح : الحُسْن . (٣) النَّقد : صغار الغنم .
(٤) الملح غير العذب . (٥) القُلح : جمع قلحاء وهى السنّ التى يعلوها صفرة أو خضرة .
(٦) العلج : الرجل الضخم من كفّار العجم . (٧) الجفنة : أوسع القصاع . (٨) القعب : القدح الضخم، والصبح : شرب الصبوح . (٩) البهر : انقطاع النَّفس من الإعياء . (١٠) الأياطل جمع أيطل وهو الخاصرة . (١١) البكيء : الناقة أو الشاة التى قلّ لبنها .

وكم ملكٍ لو قد سمحتُ أريتُـــه ... بوجهٍ قريضى طلعـــةَ النصر والفتحِ
اذا ما ترامت عاليـاتُ المنى به ... بعيـــدا تمنَّى موضعَ النجم أو مدحى
وخِلٍّ أتى من جانب اللين عاطفا ... فياسره عُودى ولانَ له كَشحى
وفَـــرتُ له قِسما كفَاه وزادَه ... فمـالَ به الإسـفافُ فى طلب الرِّبحِ
وساومَ غيرى المدحَ يُرخص عرضَهُ ... فلم يُغنى بخلى عليـــه ولا شُحّى
فأصبحتُ كالبيضاء ضرّت فغاظها ... بســـوداءَ والعجزاءِ غارت من الرُّسْحِ (١)
ولكنّ "ماسرجيسَ" من لا تردُّه ... عن الجِدِّ حنَّاتُ الطباعِ الى المزحِ
ولا تُقتضَى ممطولةُ الحقِّ عنـــده ... ولا يُكسَبُ الإنصاف بالكدِّ والكدحِ
اذا نال بيضـاتِ الأنوقِ ميسَّرا ... له وَكرُها لم تَسبِه بَيضةُ الأُدحى
كريمُ الوفاء أملسُ العـــرض طاهرٌ ... اذا دَنَسُ الأعراضِ عـــوجٌ بالرَّضحِ (٢)
تضيقُ صـــدورٌ بالخطوب وصـــدرُهُ ... الى فُرجات من خلائقـــه فُسْحِ
يُشـــير بصغرَى قولتيهِ فيُكتفَى ... بها، وذُبابُ (٣) السيفِ يَقطعُ بالنفحِ (٤)
غزير اذا آستملى البـــلاغةَ فكرُهُ ... ســـقى بقليبٍ لا يُغـــوَّرُ بالـــترحِ
تدبَّرَ من بيت الوزارة باحةً ... له السبق فيها، والجِـــذاعَ من القُرْحِ
اذا زلِقتْ يوما بأقـــدامِ معشرٍ ... فمالت مشَى فيها قويما على الصَّرحِ
أُخِذتم بأحقادٍ قـــديمٍ وقُـــودُها ... عليكم ونارُ الضِّغنِ تُحرِق باللفحِ
وغاظت علاكم حاســديكم فنفَّرتْ ... فُتـــوقَ كُبودٍ لا تُعالجَ بالنَّصْحِ (٥)
وجوهٌ اليكم ضاحكاتٌ وتحتهـــا ... دخائلُ نيّـــاتٍ معبَّسةٍ كُلْحِ
ودِدتُكَ لم أذخر هـــواكَ نصيحةً ... أروح بهـــا ملء الفـــؤادِ كما أُضحى

(١) الرسح جمع رسحاء وهى القليلة لحم العَجُز . (٢) الرضح : القليل من العطيّة . (٣) ذباب السيف : طرفه . (٤) النفح : الضرب الخفيف . (٥) فى الأصل "وغاضت" .

حبيبُتكَ من سَلمى وأغدو بشفرةٍ ... على عُنْقِ مَن أبغضتُ مِن مَنطقٍ أُنحى
وكم من فتاةٍ قـــد منحتُك رقَّها ... على العزِّ لم أمننْ عليك بها مَنحى
لها بين يوم المهـــرجان مواقفٌ ... لديك وبين الصوم عنـدك والفِصْحِ
أدلَّت بحسنٍ فهى تـــبرُزُ سافرا ... اذا آختمرتْ أخرى حياءً من القُبحِ
اذا المنشدُ الراوى بهـا قام خِلتـــهُ ... يناوبُ ترجيعَ الحَمامة بالسَّجحِ (١)
وإن أبطأتْ عاما عليك سماؤها ... فعندك سَلْفٌ من مَرازمها (٢) الدُّلحِ (٣)
ولا ذنبَ لى إن أعقمتنى عوائقٌ ... من الدهر يوما أن يُقصِّر بى لَقحى

* * *

وقال وكتب بها الى ربيب النعمة أبى المعمّر بن الموفّق على بن إسماعيل فى النيروز الواقع فى سنة أربع عشرة وأربعمائة

مَن عَذيرى يـــومَ شرقىّ الجمى ... من هـــوًى جَـــدَّ بقلبٍ مَزَحا ؟
نظـــرةٌ عادت فعـادت حسرةً ... قَتـــلَ الرامى بهـا مَن جَرَحا
قلن ـ يستطردن بى عِينَ "النقا" ـ : ... رجلٌ جُنَّ وقـــد كان صحا
لا تعدْ ـ إن عُدتَ حيًّا بعدها ـ ... طارحا عينيك فينـا مَطـــرَحا
قد تذوَّقتُ الهـــوى من قبلها ... وأرى مُعـــذَبَهُ قـــد أملحا
سل طريق العيس من "وادى الغضا" ... كيف أغسقتَ (٤) لنـا رأْدَ الضحى ؟
ألشىءٍ غـــير ما جـــيراننـا ... نفضوا "نجدا" وحلّوا "الأبطحا" ؟
يا نسيم الصبح من "كاظمةٍ" ... شـــدّ ما هِجت الجـــوى والبُرحا (٥)
الصَّبا ـ إن كان لا بدّ الصَّبا ـ ... إنهـا كانت لقلـــبى أرْوَحا

(١) السجح : السجع . (٢) مرازم جمع مُرزِمة وهى السحابة الشـديدة صوت الرعد .
(٣) الدلح جمع دالح وهو : السحاب الكثير الماء . (٤) أغسقت : اشتدت ظلمتك وفى الأصل "أعسفت" . (٥) البُرَحاء : شدة الأذى والمشقة ومنه "برحاء الشوق" .

يا نداماى "بسلْع" هل أرى ... ذلك المَغْبَقَ والمصطَبَحا؟
أُذكرونا ذكرَنا عهدَكُم[1] ... ربَّ ذكرى قرَّبتْ مَن نَزَحا (٨٣)
وآذكروا صبًّا اذا غنَّى بكم ... شرِبَ الدمعَ وعاف القَدَحا
رجَع العاذلُ عنى آيسا ... من فؤادى فيكُمُ أن يُفلِحا
لو درَى — لا حَمَلتْ ناجيةٌ ... رحلَهُ — فيمن لحانى ما لَحَا
قد شربتُ الصبرَ عنكم مُكرَها ... وتبعتُ السقم فيكم مُسمِحا
وعرفتُ الهمَّ من بعدكُمُ ... فكأنّى ما عرفتُ الفرحا
ما لسارى اللهوِ فى ليل الصِّبا ... ضَلَّ فى فجرٍ برأسى وضَحا؟
ما سمعنا بالسُّرى مِن قبله ... بآبن ليلٍ ساءه أن يُصبِحا
طارقٌ زارَ وما أنذرنا ... مُرغِيا بَكرا ولا مُستنبِحا
صَوَّحتْ ريحانةُ العيشِ به ... فمَن الراعى نباتا صَوَّحا[2]
أنكرتْ تبديلَ أحوالى، ومَن ... صحِب الدنيا على ما آقترَحا؟
شدَّ ما مَنَّى غرورا نفسَه ... تاجرُ الآدابِ فى أن يَربَحا
أبدا تُبصِرُ حظًّا ناقصا ... حيثما تُبصِرُ فضلا رجَحا
والمنَى والظنُّ بابٌ أبدا ... تُغلَق الأيدى اذا ما فُتِحا
قد خَبرتُ الناسَ خُبرِى شِيَمى ... بخلاء وتَسمَّوا سُمَحا
وتوسَّمتُ على أخلاقهم ... داخلا بين عَصاها واللِّحا
وبعثتُ الماءَ من صُمِّ الصَّفا ... قبلَ أن أبعثَ ظنّا مُنجِحا
يشتهون المالَ أن يبقَى لهم ... فلماذا يشتهون المِدَحا؟

(١) هكذا بالأصل والرواية المشهورة * أُذكرونا مثل ذكرانا لكم * (٢) صَوَّحَ النبتُ كتصوّح : يَبِسَ .

يُفصِح اللَّحَّانُ بالجـودِ وهُمْ ... فرطَ بخـلٍ يُعجِمون الفُصَحا
جَرَّتِ الحسنى غلاما ماجـدا ... لم يطِع فى الجـود إلا النُّصَحا
طَوَّلوا فى حَلبـةِ المجـدِ له ... فمضى يتبـعُ رأسا جَمَحا
مُنجَبًا من "آل إسماعيل" لم ... يَرِو فى الأخـلاقِ إلا المُلَحا
كيفما طارتْ عِيافاتُ النـدَى ... حَوْلَه طِرنَ يمينا سُنُحا
لا يبـالى أىَّ زندٍ أصـلدتْ ... مَن أتى راحتَـه مقتـدِحا
كلّما ضاقت يـدُ الغيثِ بما ... ملَكتْ جاودها مُنفَـسِحا
لربيب النعمـةِ اجتابَ الدجَى ... خابطٌ يُنضِى قِـلاصا طُلَّحا
حَمَّـلَ الهمَّ وقـد أثقـلَه ... جَـلْدَةَ العظم أمُـونا سُرُحا (١) (٢)
تُوسِعُ البيـداءَ ظهـرا خاشعا ... فى يدِ السـير ورأسا مَرِحا
لا تبـالى ما قضت حاجتَهـا ... ما دَمِى من خُفِّها أو قَرِحا
حَمَلَتْ أوعيـةَ الشكرِ له ... وانثنت تحمِـلُ منـه المِنَحا
أحرز الفضـلَ طريفـا تالدا ... والمعـالى خاتِمـا مُفتتِـحا
وجرى يقتصُّ مِن آياته ... أثَرَ المجـدِ طـريقا وَضَحا
نسبٌ كيف ترامت نحـوه ... أعينُ الفخر أصابت مَسرحا
أملسُ الصفحةِ لم تعـلَق به ... غمـزةٌ من قادحٍ ما قـدَحا
عَـوَّد البـدرَ وقـد قابله ... غُرّةً بات بهـا مستصبِحا
ورآه البحـرُ أوفَى جمَّـةً ... منـه بالنـائل لمّـا طفَحا
وتسامت أعينُ الشِّـعر الى ... أن يكونَ السامعَ الممتـدَحا
لم تجِـد أبكارُهُ أو عُـونُهُ ... عنك فى خُطَّابها مُنتـدَحا

(١) الأمون : الناقة القوية . (٢) السرح : السريعة المشى السهلة السير .

غير حُرّاتٍ أراها مُهمَلا (١) حقُّها عندكُمُ مُطَّرَحا
كم ترى أن يصبرِ الشعرُ على أن تُهينوا مثلَها أو يَصفَحا ؟
أنتم آستنزلتُمُ عنها يدى بعد ما عزَّ بها أن أَسمَحا
ورغبتم فى علا أنسابها وكرامٍ من ذويها صُلَحا
وأرى مطلكُمُ فى مهرها دام، والمهرُ على مَن نَكَحا
وثِقَ الشعرُ بكم وآتصلتْ غفلةٌ تُخجلُه فافتضحا
فآعذروه إن أتى مُقتضِيا فلقد أنظَرَكم ما صَلَحا
ومضى حَولٌ على حَولٍ ولم يُنتِج الوعدُ الذى قد أُلقِحا
أُذكروه مثلَ ما يذكركم مُحسِنا وآستقبِحوا ما آستَقبَحا
وآعلموا أنّ قَليبَ الشكرِ إن هو لم يُمدَدْ برفدٍ نَزَحا (٨٣)
وآصحبوا أيّامكم وآستخدموا فى المعالى هُجُنَها والصُّرَحا
بين نيروزٍ وعيدٍ أمسيا رائدَىْ إقبالكم أو اصبحا
تَكمُهُ (٢) الأحداثُ عنكم إن رأى طرفُها غيرَكُمُ أو لَمَحَا

* * *

وقال وكتب بها الى أبى القاسم بن ماكولا، وقد آجتمع معه ببغداد فأنس به، ثم شخص الى البطيحة (٣) متقلدا إيّاها يتشوّقه ويمدحه ويصف السفينة

مَن الغادى تَحُطُّ به وتعلو نجائبُ من أزمّتِها الرياحُ ؟
جوافلُ، تَحسَب الظِّلمانُ (٤) منها أضاء لوجهِ قانِصها الصَّباحُ

(١) فى الأصل " حقا " وهو تحريف . (٢) تكمه : تعمى . (٣) البطيحة : أرض واسعة بين واسط والبصرة . (٤) الظلمان جمع ظليم وهو الذكر من النعام .

فمـــرّتْ كلُّ شائلةٍ (١) زَفوفٍ (٢) لها من غيرها اليـــدُ والجَناحُ
ملمْلَمـــةٍ لها ظَهـــرٌ مصونٌ وبطنٌ تحت راكبها مُتاحُ
ترى ســـوطَ الشّمال يَشُلّ (٣) منها طـــرائدَ لا يُكَفُّ لها جِماحُ
تُراوح رِجلُ سائقهـــا يديه ولا التعريس منـــه ولا البَراحُ
تعبُّ الماءَ بين قِذٍ وصافٍ اذا ما عافت الإبلُ القِماحُ
لعلّك ترتمى بك أو سيقضى الى المجـــد الغـــدوُّ أو الرواحُ
فصُلْ ـ وخلوتَ من ولهى ووجدى ـ وقل ـ ولك السلامة والفلاحُ ـ
لمقتدحين فى كبدى ـ وساروا ـ لـــواعجَ ما لقاطنهـــا بَراحُ :
أَظنَّـــا أنكم بتتم وأبقَى ؟ لَبعضُ الظنِّ إثمٌ أو جُناحُ
ويَحسَبُ بدرُ "عِجلٍ" (٤) أنّ ليلِى له من بعـــدِ غيبته صباحُ !
وأنّى بعـــده بُمنًى ولحـــظٍ ، ينازعـــنى الى جـــذلٍ طِماحُ !
إذن ففركتُ بعلَ المجدِ منـــه وبنتُ من العـــلاء ولا نِكاحُ
بمَن ولِمَن أريدُ القلبَ عنكم ليذهلَ وهو عنـــدكمُ يُراحُ ؟
ومَن بدلٌ وهل عِوضٌ وظهرِى بكم يَعـــرَى وعزّى يُستباحُ ؟
حَملتُ فراقَكم أو قيلَ : جَـــلْدٌ وخلفَ حشاى أسنمةٌ طِـــلاحُ
وكيف تغيضُ لى نزواتُ دمعى وتحت الدمع أجفانٌ قِراحُ !
فهل فيكم على العُـــدَواء (٥) آسٍ؟ فإنّ البينَ فى كبدى جِراحُ
ألا عَطفا عـــلى عيشٍ فسادٍ يكون له بقربكمُ صـــلاحُ
وحُرٍّ قيّـــدته لكم طليقا من النـــاس المكارمُ والسماحُ

(١) الشائلة التى ترفع ذنبها . (٢) الزفوف : السريعة العدو . (٣) يشلّ : يطرد .
(٤) عجل : اسم قبيلة . (٥) العدواء : البعد .

وقادته لكم خِلًّا صريحا ... حبائلُ مدَّها المجدُ الصُّراحُ
وأخلاقٌ سقته فأسكرتْهُ ، ... وبعض خلائقِ الكرماءِ راحُ
نَكصتُ وقد أحالَ علىَّ قِرنٌ ... له سيفانِ : شوقٌ وٱرتياحُ
كأنّ دمِى الحرامَ على يديه ... بُعيدَ البينِ مالُكُم المباحُ
فَمن يكُ فى النوى بطلا فإنّى ... أنا المقتولُ والبينُ السلاحُ
جُعتُ بقربكم والعهدُ طِفلٌ ... وساعةُ وصلنا بِكرٌ رَداحُ
وما شبِعت برؤيتكم لحاظٌ ... سواغبُ لى ولا بَرَدَ ٱلتياحُ
وحتى بعدَ أملسَ لم تَعَلَّقْ ... له بذيول طِيبِ الوصلِ راحُ
فراقٌ سابقَ اللقيا وعطفٌ ... من الأيّام زاحمه ٱطراحُ
ونُهزةُ نهلةٍ لم تَحْلُ حتّى ... تأجَّن ماؤها الشبمُ(١) القَراحُ
كأنّ الدهرَ قامرنى عليها ... معالجَةً نفانتنى القِداحُ
لئن قَصُرت مساعيها وضاقت ... ففى الأشواقِ طولٌ وٱنفساحُ
فإن كَسرتْ عصا جَلَدِى عصاها ... فآمالى برجعتها صِحاحُ
وقد يلد السرورُ على عقامٍ ... ويحيا بعد ما مات المِراحُ
لعلّك — يابنَ أكرمهم يمينا ... وأقدمِهم اذا كُرِهَ الكفاحُ
وأوسعِهم قِرًى وأعمَّ قدرا ... اذا ما الكلبُ أعجزه النُّباحُ —
بقربك أن ستُخبِرُ أو سيُقضَى ... لهذا الخَرقِ رَقعٌ وٱنتصاحُ
فترجِعَ لى ليالٍ صالحاتٌ ... بكم فاتت وأيّامٌ مِلاحُ
وينبُتُ تحت ظلّكُمُ لحالى ... جَناحٌ حَصَّه القدرُ المتاحُ
عَلِقتُكُمُ هوًى ومُنًى فما لى ... على الأيّام غيركم ٱقتراحُ

(١) الشبم القراح : البارد الصافى .

وبعتُ بكم بنى دهرى ودهرى ... فعـدت وملء حِضْنَىَّ الرياحُ
أقول — وقد تعـرَّم[1] جُرح حالى ... وسُـدَّ على مَطالِعِىَ السَّـراحُ[2]
وكاشـفنى وكان مجاملا لى ... عَبوسُ الوجه من زمـنى وقَاحُ
وقد مَنعتْ غضارتَهـا وجفَّتْ ... على أخلاقها الأيدى الشِّحاحُ —:
غدًا يا نفس فٱنتظرى أناسـا ... هُمُ فَـرَجٌ لصـدرك وٱنشراحُ
ستطلُعُ من "بنى عيسَى" عليك الـ ... ـأكفُّ البيضُ والغُررُ الصِّباحُ
ثقى بغـنَى ثراك غـدًا براحٍ ... يُطَلُّ بها جُـدوبُك أو يُراحُ
ولا تتسـغَّبى أسـفا ويأسـا ... فعنـد مَغالـق الأمر ٱنفتاحُ
سيُنهِضُ سـقطتى منهـم غلامٌ ... عزائمـه الأزمَّـةُ والصـفاحُ
كريمٌ جاره حـرمٌ منيعٌ ... عـلى الأيّام أو حَىٌّ لَقَاحُ[3]
كأنَّ الفضـلَ فى ناديه صَونًا ... فتـاةُ الحىّ تمنعهـا الـرماحُ
هو ٱبتـدأ النـدَى لم أحتسـبه ... وأورَى لى ولم يكن ٱقتـداحُ
ودَرَّتْ راحتـاه ولم تُعصَّبْ ... وكم من مُـزنةٍ لا تستـماحُ
وظنّى أن سيشفعُها بأخرى ... يسـابقُ سـعيَه فيها النجاحُ
تقُوم بها على مَيَـدٍ[4] قناتى ... وتُلحَمُ من خصاصتِىَ الجِراحُ
وتُنتَجُ من كرائم رأيـه لى ... بجانبِ جاهـه فيها لِقَاحُ[5]
وعنـدى فى الجـزاء مسوَّماتٌ ... لها بالشكر مَغـدًى أو مَراحُ
حُلَى الأعراضِ تَضحك فى تَريبٍ ... لها عِقـدٌ وفى صدرٍ وشاحُ
لها الغرضان من معنًى دقيـقٍ ... تقُـوم بنصـره كلِمٌ فِصاحُ

(١) نُزِعَ ما عليه من لحم . (٢) السراح : التسريح . (٣) لقاح : لا يدينون للملوك ولم يصبهم فى الجاهلية سباءٌ . (٤) الميد : الميل . (٥) اللقاح : الإبل واحدتها "لَقُوح" .

أبوها "فارسٌ" وكأنّ قَومى بها "عدنانُ" أو دارى "البِطاحُ"
وأفضلُ ما جَزَيت أخًا بودٍّ وإحسانٍ ثناءٌ وٱمتداحُ

* * *

وقال وكتب بها الى المهذّب أبى منصور بن المزرّع يمتدحه ويهنّئه بإملاكه(١) وإعراسه(٢)، ذهابا مع مودّة واحدةٍ بينهما، ترتفع مع حقوقها المنافسة وتجب المساعفةُ، وكان قد قدِم من سفرةٍ طويلة

قُلْ للزمان : صُلْحا قد عاد ليلِى صُبحا
جادَ فزار قمرٌ كان لَوَى وشَحّا
يلبَس جِنحا من دجى الـ ليل وينضو جِنحا
فَرَدَّ ريحًا ناشقا "كاظمةً والسَّفحا"
كأنّ فأرَ(٣) تاجرٍ أنحَى عليها ذبحا
يبعثُ منها بُرْدُه مع النسيم نَفحا
غلّس شوقا وأصا ب فُرصةً فأضحى
طال به الليلُ نعيـ ـما والنهارُ سَبْحا
يا لَسَقامِ آملٍ بَرا(٤) به وصَحّا
ورشفةٍ كانت على نارِ حشاى نَضْحا
رشّ الغليلَ بَرْدُها وبلّ ذاك البَرْحا
كانت سبارَ(٥) كبِدى وكان شوقِى جُرحا
سل ظبية الوادى تَلُـ ـسُّ بانَهُ والطَّلْحا،

(١) الإملاك : التزوج . (٢) بالأصل "تعريسه" وهو تحريف، والإعراس بناء المرء على أهله وهو الذى يريده الشاعر كما تدل على ذلك أبيات القصيدة . (٣) الفأر: نافجة المسك وقد تقدّم .
(٤) يريد "برأ" وقد سُهِّلت همزتها، وفى الأصل "برأيه" . (٥) السبار : ما يسبر به الجرح .

لها "بنعمانَ" طَلًا[1] تَـلوِى عليـه الكَشْحا :
أأنتِ أم "ظمياءُ" زُر تِ لاغبين طُلْحا ؟
تَوسَّـدوا مَناسِما ورُكُباتٍ قُـرْحا
أم جئتِنا بسِـحرِها تلفّتـا ولمَحـا ؟
قاربتِهـا مـلاحة وفَضَـحتِك مِـلْحا
يا آبنـةَ أمّ البـدريا[2] أختَ نجـومِ البَطحا
إِسـاءةً ومَـللا[3] أزدْ أسًى وصـفحا
لَحَا عليـكِ حاسِـدٌ وحيثُ رُدَّ لَحَّـا
حُبُّـكِ خَرْقٌ لا أرى له المـلامَ نَصْـحا
فالعـذلُ غِشٌّ لى ولو مات العـذولُ نُصْحا
أنـكَرتِ آبتسامَ أيّـ ـامى وكنَّ كُلْحا
وأبصرتْ جِـدّى غدا فكاهـةً ومَـزحا
وما أحسّتْ أنّ ربـ ـعَ الهمِّ قـد أمَّحا[4]
وأعذبَ الشِّربُ الذى كان الأُجَاجَ المِلْحا
أضحت خُطا البين الـ ـىَّ باللقـاء تُمحَى
وعاد "بالمهـذَّبِ" الـ ـدهرُ البخيـلُ سَمْحا
أهلا — وقد مات الحيا حـتى أمات السَّرحا
وكَشَرَتْ دُرْدًا سـنو نَ أربَـعٌ وقُلْحا
وعاد ضرعُ النـاب[5] من تحت العصابِ قَرْحا[6] —

(١) الطلا : ولد الظبى . (٢) فى الأصل "الغدر" . (٣) يريد "زيدى إساءة وملا" .
(٤) أمحّ : عفا . (٥) الناب : الناقة المسنّة . (٦) القرح : الجرب الشديد .

بغـرّةٍ تزيـدُ فى ليـلِ الجـدوب قَدْحا
وبيَـدٍ يُعـدى ندا ها اللَّحـزينَ(١) الرَّسْحا
إن قَطَـرَتْ فوابـلا أو هَطَلَتْ فسـحّا
ميمـونةٍ ما مسـحَتْ بسـاطَ أرضٍ مَسـحا ،
إلّا كستْ غـدائرا هـامَ رباهـا الجُلْحا(٢)
لا تعجبوا إن أصـفرتْ ومُـوِّلَ الأشـحّا
هـل يَسـمنُ العُود يُشـ ـظّى(٣) أبـدا ويُلْحى(٤)
لو أنهـا بحـرٌ لأفـ ـنَتْهـا الحتـوقُ نَزْحا
ومرحبًـا بهنّ أخـ ـلاقا رِطابا سُمْحا(٥)
اذا السـجايا فَـتَرَتْ عدنَ نشاوى مرْحا
أبلجُ زكّاه النـدَى فما يخاف جَـرْحا
جهِـدتَ يا عائبَـهُ فهل وجـدتَ قَدْحا ؟
تنـحَّ عن مكانه من العـلا! تنحّـا
يابن "عـلىٍّ" فُـتِّم الـ ـأشـراطَ جُذْعا قُـرْحا
عـلوتم النـاسَ ترا با والنجـرمَ سَـطحا
لم تدَّعـوا رِبابـةً للمجـد تحـوى قَدْحا ،
إلا لكم فـورتُها(٦) منحا بهـا وسـنحا
طينـةُ بيتٍ أرضُـه فـوق السماء تُـدحَى

---

(١) اللحزين : جمع لحِزٍ وهو البخيل . (٢) الجلح جمع جلحاء وهى التى انحسر شعر رأسها
(٣) يشظّى : يشقّق . (٤) يُلحَى : يُقشر . (٥) سمحا : كريمة . (٦) الفورة : سَراة الجبل ومتنه وهو هنا مجاز .

ودوحـةٌ أفـرط فيـ (١)ـها من أطال السَّـرحا
بثُمْـرِكم (٢) حامـلةٌ ولم تُهجَّنْ لَقْـحا
جُمـلةُ مجـدٍ كنتمُ تفصـيلَها والشَّـرحا
كلُّ غـلامٍ كافـرٌ (٣) تحت اللثامِ الصُّـبحا
يَفـرَعُ (٤) من شَـطاطِهِ قبـلَ الركوبِ الرُّمحا
يرمى بعينيـه طُمو حا فى العـلا وطرحا
كما تَفـعّى (٥) أرقـمٌ (٦) بالرمـل يُذكِى اللحا
اذا أحسَّ نبـأةً (٧) كشَّ (٨) لها وفَّ (٩)
علِقتُـكم تحت شنـو (١٠)ـفِ الدهرِ بُلجا قُـرحا (١١)
وبعتُ من بعتُ بـكم فعَبَّ بحـرى رِبحا (١٢)
زوّجتُ آمالى بـكم فـوَلَدتْ لى النُّجحا
لـولا هَنـاتٌ كالشِّرا رِ يلتمعن لَفـحا
وغفـلةٌ تُحـرِق فى وجـهِ الجمالِ القُبحا
وحاجـةٌ تَحفِـزنى يُضرَبُ عنها صـفحا
وكم غضبتُ ثم عـد تُ أستميح الصُّـلحا
وشـفَعتْ نفسى لـكم فخال عتـبى مـدحا

(١) السرح جمع سرحة وهى الشجرة العظيمة ، وفى الأصل "الشرحا" وهو تحريف . (٢) جمع الثَّمَر ثِمار وجمع الجمع ثُمُر ككتب وسكّنت الميم للضرورة . (٣) كافر : ساتر وفى الأصل "مكفِر" . (٤) يفرع : يطول و يعلو ، وفى الأصل "يقرع" ، والشطاط : حسن القوام واعتداله . (٥) تفعّى : تنكّر . (٦) الأرقم : الثعبان . (٧) النبأة : الصوت الخفىّ . (٨) كشّ : صات من جلده لا من فيه . (٩) فحّ : صات من فيه . (١٠) بلجا جمع أبلج وهو المشرق الوجه ذو الكرم والمعروف . (١١) قرحا جمع أقرح وهو الأغرّ . (١٢) فى الأصل "نحرى" .

يا بدرُ، هذى الشمسُ مهـ ـداةٌ اليـكَ نِكاحا
ففـز بهـا وقل لهـا : نصـرا بكم وفتحا
مَلكتَ "بلقيسَ"(١) بهـا وما نَقلتَ الصَّـرحا
أقـررتَها عَينـا وأعـ ـينُ الأعادى قَـرْحى
وآجتـلِ نجما مشرقا(٢) منهـا وصُـبحا صُـبحا
وآذخـرْ ثنائى لبنيـ ـك كيمياء صَحَّا
أنظـم منـه لهُـمُ قـلائدا ووُشْحـا
يَخطِـر فيهـا الحَضَـ ـرِىُّ بـدوياً قُحَّا
يتـلون منـه ما تلو ن خطباء فُصْـحا
ما أرقص الأيكَ الحمـا مُ طـربا وسَجـحا
وما جرى الصـومُ وجا ء الفطرُ يحـدو الأضحى

* * *

وقال وكتب بها الى الشريف الأجلّ الذكىّ ذى النباهتين أبى على عمر بن محمد السَّابُسِىّ، وقد كاتبـه دفعات آبتدائياً، وكتب يخطب فيها ودّه ويمدحه، ويسأله نسج الحال والمودّة بينه، وأنفذها الى الكوفة فى رجب سنة تسع عشرة وأربعمائة

سَلْ فى الغضا ـ وصَبا الأصائل تنفحُ ـ : هل ريحُ "طيبةَ" فى الذى يُستروحُ ؟
وهل النوى ـ وقضاؤها متمرِّدٌ ـ تركتْ "برامةَ" بانةً تترنَّحُ ؟
أم شقَّ ليلَ "الغورِ" عن أقمارِهِ(٣) بعـدى يدٌ تمطو وطرف يطمحُ ؟

(١) بلقيس : اسم الملكة التى تزوّجها سيدنا سليمان عليه السلام وسيرة نقل عرشها جاء بها القرآن الكريم فى سورة النمل . (٢) هذه الكلمة ليست بالأصل وقد رجّحناها لآتزان الشطر وإتمام معناه .
(٣) تمطو : تمدُّ .

أهلُ "القباب" — ومن بهم لمصفَّدٍ — بالبعد أتلع "بالعراق" وأبطحوا —
جعلوا "اللّوى" وعدَ اللقاء فقرَّبوا — ورَمتْ "تهامةُ" دونهم فتنزَّحو
ووراءهم "عينُ الغوير" وهامةٌ — رعناءُ(١) من "أجإٍ"(٢) ورحبٌ صحصحُ(٣)
وسيالُ(٤) "طيٍّ" فى رءوس صعادِها — والخيلُ تزْبُنُ(٥) فى الحديد وترمحُ
فَمَن المطالبُ والغريمُ "ببابلٍ" — والدَّينُ يحجبه "الأراكُ" و"توضحُ"(٦)؟
يا مُوردى "ماءَ النخيل" هَنَاكُمُ — أن تُعذِبوا وشُروبُ "دجلةَ" تُملحُ
هل فى القضيّةِ عندكم من نَهْلةٍ — تَرْوَى بها هذى القلوبُ اللُّوَّحُ؟
تَرِدُ الغرائبُ آنساتٍ بينكم — وأسيركم يَجِدُ الفراتَ فيقمَحُ
لا سكرةُ البلوى "ببابلَ" بعدكم — تصحو ولا ليلُ البلابلِ يُصبِحُ
كم سهمِ رامٍ عندكم أهدفتُه — قلبى ولكن تقتلون ويجرحُ
وتملَّحت لى ظبيةٌ "غوريّةٌ" — سنحتْ وظبيتكم "بنجدٍ" أملحُ
إمّا عدَتْ عنكم "بَسيطةُ عامرٍ" — "طَرَاةُ(٧) شَيبةَ" بالمَناسم يُرضَحُ(٨)
"والحُرَّتان" وزندُ ناجرَ فيهما — إمّا يَشُبُّ لظًى وإما يَقدحُ
فلكَمْ على "الزوراءِ" من متعلِّقٍ — بشكيمتى شعَفا ورأسى يجمحُ
وكريمةِ الأبوين أطرُقُ بيتَها — والليلُ بابن سمائه متوضِّحُ
وعلىّ من ثوبَىْ هواى وعفّتى — شوقٌ يُبَلُّ وخَلوةٌ لا تَقبُحُ
ومحجّب الأبوابِ فى رَيْعانه — أضحت مَغالقُه لشعرى تُفتحُ
تتزاحم الآمالُ حولَ بساطه — عِظَما ولى منه المكانُ الأفيحُ

(١) رعناء : شاهقة . (٢) أجأ : اسم جبل . (٣) الصحصح : ما استوى من الأرض .
(٤) السيال : شجر ذو شوك ، والصعاد جمع صعدة وهى القناة . (٥) تزبن : تدفع . (٦) توضح وما قبلها أسماء مواضع . (٧) طراة شيبة : اسم جبل . (٨) يقال : رضح الحصى : كسره

رفضَ الكلامَ الوغدَ يعلم أنه ... يُهجَى — سوى فقرى — بما هو يُمدَحُ
ومشى يجُرُّ قلائدى متخايلا ... فيها يُقلِّد دُرَّها ويُوشِّحُ
وعلى "السَّدير" و"حيرة النعمان"[1] لى ... من خاطبٍ لو أنّ ودّىَ يُنكَحُ
وفتًى ، ذؤابةُ "هاشمٍ" آباؤه ... دينًا وبيتاه "مِنًى" و"الأبطحُ"
رضَعَ النبوّةَ وارتَبَى فى حجرها ... جَذَعا على طول الإمامة يَقرَحُ
ورمَى بطَرفيْه السماءَ فلم يفت ... طَرفيْه من ذاك "المجرّةِ" مَطرَحُ
"عَمرُو العُلا" أدّته عن "عَمرِو العلا" ... أمٌّ متمّمةٌ وخِلٌّ مُلقِحُ
شرُفَ الى "الزّهراء" مَسرَى عرقِهِ ... وعلى "الوصىّ" فروعُه تترشَّحُ
تتهابطُ الأملاكُ بين بيوته ... وتطير وهى بهَدْيِه تَستنجحُ
يا راكبَ الوجناءِ، ينقل رحلَهُ ... عُنُقٌ لها[2] ذُلُلٌ وذيلٌ مِلوحُ
تمضى عزوفا لا تُغَرّ ببوّها ... يُلقِى السقائطَ[3] بالفلاةِ ويَطرَحُ
وإذا أراها الخمسُ ماءَ عشيّةٍ ... عدّته قانعةً لآخرَ يُصبِحُ
بلِّغ كأنك مُفصحا "غيلانُ" وآنـ ... ـتفض الطريقَ كأن عنسَك "صيدحُ"
"الكوفةَ البيضاءَ" : أنَّ "بجوّها" ... قمرا تُغاظ به البدورُ وتُفضَحُ
عَرِّجْ وقُل "لأبى علىٍّ" مالئا ... أُذُنَيْهِ : حيّتك الغوادى الرُّوَّحُ
وسقتك كنُّك فهى أغزرُ ديمةً ... ما قَلَّصتْ عنك السحابُ الدُّلَّحُ
وازداد مجدُك بَسطةً وإنارةً ... وعلوُّ جَدِّك والجدودُ تُطوَّحُ
فتّ الصفاتِ فلجلجَ المثنِى بما ... تولِى وأعجمَ فى علاك المفصحُ
فالبدرُ تمٌّ وأنت أكملُ صورةً ... والبحرُ عمٌّ وأنت منه أسمحُ

---

(١) بالأصل "جيرة".
(٢) ملوح : كثير الإلاحة .
(٣) السقائط جمع سُقاطة وهي ما سقط من الشيء .

والخادرُ[1] الحامِي حِمى أشبالِهِ ... لك عن وليجةِ غابهِ يتزحزحُ

تركتْ سيادتَها العشيرةُ رغبةً ... لك فى اقتبالك وهى بُزْلٌ قُرَّحُ

ورأتْ زئيرَك دونها فتأخرت ... وتَعالبُ الأعداءِ فيها تَضبَحُ

جمَّعتَ أُلفةَ عزِّها، وعَزيبُها ... بقنا العدا طردا يُشَلُّ ويُسرحُ

وشفَتْ سيوفُك من بنى أعمامها ... داءً تَضيقُ به الصدورُ وتبرحُ

دَينٌ شكوت الى الحسامِ مِطالَهُ ... فقضاه، والسيفُ المشاورُ أنصحُ

دِمَنٌ على القُربى تزيدُ عداوةً ... فخروقُها ما بينكم لا تُنصَحُ

حسدوا تقدُّمَ فضلكم فجحودُهم ... لا تنطفِى وفسادُهم لا يَصلحُ

زحموك أمسِ فعاركوا ملمومةً ... صمَّاءَ[2] يُوقِصُ ركنُها مَن يَنطَحُ

فسقيتهم كأسا مُجاجتُها الردى ... شربوا على كرهٍ لها ما يُجدَحُ[3]

يا جامعَ الحسناتِ وهى بدائدٌ ... ومُرِبَّ روضِ الفضل وهو مُصوِّحُ

كفٌّ تخفُّ مع الرياح سماحةً ... ومهابةٌ تزن الجبالَ وتَرجَحُ

قد جاءت الغررَ الغرائبُ طُلَّعا ... كالشهب تَثقُبُ فى الدجى وتلوِّحُ

ثَمَرٌ بغرسِك قد حلتْ مَجْناتُهُ ... ونتائجٌ من بحرِ فكرك تُلقَحُ

فنطقن والأشعار خُرسٌ عندنا ... ونجون سبقا والقوافى طُلَّحُ

فكأنَّ روضَ الحَزْنِ تنشره الصَّبا ... ما ظَلْتُ من قرطاسها أتصفَّحُ

فسوادُها من ناظرى ما يَمَّحِى ... وسَدادُها من خاطرى ما يَبرحُ

ألَّفتُها من جوهرٍ فى النفس لا ... يَفنَى ومعدنِ فكرةٍ لا يُنزَحُ

نَظمتْ لِىَ الحُسنَ المبرِّزَ والهدَى ... فكأننى بنشيدهنَّ أسبِّحُ

وأَمَا وذَرعِك فى العلاء فإنه ... قَسَمٌ لباعِ الصدقِ فيه مَسرَحُ،

(١) الخادر: الأسد. (٢) يوقص: يقال أوقص عنقه أى دقها. (٣) يجدح: يُخلَط.

ما خلتُ صدقَ القول شخصا ماثلا ... يُهدَى وأن الرفد سِحرٌ يُمنحُ
جاريتُها متحذِّرا من سبقها ... والبرقُ يكبو عن مدای ويُكبحُ
ومتى أقوم مكافئا بجزائها ... وندالك مفترَعٌ بها مستفتحُ
كرمٌ تطلَّع من شريف خلائقٍ ... أصفَى من المزن العذابِ وأسمحُ
لم أرمِه بسهام تقديرٍ ولم ... أطرح له الآمالَ فيما أطرحُ
فلترضينَّك — إن قبلتَ — معوضةٌ ... مما أصونُ "بحائلٍ" تتنفَّحُ
سيّارةٌ فى الخافقين فذكرُها ... ذِكرُ الغمائم باكرٌ متروّحُ
تَجزى الرجالَ بصدقهم فصديقُها ... فى غِبطةٍ وعدوُّها لا يفرحُ
مجنوبةٌ لك لا تزال جِباهُها ... أبدا على السّبق المبرِّح تُمسَحُ
فامددْ لها رسَنَ الرجاءِ فإنها ... بالودِّ تُشكَمُ(١) والكرامةِ تُشبَحُ(٢)
مهما تُعرِّضْ للرجالِ بِدِينِها ... فمديحُها لك بالغلوّ يُصرَّحُ

* * *

وقال وكتب بها الى زعيم الملك أبى الحسن بن عبد الرحيم يهنّئه بالمهرجان ويشكر مراعاته

أتكتُمُ يومَ "بانةَ" أم تبوحُ ؟ ... وأجدرُ لو تبوحُ فتستريحُ !
حملتَ البينَ جَلْدا والمطايا ... بَوازِلُها بما حَمَلَتْ طُلوحُ
وقمتَ وموقفُ التوديع قلبٌ ... يطير به الجوى وحشًا تَطيحُ
تَلاوذُ(٣) حيثُ لا كبِدٌ تلظَّى ... بمَعتبةٍ ولا جفنٌ قريحُ
فهل لك غير هذا القلبِ تحيا ... به أو غير هذى الروح روحُ ؟
لعمرُ أبى النوى لو كان موتا ... جَنَتْ لك فهو موتٌ لا يريحُ

(١) تشكم : يُسَدُّ فوها بالشكيمة . (٢) تشبح : تُقيَّد . (٣) تلاوذ : تلوذ .

يفارِقُ عاشقٌ ويموتُ حيٌّ ... وخيرُهما الذى ضَمِنَ الضريحُ
وقال العاذلون : البعدُ مُسْلٍ ... فما لجواك ضاعفه النزوحُ !
وفى الأظعانِ طالعةً "أُشَيًّا" ... أبو لونينِ مَنّاعٌ منوحُ
سلافةُ ريقِه بَسْلٌ حرامٌ ... ووردةُ خدّه مما يُبيحُ
اذا كتمتْه خالفةٌ[1] وخِدرٌ ... وثَى بمكانه المسكُ النضيحُ
أسارقه مُسارَقةً ودون الـ ... ـخِلاطِ به الأسنّةُ والصفيحُ
ولم أرَ صادقَ العينين قبلى ... أضلَّ فدلَّه شمٌّ وريحُ
أيا عجبا يُهتِّكُ فى سلاحى ... ـ وقد حطم القَنَا ـ طرفٌ طموحُ
ويقتنصى على "إضم" — وقدما ... قنصتُ أسودَها — رشأٌ سَنيحُ
رمَى كبدى وراح وفى يديه ... نُضوح دمى، فقيل : هو الجريحُ
وأرسلَ لى مع العُوّاد طيفا ... يُرِى كرما وصاحبُه شحيحُ
إذا كَرَبَ[2] الرمىُّ يُلُّ[3] شيئا ... ألمَّ فدُمِّيَتْ تلك القُروحُ
فقال : كم القنوطُ وأنت تحيا ... وكم تأتى الغنىَّ وتستميحُ ؟
شكوتَ، ومَن أرى رجلٌ صحيحٌ ! ... فقلتُ له : وهل يشكو الصحيحُ ؟
فما لك يا خيالُ — خلاك ذمٌّ — ... أتاحك لى على النأى المتيحُ !
فكيف وبيننا خيطا "زَرودٍ" ... قَرُبتُ عليكَ، والبلد الفسيحُ !
أعزمُ من "زعيم الملك" تَسرِى ... به أم من ندَى يده تميحُ ؟
حملتَ اذًا على ملكٍ كريم ... الى رحلى يعودُ بك "المسيحُ"
وجئتَ بنائلٍ لا البحرُ منه ... بمنتصفٍ ولا الغيثُ السَّفوحُ
حَمَى اللهُ ابنَ منجبةٍ حمانى ... وقد شُلَّت على الراعى السُّروحُ

(١) الخالفة : عمود من أعمدة البيت فى مؤخره . (٢) كرب : قرب . (٣) يُلُّ : يشفى .

(٨٨)

وسدَّ بجوده خَلَّاتِ حالى ... وقد ضعفتْ على الخَرْقِ النُّصوحُ
تكفَّلَ من بنى الدنيا بحاجى ... تَتوجُ فى عقائمها لَقوحُ
تفرّغ لى وقد شُغِلَ المُواسى ... وخالصنى وقد غُشَّ الصريحُ
وقام بنصرِ سؤدُده فسارتْ ... مَطالعُهُ وأنجمهم جُنوحُ
حَلَتْ مِدَحى لقومٍ لم يَهشّوا ... وغنّاه فأطربه المديحُ
كأنّ الشعرَ لم يُفصحْ لحىٍّ ... سواه وكلُّهم لَحِنٌ(١) فصيحُ
جوادٌ فى تقلُّبِ حالتيه ... فلا سَعةٌ تَبين ولا رُزوحُ
اذا قامت له فى الجود سوقٌ ... فكلُّ مُتاجرٍ فيها رَبيحُ
تمرَّن فى السيادة منه ماضٍ ... على غُلَوائه لا يستريحُ
جَرَى متدفقا فى حلبتيْها ... كما يتدفَّق الطِّرفُ السَّبوحُ
وجمَّع مُلكُ "آل بويه" منه ... على ما شتَّت "الكافى" النصيحُ
يقلِّبُ منه أنبوبا ضعيفا ... تَدينُ(٢) له الصفائح والسريحُ
وكان الفارسَ القلَمىَّ يُبلى ... بحيث يُعرِّدُ(٣) البطلُ المُشيحُ
وَرَى بضيائه — والليلُ داجٍ — ... خُفوقَ النورِ، منبلجٌ وَضوحُ
أضلَّ الناسَ فى طرق المعالى ... سبيلًا بين عينيه يلوحُ
وضمَّ الجبلَ مُحلولًى مَريرًا ... أخو طعمينِ منتقمٌ صفوحُ
فيوم الأمنِ وَرّادٌ شروبٌ ... ويوم الغبنِ(٤) عيّافٌ قَموحُ
"أبا حسنٍ" عدوّك من تَرامَى ... به الرَّجوانِ والقدرُ الجموحُ
الى متمرِّدِ المهوَى عميقٍ ... فتطرحه مَهالِكُهُ الطُّروحُ

---

(١) اللحن : الفطن . (٢) السريح من الخيل : العُرْىُ . (٣) يعرّد : يفرّ و يهرب .
(٤) الرجوان مثنّى رجا وهو ناحية البئر و يقال : "رُمِىَ به الرَّجَوان" من باب الاستهزاء كأنه رُمِىَ به رجوا بئر .

تفـــرَّسَ فى الغزالةِ[1] وهو أعشى ... ليقـدَحَ فى محاسنهـا القَـدوحُ
يناطحُ صخـرةً بأجَـمَّ[2] خاوٍ ... أيا سَرْعانَ ما حُطِمَ النطيحُ
بحقك ما أبحتك من فؤادى ... مضـايقَ لم ينلهـا مسـتميحُ
أصـارك وهى خافيـةٌ اليهـا ... ودادُك لى ونائلُك السـجيحُ[3]
فإن أخرستَ ريبَ الدهر عنّى ... بعونك والنـوائبُ بى تَصيحُ ،
ولم تَبْعَلْك[4] بى مـترادفاتٌ ... من الحاجاتِ تغـدو أو تروحُ ،
وغـيرك حامَ آمالى عِطاشا ... عليـه وما يُبَـلُّ لهنّ لُـوحُ[5] ،
تَزاورَ جانبـا عن وجه فضلى ... فضاع عليـه كَوكَبِىَ الصبيحُ ،
جفانى لا يَعُـدُّ علىَّ ذنبـا ... بأعـذارٍ وليس لهـا وضوحُ ،
أعاتبُـه لأنقـلَه ويعيـا ... بنقلِ "يَلَمْلَمَ" اليومُ المُـريحُ ،
وكم أغضيتَ إبقـاءً على ما ... أتى وسـترتَ لو خَفِىَ القبيحُ ،
فلا تعـدَمك أنتَ مكرراتٌ ... على الآفاق تقطُنُ أو تَسيحُ
لهـا أَرَجٌ بنشرك كلّ يومٍ ... على الأعراض ضَوعتُه تفـوحُ
تَصاعَدُ فى الجبـالِ بلا مَراقٍ ... ويَقـذِفُ فى البحار بهـا السُّبوحُ
تمرُّ عليـكَ أيّامُ التهـانى ... ومنهنّ المبـارَكُ والنجيحُ
بجِيـدِ المهرجان وكان عُطْلا ... قلائدُ من حلاها أو وُشـوحُ
بشائرُ أنَّ عمركَ فى المعـالى ... يَعُـدُّ مُضاعِفا ما عَدَّ "نوحُ"

---

(١) الغزالة : الشمس . (٢) الأجمّ : الكبش لاقرن له . (٣) السجيح : الغزير .
(٤) يقال : بعل بأمره : بَرِمَ فلم يدر ما يصنع . (٥) اللوح : العطش .

* * *

وقال وكتب بها الى ناصر الدولة أبى القاسم بن مكرم، وأنفذها الى عمان على يد صاحبه وذلك فى سنة أربع وعشرين وأربعمائة

لمن صاغياتٌ(١) فى الحبالِ طلائحُ ... تسيلُ على "نعمانَ" منها الأباطحُ
تخابط أيديها الطريقَ كأنها ... مَوائرُ فى بحر الفلاة سوابحُ
دجا ليلُها وهى السهام تقامُصا ... فلم ينصرم إلا وهنَّ طَرائحُ
كأنَّ الوجى(٢) سرٌّ تخاف انتشارَه ... فمنها مُرِمٌّ(٣) بالتشاكى وبائحُ
حَملْنَ شموسا فى الحُدوج غواربا ... وليلُ السُّرَى منهنّ أبلجُ واضحُ
ينوء بها أَن القدودَ خفائفٌ ... ويُظلِعها أَن المتونَ رواجحُ
وفيهنّ منصورُ السهام مسلَّطٌ ... لعينيه أن تَدوَى(٤) القلوبُ الصحائحُ
يطير جُبَارا(٥) ما أراقت لحاظُه ... اذا وُفِّيتْ حكمَ القصاصِ الجرائحُ
رمانى ونسكُ الحجّ بينى وبينه ... ولم يدر أنّ الصيد فى الحجّ قادحُ
طرحْتُ "بجَمْعٍ" نظرةً ساء كسبُها ... وتبعثُ شرًّا للعيون المَطارحُ
فإن سترَتْ تلك الثلاثُ على "مِنًى" ... هواى فيومُ النَّفرِ لا شكّ فاضحُ
بكيتُ ولامَ العاذلاتُ فلم تغِضْ ... على رُقيةِ العذلِ الدموعُ السوافحُ
ولم أرَ مثلَ العينِ تُشفَى بدائها ... ولا كالعذول يُجتوَى وهو ناصحُ
أمنكِ ابنةَ الأعراب طيفٌ تبرّعتْ ... به هَبَّةُ التغويرِ والليلُ جانحُ؟
طوى "الرملَ" حتى ضاق بينى وبينه الـ ... ـعناقُ وما بينى وبينكِ فاسحُ
فباتَ على ما ترهبينَ ركوبَه ... هَجُوما وفيما تمنعين يسامحُ

(١) الصاغيات : المائلات . (٢) الوجى : الحفا . (٣) المرمّ : الساكت .
(٤) تدوَى : تمرض . (٥) جُبارا : هدرا .

رعَى اللهُ قلبا ما أبرَّ بمن جفا ... وأثبتَ عهـــدًا والعهـــودُ طوائحُ
وأوسعَ ذَرعا بالوفاء وصـــونِهِ ... اذا ضاق ما تُطوَى عليـــه الجوانحُ
عذيرَى من دهرى كأنى أريده ... على الودّ سَلما وهو قِرنٌ مكافحُ
وصحبـةِ خَوّانينَ ، بائعُهم وإن ... تَكثَّر منهـم بالتوحُّـدِ رابحُ
أخوهم أخـــو الذئب الخبيثِ يَدلُّه ... على الدمِ ما تُملِى عليـــه الروائحُ
وأيدٍ سِـــباطٍ (١) وهى بالمنع جَعـــدةٌ (٢) ... تلاطمنى منهـا اللواتى أصـافحُ
يضىء على أبصارهم ضوءُ كوكبى ... وموضعُه من مطلِـع الفضـــل لائحُ
قعدتُ مع الحرمانِ بينَ ظهورهم ... وطائرُ حظّى لو تعيَّفتُ سانحُ
لقد كان لى عن " بابلٍ " وجُدوبها ... مذاهبُ يتـــلوها الغِنى ومَنـادحُ
تركتُ عبابَ البحـــر والبحرُ مُعرِضٌ ... وأمّلتُ ما تَسقى الرَّكايا النـــوازحُ
ولو نهضتْ بى وثبـــةُ الجَدِّ زاحمتْ ... على المـاء هذى الآبيـاتُ القـوامحُ
إذًا لسقاها "ناصرُ الدين" ما آستقتْ ... كُبودٌ حِرارٌ أو شِـفاهٌ مَلاوحُ
وقد كانت " الزوراءُ " دارَ إقامةٍ ... ومَنْعَمةٍ فيهـا المـنَى والمَفـارحُ
زمانَ العُـــلا محفـــوظةٌ فى عِراصها ... ثِقـالٌ وميزانُ الفضـائلِ راجحُ
فقـد حُوِّلتْ تلك المحاسنُ ، وآنتهتْ ... الى غيرها فى الأرض تلك المَنـائحُ
وأضحتْ " عمانُ " للكارمِ رُحلةً (٣) ... تُراحُ عليهـا المتعَبـاتُ الروازحُ
بهـا المُلكُ طَلْقٌ والمغانى غَنيَّـــةُ الـ ... ـرُّبا ومسـاعى الطالبين مَنـاجحُ
يضوع ثراهـا بالنـــدى فتخالهـا ... رياضـا وكانت قبـــلُ وهى ضرائحُ
يدبّرها سَـبط اليدين ، بنـانُه ... لمقفَل أرزاق العبـاد مَفاتحُ

(١) سباط : كريمة لينة . (٢) جعدة : شحيحة جامدة . (٣) الرُّحلة بالضم : المكان يقصده الراحل .

صفا جوُّها بعد الكدور بعدله ... وطابت حسايا(١) الجبات(٢) الموالحُ

فما غيرها فوق البسيطة للعلا ... مقرٌّ، على أن البلاد فسائحُ

ولا مَلِكٌ إلا وفضلةُ ربّها ... عليه اذا عُدَّ الملوكُ الجحاجحُ

بهمّة محيي الأمّة اجتمعت لها الـ ... ـبدائدُ وانقادت اليها الجوامحُ

بأروعَ، وسمُ الملكِ فوق جبينه ... — اذا ارتابت الأبصارُ — أبلجُ واضحُ

اذا نُسِبَ الأملاكُ لم يَخش خجلةَ الـ ... ـدعاوى ولم تدخل عليه القوادحُ

من النفر الغرّ الذين ببأسهم ... ونعمائهم تُلقَى الخطوبُ الفوادحُ

اذا ما دجت عشواءُ أمرٍ فأمرُهم ... ونهيُهم شهبٌ لها ومصابحُ

لهم قصباتُ السبق فى كلّ دولة ... هم السرُّ(٣) منها والعتاقُ الصرائحُ

ينالون أقصَى ما ابتغوه بأذرع ... مخاصرُها(٤) صُمُّ القنا والصفائحُ

أصولُ علًا منصورةٌ بفروعها ... اذا غاب مُمسٍ منهمُ هبَّ صابحُ

ورَبَّ "يمينُ الدولة" المجدَ بعدهم ... كما ربَّت الروضَ الغيوثُ السوافحُ

جرى جريهم ثم استتمّ بسبقه(٥) ... وكم وقفتْ دون الجذاعِ القوارحُ

همامٌ مع الإصرار مُصطلِمٌ(٦) لمن ... عدَى ومع الإقرار بالذنب صافحُ

تسنَّم أعوادَ السرير محجَّبٌ ... لواحظُه شرقا وغربا طوارحُ

تُراصِدُ جَرْيَ الأرضِ رجْعاتُ طَرفه ... كما ركبَ المَرباةَ(٧) أزرقُ لامحُ

ألا أيّها الغادى ليحملَ حاجتى ... لعلّك إن بُلِّغتَ بالنُّجح رائحُ

أعد فى مقرّ العزّ عنى تحيّةً ... يُذكّى النسيمَ طيبُها المتفاوحُ

(١) الحسايا جمع حَسِيَّة وهى كل ما يُحتَسَى وفى الأصل "حشاياها" وهو تحريف . (٢) فى الأصل "الجنات" وهو تحريف أيضا . (٣) السِّر : اللُّبُّ : (٤) المخاصر جمع مِخْصرة وهى ما يأخذه الملك بيده يشير به اذا خاطب . (٥) فى الأصل "بسيفه" وهو تحريف . (٦) مصطلم : مستأصل . (٧) الأزرق اللامح : البازى .

وقل : عبدُك المشتاقُ لا عهدُه عفا ... ولا وجدُه — إن نُقِّلَ الوجدُ — نازحُ
ومن لم يُخيَّبْ قطّ عالى ظنونه ... لديك ولم تُخْدِجْ[1] مناه اللواقحُ
وأغنيتَه عمّن سواك فلم يُبَلْ ... جفا مانعٌ أو برّ بالرفد مانحُ
قَليبٌ، قريبٌ لى "ببغدادَ" ماؤها ... ومنبعُها شحطَ النوى متنازحُ
لها كلّ عامٍ من سماحك ناهزٌ[2] ... ومن عهدك الوافى رِشاءٌ وماتحُ
اذا ما آستدرَّ الشكرُ سَلسالَ صَوبِها ... وجاءك عنى تمتريها المدائحُ
أتتنى وبطنُ البحر ظهرُ مطيِّها ... فروَّتْ غليلى والسفينُ النواضحُ
وما زادها التنقيصُ إلا غزارةً ... وإلا صفاءً طولَ ما أنا نازحُ
تبُلُّ ثرى أرضى وجسمِىَ وادعٌ ... وتُثمرُ لِآبنِى وهو ساعٍ مُكادحُ
كلانا سُقِى من عفوِها وزُلالها ... وإن حبستنى عُقْلتى[3] وهو بارحُ
فللهِ مولًى منك ما لِىَ عنده ... ومتجرُ من يُدلِى بجاهِىَ رابحُ
وها هو قد كرَّت اليك رجاءَهُ ... سوائرُ حاجٍ طيرُهنَّ سوانحُ
فأمرَك — زاد اللهُ أمرَك بسطةً — ... بما عوَّدت تلك السجايا السحائحُ
أَعنْ جهدَه وآعرف له خَوض زاخرٍ ... يهزُّ الضلوعَ موجُه المتناطحُ
ولم أسترْدْ نُعماك إلا ضرورةً ... وقد تُستزادُ المزنُ وهى دوالحُ
بما ثَقَّلَتْ ظهرى الخطوبُ وضاعفتْ ... تكاليفَ عيشى وآنتحتنى الجوائحُ
وما بُثَّ من زُغبٍ حَوالَىَّ كالقطا ... تَنَزّى الشِّرارِ أعجلتها المَقادحُ
أمسِّح منهم كلَّ عِطْفٍ أسفتُ إذ ... أتانى وقد بُيِّضنَ منّى المَسائحُ
نجوتُ على عصرِ الشبيبةِ منهُمُ ... وأرهقنى المقدارُ إذ أنا قارحُ

---

(١) يقال : أخدجت الدابة : جاءت بولد ناقص الخَلْق . (٢) الناهز : الذى يضرب بالدلو فى البئر لتمتلئ . (٣) العُقلة : ما يُعْقَلُ به كالقيد أو العِقال ، وفى الأصل "غَفْلَتى" .

فدتك ملوكٌ ذكرُ مجدِك بينهم ... مثالبُ فى أعراضهم وجرائحُ
اذا لُعِنوا صَلَّتْ عليك محافلٌ ... صفاتُك قرآنٌ لها ومَسابحُ(١)
حَموا مالهم أن تُنتحَى بنقيصة ... عقائلُه والساريات السرائحُ
ومالُكَ فى الآفاق شتّى موزَّعٌ، ... كرائمُهُ والباقياتُ الصوالحُ
سهرتَ ونام الناسُ عمّا رأيتَه ... كأنك للعلياء وحدَك طامحُ
وجاريتَ سيبَ البحرِ ثم فَضَلْتَه ... وهل يستوى البحرانِ عذبٌ ومالحُ؟
أعرنِىَ سمعا لم تزل مطرباً له ... اذا ما تغنّته القوافى الفصائحُ
وأَصغِ لها عذراءَ لولاك لم تُجَب ... خطيبا ولم يظفَر بها الدهرَ ناكحُ
من الباهراتِ لم تُحدَّثْ بمثلها الـ ... ـنفوسُ ولم تُوصَل اليها القرائحُ
ظهرتُ بها وحدى على حين فترةٍ ... من الشِّعر، برهانى بها اليومَ لائحُ
ومِنْ شرفِ الأشعار أنك سامعٌ ... ومن شرف الإحسان أنّىَ مادحُ
ومَنْ لِىَ لو أنّى مَثَلْتُ مُشافِها ... أفاوضُها أسماعَكم وأطارحُ
وأن ينهَضَ(٢) الجَدُّ العَثورُ بهجرةٍ ... تُعالجُ أشواقى بها والتَّبارحُ
ويا ليتما ريحُ الشَّمال تهبُّ لى، ... فتُطلعَنى منها عليك البوارحُ
وكيف مَطارى والخطوب تُحُضُّنى ... وأخذِىَ شَوطى والليالى كوابحُ
وقد كان جُبن القلب يُقعِدُ عنكُمُ ... فقد ساعدَتْه بالنكولِ الجوارحُ
وأقسمتِ الستُّونَ ما لخروقها ... اذا آنسعتْ فى جِلدة المرءِ ناصحُ(٣)
وإنى على أنسى بأهلى وموطنى ... لأَعلمُ أنَّ العيشَ عندك صالحُ

(١) فى الأصل "مسايح" وهو تحريف. (٢) فى الأصل "وإن نهض". (٣) الناصح: الخياط.

* * *

قافيـة الدال

بعـد خلوّ حرف الخاء

وقال يهنئ نقيب النقباء أبا القاسم بن ممّا بخِلَعٍ وحُمَلانٍ[1] أُخرجَتْ اليه من الحضرة ويصف العُودَ والحمامَ والخِلَعَ

(٩١)

أُرِى طَرفَها أنّ الخضابين واحدُ ... ولكنّه ما بَهْرَجُ[2] الشيبَ ناقدُ

ضَلالةُ حُبٍّ غادرتنى مزوِّرا ... عِذارِى وإنى لو أفقتُ لَراشدُ

يقولون: عُمرُ الشيبِ أطولُ بالفتى، ... وما سرَّنى أنى مع الشَّيبِ خالدُ

أَماضٍ فغدَّارُ زمانٌ أباحنى ... حريمَ الهوى أم حافظٌ لِى فعائدُ؟

ودارَينِ من عالى "الصَّراةِ" سقتهما الـ ... ـبوارقُ رِبعِيَّ[3] الهوى والرواعدُ

ألفتُهما والعيشُ أبيضُ ضاحكٌ ... بربعهما والظلُّ أخضرُ باردُ

ونَدمانُ صَبْحِى صاحبٌ متسمِّحٌ ... معى، وضجيعُ الليل إلفٌ مُساعدُ

وأخرسُ[4]، ممَّا سنَّت "الفرسُ" ناطقٌ ... يُهِبُّ رياحا رَوحُه وهو راكدُ

على صدره بالطُّول سبعٌ ضعائفٌ ... تدبِّرها بالعَرضِ سبعٌ شدائدُ

وخمسُ سكونٍ تحت خمسِ حَوارِكٍ ... تُمِدُّ ثلاثًا يمتطيهنَّ واحدُ

يشرِّدُ من حلم الفتى وهو حازمٌ ... فيرجعُ عنه فاسقا وهو عابدُ

وقَوراءُ[5]، ماءُ الكرم أحمرُ ذائبٌ ... عليها وماء التبر أصفرُ جامدُ

---

(١) الحُملان: ما يُحمَلُ عليه من الدوابّ فى الهِبَة خاصّة. (٢) بهرج: زيَّف.

(٣) الربعىّ: ما نتج فى أيام الربيع وهو هنا مجاز. (٤) يكنى عن العود ويصفه.

(٥) القوراء: الواسعة، ويريد بها الكأس.

تُمثِّلُ "بَهْرامَ الكواكبِ"[1] قائما ... بها حيثُ "بَهرامُ الأكاسر" قاعدُ

أميرانِ، يُخفِي قائمَ السيفِ قابضٌ ... عليه، ويُبدى دُرّةَ التاج عاقدُ

تَبينُ وحبّاتُ المزاج نوازلٌ ... وتَخفَى وحبّات الحَبابِ صواعدُ

مَصالحُ عيشٍ والفتى من خلالها ... اذا لاحظ الأعقابَ فهى مَفاسدُ

ودنيا، لسانُ الذمّ فيها محكَّمٌ ... ولكنها عند "الحسين" مَحامدُ

اليكم بنى الحاجاتِ إنّى رائدٌ ... لِيُحبَسَ جارٍ أو لِيَبرُكَ واخدُ

أبٌ بكُمُ بَرٌّ وأنتم معقّةٌ ... أخٌ لكُمُ دِنْيًا وأنتم أباعِدُ

حبيبٌ اليه ما غنمتم كأنه ... اذا جادَ مرفودٌ بما هو رافدُ

أناةٌ[2] ومن تحت القطوبِ تبسُّمٌ ... أوانًا وفى عقب الأناةِ مكايدُ

محاسنُ لا ينفكّ ينشُرُ حامدٌ ... لها بعضَ ما يَطوِى على الغلِّ حاسدُ

ولما جلاك الملكُ فى ثوب جسمه ... تراءت على قدر العروس المَجاسدُ

أثبتُ بها عذراء ما آقتضَّ مثلَها ... سوى ربِّها، ما كلُّ عذراءَ ناهدُ

"بهائيّة" تُعزَى لأشرفِ نسبةٍ ... لتيأسَ منها كلُّ نفسٍ تُراودُ

لها أرَجٌ للعزِّ باقٍ وإنها ... على عزّ من تُهدَى اليه لَشاهدُ

على منكِب الفخر آستقرّت ولم تكن ... تُلاقيكَ[3] لو لم تدرِ أنّك ماجدُ

أبانَ بها ما عنده لك، إنما ... تُحلَّى لإكرام السيوف المَغامدُ

فزاد "بهاءَ الدولةِ" اللهُ بسطةً ... على أىّ عِلقٍ[4] منك أضحى يزايدُ

لئن كان سيفا مرهَفَ الحدّ إنه ... لَيَعلمُ عِلمَ الحقّ أنك ساعدُ

أتانِى ليلا — قرَّ عينا — مبشِّرى ... فأيقظنى وَهْنًا وإنى لَراقدُ

---

(١) بهرام الكواكب : المشترى، قال حبيب بن أوس :

له كبرياءُ المشترى وسعودُه * وسَوْرةُ بَهرامٍ وظَرفُ عُطارد

(٢) فى الأصل "أتاك". (٣) فى الأصل "تلقّيك". (٤) العلق : الشىء النفيس.

وقمتُ، فكفٌّ[1] يشكر الدهرَ كاتبٌ ... ثناك، وخدٌّ يشكر اللهَ ساجدُ
وناديتُ فانثالتْ معانٍ كأنّما ... تنظّمه منها القوافى فرائدُ
وتَنقُدْن لى ما سِرنَ ظهرَ مدائحى ... اليك وهنَّ عن سواك حوائدُ
وما كنّ مع طول القيام صواديا ... ليَسْرَحنَ إلا حيث تصفو الموارِدُ
ولست كمن يُعطى الأسامى نوالَهُ ... اذا جاد تقليدا وتُلغَى القصائدُ
وما الشِّعرُ إلا ما أقامت بيوتُه ... وسارت فأضحى[2] قاطنا وهو شاردُ
وما هو إلا فى رقابٍ — اذا فشا ... به الحفظُ — أغلالٌ وأخرى قلائدُ

* * *

وقال يمدحه و ينتجّزه وعدا طال مطله به

أقامتْ على قلبى كفيلا من العهدِ ... يذكّرنى بالقربِ فى دولة البعدِ
فقولا لواشيها — وإن كان صادقا — : ... وفائى لها أحظَى ولو غدرتْ عندى
خليلىَّ، ما للريح هبّت مريضةً ... هل اجتدتِ البُخّالَ أم حَملتْ وجدى؟
ضمنتُ من الداءين ما لا تُقِلُّه ... على طرحها الشمُّ الهضابُ من الصَّلدِ
حنينٌ، ولكن مَن لِشملِى بجامعٍ؟ ... ومدُّ يدٍ، لكن مِنَ الرَّجُلُ المجدِى؟
فلا حُبَّ بل لاحظَّ نالك حظُّه[3] ... قد اشترك الأحبابُ والحظ فى الصدِّ
وسَمّى زمانى طولَ صبرى تجلُّدا ... عدمتك، ما أبقيتَ بعدِىَ للجَلْدِ؟ ٩٢
كما ذَمَّ مَنْ قبلى ذممتُك عالما ... بأنك موقوفٌ على الذمِّ من بعدِى
ولكن تجاوَزْ لى بصَرفك ماجدا ... اليه اذا جارتْ صروفُك أستعدى
اذا "الصاحبَ" استنجدتُه فوجدتُه ... فَرُغْنِىَ فيمن غيره شئتَ بالفقدِ

(١) كفّ مؤنّثة وتذكيرها هنا يراد به العضو . (٢) رجّحنا هذه الكلمة لسقوطها فى الأصل .
(٣) الحظ الأولى بمعنى الجد والثانية بمعنى النصيب .

وإن مرَّ فى الأحباب عيشٌ بغيره ... فحسبى بعلم الله فى ذاك والحمدِ
وما أعرفُ الممدوحَ لم يَحزِنى به ... اذا قلتُ خيرا ، إنَّ ذلك بالضدِّ
أحقُّهمُ عندى بما قمتُ مثنيا ... أعدِّده مَنْ فات إحسانُه عَدِّى
فإن تكن الأيّام أجدبن مرتعى ... لديه وكدّرن الزلالة من وِردى
أقولُ لآمالى — وأخشى قنوطَها — ... ركوبُكِ ظهرَ الصبر أدنَى الى الرشدِ
تُطار فلولا وجهُ سعدِك لم يكن ... سِراجُك فى الظلماء نجمَ "بنى سعدِ"
"أبا القاسم" آمنحنى — سمعتَ — آستماعةً ... وقِفْ بى من آستبطاء حظّى على حدِّ
سخوتُ بشعرى قبلَ مدحك لاقيا ... بِسَبْطِ[1] كلامى كلَّ ذى نائلٍ جعدِ
اذا قلتُ : أين الجودُ؟ أنشد بخله : ... محا الدهرُ ربعًا "بالمشَقَّرِ"[2] من "هندِ"
تعابُ لديه الشمسُ بالنور حُجّةً ... على منعه ، والماءُ فى القيظ من بَرْدِ
وفاضت — وهم يُبْس — بحارُك بينهم ... فياليت شعرى ما لجودك ما يُعدى!
وقد كان لى فى الشعر عندك دولةٌ ... ولكن قليلٌ مُكثُها دولةُ الوَرْدِ
أظلُّ وما فى عاشقيك محقَّقٌ ... سواى ، أقاسى الهجرَ من بينهم وحدى
فلمْ أنت راضٍ لى وللمجد وقفةً ... تزاحَمَ دمع اليأس فيها على خدِّى
وما غيرُ تأميلى بدينى قضاؤه ... فكم أتقاضاه وأنحتُ من جِلدى
عسى يقف الإنجاز بى عند غايةٍ ... تريح فلى حولٌ أُجَرُّ على الوعدِ
تساويفُ وفّاها المطالُ حدودَه ... فعجِّل لها الإنجازَ أو جَبهةَ الرَّدِّ

---

(١) السبط نقيض الجعد وقد تقدم تفسيره ، وفى الأصل "بسبط" .
(٢) المشقّر : اسم موضع .

* * *

وأنفذ اليه الكافى الأوحد ما جرت به عادته من رسومه ، فكتب اليه يمدحه ، ويذكر تنزّهه عن النظر فى الوزارة بالرّىّ ، واعتزاله إياها ترفعا عن نزول الحال فيها الى أحد أتباعه ، وما بان من عجز الداخل فيها بعده

اذا صاحَ وفدُ السُّحبِ بالريح أو حَدَا ... وراح بها ملأَى ثِقالا أو اغتدى

فكان وما باراه من عَبَراتنا ... نصيبَ مَحلٍّ "بالجنابِ" تأبَّدا (١)

وما كنتُ لولاه - ولو تربت يدى - ... لأَحملَ فى تُربٍ لماطِرِهِ يدا

خليلىَّ ، هذى دارُ "لمياء" فاحبسا ... معى واعجبا إن لم تُميلا فتُسعدا

نعاتب فيها الدهرَ ، لا ! كيف عتبُهُ؟ ... وأخلاقُه إخلاقُ ما كان جَدَّدا

سلاها — سقاها ما يُعيد زمانَها ... وعيشا بها ما كان أحلى وأرغدا — :

عهِدْنا لديك الليلَ يُقطَعُ أبيضا ... فلِمْ صار فيك الفجرُ يَطلُعُ أسودا؟

فأين الظباء العامراتك بالظُّبى ... ثِنىً وفُرادى ، غافلاتٍ وشُرَّدا؟

وليلُ اختلاط لو تغاضَى صباحُهُ ... لما مازت الأيدى القِناعَ من الرِّدا

أبعدَ جلاءِ العينِ فيك من القذَى ... أرى أثرًا أنَّى تلفتُّ مُرْمِدا؟

لعمرُ الجوى فى رُفقتى بك إنه ... يخامر قَرحانَ الحشا ما تعوَّدا

وقلتُ: صَدًى ، قالوا: الفراتُ الذى ترى ... وهيهات! غيرَ الماء ، ما نُقِع الصدَى

مضى الناسُ ممّن كان يعتدُّه الفتى ... وما أكثرَ الباقين إن هو عدَّدا

وكان بكائى أننى لا أرى الأخَ الـ ... ـودودَ ، فمَن لى أن أرى المتوددا!

أمنعطفُ قلبُ الزمان بعاطِشٍ ... يرى الأرضَ بحرا لا يرى فيه مَوردا؟

تحمَّل شرقيًّا مع الركب شوقُهُ ... وقد غار شوقُ العاشقين وأنجدا

(١) تأبد : أقفر ولزمته الوحوش .

له بين أثناء الجبال وأهلها مَزارٌ حبيبٌ دونه طُرُقٌ عِدَا
وما بِيَ إلا أن أرى البدرَ ناطقا "وثهلانَ" شخصا جالسا متوسِّدا
وليثَ الشرى تحت السُّرادق مُلبِدا وبحرَ الندى فوق الأسرَّة مُزبِدا
وأن أدرك العلياءَ شخصا مصوَّرا هناك وألقى العزَّ جسما محدَّدا
ومن بَلَّغَتْهُ "الأوحدَ الكافيَ" المنى تَغَزَّلَ مَكْفِيًّا وفاخَرَ أوحدَا (٩٣)
لذاك اشتياقى ، ليس أن جازنى (١) له على البعد إحسانٌ ولا فاتنى ندَى
مواهبُهُ سارت لحالى كثيفةً وشعرىَ مطلوبا وذكرى مشيَّدا
فمن نِعمةٍ خضراءَ تسبق نِعمةً له ، ويدٍ بيضاءَ لاحقةٍ يدا
فتى لم أجد لى غيره فأقول : ما أعمّ عطاءً من فلانٍ وأجودا
أنالَ وفى الأيام لينٌ وأيبستْ فلم ينتقص ذاك النوالَ المعوَّدا
اذا بَلَغَ الزُّوَّارُ بابَك أُلقِيتْ رحالُ ذليلٍ عَزَّ أو حائرٍ هَدَى
وقَلَّ من الآرابِ (٢) قُلٌّ (٣) ضممتَهُ وقد جاز فى الآفاق نَهبا مطرَّدا
تُغلَّقُ أبوابُ الملوكِ أمامَهُ ويَرعَى لديها الجهلُ وهى لَقًى سُدَى
تدافعه آدابُها وأكفُّها مدافعةَ السّرح البعيرَ المعبَّدا (٤)
كما شاءها كانت ببعدك دولةٌ جفوتَ ، فقد صارت كما شاءها العِدا
فموكبها بعد السكينة نافرٌ ومركبها صعبٌ وكان ممهَّدا
عَدَا الدهرُ فيها إذ نأيت بصرفه وكان احتشاما منك يمشى مقيَّدا
فإن يك ضَرَّت (٥) هجرةٌ بعثَ "أحمدٍ" فقد حطَّ هجرُ "الرَّىّ" رتبةَ "أحمدا"
تعزَّلَ عنها والمقاليدُ عنده ووازرها والكَدُّ فيمن تقلَّدا

(١) فى الأصل "حازنى" . (٢) الآراب جمع أرب وفى الأصل "الآداب" . (٣) القُلّ الذي لا أحد له . (٤) المعبّد : البعير المهنوء بالقطران لجربه . (٥) فى الأصل "ضرب" .

أيخشى "ابن إبراهيم" فوتَ وِزارةٍ ... وقـد حازها سقفَ السماء وأبعـدا
ولما بدت للعين وَقْصاءَ[1] جهمةً ... وكانت تريك البدرَ والظبيَ أجيدا
معنَّسةً[2] أفنيت عمرَ شبابها ... فلم يبقَ إلا الشيبُ فيها أو الردى
نهضتَ على الإحسان فيها ولم تقم ... وعيشك إلا وهى تُزعَجُ مَقْعَدا
تزوجتَها أيّامَ تُنكَحُ لِدّةً ... وسرَّحتَ إذ كان النكاحُ تمرُّدا
وخلَّفتَها قاعا يغرُّ سرابُها ... يَدَى[3] حافرٍ لم يُسْقَ منها سوى الكُدَا[4]
قليلِ اطلاعٍ فى العواقب لو درى ... مشقَّةَ ما فى مَصدرٍ ما تورَّدا
تَلبَّسَها جهلا بأنك لم تكن ... لتنزِعَها لو كنتَ تنزِعُ سؤدُدا
تحدّثنى عنك الأمانى حكايةً ... بما أنا لاقٍ منك كالصوتِ والصدَى
وكم زائرٍ منّا حملتَ اقتراحَه ... مضى ساحبا رِجْلا وآب مقوَّدا
ومثلىَ لو دونى أتاك بنفسه ... ذُنابَى[5] وولَّى عنك رأسا مسوَّدا
عسى عزمةٌ أشوتْ فمثَّلتَ كاتبا ... يقرطسُ أحيانا فأمثُلُ منشدا
وقائلةٍ : هل يدركُ الحظُّ قاعدًا ؟ ... فقلتُ لها : هل يقطعُ السيفُ مغمَدا !
سيلقَى بها "الكافى" عهودا وثيقةً ... لقد زادها الإسلامُ حقًّا وأكّدا
رضيتُ ـ وإن جدّ[6] الجدوبُ ـ تعفُّفا ... وعيشا مع الوجه المصون مبدَّدا
ومَيلا بنفسى عن لقاء معاشرٍ ... أحتُّهُمُ[7] صخرا وأعصرُ جلمدا
أرادوا بخيلٍ أن يُذَمّوا فيُعرَفوا ... خمولا ، كما أعطيتَ أنت لتُحمَدا
أعالج نفسا منهُمُ مقشعِرَّةً ... وأنفا اذا شَمُّوا المذلةَ أصيدا

(١) الوقصاء : قصيرة العنق ، وفى الأصل "وقضاء" وهو تحريف . (٢) فى الاصل "معبِّسة أفيك" وهو تحريف . (٣) فى الأصل "بذى" وهو تحريف . (٤) يقال : أكدى الحافر اذا حفر فبلغ الكدا وهى الصخور فلا يمكنه أن يحفر . (٥) الذُّنابى : الذنَب . (٦) بالأصل "جرَّ" . (٧) حتَّ : فرك وقشر .

هو المنقذى من شرْك قومى و باعثى ... على الرشد أن أُصفِى هواى "محمدا" (١)
وتارك بيتِ النار (٢) يبكى شرارُهُ ... علىَّ دَمًا أن صار بيتِىَ مسجدا
عليك بها وَصَّالةً رحِمَ الندى ... اذا اشتمل الشعرُ العقوقَ أو ارتدى
هجرنا لها اللفظَ المقلقَلَ قربُهُ ... الى السمع والمعنى العَوانَ المردَّدا
يُخالُ بها الراوى اذا قام منشدا ... بما ملك الإطراب قام مغرِّدا
لكم "آلَ ابراهيم" نُهدِى مدائحا ... وذمًّا الى أعدائكم وتهدُّدا
اذا عزَّ مُلكٌ أن يدوم لمالكٍ ... وطال على ذى نعمة أن يُخلَّدا
فلا تعدَم الدنيا الوَساعُ مدبِّرا ... يقوم بها منكم ولا الناسُ سيِّدا

* * *

وكتب الى الصاحب أبى القاسم يهنّئه بعيد الفطر

أنت على حالتيك محمودُ ... إن كان بخلٌ لديك أو جودُ
يشقَى ويرضَى بك الفؤادُ كما الـ ... ـطَّرفُ اذا ما رآك مسعودُ
يا غُصُنًا دهرُه الربيعُ فما ... يفترقُ الماءُ فيه والعودُ (٩٤)
فات بك الحسنُ أن تُحَدَّ ولل ... ـبدر بما انحطّ عنك تحديدُ
قم حدّث الليلَ عن أواخره ... إن مَقامَ الصبوح مشهودُ
يا ظبيُ، لو بتَّ فيه عدتَ وقد ... عَنَّ ظباءٌ "ببابلٍ" غيدُ
أما ترى الفِطرَ صائحا : نَورِزُوا ... حَلَّ حرامٌ وانحلَّ معقودُ
والبدر يدعو بحاجبٍ حاجبٍ ... للعيدِ : بشرَى هنالك العيدُ
فاسبق بها الشمسَ أختَها لهبا (٣) ... بقاؤها فى الزمان تخليدُ
صان اليهودىُّ خِدرَها أن يُفَـ ... ـضَّ الخَتمُ أو تؤخذَ المقاليدُ

(١) يريد النبى صلى الله عليه وسلم . (٢) بيت النار : معبد المجوس . (٣) يكنى عن الخمر .

عَدَّ رجالا من قومه، لَهُمُ ... فى فضلها عنده أسانيدُ
سنَّ له اللهوُ أن يعظّمها ... فهى له فى الدنان معبودُ
حمراءُ، ما فازت الأكفُّ به ... من لونها فى الخدود مردودُ
من فمِ إبريقها الى شَفة الـ ... ـكأس عمودُ الصباح ممدودُ
دِينٌ من اللهو أنت عن باب إبـ ... ـليسَ متى حُدتَ عنه مطرودُ
تغنَّم اليومَ من سرورك والـ ... ـساعةَ، إن الزمان معدودُ
ما دام يدعونك الفتى مَرَحا ... والغصنُ فينانُ والصِّبا رُودُ(١)
غدا بياضٌ، يا قاتل الله ما ... تنشقّ عنه من بِيضك السودُ
لا تجمعُ الشَّيبَ والسرورَ يدٌ ... ولا يتمُّ الثراءُ والجودُ
لا أَخلَفَ المالَ غيرُ متلفه ... إن الغنىَّ البخيلَ مكدودُ
يا راكبا لم تُلْحُهُ هاجرةٌ ... ولا ترامت بشخصه البيدُ،
ولم تَقُدْ حظَّه مخاطرةٌ ... تُنضَى اليها المهريَّةُ القُودُ،
بين مناه وبينه غرضُ الـ ... ـرامى سدادٌ منه وتعضيدُ،(٢)
قل لابن "عبدالرحيم": عشتَ فما ... يعدَمُ فضلٌ وأنت موجودُ
مَلَّكك المجدَ أنّ بابَك مفـ ... ـتوحٌ وبابَ الأرزاقِ مسدودُ
يزدحم الناس فيه راجين را ... ضين، وحوضُ الكريم مورودُ
وأن عافيك — والمكلِّفُ مشـ ... ـنوءٌ — مُرادٌ لديك مودودُ
لا هو فى الذلّ بالسؤال ولا ... بالمنِّ فيما منحتَ مكدودُ
يختلفُ الناس من كرامته ... عندك مَنْ قاصدٌ ومقصودُ

---

(١) رود أصلها رؤد وقد سهلت الهمزة وهو الغصن أرطب ما يكون وأرخصه وهو هنا من المجاز.

(٢) التعضيد: ذهاب السهم شمالا ويمينا.

والبشرُ حتى يقالَ : بارقةٌ ... والحلمُ حتى يقالَ : جلمودُ

يُلبِسك المدحُ كلَّ ضافيةٍ ... لها بطول الإخلاق تجديدُ

دُرُّ المعالى فيها بوصفك منـ ... ـظومٌ ووشيُ الألفاظِ منضودُ

تَخْبُرُ منه ما أنت ناقده ... وأكثر الإنتقادِ تقليدُ

والشعر، ما لم توجدك آيتُهُ ... — إلا القوافى والوزنَ — مفقودُ

يتعبُ فيه الموفّرون له ... وهو مع المُسْهلين موءود

بَقِيتَ منه لزائراتك بالـ ... ـثناءِ غيدا أكفاؤها الصِّيدُ

كلّ فتاةٍ مَحْدُوُّها يومَ تبـ ... ـغى الحظَّ إمّا أنتَ مجدودُ

صديقُها أنتَ ، والحسود بها ... وبى (١) على القرب منك مفؤودُ

فى وجهه البشر حين يسمعها ... خوفا وفى قلبه الأخاديدُ

يَطرَبُ منها للشيء يُحزِنهُ ... وآسمُ بكاءِ الحَمامِ تغريدُ

لا آجتاز عيدٌ إلا عليك وإن ... أَجَزْتَ أن تُمطَلَ المواعيدُ

* * *

وقال وكتب اليه أيضا يهنّئه بعيد الفطر سنة تسع وتسعين وثلثمائة

اذا لم يُرْعَ عندكم الودادُ ... فسيّانِ القرابةُ والبعادُ

عهودٌ يومَ "رامةَ" دارساتٌ ... كما يتناوب الطلَلَ العهادُ

وأيمان تضيعُ بها المعانى ... وتحفظها الأناملُ والعِدادُ (٢)

تطيرُ مع الخيانة كلَّ جنبٍ ... وحبّاتُ القلوبِ بها تصادُ

أمعترِضٌ صدودُكِ "أمَّ سعدٍ" ... ببعض الشرِّ، أم خُلُقٌ وعادُ؟ (٣)

(١) فى الأصل "ولى" . (٢) العداد : العدّ . (٣) عاد جمع عادة .

وعـــذلٌ فيـــك أوجعَ نازلٌ بى ... أنا الملسوعُ والعـــذلُ العِـــدادُ (١)

وعبتِ وليس غيرُ الشيب شيئا ... أُذادُ له بعيبٍ أو أُكادُ

وما مـــنّى البيـــاضُ فتجرِمينى ... به ذَنْبـا ولا منـــكِ الســـوادُ

بأيمنِ ملتـــقَى المـــاءين دارٌ ... لمـــرتادِ الهـــوى فيهـــا مَرادُ

وقفتُ ، ومسعِدون معى عليها ، ... ألا يا دارُ ما فَعَلتْ "سعادُ"؟

أقول لهـــم أُعلِّلُ فيكِ شوقى : ... وشـــيكا ينقـــعُ الظمأَ الثمَادُ (٢)

خذوا من يومكم لغـــدٍ نصيبا ... من الأطلالِ ، إنّ اليومَ زادُ

توقَّ الحبَّ تأمنْ كلَّ بغضٍ ... فَـــداؤك من دوائك مســـتفادُ

يخـــوّفنى مَكايدَه زمانى ... صَـــغارُكَ (٣) لا أُحسُّ ولا أكادُ

وقـــدرتُه اذا لم يُعطِ بخـــلٌ ... وغايتـــه اذا أعطى نَفـــادُ

فقـــل لبنيه : لستُ إذًا أخاكم ، ... بعـــادٌ بيننا أبـــدا بعـــادُ

أعان الله مســـكينا رجاكم ... فإن رجاءَ مثلِكُمُ جهـــادُ

رضـــينا من قبائلكم ببيتٍ ... عمـــادُ المكرماتِ له عمـــادُ

بنى "عبدِ الرحيم" وكلُّ فخـــرٍ ... يفـــوت فبالّسم نسـبتهم يُفـــادُ

أعِـــدْ ذكرَ التحيّـــة فى أناسٍ ... اذا بدءُوا (٤) اليـــك يدًا أعادوا

وقم وآخطب بحمدك فى ربوعٍ ... وفـــودُ المجـــد عنها لا تُذادُ

ومبتسمين يُورى الملكُ منهـــم ... جباها ، كلُّ واضحـــةٍ زنادُ

رأَوا حفظَ النفوسِ اذا آستميحوا ... — وقد بخل الحيا — بخلا ، فجادوا

---

(١) العداد : اهتياج وجع اللديغ ، و يقال عداد اللديغ سبعة أيام ، و يقال له مادام فيها : هو فى عداده . (٢) الثماد : الماء القليل . (٣) صغارك أى هات ضيمك ومذلتك فإنى لا أحس . (٤) فى الأصل "أبدوا" .

فِـدًى للحسـنين فـتَى عُلاهم ... وناشرُها وقـد درَسـوا وبادوا (١)
دعيٌّ فى السماح وليس منـه ... متى ٱعترف الندى بك "يا زِيادُ" (٢) ؟
دعِ العلياءَ يَسـحَبُها عريقٌ ... بياضُـك يومَ نسبته سـوادُ
يطـولُ ركابَه إن قام فيها ... ويقصُر عن مقـلَّده النجادُ (٣)
أيا "ٱبن علىٍّ" ٱعتقلتك منّى ... يدٌ لم تـدرِ قبلك ما العَتادُ
عركتُ يدَ الخطوبِ وفى ضعفٌ ... فَإِنَّ وهنَّ أعباءٌ شِـدادُ
لذلك تُسـتزاد الشـمسُ نورا ... وحُبِّيـك الذى لا يُسـتزادُ
وحظُّك من جَـنَى فكرى ثناءٌ ... يطول، وطُولُه فيـك ٱقتصادُ
اذا الشيءُ المعادُ أَمَـلَّ سمعا ... تَـكرَّر وهـو طِيباً يُستعادُ
فما خُطِبَتْ بأبلـغَ منـه خاءٌ ... ولا نُطِقَتْ بأفصحَ منه ضادُ (٤)
ألا لا تذكُرُ الدنيا بخـيرٍ ... فـتًى إلا وأنتَ به المـرادُ
اذا حاز ٱمرؤ تأبيـدَ نجـلٍ ... أمدَّك من "أبى سعد" مِدادُ
شبيهُك، والعلا منها ٱكتساب ... ومنها — وهو أفضلها — وِلادُ
وكنتَ البـدرَ تمَّ فزِيدَ نجما ... كما أوفَى بغُـرّته الجـوادُ
فعشْ وٱذخرْهُ للعافين كهفا ... وخـيرُ ذخيرةِ الجسم الفـؤادُ

* * *

وكتب اليه أيضا يهنّئه بعيد الفطر ويتقاضاه حاجةً

أبِالغور تشـتاقُ تلك النجودا؟ ... رمَيتَ بقلبـك مَرمًى بعيـدا
وفَيتَ فكيف رأيتَ الوفاءَ ... يُذِلّ العزيزَ ويُضـوِى (٥) الجليـدا

(١) يرى المتمعن أنه ٱنتقل فجأة مع التعمية الى غرض آخر ولعله تهكُّم . (٢) يشير الى تهكمه الى زياد بن أبيه لأنه مجهول الأب . (٣) النجاد : حمائل السيف . (٤) فى الأصل "صاد" .
(٥) يضوى : يُضعِف .

أفى كلّ دارٍ تمرُّ العهودُ ... عليك ولم تنس منها العهودا ؟
فؤادٌ أسيرٌ ولا يفتدى ... وجفنٌ قتيلُ البكا ليس يُودى (١)
سهرنا "ببابلَ" للنائمي ... ن عمّا نقاسى "بنجدٍ" رقودا
من العربيّات شمسٌ تعودُ ... بأحرارِ "فارسَ" مثلى عبيدا
اذا قومُها افتخروا بالوفا ... ءِ والجود ظَلَّتْ ترى البخلَ جودا
ولو أنهم يحفظون الحِوا ... رَ رَدُّوا علىّ فؤادا طريدا
نعم جَمَعَ الله يا من هَوِيتُ ... وصَدَّ، عليك الهوى والصدودا
رنَتْ عينُه ورأت مَقتلى ... ففوَّقها ورمانى سديدا
قلوبُ الغوانى حديدٌ يقالُ ... وقلبك نارٌ تذيبُ الحديدا
سأجرى مع الناس فى شوطهم ... فَعالا بغيضا وقولا وديدا
أُغَرّ بِبِشْرِ أخى فى اللقا ... ءِ لو تبعَ الغيثُ تلك الرعودا
ويُعجبنى الماء فى وجهه ... وفى قلبه الغِلُّ يُذكِى وَقودا
مُريبون أوسعُهم حجّةً ... وعذرا معى مَن يكون الحسودا
وَحادِ (٢) فلستَ ترى المستريـ ... ـحَ فى الناس من لا تراه الوحيدا
وحازت سجايا "ابن عبد الرحيم" ... ثناءً كسؤدُده لن يَبيدا
ومدحا اذا مات مجدُ الرجا ... ل أعطى الذى سار فيه الخلودا
تَمهَّدَ من "فارسٍ" ذِروةً ... تُحَطُّ "المجرّة" عنها صعودا
مكانةَ لا تستفزُّ العيو ... بُ نخرا ولا يغمِزُ اللؤمُ عودا
تشابَهَ عِرْقٌ وأغصانُهُ ... كما بدئَ المجدُ فيهم أُعيدا
فعُدَّ الكواكبَ منهم بنينَ ... وعُدَّ الأهاضيبَ منهم جدودا

(١) يودَى : يُدفَع دِيتُه . (٢) وَحادِ : كن وحيدا .

سَعَدتُ بحبّك لو أننى ... لحظّى منك رُزِقتُ السعودا
إلامَ توانٍ يُميتُ الوفاءَ ... وعندى ضمانٌ يَحُلُّ العقودا ؟
ونقصُ اهتمامٍ أُرَى مُكْرَهًا ... لجودك من أجله مستزيدا
أَمَا آن للعادة المرتضا ... ةِ من رحبِ صدرِك لى أن تعودا ؟
ولو لم يكن ماءُ وجهى يذوبُ ... بها ثمنا لم يَرُغنِى جمودا
أمانٍ صدرنَ بِطانًا وعدنَ ... خمائصَ ممّا رَعَيْن الوعودا
الى الله محتَسِبا[1] عنده ... بعثتُ هوًى مات فيكم شهيدا
على ذاك ما قصُرتْ دولة ... فطاولْ زمانَك بيضًا وسُودا
ولا تبرحنَّ بشعرى عليك ... عرائسُ يُجْلَيْنَ هِيفًا وغِيدا
تَخالُ اليمانىَّ حاك البرودَ ... اذا أنا قصَّدت منها القصيدا
ولى كلَّ عيدٍ بها وقفةٌ ... أناشدُ عَطفَك فيها نشيدا
تهانٍ يغَصُّ التقاضى بها، ... فهل أنا لا أتقاضاك عيدا ؟

* * *

وكتب الى الأستاذ الجليل أبى طالب بن أيّوب يهنّئه بعيد الفطر

أنا اليومَ ممّا تعهدين بعيدُ ... تُريدين منى والعَلاءُ يريدُ
طوَى رَسَنى عن قبضة الحبّ خالعا ... قُواه ، وقِدمًا كنتُ حيث يقودُ
هوًى — ولياليَ اللهو بيضٌ — وهبتُهُ ... اليها ، وأيّام الكريهة سودُ
وهِيفٌ رقاقُ موضعِ الهَيْف[2] فُتْنَنِى ... وهنَّ جسومٌ حلوةٌ وقدودُ
دعينى وخُلْقًا من سنِىَّ استفدته ... عزيزا فمعدودُ السنين مفيدُ

(١) فى الأصل " مستحسبا " .
(٢) الهيف : ضمور البطن ورقة الخاصرة وهو أهيف وهى هيفاء وجمعهما هِيفٌ .

ولا تحسبيني صِبْغَ لونين فى الهوى ... أتوبُ وتبدو فرصةٌ فأعودُ
ولا كامنا فى الحىّ أنظرُ سِربَهُ ... على خدعة الأشراكِ كيف أصيدُ
وحَصَّ غرابى يا ابنة القومِ أجدلٌ(١) ... بصيرٌ بأوكار الشبابِ صَيودُ
أراكِ تَرَيْنى ناقصا ونقيصتى ... ليالٍ وأيامٌ علىّ تزيدُ
لكلِّ جديدٍ باعترافِكِ لذّةٌ ... فما لكِ عفتِ الشيبَ وهو جديدُ
تأخَّرتِ بالصمصامِ وهو مصمِّم ... وخالفتِ رأىَ الرمح وهو سديدُ
متى(٢) ضنَّتِ الدنيا علىّ فأبصرت ... لسانىَ فيها بالسؤالِ يجودُ
اذا كنتَ حرّا فاجتنبْ شهواتِها ... فإن بنيها للزمان عبيدُ
وبِنْ فى عيون الناس منهم مباعدا ... اذا اشتبهوا واسلم وأنت وحيدُ
وقل بلسان الحظّ، إن خطيبَهُ ... بليغٌ ومَن أعيا عليه بليدُ:
اذا شئت أن تلقَ الأنام معظَّما ... فلا تلقَهم إلا وأنت سعيدُ
ورُبَّ نجيبٍ "كابن أيّوب" واحدٍ ... تراه مع الحالاتِ حيث تريدُ
صديقى، وما يُغنِى صديقُك لم يُطِقْ ... ثقيلا ولم يقرُب عليه بعيدُ؟
أَعُدُّ سجايا الأكرمين وتنقضى ... وأمُّ سجاياه الكرامِ ولودُ
اذا قمتُ أتلوهنّ، قالت لِىَ العُلا: ... أَعِد، والحديثُ المستحبُّ يعودُ
وصدَّق وصفى — والمحبُّ بمعرَضٍ ... من الريْب — آياتٌ عليه شهودُ (٩٧)
يدٌ فى الندى ماءٌ، وقلب اذا التوتْ ... عليه حبالُ المشكلات حديدُ
ومخضوبة الأطرافِ لم تُصبِ عاشقا ... عميدا، وكم أودَى بهنّ عميدُ
قواطع أوصالِ البلاد سوائر ... وما ثار عن أخفافهنّ صعيدُ
اذا نارُ حربٍ أُضرِمتْ أو مكيدةٌ ... فهنّ لها وما احترقن وقودُ

(١) الأجدل: الصقر. (٢) فى الأصل "مضى".

وعلّمه أن يصنع المجدَ منبتٌ ... عريقٌ وبيتٌ فى السماء قعيدُ
وحامون بالرأى الجميع حِماهُمُ ... ووَفْرُهُمُ عند الحقوق شريدُ
مطاعيمُ أرواحِ الشتاء(١)، اذا طغت ... سواجرُ(٢) فى أبياتهم وركودُ
قيامٌ الى أضيافهم وعليهمُ ... ولكنّهم عند الملوك قُعودُ
سخا بهمُ أنّ السخاء شجاعةٌ ... وشجّعهم أنّ الشجاعةَ جودُ
وُقيتُ من الحسّاد فيك فكلّ من ... يَرَى ودَّك الباقى علىّ حسودُ
يودّون ما أصفيتنى من مودّةٍ ... وما أَصطفِى من شكرها وأُجيدُ
لبعضهمُ من بعضهم متخلّصٌ ... وتأبَى غلولٌ بينهم وحقودُ
وعذراء مما آستنجبَ الفكرُ وآرتضَى ... معقّلة فى الخِدرِ وهى شرودُ
نجومُ سجاياك الصِّباحُ اذا سرت ... قلائدُ فى أعناقها وعقودُ
اذا يومُ عيدٍ زفّها قام ناصبا ... لتجهيزِ أُخرى مثلِها لك عيدُ
لها بعدما يفنَى الزمانُ وأهلُه ... بقاءٌ على أحسابكم وخلودُ

* * *

وقال يمدح العمدة ذا النباهتين آبن الصاحب ذى السياستين أبى محمد بن مكرم ويهنّئه، وقد خلع عليه خلعةً مشرقةَ الجمال والجلال، وأضيف الى ألقابه عزّ الجيوش ويصف الخِلَعَ والحُملان

إمّا تقومونَ كذا أو فآقعدوا ... ما كلّ من رام السماءَ يَصعدُ
نامَ على الهُونِ الذليلُ ودرَى ... جفنُ العزيز لِمَ بات يَسهَدُ

(١) يشير بذلك الى الذين يقال لهم: مطاعيم الريح فى العرب، زعم آبن الأعرابىّ: أنهم أربعة أحدهم عمّ أبى محجن الثّقفىّ ولم يسمّ الباقين، وقال أبو الندى: هم كنانة بن عبد ياليل الثقفى عمّ أبى محجن، ولبيد ابن ربيعة وأبوه كانوا اذا هبت الصبا أطعموا الناس وخصوا الصبا لأنها لا تهب إلا فى جدب، وفى المثل "أقرَى من مطاعيم الريح". (٢) السواجر السيول تملأ كل شىء.

أخفُّكم سعيا الى سودده ... أحقُّكم بأن يقالَ : سيِّدُ

عن تعبٍ أُورِدَ ساقٌ أوّلا ... ومَسحَتْ غرّةَ سبّاقٍ يدُ

لو شُرِّفَ الإنسان وهو وادعٌ(١) ... لقطعَ الصمصامُ وهو مغمَدُ

هيهات أبصرتَ العلاءَ وعشوا ... عنه فضلُّوا سُبلَه وتَجِدُ

يا عمدةَ الملكِ وأىُّ شرفٍ ... طالَ ولم ترفعه منكم عَمَدُ ؟

لله هذا اليومُ يوما أنجز الـ ... ـهمَّ به ما كان فيه يَعِدُ

لما طَلعتَ البدرَ من ثَنيّةٍ ... تُجلَى بها عينٌ وعينٌ ترمَدُ

من شَفَقِ الشمسِ يُسَدَّى ثوبُها(٢) ... وتُلحَمُ الجوزاءَ أو تُعَمَّدُ

دقَّ وجلَّ فهو إن لامستَهُ ... سَبْطٌ وإن مارسته مُجعَّدُ

متوَّجا عمامةً وإنما ... عمامةُ الفارس تاجٌ يُعقدُ

ممتطيا أتلعَ(٣) لو حبستَهُ ... تحتك قيل : فَدَنٌ(٤) مُشيَّدُ

مناقلا بأربعٍ كأنّما ... يلاطم الجليدَ منها جَلْمَدُ

وقَّرها خوفُك فهو مطلَقٌ ... يَنقُلُها كأنّه مقيَّدُ

خَفَّ بطبعٍ عِتقِه وآده(٥) ... ثِقلُ الحُلَى فمشيُه تأوُّدُ(٦)

مقلَّدا مهنّدا ما ضمَّه ... قبلك إلا خافه مقلَّدُ

أبيض(٧) لا يعطيك عهدا مثلُه ... اذا أخوك حالَ عمّا تَعهَدُ

اذا أدرعتَ فى الدجى فقَبَسٌ ... وإن توسّدتَ الثرى فعضُدُ

ما اعتدتَ كسبَ العزِّ إلا مَعَهُ ... والمرء مَشّاءٌ وما يُعوِّدُ

---

(١) الوادع : الساكن المستقر، وفى الأصل "دارع" . (٢) فى الأصل "يحلم" .
(٣) الأتلع : الطويل الجيد، ويريد به الفرس . (٤) الفدن : القصر العظيم . (٥) آده : أثقله . (٦) التأوّد : الانحناء والانعطاف . (٧) الأبيض : السيف .

ما زال "فخر المُلك" فى أمثالها يرشُدُ فى آرائه ويسعدُ
فكيف لا وأنت من فؤاده عزًّا وعينيه المكانُ الأسودُ
ولو ركبتُ أرحلا لكان لى فيك بُراقٌ بالمنى مزودُ(١)
أنت الذى جمعتَنى من معشرٍ شملُ العلاء بينهم مبدَّدُ
كأننى آخذُ ما أُعطيهُمُ من مِدَحى اذا نطقتُ أُنشِدُ (٩٨)
أبحتَنِى مجدَك إذ أرحتنى ممّن أذمُّ منهُمُ وأحمَدُ

* * *

وكتب الى الصاحب أبى القاسم بن عبد الرحيم فى عيد الفطر

ليتَك لمّا لم تكن مُسعِدا أو مصلحا لم تكن المفسدا
كنتُ كثيرا بك فيما يَرَى ظنِّى، فكثَّرتَ عديدَ العدا
وشَى وقد قدَّمتَهُ رائدا، لا تبعث الظلمة مسترشِدا
يسومنى الغدرَ بعهد "اللِّوى" ما حقُّ من يغدِرُ أن يَعهَدا
غيرى أبو الألوانِ فى حبِّه يشكو الهوى اليومَ ويسلو غدا
أصبو الى "طَيْبةَ" من "بابلٍ" ما أقربَ الشوقَ وما أبعدا
يا فارسَ "الغيداء" يبغى "مِنًى" بلِّغْ — بلغتَ الرشأَ الأغيدا — :
يا حبذا الذكرى وإن أسهرتْ بعدك والدمعُ وإن أرمَدا
لا تأخذِ النَّفْرَ بتفريقنا فربّما عاد لنا موعِدا
"بالغور" دارٌ و"بنجدٍ" هوًى يا لهفَ من غار لمن أنجدا
ما كان سَلمِى يوم فارقتكم يا "سَلْمَ" منّى حاملا أجلدا
سجيّةٌ فى الصبر عوَّدتُها قلبِى والقلبُ وما عُوّدا

(١) فى الأصل "ومَزْيَدُ" ولعله تحريف .

لم تُدنِى الأيامُ من عدلها ... قطّ فألقى الجَورَ مستبعَدا
وإنما يُنكِرُ من عَيشِه ... أنكدَهُ مَنْ عَرَفَ الأرغدا
حوادثٌ أعجبُ من كرِّها ... أن أتشكّاها وأن أُحسَدا
ليتَ بنى الدنيا التى لا تَرَى ... لى نسبا منها ولا مَولدا
كفَّتهُمُ عنّى أو ليتهُمْ ... كانوا جميعا "للحسين" الفدى
للقمرِ الفردِ وهل مالكٌ ... فى الأفقِ غيرُ البدرِ أن يُفرَدا
لا يَحسَبُ الطيِّبَ من ماله ... ما لم يكن معترضا للجَدَا
وكان أغنَى حسبا عندهُمْ ... من لم يزل أفقرَ منهم يدا
والأبيض الرأى اذا ما شكا ... خابطُ ليلٍ رأيَهُ الأسوَدا
وفارس القَولةِ لم يَستقِمْ ... فى ظهرها الفارسُ إلا ارتدى (١)
وسالك الخطبِ وقد أظلمتْ ... مَحجَّةٌ بالنجم لا تُهتَدَى
ما شِيمَ منكم صارمٌ مغمدٌ ... إلا وأمضى منه ما جُرِّدا (٢)
ولا قَضَى اللهُ على سيِّد ... قضاءَهُ إلا اجتبَى سيِّدا
إن بدأوا تمّم أو نَقصُوا ... أنعمَ أو حطُّوا عُلًا شيَّدا
كأنه أُرضِعَ ثدىَ النُّهى ... أو شاب من حُنكتِه أمردا
لا عاقَ أنوارَك يا بدرَهُمْ ... ما يَنقُصُ البدرَ اذا زُيِّدا
ولا أغبَّتكم (٣) على عادِها ... — ما أفطر الصائمُ أو عيَّدا —
بواكرٌ من مِدَحى تَقتفِى ... فى صونها آثاركم فى الندى

---

(١) ارتدى : تقلّد سيفه ولعل معناه أنه يقضى بقوله ما يقضيه غيره بسيفه ؛ أو لعله محرف عن

وفارس الجولةِ لم يستقِمْ ... فى ظهرها الفارسُ إلا ردَى

ومعنى ردى : سقط . (٢) فى الأصل "فيه" . (٣) أغبتكم : تركتكم .

تجلو على الألباب أحسابكُم بواديًا فى حَلْيِها عُوَّدا
تبقَى على الدهر وِساعَ الخُطَا فى جَوْبِها الأرضَ طِوالَ المدى
يزيدها ترديدُها جِدَّةً ويُخلِقُ القولُ اذا رُدِّدا

* * *

ولما وصلت القصيدة العينيّة الى أبى الحسن محمد بن الحسن المُهَانِىّ، تفقّده بهديّة جميلة زائدة على قدر عمله وتمكّنه، وكتب اليه كتابا منصفا يستوفى معانىَ الاعتذار والتشوق، فأخّر الجوابَ عنه الى أن ألحقه بهذه القصيدة، وآتفق نفوذُها الى الكوفة فى آخر شهر رمضان يهنّئه بالعيد

لا تَلمَسُ الشمسَ يدُ فما يَرُدُّ الحسَدُ؟
ما لمُريدِ حسنِها إلا الأسى والكمدُ
يَفْنَى نزولا ولها علاؤها والخُلُدُ
أرى نفوسا ضَلَّةً تَنشُدُ ما لا تَجِدُ
تحسَب بالكسب العلا ءَ والعلاءُ مُولَدُ
أفضَحُها مفنِّدٌ لو سدّ غيظا فَنَدُ
وكلّ قلبٍ قُرحة يشِفُّ عنه الجسدُ
أبرُدُهُ بعَذلى لو أن نارا تَبرُدُ
هيهات من دوائها وداؤها "محمّدُ"
فات على أطماعِهِ حمى العيون الفرقدُ
شَوَّقها لحاقُهُ جَهلُ الحظوظِ المسعِدُ
ونِعمَ نابتةٌ(١) مع الربيع جُدُدُ

(١) فى الأصل "تأتيه".

حـدَّثَهـا أضغاثُهـا[1] هذا السرابُ المُوقَـدُ
والصبحُ فى تكذيبها إن بلغوه الموعـدُ
يا حاسـدى "محمّدٍ" لا تطلبوه وآحسُـدوا
شريعـةٌ مـورودةٌ لو أصـدَرتْ مَنْ يَرِدُ
منّتكُمُ جـدودُكم أنّ السبيلَ جددُ[2]
تنكّبوا فإنما على الطريق الأسـدُ
أغيـدُ لا يُنجِى الرقا بَ من يديه الجَيدُ[3]
أوفَى عـلى مَرقَبِـه لكفّه ما يرصُـدُ
أزبُّ[4] ما مِن قِـرّةٍ[5] خِيطت عليـه اللِّبدُ[6]
اذا غـدا لسفرٍ أقسـمَ لا يُـزَوَّدُ
الناجياتُ عنـده وذيَّـةٌ[7] ونَقَـدُ
قد قلتُ لمّا أجمعوا وأنت عنهـم مفردُ
تخبِـطُ عشواؤهُم : ما فعـل المُقَـوِّدُ[8] ؟
البـدرُ فى أمثالها حنادسـا يُفتقَـدُ
ضاع بياضُ ناركم والليلُ بعـدُ أَسْودُ
أكرمُكم أحقُّكم بأن يقالَ : سيّدُ
دلَّ عـلى آياتِه فما لنـا نُقلِّدُ

(١) الأضغاث جمع ضِغثٍ وهو ما آختلط من الخبر والأمر فلا تعرف حقيقته . (٢) الجَدَد : الأرض الغليظة المستوية . (٣) الجَيد : طول الجيد وحسنه . (٤) الأزبّ : الكثير الشعر على وجهه . (٥) القرّة : البرد . (٦) اللبد جمع لبدة وهى كل شعر أو صوف متلبّد . (٧) الوذيّة : الحقيرة . (٨) المقوِّد : الذى يقود الدابّة .

وناقصُ الشِّكة (١) مضـ ـعوف الحشا مُعودُ (٢)
صمّ القنا الصِّلابِ من خَـوَرِهِ تَقَصَّـدُ (٣)
يطـولها شـوارعا وهـو لَقًى موسَّـدُ
إذ الكمالُ كلُّه فى جسـد يحـدَّدُ
ما تَـلِدِ الأرضُ كذا والأرضُ بعـدُ تَلِدُ
قل لبـنى الآراب (٤) تُجـ ـفَى والمـنى تُشرَّدُ
والحاج يُلـقَى دونهـ ـنّ اللَّحـزُ المُزيِّدُ (٥):
الكوفةَ الكوفةَ يا مغـوّرًا يا منجـدُ
ما النـاس إلا رجـلٌ والأرض إلا بـلدُ
مَن راكبٌ مُربِعـةٌ (٦) تمَّ عليها العُـددُ؟
موضوعةَ الرحـل تُسّ حَكْمُها (٧) وتَـرِدُ
يَمُـدُّ قِيـد الرمح ظـ ـلّا قَصـرُها المشـيَّدُ
تحمـله مُخِفَّـةً ولو علاها "أُحُـدُ"
تَخِـدّ فى الصخر ملا طِمِ (٨) عليها تَخِـدُ
عَجْلَى اذا ما الساق صا دت ما تُثيرُ العَضُـدُ
لم يدر لحـظُ ضابطٍ ما رجلُها وما اليـدُ
بلِّغ — بلغتَ راشـدا تسرى، ويحدو مُرشِدُ —:

(١) الشـكة : السلاح . (٢) المعـوّد : المسن من قولهم عوّد البـعير أى صار عَوْدا .
(٣) تقصد : تتكسر قصدا أى قطعا . (٤) فى الأصل "الآداب" . (٥) اللحز المزيّد : البخيل الذى يزيّد ماله أى يُنميه . (٦) المربعة : من ذوات الخفّ التى دخلت فى السنة السابعة .
(٧) الحكم وضع الحَكَمَة فى فم الدابّة وهى ما أحاط بحنكى الدابّة من لجامها وفيها العذاران . (٨) ملاطم، جمع مَلطم وهو الخد وفى الأصل "ملاطيم" .

شـــوقا يقُضُّ[1] نَبلُهُ الـ ـأَضـــلاعَ وهى زَرَدُ
دام عـــلى حصاة قلـ ـبى ويذوب الجلمـدُ
أفنى الوَقـودُ كبـدى فهـــل يُحسّ المُوقِـدُ
كم يُسعِد الصبرُ تُرَى ؟ بعـــدك خان المسعِدُ
على مَن الفضلُ — وقد فارقتَـــــه — يعتمِدُ ؟
يا طولَ ذمّى للنوى ، هـل من لقاءٍ يُحمَـدُ ؟
متى ؟ فقد طال المدى ، لكلِّ شىء أمـدُ
يا باعثَ النعمى التى آياتُها لا تُجحَـدُ
لو كُتِمتْ تطلّعتْ من حسن حالى تَشهدُ
كانت سَـدادَ رحْلةٍ أصيب فيها المقصِـدُ
رمَتَ منها ثُلَما[2] ما خلتُها تُسـدّدُ
علّك من مطلِّ بالـ ـشكر عليها تَجـدُ
ما كان تقصيرا ، فهـل يقتصـر المجتهـدُ ؟
لكنّها عارفـةٌ من الثناء أزيـدُ
أفسـدنى إفراطُها ، بعضُ العطاء يُفسـدُ
والجود ما أسرفَ والـ ـإمساك فيـه أجودُ
والآن رثّتْ مُسْكةٌ[3] فاسمع لها أجـدِّدُ
تأتيك بشرى ما تسو د أبـدا وتسـعَدُ
وما تصوم مُرضِـيًا بقـاك أو تُعيِّـدُ

(١) يقضّ : يدقّ ، وفى الأصلى "يفضّ" . (٢) الثلم جمع ثُلمة وهى فُرجة المكسور والمهدوم .
(٣) المُسكة : ما يُتمسَّك به .

سنينَ لا يضبطهـ ـنّ فى الحساب عَـدَدُ
إن عاقنى دهرٌ أقـو مُ أبـدا ويُقـعِدُ
عن المثول اليوم ما بين يديك أُنشِـدُ
فربّما قمتُ غـدًا، إنّ أخا اليـومِ غـدُ

* * *

(١٠٠) قال وقد رثى الشريف الرضىّ رضوان الله عليه بالقصيدة الميميّة، وشقّت على جماعةٍ ممّن كان يحسدُ الرضىَّ بالفضل فى حياته أن يُرثَى بمثلها فى وفاته، ونسبه قومٌ الى السرف فيما ٱدعى له ولنفسه من اللحاق به وشدّة الأنس معه، حبًّا لأن تضاف بعضُ المحاسن اليهم، وطعنوا فى غرضـه من الإقرار بالتوحيد، وتكلّموا فى ذاك، وكان فيهم مَن رثاه بمـا ظاهرُه التأسّى، وباطنـه الشماتة، بشِـعرٍ لا يسرُّ سامعا، ولا يملك فَهِما، فأسَف لمكان قصوره عمّا كان يجب أن يقـدر على قوله، وعمل هذه القصيدةَ يرثيه، ويلوِّح بذكرهم، ويزيد فى غيظهم

أقـريشُ، لا لفمٍ أراك ولا يدٍ فتوا كلى(١)، غاض الندَى وخلا الندِّى
خواستِ، فٱلتفتى بأوقصَ(٢)، وٱسئلى من بزَّ ظهرَك، وٱنظرى من أرمدِ(٣)
وهبى الذُّحولَ(٤) فلستِ رائدَ حاجـةٍ تُقضَى بمطـرورٍ(٥) ولا بمهنّـدِ
خلّاكِ ذو الحسبين أنقاضًا(٦) متى تُجـذَبْ على حبـل المذلّةِ تنقَـدِ
قَمـرُ الدُّنَا أضحت سماؤكِ بعده أرضـا تداسُ بحـائرٍ وبمهتـدى
فاذا تشـادقت الخصـومُ فلجلجى واذا تصـادمت الكماةُ فعـرِّدى

---

(١) يقال توا كل القوم : ٱتكل بعضهم على بعض، والندىّ : النادى . (٢) الأوقص : العنق القصير . (٣) الأرمد : الذى به رمد . (٤) الذحول جمع ذحل وهو الثأر أو العداوة والحقد .
(٥) المطرور : المحدّد ويريد به سنان الرمح . (٦) الأنقاض جمع نِقْض وهو المهزول من السير ناقة كان أو جملا .

يا ناشدَ الحسناتِ طوَّف فاليا[1] عنها وعاد كأنه لم يَنشُدِ
اهبِط الى "مُضرٍ" فسلْ "حمراءَها": مَن صاح "بالبطحاء": يا نارُ أخمدى ؟
بَكَرَ النعيُّ فقال : أُردِىَ خيرُها، إن كان يصدُقُ "فالرضىُّ" هو الرَّدى[2]
عادت أراكةُ "هاشم" من بعده خَوَرا لفأسِ الحاطبِ المتوقِّدِ
جُعتْ بمعجزِ آيةٍ مشهودةٍ ولربَّ آياتٍ لها لم تُشهَدِ
كانت اذا هى فى الإمامةِ نوزعتْ ثم ادعت بك حقَّها لم تُجحَدِ
رَضِىَ الموافقُ والمخالفُ رغبةً بك واقتدى الغاوى برأى المرشِدِ
ما أحرزت قصباتِها وتراهنتْ إلا ظهرتَ بفضلةٍ من سؤدُدِ
تَبعتك عاقدةً عليك أمورَها وعُرَى تميمك[3] بعدُ لمّا تُعقَدِ
ورآكَ طفلا شِيبُها وكهولُها فترحزحوا لك عن مكان السيِّدِ
أنفقتَ عمرَك ضائعا فى حفظها وعققت عيشَك فى صلاح المفسِدِ
كالنار للسارى الهدايةُ والقِرَى من ضوئها ودخانُها للمُوقِدِ
مَن راكبٌ يسع الهمومَ فؤادُهُ وتُناط منه بقارحٍ متعوِّدِ ؟
ألف التطوّح[4] فهو ما هددته يفرى فيافى البيدِ غيرَ مهدَّدِ
يطوى المياهَ على الظما وكأنه عنها يَضِلّ، وإنّه لَلْمهتدى
صُلبُ الحصاة يثورُ[5] غير مودَّع عن أهله ويسير غير مزوَّدِ
عُدِلتْ جَوِيَّتُهُ[6] على ابن مفازةٍ مستقربٍ أمَمَ[7] الطريق الأبعدِ
يجرى على أثَرِ الدِّرابِ[8] كأنه يمشى على صَرْحٍ بهنّ مُمرَّدِ[9]

(١) فاليا : باحثا . (٢) الرَّدِى : الهالك . (٣) التميم : جمع تميمة وهى خرزات تنظم فى السير ثم يعقد فى عنق الصبى اتقاءً من العين . (٤) فى الأصل "التطرح" . (٥) فى الأصل "ينور" . (٦) الجوية : الأرض غير الموافقة . (٧) الأمم : القرب . (٨) الدراب جمع دَرْب وهو المضيق فى الجبل وفى الأصل : "الضراب" . (٩) الممرّد : المطوَّل الملَّس .

يغشى الوهادَ بمثلها من مَهبِطٍ ورُبَا الهضابِ بمثلها من مَصعَدِ
قَرِّبْ، قُربتَ من التلاع فإنها "أمّ المناسك" مثلُها لم يُقصَدِ
دأبا به حتى تُريحَ "بيثربٍ" فتنيخَه "يَقْضاً"(١) بباب المسجدِ
وآحثُ التراب على شحوبك حاسرا وآنزِلْ فعزٌّ "محمّدا" "بمحمّدِ"
وقل : آنطوى حتّى كأنك لم تلدْ منه الهدى وكأنّه لم يولَدِ
نزلت بأمّتك المضاعة فى آبنك الـ ـمفقودِ بنتُ العَنقَفيرِ المُؤيدِ(٢)
طرقَتْه تأخذُ ما آصطفتْه ولا تَرِى(٣) مكرا وتقتُل من نَحَتْه ولا تَدِى
تشكو اليك وَقود جاحمها وإن كانت تخصّك بالمُلِظِّ(٤) المكمِدِ
بكت السماءُ له وودّت أنها فقدت غزالتَها ولمّا يُفقدِ (١٠١)
والأرضُ وآبن الحاج سُدّتْ سُبلُهُ والمجدُ ضيم فما له من مُنجِدِ
وبَكاك يومُك إذ جرتْ أخبارُهُ تَرَحا وسُمِّىَ بالعبوس الأنكدِ
صبغتْ وفاتُك فيه أبيضَ جفره يا لَلْعيون من الصباح الأسودِ
إن تُمسِ بعد تزاحم الغاشين مهـ ـجورا بمَطرحَةِ الغريبِ المُفرَدِ
فالدهرُ ألأمُ ما علمتَ وأهلُه من أن تروحَ عشيرَهم أو تغتدى
ولئن غُمِزت من الزمان بلينٍ عن عَجْمِ مثلكَ أو عُضضت بأدردِ
فالسيفُ يأخذُ حُكمَهُ من مِغفَرٍ(٥) وطُلًى(٦) ويأخذُ منه سِنُّ المِبردِ
لو كان يعقِلُ لم تنلْك له يدٌ لكن أصابك منه مجنونُ اليدِ
قد كان لى بطريفِ مجدِك سلوةٌ عن سالفٍ من مجدِ قومِك مُتلَدِ

---

(١) النِّقض : المهزول من السير ناقة كان أو جملا . (٢) العنقفير المؤيد : الداهية الشديدة .
(٣) ولا ترى : ولا تظهر نارها أى أنها تطرق فى الظلام . (٤) الملظّ : الملازم ، ويريد به الحزن .
(٥) المغفر : خوذة من الزرد تقى الرأس . (٦) الطلى : الأعناق .

فكأنكم — ومدًى بعيدٌ بينكم — يومَ افتقدتُكَ زُلتُمُ عن مَوعِـد
يا مثكلا أمَّ الفضائلِ[1] مـورثا يُتمًا[2] بناتِ القاطناتِ الشُّرَّدِ[3]
خلّفتهنّ بما رضينك ناظما ما بين كلّ مُرَجِّزٍ ومُقَصِّـدِ
فُتِحتْ بهنّ — وقد عدمتُكَ ناقدا — أفواهُ[4] زائفةِ اللُّهى لم تُنقَـدِ
ورُثيتَ حتّى لو فَرقتَ ممـيِّزًا راثيك من هاجيك لم تَستَبعِدِ
غادرتنى فيهـم بما أبغضتُهُ أدعو البيوعَ الى متاعٍ مُكسَدِ
أشكو انفـراد الواحدِ السارى بلا أُنسٍ وإن أحرزتُ سَبقَ الأوحدِ
واذا حفِظتُك باكيا ومؤبِّنا عابوا عليك تفجُّعى وتـلدُّدى[5]
أحسنتُ فيك فساءهم تقصيرُهم، ذَنْبُ المصيبِ الى المغـيرِ المُعضِدِ[6]
كانوا الصديقَ رددتَهم لى حُسَّدًا صلَّى الإلهُ على مكثِّرِ حُسَّدى
يغـترُّ فيك الشامتون وإنه يومٌ هُمُ رهنٌ عليـه الى غـدِ
وسيسبرونى كيف قطعُ مُجـرَّدى إن كان حَزَّ ولم يُعمِّقْ مُغمَدى
وتُثـير[7] عارمـةُ الرياح سحابتى من مُبرِقٍ فى فضلِ وصفك مُرعِدِ
فتقَتْ بذكرِك أرها فتفاوحت نعما تأرَّجُ لى بطيب المـولدِ
تزداد طولا ما استـرحت فإننى أرثيك بعـدُ وحُرقتى لم تَـبرُدِ
ماء الأسى متصبب[8] لى لم يَغِضْ فى صحن خدٍّ بالبكاء مُخَـدَّدِ
لو قـد رأيتَ مع الدموع جدوبَهُ — فرطَ الزفيرِ — عجبتَ للراوى الصَّدى

---

(١) أمّ الفضائل : العلم . (٢) يشير الى قصائد المرثيّ التى نظمها . (٣) فى الأصل "التنود" . (٤) فى الأصل "رائقة" . (٥) التلدد : التحيّر . (٦) المغير المعضد : السهم يذهب فى الغور شمالا ويمينا . (٧) فى الأصل "تُسير" وفى القرآن الكريم "هو الذى يُرسل الرياح فتُثير سحابا" . (٨) فى الأصل "متسبب" .

لا غـــيَّرتَكَ جَنائبٌ[1] تحت البـــلى وكساكَ طِيبُ البيت طيبَ المَلحدِ
وقُربتَ، لا تَبعُـدْ، وإن علالةً للنفس زورا قَوْلتى لا تَبعُـدِ

* * *

وكتب الى الصاحب أبى القاسم بن عبد الرحيم يهنّئه بالنيروز وبعيد الفطر الذى اتفق معه، وبسلامته، وكان ورد قادما، ويذكر رسم خلعة شتويّة أخّرها عنه

حاشاكَ من عاريَّةٍ تُرَدُّ ابيضَّ ذاكَ الشَّعرُ المسودُّ
أشرفَ بازىٍّ على غرابه حتى ذوَى الغصنُ ولان الجَعْدُ
أتعبنى بخاضبٍ مُصـدَّدٍ لو كان من هُجومه يُصَدُّ
وثالمٍ بلقطـه ثَنيَّـةً معروفةً من يومها تُسَدُّ
يصبغ سـوداءَ ودون أخذه بيضاءُ تَخفَى تارة وتَبدو
أخلقَ جاهى فى ذوات الخُمْرِ[2] مذ لِبثَ[3] خمارٌ لِىَ مُستَجَدُّ
قلنَ[4] — وقد عتبتُ فى وثائق نقضنها[5] — : ما غادةٌ وعهدُ
نافَى بك الشيبُ بِطالاتِ الصِّبا الليـلُ هزلٌ والنهارُ جِدُّ
فقلتُ : نصلٌ لا يُذَمُّ عِتقُهُ، قلنَ : فأينَ الماءُ والفِرِندُ؟
كان قناةً فغـدا حنِيَّةً ظهرُكَ، ما القضيبُ إلا القَدُّ
سائل "بنى سعدٍ"، وأىّ مأثمٍ لم يتقلَّدْ منكِ ظلما "سعدُ"؟
أهندُ قالت : ملَّنى، وحلفتْ؟ تحلَّلى حالفـةً يا "هنـدُ"
أمْنُكِ بين أضلعى جنايةٌ أعجبْ بها نارا خباها[6] زَنَدُ!

(١) جنائب جمع جنوب وهى ريح تقابل الشمال . (٢) الخمر جمع خِمار وهو مثل النقاب .
(٣) ليث : لُفَّ . (٤) فى الأصل "قلتُ" . (٥) فى الأصل "نقضتها" .
(٦) خباها لغةٌ فى خبأها .

وعدُكِ لم أُخْلِفَ[1] يومَ "بابلٍ"؟ بل كان سحرا وٱسمُـهُ لِى وعدُ
خصرُكِ ضعفا واللسـانُ مَلَقًا دقّا عليك أن يصحّ عَقدُ
ضاع الهوى ضياعَ من يحفَظُه ومات مع أهـل الوفاء الودُّ
أُنْجُ ربيحَ العِرضِ وٱقعدْ حَجرةً[2] منفردا، إن الحسامَ فردُ
كم مسـتريحٍ فى ظلالِ نعمةٍ وأنت فى تأميـله تَكُدُّ
طالك بالمـال ولو أريتَـهُ صَـونا رآك مَعَهُ تُعَـدُّ
ملكتُ نفسى مذ هجرتُ طمعى اليأسُ حُرٌّ والرجاءُ عبـدُ
ولو علمتُ رغبـةً تسوق لى نفعا لَخِفتُ أن يَضُرَّ الزهدُ
جرَّبتُ أخـلاقَ الرجال فإذا بسَمحِها مع السؤال نَكْدُ
ورمتُ أيديهـم بكلِّ رُقيـةٍ تلين والأيدى معى تَشْتَدُّ
لم يُعِينى فضـلٌ أداريهم به وإنما أعيا علىّ الجَـدُّ
ما كان مَن شَعْشَعَ لى سرابَهُ غَرَّ فَمِى وقلتُ : ماءٌ عِـدُّ
فى الناس مَنْ معروفُهُ فى عُنُقٍ غُلٌّ ، وفيهـم مَن جَداه عِقدُ
مثلُ "الحسينِ" إن طلبتُ غايةً فاتت، وهل مِثْـلٌ له أو نِدُّ؟
فات الرجالَ أن ينالوا مجـدَه مشمِّرٌ للمجـدِ مسـتعِدُّ
غَلَّسَ فى إثر العـلا وأشمسوا بفـاء قبـلا والنجومُ بَعَـدُ
ومن بنى "عبد الرحيم" قَمَرٌ كلُّ لياليه تَمامٌ سـعدُ
ما نطفةُ المزنِ صفَت طاهرةً أطيبُ مِمّا ضمَّ منـه البُرْدُ
لابنِهُ لا تُلِفِ القضيبَ عاسيًا[3] وٱصعُبْ يزاحمْك ثقيلا "أُحُدُ"

(١) فى الأصل "خلف" . (٢) حَجرة : ناحية . (٣) عاسيا : يابسا .

من المحامين على أحسابهم ... بمالهم، فالفقرُ فيهم مجدُ
لا يتمنّون على حظوظهم ... أن يَجِدُوا دنيا اذا لم يُجدُوا
سخوا ولم تَبْنِ عليهم "طيّءٌ" ... وفصُحوا ولم تلدهم "نَجْدُ"
كانوا الخيارَ وفَرَعْتَ زائدا، ... والنارُ تعلو وأبوها الزَّندُ!
يا مؤنسى بقربه سلْ وحشتى ... بعدَك: ما جرّ علىَّ البُعدُ!
أكلَّ يومٍ للفراق فيكُمُ ... تَعمُّدٌ(١) يسوءنى أو قصدُ؟
ما بين أن يَجبُرَنى(٢) لقاؤكم ... حتى النوى فنَعْمَةٌ وجُهدُ
وكيف لا وأنتُمُ فى نُوَبى ... يدٌ وظَهرٌ وفمٌ وعَضْدُ
ريشُ جَناحى بكُمُ مُضاعَفٌ ... وحبلُ باعِى منكُمُ ممتَدُّ
كم تحملون كُلَفِى ثقيلةً ... كأنّ حَملى ليس منه بُدُّ
مبتسمين والثرى معبِّسٌ ... بيضَ الوجوهِ والخطوبُ رُبْدُ
قد فَضَلتْنِى سَرَفا ألطافُكم ... فحسبكم! لكلِّ شىءٍ حَدُّ
أبقُوا علىّ إنما إبقاؤكم ... ذُخرٌ ليومِ حاجتى مُعَدُّ
شِيبُكمُ والنُّصَفاءُ منكُمُ ... والغُرُّ من شبابكم والمُرْدُ
فى نجوةٍ أيدى الخطوب دونها ... بُتْرٌ(٣) وأجفانُ الليالى رُمْدُ
أراك فيها كلَّ يومٍ لابسا ... ثوبا من النَّعماء يستجدُّ
يزورك الشِّعرُ به فى مَعرَضٍ ... منشِدُه يُحسبُ طِيبًا يشدو
وربما أذكرُ، ما أنساكَ من ... رسمى اتفاقٌ ساءنى لا عَمْدُ
سيفُكَ فى الأعداء لِمْ خلَّفتَهُ ... مجرَّدًا ليس عليه غِمدُ؟

(١) فى الأصل "تعمُّةٌ". (٢) يجبرنى: يسرنى، وفى الأصل "يجبرنى". (٣) بُتْرٌ جمع بتراء أى مقطوعة، وفى الأصل "تتروا".

وكيف طِبتَ أن يُرَى فريسةً نفسًا وأيامُ الشتاء أُسْدُ
يَحتِشمُ النّيروزُ من إطلاله(١) والمهرجانُ يقتضيكَ بعدُ

* * *

وآتفقتْ للأستاذ الجليل أبى طالب محمد بن أيّوبَ سَفْرةٌ الى سُرَّ مَنْ رَأَى وما يحاورها من البلاد لهفوةٍ لحقت الجَنبةَ(٢) التى يتعلّق بها، ومات أخوه وهو غائبٌ، ولحقته قُصودٌ من الزمان شُغِلَ عن التوجُّع له فيها فكتب اليه

(١٠٣)

خليلُكَ مَن صفا لك فى البعادِ وجارُك مَن أذمَّ على الودادِ
وحظُّك من صديقك أن تراه عدوًّا فى هواك لمن تعادى
وربَّ أخٍ قَصىٍّ العِرق فيه سلوٌّ عن أخيك من الوِلادِ
فلا تغررْك ألسنةٌ رطابٌ بطائنهنَّ أكبادٌ صَوادى
وعِش إمَّا قرين أخٍ وفىّ أمينِ الغيب أو عيشَ الوحادِ
فإنى بعدَ تجريبى لأمرٍ أنستُ ـ ولا أغشُّك ـ بآنفرادى
تريدُ خلائقُ الأيّام مَكرا لتُغضِبنى(٣) على خُلُقٍ وعادى
وتغمزنى الخطوبُ تظنُّ أنى ألين على عرائكها الشِّدادِ
وما "ثهلانُ" تشرف قُنّاه بأحملَ للنوائب من فؤادى
تغرِّبُ فى تقلُّبها الليالى علىّ بكلّ طارقةٍ نآدِ(٤)
اذا قلتُ: آكتفت منى وكفَّتْ نزتْ بالداء ثائرة العِدادِ
رعَى سِمنُ الحوادثِ فى هُزالى كأنّ صلاحَهن على فسادى
فيوما فى الذخيرة من صديقٍ ويوما فى الذخيرة من تِلادى

(١) الإطلال : إهدار الدم . (٢) الجنبة : الناحية . (٣) فى الأصل : "لتعصينى" .
(٤) النآد : الداهية .

يذمُّ النـومَ دون الحرص قومٌ وقلتُ لرقدتى عنـه : حَمادِ[1]
وما كان الغِنَى إلا يسـيرا لو آنّ الرزقَ يبعثـه آجتهادى
وضاحكةٍ الى شَـعرٍ غريبٍ شُكمتُ به فأسلس من قيادى
تَعُـدُّ سِنِيَّ تعجَبُ من بياضى وأعجبُ منه ـ لو علمتْ ـ سوادى !
أَمانٍ كلَّ يـومٍ فى آنتقاصٍ يساوقُهنَّ هَمٌّ فى آزديادِ
وفُرقـةُ صاحبٍ قَلِقِ المطايا به قَلَقُ المـدامعِ والوسادِ
تُخفِّضُ بعـدَه الأيّامُ صـوتى على لَسَنِى[2] وتَخفِضُ من عمادى
وتُخمِدُ عن ضيوف الأنس نارى وكنتُ بقـربه وارى الزنادِ
أقيمُ ولم أقمْ عنـه لِمُسْلٍ ويرحَـلُ لم يَسِرْ منّى بزادِ
كأنّا إذ خُلقنا للتصافى خُلقنا للقطيعـة والبعادِ
أرى قلبى يطيش اذا المطايا الى الرابين ياسَرهنَّ حادِى
ولم أحسب "دُجَيلا"[3] من مياهى ولا أنّ "المَطيرة"[4] من بلادى
ولا أنى أبيت دعاى يحـدو الى "تَكريتَ"[5] سارية الغوادى
ومن صُعَداء أنفاسى شِرار تمـرُّ مع الجَنوب بها تنادى :
أأحبابى أثار البينَ بينى وبينكُمُ مساخَطةُ الأعادى
سقت أخلاقُكم[6] عهـدى لديكم فهنَّ به أبرُّ من العِهادِ
ورُدَّ علىَّ عنـدكُمُ زمانٌ مَجـودُ الروضِ مشكورُ المَرادِ
أصابت طيبَ عيشى فيـه عينى فقـد جازيتُها هجـرَ الرقادِ

---

(١) يقال حَمَاد له كقَطَام بمعنى حمدًا له وشكرًا . (٢) اللَّسَنُ : الفصاحة . (٣) دجيل : اسم نهير . (٤) المطيرة : اسم قرية من نواحى سامراء وكانت من متنزهات بغداد وسامراء .
(٥) تكريت : اسم موضع . (٦) فى الأصل "أخلاقكم" .

فلا تحسب ـ وظنُّك فىّ خيرا ـ بقاىَ ـ وأنت ناءٍ ـ من مُرادى
ولا أنّى يسُرُّ ســـوادَ عينى بما عُوِّضتُ من هـــذا السوادِ
وكيف وما تَلِفُّ المجدَ دارٌ نأتْك، ولا يَضُمُّ الفضلَ نادى
فإن أصبرْ — ولم أصبر رُجوعا الى جَـــلدٍ ولم أحمل بآدِ (١) —،
فقـــد تُحنَى الضلوعُ على سَقامٍ وقد تُغضَى الجفونُ على سهادِ
وكنتُ، وبيننا إن طال مِيلٌ وإما عرضُ "دجلة" وهى وادى،
اذا راوحتُ دارَك لجَّ شـــوقى فلم يُقنِعه إلا أن أُغادى
فكيف وبيننا للأرض فَرْجٌ يماطِل طُـــولُه عَنَقَ (٢) الجيادِ!
ومعترَضُ "الجزيرة" والخوافى من "القاطول" (٣) تلمع والبوادى
وُفودٌ من مطايا الماءِ (٤) سـودٌ، روادفُها تطول على الهـــوادى
اذا كنّ الليالى مقمـــراتٍ فراكبُهنّ يخبـــطُ فى الدَّآدى (٥)
لهنَّ من الرياح الهـــوجِ حادٍ ومن خُلُجِ (٦) المياه العوجِ هادِى
اذا قمصت على الأمواج خِيلتْ على الأحشاء تقمِصُ أو فؤادى
فهل لى أن أراك وأن ترانى وهل من عُدَّتى هى أو عَتادى؟ ١٠٤
سأنتظر الزمانَ لها ويـــوما يطيل يدَ الصديق على المعادى
ظمئنا بعـــدكم أسفا وشـــوقا كما جِيـــدتْ (٧) بكم يُبْسُ البلادِ
لعل "محمدا" ذكرتْه نُعمَى ترانى ناسيا فيـــه اعتقادى

(١) الآد: القوة، وفى الأصـــل "نآدِ".
(٢) العنق: ضرب من ضروب الســـير.
(٣) القاطول: اسم نهر مقطوع من دجلة حفره هارون الرشيد وبنى على فوهته قصرا وسماه "أبا الجند" لكثرة ما كان يسق من الأرضين وجعله لأرزاق جنـــده.
(٤) مطايا الماء: السفن.
(٥) الدآدى جمع دأداة وهى آخر ليال الشهر المظلمة وقد تقـــدمت.
(٦) خلج جمـــع خليج.
(٧) جيدت: أصابها مطر جَوْدٌ.

وعـــل اللهَ يجبرُ بالتـــدانى كسيرةَ قانطٍ، حَسْبُ التمادى
وأقربُ ما رجوتُ الأمرَ فيـه على الله آعتمادُك وآعتمادى
فلا تعدَم ـ ولا يعدَمْك ـ خلّا متى ما تعْـدُهُ عنك العـوادى
يُزِرْك كرائما متكفِّلاتٍ بجمع الأُنسِ قيـــل له : بَدادِ (١)
نواحبَ فى التعـازى والتشاكى حبائبَ للتهـانى والتهـادى
طوالعَ فى ســـوادِ الهم بيضًـا طلوعَ المكرماتِ أو الأيادى
اذا جرَّتْ ذلاذلَهـا "بجـــوٍّ" تضوَّع حاضرٌ منـــه وبادى
لهـا فعلُ الدروع عليك صونا وفى الأعداء أفعـالُ الصِّعادِ
ربَتْ يا "آلَ أيّوبٍ" وأثَّت (٣) رُباىَ بكم على السَّنَةِ الجمـادِ
فهـــل رجلٌ يدُلُّ اذا عَدِمتم على رجلٍ وفىٍّ أو جـــوادِ
ومَن أخذَ المحاسنَ عن سـواكم كمن أخذَ المناسبَ عن "زيادِ"

* * *

وكتب الى الأستاذ الجليـل أبى سعد محمـد بن الصاحب الأجلّ أبى القاسم ابن عبد الرحيم يهنّئه فى النيروز وهى أوّل ما عمل فيه

سلمتِ ـ وماالديارُ بسالماتٍ ـ على عنَت البـلى يا دارَ "هندِ"
ولا برِحتْ مفوَّقةُ الغـــوادى تُصيب ربـاكِ من خَطَإٍ وعمـدِ
بموقِظـــةِ الثرى والتربُ هادٍ (٤) ومُجـــديةِ الحيا والعـامُ مُكدى
على أنى متى مطـــرَتْكِ عينى ففضلٌ ما سقاكِ الغيثُ بعدى
أميـلُ اليكِ يجـذبنى فـؤادى وغيرُكِ ـ ما آستقام السيرُ ـ قصدى

(١) بدادِ كقطام بمعنى تبدَّدْ. (٢) فى الأصل "نوائب". (٣) أثّت : كثر نباتها وآلتفّ.
(٤) يريد "هادئ" بمعنى ساكن.

وأُشفق أن تبـدِّلكِ المطايا بوطأتهـا كأنَّ ثراكِ خـدّى
أرى بكِ ما أراه فمستعيرٌ حشاى وواجدٌ بالبين وجـدى
وليتكِ إذ نحلتِ نحولَ جسمى بقيتِ على النحول بقاءَ عهـدى
وما أهلوكِ يومَ خلوتِ منهـم بأوْلِ غَـدرةٍ للدهر عنـدى
سـلى الأيام ما فعلت بأنسى وعيشٍ لى على "البيضاء" رغدِ ،
وفى الأحداج عن رشإٍ حبيبٍ على لونيـه من صِلةٍ وصدِّ
يماطلُ ثم يُنجـزُ كلَّ دَيْنٍ ولم ينجز "بذى العلمين" وعدى
تبسّم "بالبراق" وصاب غيث فلو مُلِكَ الفِـداءُ لكنتُ أفدى ،
ثنـاياه وفاه ولا أغالى بمـا فى المزن من برقٍ وبَرْدِ
ألَا مَن عائدٌ بيـاضِ يومٍ لعينى بين "أحناء" و"صمدِ" ؟
وعينٍ "بالطُّوَيلع" بارزاتٍ على قَسَماتهنّ حياءُ "نجـدِ" ؟
نظرنَ — فما غزالتُه ؟ — بلحظٍ ومِسْنَ — فما أراكتُه ؟ — بقدِّ
وبلهـاء الصِّبا تبغى سِقاطى اذا حلّتهـا هزَلتْ بجِـدّى
تَعدُّ سنىَّ تعجَبُ من وقارى ولم يجـترْ مراحَ العمـر عَدِّى
فمـا للشَّيْب شـدَّ علىّ ركضا فطوّح بى ولم أبلغ أشُـدِّى !

* * *

يعـيّرنى ولم أره شآنى ، (١) تنبـه حظُّه بخمـولِ جَـدّى
وودَّ على غضـارة حُلَّتيـهِ (٢) مكانَ الرقع من أسمـال بُردى
وما ورقُ الغـنى المنفوضُ عنّى بمُعرٍ من حُسام المجـدِ غمـدى
حملتُ — وليس عن جَلَدٍ بقلبى — حُمولَةَ واسع الجنبين جَـلْدِ

(١) شآنى : سبقنى . (٢) الغضارة : النضارة ، وفى الأصل "غضاضة" .

تبادهنى النوائب مستغرّا فأدفعها بعزمةِ مستعدّ
يزِلُّ الخوفُ عن سكنات قلبى زليلَ الماءِ عن صفحاتِ جلدى
دع الدنيا تَرِفَّ على بنيها وتُجلِبْ بالجفاء علىّ وحدى
وفِرْ أموالهَم تمو وتزكو (١) فليس كنوزُها ثمنا لحمدى
لعل حوائل الآمال فيهم تُطَرَّقُ من "أبى سعدٍ" بسعدِ
فتى عَقدتْ تمائمُه فطيما على أُكرومةٍ ووفاءِ عَقدِ
وربّته على خُلُق المعالى غرائزُ من أبٍ عالٍ وجَدِّ
فما مجّت له أُذُنٌ سؤالا ولا سمحتْ له شَفَةٌ بردِّ
اذا آخضرّت بنانُ أبٍ كريم فصبغتُها الى الأبناء تُعدِى
تطاولَ للكمال فلم يفُتْهُ على قُربِ الولادِ مكانُ بُعدِ
وتمَّ فعُلِّق الأبصارَ بدرا ولم يَعلَقْ له شَعَرٌ بخدِّ
رآه أبوه — وآبن الليث شبل — لسَدَّةِ ثُغرةٍ وهو آبن مَهدِ
فقال لحاسديه : شقيتُمُ بى وهذا آبنى به تَشقَوْنَ بعدى
جَرَى ولداتِهِ فمضى وكدُّوا لو آنَّ الريحَ مُدرَكةٌ بكدِّ
اذا سبروه عن عَوصاءَ أدلَى بها فنَجَا على غَرَرِ التحدّى
دَعُوا دَرَجَ الفضائل مزلِقاتٍ لماضٍ بالفضائلِ مستبِدِّ
وما حسدُ النجومِ على المعالى — ولو ذابَ الحصا حسدا — بمُجدى
"أبا سعدٍ" ولو عثروا بعيبٍ مشوا فيه بحقٍّ أو تعدّى
وقد تسرى العيوبُ على التصافى فكيفَ بها على حَنَقٍ وحِقدِ
ولكن فمُّهم فنجوتَ منهم نَجاءَ اللحنِ بالخصمِ الألدِّ

(١) فر : صن أو كثّر .

وملّكَكَ الفخارُ فلم تنازَع ... بقُلٍّ فى النـدىّ ولا بحَشْـدِ
أبٌ لك يُلحِمُ العلياءَ طولا ... وخالٌ فى عِراصِ المجـد يُسدِى
ولم يعدِلْ أبا لك "يَعرُبِيًّا" ... زميلٌ مثلُ خالك فى "مَعَـدِّ"
جزيتُك عن وفائك لى ثناءً ... يودّ أخى مكانَك فيـه عنـدى
ولولا الودُّ عزّ عليك مدحى ... ولولا الفضـلُ عزّ عليك ودّى
بنى "عبد الرحيم" بكم تعـالت ... يدى وورى على الظلمـاء زَندى
وإن أودَى "بنيسابور"(١) قومى ... فجـدُّكُمُ من الأملاك جدّى
وأصدقُ ما محضتُ القومَ مدحى ... اذا ما كان مَجـدُ القوم مَجـدى
تُفـاعِينى(٢) لتُردِيَنى الليـالى ... فأذكـرُكم فتنهسُنى بدُرْدِ
وأزحَمُ فيـكُمُ نكباتِ دهرى ... بعصبةِ "غالبٍ" و بنى "الأشدِّ"
لذلك، ماحبوتكُمُ صـفايا ... ذخائرُ خيرُ ما أحبو وأُهـدى
طوالعُ من حجابِ القلب، عفوى ... بهنَّ يبُـدُّ غايةَ كلِّ جُهـدِ
تجوبُ الأرض تقطعُ كلَّ يوم ... مدَى عامين للسارى المُجِدِّ
يرِينَ(٣) ـ وبعدُ لم يُروَين ـ حسنا ... كأنّ سطورَهن وُشـوعُ بُرْدِ
اذا رَوَّت رجالَكُمُ كُهولا ... سأرن(٤) لصبيةٍ منكم ومُردِ
ولولاكم لما ظفرت بكفءٍ ... يَسُرُّ ولا سعت قدما لرشـدِ
ولكن زفّها الأحـرارُ منكم ... فما أشقيت حرّتَها بعبـدِ
فَضَلتم سؤددا وفضَلتُ قـولا ... فكلٌّ فى مداه بغـير ندِّ
بكم خُتم النـدَى وبِىَ القوافى ... بقيتم وحدكم و بقيتُ وحـدى

(١) فى الأصل "بنوسابور". (٢) تفاعينى : تداهمنى كالأفعى . (٣) يرين : يضئن من ورى الزند يرى . (٤) سأرن : أبقين من السؤر وهو البقية من الماء .

* * *

وكتب الى أبى الحسين أحمد بن عبد الله ، الكاتب وهو أحد الرؤساء المشهورين ، وقد انحدر الى واسط مستدعًى للنظر ، يتشوق أيامَ اجتماعه ، ويستوحشُ لبعده ، ويذكُرما يرجوه له من استقامة الأمر ، ويهنّئه بعيد الفطر سنة اثنتى عشرة وأربعمائة

تَظُنُّ لياليَنا عُوَّدا ... على العهد من "بُرقَتَيْ ثَهمَدا" ؟
وهل خبرُ الطيفِ من بعدهم ... اذا طاب يصدُقُك المَوعِدا ؟
ويا صاحبِي ، أين وجهُ الصباح ؟ ... وأين غدٌ ؟ صِفْ لعينى غدا
أسدُّوا مَسارحَ ليل "العرا ... ق" أم صبغوا فحمَه أسودا
وخلفَ الضلوعِ زفيرٌ أبَى ... وقد بَرَدَ الليلُ أن يبرُدا
خليلَىَّ ، لى حاجةٌ ما أخفّ ... "برامةَ" لو حَمَلتْ مُسعِدا
أريدُ لتُكتمَ وابنِ الأرا ... كِ يفضحُها كلّما غرَّدا
و"بالرمل" سارقةُ المقلتيـ ... ـن تَكْحُل أجفانُها المِروَدا
اذا هُصِرتْ هُصرتْ بانةً ... وإن سئلتْ سئلتْ جَلمدا
أُحبّ وإن أخصبَ الحاضرون ... ببادية الرمل أن أَخلُدا
وأهوى الظباءَ لأمّ البنينَ ... بما تُشبهُ الرشأَ الأغيدا
وعِينًا يردنَ لصابِ (١) "الغويرِ" ... بأنقعَ من مائه للصدَى
فليت — وشَيْبى بحامِ (٢) العذارِ — ... زمانَ "الغضا" عاد لى أمردا
ويا قلبُ قبلَك ضلّ القلو ... بُ لو كنت أملك أن تُنشَدا

(١) لصاب جمع لِصْب وهو مضيق الوادى ، ويقال : "أعذب من ماء اللصاب" . (٢) حام ابن نوح وهو أبو السودان وذكرُه هنا كناية عن السواد .

أرى كبدى قُسِمتْ شُقَّتيْن ... مع الشوق غَوَّر أو أنجدا
"فبالنَّعف" ضائعةٌ شُعْبةٌ ... وأخرى "بميسانَ" ما أبعدا !
وما خلتُ لى "واسطا" عُقْلةً[1] ... تعلِّم نومِىَ أن يَشْرُدا
ولا أننى أستشمّ الجَنو ... بَ أطيبَ ريحِىَ أو بَرَّدا
وأطرحُ منحدِرا ناظرى ... لها أبتغى رفدَها المُصعِدا
وأحمَدُ من نشرها أنه ... اذا هبّ مثَّلَ لى "أحمدا"
ولا كنتُ قبلَكِ فى حاجةٍ ... لتحمِلَ عُنْقى لريح يدا
أسالكَ "دجلةَ" تَجرى به ... محايِدةً موجَها المُزبِدا ،
صُهابيَّةُ اللون قاريَّةٌ ... تخالف صبغتُها المولدا
تَحِنّ وما سمعتْ فى الظلا ... م غيرَ غناء النَّواتى[2] حُدا
لها رَسَنٌ فى يمين الشَّمال ... اذا ضل قائفُ[3] أرضٍ هَدَى
تحمَّلْ — سلمتَ على المهلكاتِ ... وساقَ لك اللهُ أن ترشُدا — ،
رسائلَ عنّى تُقيم الجُموحَ ... وتستعطف العُنُقَ الأصيدا
أجيرانَنا أمسِ جار الفرا ... قُ بينى وبينكُمُ وٱعتدى
جفا المضجعَ السَّبْطَ جنبى لكم ... مُحافظةً ونفَى المَرقَدا
وأوحشتُمُ ربعَ أُنسى فعاد ... يُهدِّم بانيهِ ما شَيَّدا
وفاجأنى بينُكُمْ بغتةً ... ولم أكُ للبين مستعِدا
ففى جَسدى — ليس فى جُبَّتى — ... نوافذُ ما سلَّ أو سَدَّدا
تمتتك عينى وقلبى يَراك ... بشوقِىَ — حاشاك أن تُفقَدا —

(١) فى الأصل "عقله" . (٢) النواتىّ جمع نوتىّ وهو الملّاح . (٣) القائف : الذي يعرف الأثر .

كأنّى سُرعةَ ما فُتّنى عدمتُك من قبلِ أن تُوجَدا
لئن نازعتْنى يدُ الملك فيك فلم أستطع بدفاعٍ يدا،
فحظُّ عساه — وإن ساءنى — يكون بما سرّنى أعودَا
دعوك لتعدِلَ ميلَ الزمانِ ويُصلحَ رأيُك ما أفسدا
يسومون كفَّك سَبْرَ الجراح وقد أخذتْ فى العظام المُدَى
سيُبصر مستقربا من دعا ك موضعَ تفريطه مُبعَدا
ويعلم كيف انجفالُ(١) الخطوب اذا سُلَّ منك الذى أُغمِدا
وإن كان منكبُه منجبا درى أىَّ صَمصامةٍ قُلِّدا
وقبلك لو أثلثَ الفرقدي ـن خابطُ عشوائهم ما اهتدى
ولما رأوك أمام الرعيـ ـلِ ألقَوا الى عُنْقك المِقودَا
وأدنَوا لحمل المهمّات منـ ـك بَزلاءَ(٢) عِجْلِزةً(٣) جَلْعَدا(٤)
اذا ثُقِّلَ الحملُ قامت به وإن ظَلعتْ نهضَتْ أجلدا
تكون لراكبها — ما استقا م دون خِطار الفيافى — فِدَى
وتُضحى على الخمْس لا تستريـ ـبُ عَجرفةً أن ترى المَوردا
تُطيعُ اللسانَ فإن عوسرتْ أثاروا بها الأسَدَ المُلبِدا
اذا ما الفتى لم تَجِدْ نفسُه بهمّتها فى العلا مَصْعَدا،
سوى غلَطِ الحظِّ أو أن يُعَـ ـدَّ فى قومه نَسَبا قُعُدُدا(٥)،
فللّه أنت ابنُ نفسٍ سمتْ لغايتها قبلَ أن تُولَدا
اذا خُيِّر اختار إحدَى اثنتيـ ـن إمّا العَلاء وإما الرَّدى

(١) الانجفال : الهروب بسرعة . (٢) البزلاء : الناقة المسنة . (٣) العجلزة : الناقة الشديدة . (٤) الجلعد من الإبل : الصُّلب الشديد . (٥) القعدد : البعيد الآباء من الجد الأعلى .

كأنى أراك وقد زاحموا ... بك الشمسَ إذ عزلوا الفرقدا
وخاطوا (١) النجومَ قميصا عليك ... ولاثوا السحابَ مكانَ الرِّدا
وصانوك عن خرقٍ فى الحلى ... فلوّا طُلَى خيلك العسجدا
وان أخلَق الدهرُ ألقابَهم ... بما كرّ منها وما ردّدا ،
رضُوا باختيارى أن أصطفى ... لك اللّقبَ الصادقَ المُفردَا
فكنّيتُ نفسَك : أمَّ العلاء ... وسمّيتُ كفّك : قطرَ النّدى
وهل سمعوا فى اختلاف اللغات ... بلجّة بحرٍ تُسمَّى يدا !
مُنًى فيك بلّتْ يدى منذُ ثمْـ ... ـتُ عارضَها المُبرقَ المُرعِدا
فَتَمَّ فراغُ عهودى فقد ... أمِنتُك من قبلِ أن تَعهَدا
فلا ترمينَّ بحقّى ورا ... ء ظهرِ النسيئة مُلقَّ سُدى
ولا يَشغلَنَّكَ عِزُّ الوُلا ... ة عن حُرُماتى وبعدُ المَدَى
فليس الوفىُّ المُراعى القريبَ ... ولكنّه من رَعَى الأبعدا
تحلّيتُ طَعمةَ عيشى المري ... ـر يومَ لقيتُك مسترغِدا
وأيقنتُ أن زمانى يصـ ... ـير عبدِىَ مذ صرتَ لى سيِّدا
وأصبح من كان يقوَى علَىَّ ... وغايتُه فىَّ أن يَحسُدا
وقد كنتُ أصعبَ من أن أصا ... دَ رأسا وأعوزَ أن أُوجَدا
اذا استام ودِّىَ أو مدحتى ... فتًى رام أخنسَ (٢) مستطرِدا
يفالتُ قَطْعا حبالَ القنيصِ ... يَرَى كلَّ موطنه مَشرَدا
فآنستنى بمديح الرجال ... وذلّلتَنى لقبول الجَدا

(١) فى الأصل "وخاطرا" . (٢) الأخنس : الأسد ، وفى الاصل "أخيس" .

ولو راض خلقُك لؤمَ الزمان ... لعلّمه المجدَ والسؤددا
فما أمكنَ القولُ فاسمع أُزِرْك ... قوافيَ بادئةً عُوَّدا
قواضيَ حقِّ الندَى والودا ... دِ مثنًى تؤمك أو موحَدا
اذا أكلَ الدهرُ أعواضَها (١) ... من المال عمَّرها سرمدا
لو استطاع سامعُ أبياتها ... اذا قام راوٍ بها منشدا،
لصيَّر أبياتَها سُبحةً ... ومثَّلَ قرطاسَها مسجدا
مهنِّئةً أبدا من علاك ... بما استأنفَ الحظُّ أو جدَّدا
وبالصوم والعيدِ حتى تكو ... نَ آخرَ من صام أوعيَّدا
وحتى تُرَى واحدا باقيا ... كما كنتَ فى دهرنا أوحدا

* * *

وكتب الى الصاحب أبى القاسم بن عبد الرحيم، وهو مقيم بواسط فى النيروز، يحزيه على عادة الإتحاف و يتشوّقه، وقد آتفق ذلك فى عشر عيد النحر

أخْلقَ الدهرُ لِمّتى وأجدّا ... شعَراتٍ أرينى الأمرَ جِدَّا
لم يزلْ بى واشى الليالى الى سمـ (٢) ـع معير الشباب حتى آسترَدّا
صِبغةٌ كانت الحياةَ فما أفـ ... ـرُقُ أودَى دهرى بها أو أردَى
يا بياض المشيب بِعْنِى بأيّا ... مك ليلا نضوتَه مسوَدّا
يالها سرحةً تصاوَحُ تَنّو (٣) ... ماً وعهدى بها تفاوَحُ رَندا
لم أقل قبلها لسوداءَ : عطفًا ... وآقترابا، ولا لبيضاءَ : بُعدا
عدَّتِ الأربعون سنّ تمامى ... وهى حلّت عُراىَ عَقدا فعقدا

(١) أعواض جمع عِوَض وهو الخلف والبدل. (٢) فى الأصل "لى". (٣) التنّوم واحدته تنومة وهى شجرة يضرب لونُ ورقها الى السواد.

بَانَ نَقْصِى بأن كَلمتُ وأحسـ ـت بضُعفى لمّا بلغتُ الأشُـدّا
رجعتْ عـنّى العيون كما تر جعُ عن حاجب الغزالة رُمْدا
ليت بيتا "بالخَيْف" أمسِ آستضفنا ه قَـرانَا ولو غَـراما ووَجْـدا
١٠٨ وسـقاةً عـلى القليب آحتسـابا عوّضـونا اللّمى شِـفاءً وبَـرْدا
راح صحبى بفـوزة الحجّ يحـدو ن ، وعَنسى باسم البخيلة تُحدَى
ولحاظى مقيَّداتٌ "بسـلع" فكأنّى أضللتُ فيـه المَجْـدَا
ربَّ ليلٍ بين "المُحصَّب" و"الخَيْـ ـف" لبسـناه للخلاعـةِ بُـرْدا
وخيامٍ بسَـفح "أُحْدٍ" على الأقـ ـمار تُبْنَى ، فحىِّ يا رب "أُحْدَا"
لا عـدا الرَّوْحُ فى "تِهامةَ" أنفَا سًّا اذا آستُروِحتْ تمنَّيتُ "نجدا"
وأعان الرقادُ حَـيْرَةَ طَـرفٍ لم يجِـدْ فى الطّلاب يقظانَ رُشْدا
نمتُ أرجو "هنـدا" فكلَّ مثالٍ خَيَّلَتْ لِى الأحلامُ إلّا "هنـدا"
عَجبا لى ولآبتغائى مَـودّا تِ ليـالٍ طباعُها لِىَ أعـدَا (١)
نطَقَتْ فى نفوسـها وتعفَّفـ ـتُ ، فمـا وُدُّ من يَرَى بك صدّا
أجلبتْ (٢) جِلدتى عريكةُ دهرى فـرمَى بى وقام أملَس جِلْدا
كلّ يـومٍ أقـولُ : ذمًّا لعيشى فاذا فاتنى غـدًا قلتُ : حَمْـدا
زفراتٌ عـلى الزمان اذا آستبـ ـردتُ منها تنفُّسا زدن وَقْـدا
يا لَحَظّى الأعمَى أما يتلـقَّ قائدا يبتـغِى الثـوابَ فيُهْـدَى !
يا زمانَ النفاقِ مالك زاد اللهُ بيـنى وبين أهلك بُعـدا
مَن عذيرى من صحبة الناس ما أخـ ـفَرَها ذمّـةً وأخبثَ عهـدا
كم أخٍ حائم معى واصـلٍ لى فاذا خَنَّقتْ بـه الحالُ صـدَّا

(١) يريد أعداء . (٢) أجلبت : تركت عليها جُلَبَة وهى القشرة التى تعلو الجرح .

وصديقٍ سَبْطٍ وأيّامه وُسْـ ـطى فلمّا ٱنتهتْ تقلّص جَعْدا
ليته غيرَ منصِفٍ لِيَ إسعا دا على الدهر منصفٌ لِيَ وُدّا
واذا لم تَجِدْ من الصبر بُدًّا فتعزَّلْ وَجِدْ من الناس بُدّا
يدفع اللهُ لى ويَحمى عن "الصا حِبِ" فَردا كما وَفَى لِيَ فردا
أَجِنَتْ[1] أوجهُ الرجالِ فما أن كَرُتُ من بِشر وجهه العذبِ وِرْدا
كيفما خالَفتْ عِطاشُ أمانيـ ـنا اليه كان النميرَ العِدّا[2]
مَلَكَ الجودُ أمرَه فحديث الـ ـمال عن راحتيه : أعطَى وأجدَى
زد لحاجا اذا سألتَ وإلحا حا عليه يزدْك صبرا ورِفْدا
لا تَرَى — والمياهُ تُعطى وتُكدِى — حافرًا قطّ فى ثراه أكدَى[3]
كلما عرَّضَتْ له رغبةُ الدنـ ـيا توانى عنها عَفافا وزُهدا
كثَّر الناسُ مالَها، وٱقتناها سِيَرا تَشرف الحديثَ وحَمْدا
لحقتْه بغاية المجد نفسٌ لم تحدِّد فضلا فتبلغ حدّا
عدَّت الفقر فى المكارم مُلكا وفَناءَ الأيّام فى العزّ خُلدا
وأبٌ حَطَّ فى السماء ولو شا ء تخطّى مكانَها وتعدّى
من بهاليلَ أنبتوا ريشة الأر ضِ وربُّوا عِظامَها والجِلْدا
أرضعتْها أيديهمُ دِرَّة الخصـ ـب فروّت تِلاعَها والوُهْدا
بين "جَمٍّ"[4] منهمُ و"سابورَ"[5] أقيا لٌ يعدُّون مَولد الدهر عَدّا[6]
لهمُ حاضرُ الممالك إن فا خر قومٌ منها بقَفرٍ ومَبدَى[7]

(١) أجنت : صارت آجنة أى متكدرة متغيرة . (٢) النمير العد : الزاكى الكثير .
(٣) أكدى من قولهم : أكدى الحافر أى بلغ الكدا وهى الأرض الصلبة وقد تقدم . (٤) جَمّ : اسم أحد ملوك الطبقة الأولى من الفرس وتاريخه من أعجب التواريخ وفى الأصل "خم" . (٥) سابور : اسم أحد الأكاسرة . (٦) أقيال جمع قيل وهو الملك من ملوك حمير . (٧) المبدى : البادية .

أخذوا عُذرةَ الزمان وسدُّوا ... فُرَجَ الغِيلِ[1] يقنصون الأسْدا
سيرُ العدلِ فى مآثرهم تُر ... وَى وحسنُ التدبير عنهم يؤدَّى
واذا أغبرّت السنونَ وأبدَى ... شَعثُ الأرض وجهَها المُربدَّا
طردوا الأَزْلَ[2] بالثراء وقاموا ... أثر المحلِ يخلُفون الأَنْدَا[3]
تُوِّجوا مُضغةً، وساد كهولَ الـ ... ـناس أبناؤهم شبابا ومُردا
عدَّد الدهرُ سيّدًا سيّدًا منـ ... ـهم وعدَّ "الحسينُ" جَدًّا فجدَّا
حَبَسَ الناسَ أن يُجاروك فى السؤ ... دُدِ تعريجُهم وسَيْرُك قصدا
ووقَى المُلكَ زَلّةَ الرأى أن صر ... تَ بتدبير أمرِه مستبدّا
لك يومٌ عنه مِراسٌ مع الحر ... بِ يردُّ السوابقَ الشُّعرَ[4] جُرْدا
تركبُ الدهرَ فيه ظَهْرا الى النصـ ... ـر وتستصحبُ الليالِيَ جُندا
وجدالٌ يوما تَرَى منك فيه ... فِقَرُ الوافدين خَصْما ألدَّا
كلّ عَوصاءَ يسبِق الكَلِمُ الهدَّـ ... ـارُ فى شوطها الجوادَ النَّهْدا[5]
أنا ذاك الحرُّ الذى صيَّرتْه ... لك أخلاقُك السواحرُ عبدا
مُعلِقٌ من هواك كفّى بحبلٍ ... لم يزده البعادُ إلا عَقْدا
ملَكَ الشوقُ أمرَ قلبى عليه ... مذ غدا البينُ بيننا ممتدَّا
أشتكى البعدَ وهو ظلمٌ ولولا ... لذّةُ القربِ ما ألِمتُ البُعدا
ليت من يحمِلُ الضعيفَ على الأخـ ... ـطارِ ألقَى رَحلى اليك وأدَّى
فترقّت عينى ولو ساعةً منـ ... ـك، فإنى من بعدها لا أَصْدَى
وعلى النأى فالقوافى تحيّا ... تُك منّى تسرى مَراحا ومَغْدَى

(١) الغيل: عرين الاسد. (٢) الأزل: الضيق والقحط. (٣) يريد الأنداء جمع ندى.
(٤) الشُّعر جمع أشعر وهو ضد الأجرد. (٥) النَّهد: الفرس الحسن.

كلّ عذراء تفضَح الشمسَ فى الصبـ ـح وتُورِى فى فحمة الليـل زَندا
لم تُدَنَّس باللمس جسما ولم تَصـ ـبُغْ لها غَضّةُ اللواحظِ خدّا
أَرِجاتُ الأعطافِ مُهـدًى جَناها لك يُهـدِى الى الربيع الوَرْدا
فتلقَّ السـلامَ والشوقَ منها ذاك يُشْكَى وذا يطيبُ فيُهـدَى
وٱحْبُ جيـدَ النيروز منها بطوقيـ ـن وفصِّـل لليلة العيـدِ عِقْـدا
وتسـلَّم من الحوادث ما كـ ـرّ على عَقْبـه الزمانُ وردَّا
ما أبالى اذا وجـدتُك مَنْ تفـ ـقِدُ عينى — لا أبصرتْ لك فَقدَا —

* * *

وكتب الى ربيب النّعمة أبى المعمّر بن الموفّق يهنّئه بعيد الفطر

اذا فُطمتْ قَـرارةُ كلِّ وادى فدَرَّتْ "باللوى" حلَمُ(١) الغوادى
ومرّت تهتـدى بالريح فيـه مطايا الغيثِ مثقَـلةَ الهوادى
ففُتِّحتِ الرُّبا خـدّا وسُـدَّت بشكر المزن أفـواهُ الوهـادِ
أناديـه وتَنشُـدُه المغـانى ولكن لا حياةَ لمن تُنـادى
وما أرَبِى الى سُقيا ربـوعٍ لها من مقلتى سارٍ وغادى
حملتُ يدَ السـحاب الجَوْنَ(٢) فيها ولستُ معوَّدا حمـلَ الأيادى
ولو بكت السماءُ لها وجفـنى تيقَّنتِ البخيلَ من الجـوادِ
ضَممتُ "بمَسْقَطِ العَلَمَيْن" صحبى وقد صـاح الكَلالُ بهم : بَدادِ
على أرَجِ الـثرى لما ضَـللنا تضوَّعَ منـه فى الأنفاس هادى

(١) حلم جمع حلمة وهى الثؤلول فى وسط الندى يُمتَصّ منه الحليب وهى هنا مجاز. (٢) الجون: الأسود.

وقد سـقط السُّرى والنجم هاوٍ عيون الركب فى حـطّ الرقادِ (١)
نَدامَى صـبوةٍ دارتْ عليهـم بأيدى العيس أكوابُ السهادِ
اذا شربوا السُّرى آقترحوا عليـه صـفيرَ حمامةٍ وغِناءَ حادِى
ولما عزَّ ماءُ الرَّكب فيهـم وقفتُ أَحُلُّ من عينى مَزادى
تحوم وقـد تقلّصتِ الأداوى (٢) عـلى أجفانِىَ الأبلُ الصوادى
أجدَّك هل ترى بذيول "سلمى" نَضـارةَ حاضرٍ وخِيـامَ بادِى ؟
خرقن لكلّ عينٍ فى سواد الـ ـخدورِ خَصاصةً (٣) مثلَ السوادِ
وما أتبعتُ ظُعْنَ الحىِّ طـرفى لأغنمَ نظـرةً فتكونَ زادى
ولكنّى بعثتُ بلحظ عيـنى وراءَ الركب يسألُ عن فـؤادى
وفى نُوامِ هـذا الليـل شمسٌ وَفَى سهرى لها وجَفَا وسادى
اذا ذُكرتْ نزتْ كبـدى اليها هبوبَ الداء نُبِّـهَ بالعِـدادِ
عجبتُ يَضيمنى زمـنى وأرضَى ويحصُـدنى ولم أبلغْ حَصادى
وتُنفِـقُ مسرفاتٍ من شبابى لياليهِ الصـعابُ بلا آقتصـادِ
وعهـدى بالتشابُهِ والتنافِى يحرَّان التصادقَ والتَّعادى
فما بالُ الليـالى وهى سُـودٌ يُزالُ بها البياضُ من السـوادِ (٤)
توقَّ الناس إن الداءَ يُعـدى وإن قـربوا فحظُّك فى البِعـادِ

---

(١) هكذا بالأصل ولعله

وقد سَمَطَ السُّرَى والنجم هاوٍ عيونَ الركب فى خيط الرقادِ

وسَمَطَ بمعنى علَّقَ ، وهذا يقرب من قوله فى قصيدة أخرى

والحىّ إمّا خالفٌ أو حاضرٌ خيطُ الكرى فى جفنه قد آنعقدْ

(٢) الأداوَى جمع إداوة وهى وعاء صـغير من جلد يُتّخذ للماء ، وفى الأصـل "الأوادى" .

(٣) الخصاصة : كلّ خرق فى باب أو برقع أو نحوه . (٤) يشير بذلك الى الشيب .

ولا يغـــرُرْك ذو مَلَقٍ يغطّى أذاه وجمـــرُهُ تحتَ الرَّمادِ
كِلا أخـويك ذو رَحِـمٍ ولكن أخوك أخوك فى الثَّوبِ الشِّدادِ
عذيرَى من صـديقِ الوجهِ يَحنِى أضالعَـــه عـــلى قلبٍ مُضادِى (١)
لوى يدَه عـــلى حَبـــلٍ لعُنْقى وقال : آضمُمْ يديك على ودادى
تمنَّى — وهو يَنْقُصُنى — تمامى، وأينَ الزِّبْرِقانُ (٢) من الدآدى ؟ (١١)
ومجتمعين يرتفـــدون عيبى فلا يَزِنُ آجتماعُهـــم آنفـــرادى
اذا آنتسبوا لفضـــلٍ لم يزيدوا على نسبِ "آبن حرب" من "زِيادِ"
أُلامُ على عُزوف النفسِ ظلمـا وما لومى عـــلى خُلُـقٍ وعادى
ويخـدعنى البخيـلُ يريـد ذمّى وهـل عنـد الهشيمة من مَرادِ
كفانى "آلُ إسماعيلَ" إنى بلغتُ بهـم من الدنيـا مُرادى
وأنّ "محمدا" دارَى نفـارى فلانَ له وأسلسَ من قيـادى
رقَى خُلُقى بأخـــلاقٍ كرامٍ ألانت من عرائكه الشِّـدادِ
وكنتُ أذمُّ شرَّ الناس قِـــدْما وعيبُهُـــمُ فصحّ على آنتقـادى
وكم خابطتُ عشـــواءَ الأمانى وكاذَبنى على الظنّ آرتيـادى
فلمّـا أن سللتُ على الدياجى "ربيبَ النعمة" آستذكَى زِنادى
وأنبضَ من يديه لى غديرا وقـــد أعيا فمى مَصُّ الثِّمادِ
جلا لى غُرّةً رَوِيتْ جمـالا أُسرُّ بها ووجهُ البـــدرِ صـادى
تفـاديهـا السماءُ بنـــيِّريْهـا فتَعـــرِفُ حظَّهـا فيما تُفـادى

(١) فى الأصل "مصاد" . (٢) الزبرقان : القمر ليلة تمامه ، والدآدئ مر تفسيرها .

من الوافين أحلاما وصبرا ... اذا الجُلَّى هفت "بحلوم عادِ"[1]

بنى البيض الخفافِ توارثوها ... مع الأحساب والخيلِ الورادِ

تَضاحَكُ فى أكفّهم العطايا ... وتكلحُ عنهُمُ يوم الجلادِ

مطاعيمٌ اذا النكباءُ قرَّت ... وجَبَّ القحطُ أسنمةَ البلادِ

لهم أيدٍ اذا سُئلوا سِباطٌ[2] ... موصَّلةٌ بأسيافٍ جِعادِ

اذا كلَّت من الضَّرب المواضى ... أعانوها بأفئدةٍ حِدادِ

طَوَوا سلَفَ الفخارِ فلم تُوَصَّمْ ... طوارِفُهم بمعروفِ التلادِ

اذا الأحسابُ طأطأتِ استشاطوا ... على متمرّد الشرُفاتِ عادى

يَعُدُّ المجدُ واحدَهم بألفٍ ... من النجباء فى قِيَمِ البلادِ

اذا وَلدوا فتًى سعت المعالى ... تباشَرُ بينها بالإزدیادِ

نموْك أغرَّ من ملكٍ أغرٍّ ... جوادا بالكرائم من جوادِ

أخا طَعمينْ : حُلْوُك للُوالى ... بلا منٍّ، ومُرُّك للعادى

اذا لم يختضِبْ لك غربُ سيفٍ ... دما خضَّبتَ سيفا بالمدادِ

فأنتَ اذا ركبتَ شهابُ حربٍ ... وأنت اذا جلست شهابُ نادى

اذا رجع الحسيبُ الى فخارٍ ... قديم أو حديثٍ مستفادِ

فحسبك "بالموفَّق" من فخارٍ ... وبيتٍ "الباهليّةِ" من عَتادِ

ومن يُسنِدْ الى طرفيك مجدا ... يَبِتْ من جانبيه فى مِهادِ

فِداؤك دائرُ الأبيات يأوى ... الى وقصاءَ[3] لاطئةِ العمادِ

---

(١) حلوم عاد : يريد بها "أحلام عاد" والعرب تضرب المثل بها لما تتصوّره من عظم خَلْقها وتزعم أن أحلامها على مقادير أجسامها .

(٢) تقدّم تفسيرها وفى الأصل "بساط" .

(٣) اللاطئة : اللاصقة بالأرض .

يتـوبُ اذا هفا غَلَطا بجـودٍ ... ولم يتُب اتقـاءً للمَعـادِ
اذا جاراك فى مِضمارِ فضـلٍ ... عَدَتْه عن اللحاق بك العـوادى
اليـك سَرَتْ مطامعُنا فعادت ... مَواقـرَ من ندًى لك مسـتعادِ
يَخِـدْنَ فصائلاً(١) فيـدعنَ وَسْمًا ... لأرجُلهنّ فى الصُّمِّ الصِّـلادِ
يقـادحْنَ الحَصَى شَررا كأنّا ... حذوناها مَناسمَ من زِنادِ
حَملن اليـك من تحف القـوافى ... غرائبَ من مشانٍ أو وُحادِ
هـدايا تفخر الأسماعُ فيها ... على الأبصـار أيّامَ التهـادى
مخلَّصـةً من الـكلم المعـنَّى ... بطول الكرِّ والمعنى المُعـادِ
نوافثَ فى عقود السـحر تُثمَى ... فضاحتُها الى رمـلِ العِقـادِ(٢)
تمنَّى — وهى تُنْظَمُ فيك — أن لو ... تكونُ ترائبا مهجُ الأعادى
تُخالُ العربُ عجـزا عن مـداها ... نبيطَ العُـربِ لم تنطِقْ بضـادِ
لأيّام البشـائر والتهـانى ... بها نشرُ الروائح والغـوادى
يجـرِّرُ ذيلَها يومٌ شريفٌ ... فيجعلها على عيـدٍ مُعـادِ
شواهـدَ أن جدّك فى ارتقاء الـ ... ـسعود وأنّ عمـرَك فى امتـدادِ
كفاها منك عفوُك فى العطاء الـ ... ـجزيل وقد وفَتْ لك بالجتهادى
فكيف خلَطْتَنى بسـواى فيما ... أنلتَ وأنت تَشـهدُ باتحـادى !
تمـادَى بى جفاؤك ثم جاءت ... مواصَـلةٌ أعقُّ من التمـادى
ألم تك لى من الذَّهَب المصـفَّى ... يدٌ بيضـاءُ تُشرِقُ فى الأيادى

(١) الفصيل : ولد الناقة اذا فصل عن أمّه وأنثاه فصيلة وجمعها فصائل ، وفى الأصل "فضائل" ومعنى البيت : أن مطامعه تسير الى الممدوح وهى فصائل صغيرة حتى اذا عادت من عنده مثقلات بالندى أثّرت أخفافها فى الجلاميد لشدة وطئها شأن المثقل بالأحمال . (٢) العقاد جمع عَقَدٍ كجبل وجبال وهو الرمل المتعقد المتراكم ويريد به البادية لأنها مهد الفصاحة .

منوِّهـةٌ اذا ٱنتشرتْ بذكرِى ولائقـةٌ بمجـدكِ وٱعتقـادى
رضـائى أن تهـزَّك ريحُ شـوقٍ الى قربِى ويوحشـك ٱفتقادى
اذا ما لم يكن نيـلا شريفـا فحسـبى من صِلاتك بالودادِ

* * *

وكتب الى الأستاذ الجليل أبى طالب بن أيّوب يهنّئه بالنيروز

نبهتُهُ فقـام مشـبوحَ العَضُـدْ أغلبُ[1] لو سِـيمَ[2] الهوانَ ما رقَـدْ
فى يده مـذروبةٌ مَـزيدةٌ ودِرعُـه سابغـةٌ من اللَّبَـدْ
اذا غـدا لم يَحتشِمْ هاجرةً وإن سرَى لم يخش من ليلٍ بَرَدْ
إن همّ لم يُحبَسْ على مَشْـورةٍ[3] وإن غَـدَا لسـفرٍ لم يسـتعِدّْ
لكلّ باغى قنَصٍ طـريدةٌ تنفُـر منـه وله كلُّ الطَّـرَدْ
هبَّ بلبَّيك وقـد دعـوته مكتفيا بقـوله : الى الأبَدْ
وخيرُ من ساندَ ظهـرى أسَـدٌ أو رجلٌ فى صـدره قلبُ أسـدْ
وقال : فى لَهَـاةِ أىّ خطـرٍ تقـذِفُ بى وعَرِض ما أىِّ بلدْ ؟
وما الذى رابك؟ قلتُ : حاجةٌ فى أفُقِ المجـدِ، فقام فصَـعِدْ
يسـبِقنى سـعيا لمـا أُريده حـتى لقـد أدرك بى ما لم أُردْ
فـردَيْن إلّا صـارمين ٱعتنقـا وضامرِيْن وردَا أين قَـدَدْ[4]
تُضـمِرُ أحشاءُ الدياجى والفـلا منّى ومنـه جسدين بجسـدْ
كأنّ إثرِيْنـا اذا ما أصـبحا على الثرى مسحبُ رمح أو مَسَدْ
حـتى بلغتُ مسرحَ العـزّ به بأوّل الشـوط وأقرب الأمـدْ

(١) الأغلب : الأسد . (٢) فى الأصل "شم" . (٣) المشْوَرة والمشُورة : الآسم من أشار عليه بكذا . (٤) قدد : اسم ماء والمشهور ٱستعماله "قُدَيْد" مصغّرا .

وربَّ عزمٍ قبلها ركبتُه ... ففتُّ أن أُظلمَ أو أن أُضطهَدْ
وغارةٍ من الكلامِ شنَّها ... على اللئامِ كلُّ معنًى مطَّرِدْ
شهدتُها مغامرًا وكنت بالـ ... ـحضّ عليها غائبًا كمن شهِدْ
ولذةٍ صرفتُ وجهي كَرَما ... عنها وفيها رغبةٌ لمن زهَدْ
لم يعتلقني بأثامٍ[1] حبلُها ... ولم ينلني عارُها ولم يَكَدْ
وحَلَّةٍ طرقتُ من أبياتها ... أمنعَها بابا وأعلاها عَمَدْ
والحيّ إما خالفٌ أو حاضرٌ ... خَيْطُ الكرى بجفنِه قد انعقَدْ
وليس إلا بالنُّباح حَرَسٌ ... لهم وإلا مقلةُ النارِ رَصَدْ
فبتُّ أستقري الحديثَ وحدَه ... وغيرُهُ لولا العفافُ لي مُعَدّْ
ودون إرهابي حدٌّ صارمٌ ... عانقتُه ومِقوَلٌ منه أحدّْ
وكم "بذاتِ الرمل" من نافرةٍ ... بغير أشراكِ الشبابِ لم تُصَدْ
أحسنُ من بذلِ هواها منعها ... ومن وصالِ الغانياتِ ما تَصُدّْ
نومي محفوظٌ اذا ما زرتُها ... وموضعي إن غبتُ عنه مفتقَدْ
يُعجِبُ قلبي مظلُها لطول ما ... يكُرُّ بي المطلُ اليها ويَرُدّْ
لله أحبابٌ وفيتُ لهُمُ ... بما استحقُّوا من أسًى ومن كمَدْ
لم يكفِهم شِقوةُ عيني بعدهم ... حتى استعانوا بالدموع والسَّهَدْ
مضوا بجمّات الحياة معَهُم ... وعوَّلوا بشفَتي على الثَّمَدْ
صحبتُ قوما بعدهم، حبالُهم ... سحيلةُ[2] الفتل رخيّات العُقَدْ
وما على مَن كَدَّهُ حرُّ الظما ... اذا رأى الماءَ الأُجاجَ فوَرِدْ!
يضرِبُ قومٌ في وجوهِ إبلي ... وقد كفاهم أنها عنهم حِيَدْ

(١) الأثام: الإثم. (٢) سحيلة الفتل: غير مبرمة الغزل.

لا تُعجِل الكُومَ[1] الى ذيادها ... فهى قِماحٌ عنكُمُ لو لم تُذَدْ

ما للبخيل يتحامى جانبى ! ... متى رآنى عاكفا على النَّقَدْ[2] ؟

يستُر عنّى القعبَ دافٌ[3] حنظلا ... فيه وقد أمرَّ فى فىَّ الشُّهُدْ

ما أبصرَ الدهرَ بما أريده ... لو كان فى الحكم علىّ يقتصِدْ

(١١٢) أنزلنى منزلةً بين الغنى ... والفقرِ لم يبخل بها ولم يَجُدْ

وشرُّ أقسامك حظٌّ وسَطٌ ... أرعنُ لم تَخمُل به ولم تَسُدْ

أغرَى الليالى بِىَ أنّى عارفٌ ... بالسهل من أخلاقهنَّ والنَّكَدْ[4]

وأننى أقدحُ فى صروفها ... بعزمةٍ تُضىء لى على البُعُدْ

تُطلعنى على اليقين ظنّتى ... كأنّ يومى مُخبِرى بسرِّ غدْ

يا بائعى مرتخِصا بثمنى ... سوف يذُمّ مستعيضٌ ماحِمِدْ

مثلى نُضارا ضنّت الكفُّ به ... لو كان فى الناس بصيرٌ ينتقِدْ

قد فطِنتْ لحظّها مَطالبى ... وأبصرتْ عينى الضلالَ والرَّشَدْ

وقد علمتُ أىَّ برق أمترى ... مُزنتَه وأىَّ بحرٍ أستمدّْ

ووسَّعتْ أيدى "بنى أيوبَ" لى ... وبشرُهم ملء المنى مالا ووُدّْ

فما أبالى — وهُم الباقون لى — ... مَن ذا فَنِى فى الناس أو مَن ذا نفِدْ !

ولا أروم الرزقَ من غيرهُم ... وإنما أطلبُ من حيث أجِدْ

المانعون بالجوار والحمى ... والناهضون بالعديد والعُدَدْ

والغامرون المَحْلَ من جودهمُ ... بكلّ كفٍّ ذاب فى عامٍ جَمَدْ

والضاربون فى اليفاع والذُّرَى ... اذا بيوتُ الذلِّ عاذتْ بالوُهُدْ

---

(١) الكوم : جمع كَوْماء وهى الناقة الضخمة السنام . (٢) النقد : الأسافل من الناس .

(٣) داف : خلط . (٤) النكد : الشديد الصعب من نكد عيشه أى اشتدّ وعسر .

تضيء تحت الليل أحسابُهم ... لضيفهم إن حاجبُ النار خمدْ
مدُّوا الى الحاجات من ألسنهم ... ذوابلا منذ ٱستقامت لم تَمِدْ (١)
لا تتّقيها دامةٌ بمِغفَرٍ ... ولا يداريها عن الجسم الزَّردْ
تبهر فى الأسماع كلَّ جائفٍ (٢) ... اذا ٱستقامت لُمة الجُرح فسدْ
تعرَّفوا (٣) بالمجد حتى سافرت ... أخبارُهم بطيبه وهم قُعُدْ
وٱختلفوا، لا أخطأتْ بسهمها ... أمنيَّةٌ صوبَ نداهم تعتمِدْ
وأفسدوا الدنيا على أبنائها ... فما ترى مثلَهُم فيمن تلدْ
هُمْ ما هُمُ أصلا ! ومن فروعهم ... أبلجُ أَرْبَى طارفًا على التَّلَدْ
وفى بمجدِ قومِه "محمدٌ" ... فبرَّهم وربّما عَقَّ الولَدْ
وبانَ من بينهم بهمّةٍ ... خَلَّةُ كلّ سؤددٍ منها تُسَدْ
تمَّ وبدرُ التمِّ بعدُ ناقصٌ ... وزاد والبحرُ المحيطُ لم يزِدْ
ودبَّر الدنيا برأيِ واحدٍ ... يأنَفُ أن يَشرَكه فيها أحدْ
تراه وهو فى الجميع واحدا ... والبدرُ فى حَفْلِ النجوم منفرِدْ
اذا ٱستشار لم يزد بصيرةً ... ولا يلوم رأيَه اذا ٱستبدْ
حتى لقد أصبح بٱتحاده ... يتيمةَ (٤) الدهر وبَيضةَ (٥) البلدْ
قام فنال المكرماتِ متعبا، ... وفاز بالراحة مخفوضٌ قعدْ
وخامَ (٦) عن حمل الحقوق معشرٌ ... فلم يرعْه حملُها ولم يؤدْ

(١) تمد : تمل . (٢) الجائف : الذى ينتهى الى الجوف من قولهم : جافه بالطعنة : أى بلغ بها جوفه، وفى الأصل "حايف" . (٣) تعرّفوا : تطيّبوا . (٤) يتيمة الدهر : الدرة الثمينة لا نظير لها . (٥) بيضة البلد : هى بيضة النعام وقد تجىء مرة فى موضع المدح وتارة فى موضع الذم، فاذا مُدِحَ بها الرجل أريد أنه واحد البلد الذى يُجتَمَع اليه و يُقبَلُ قولُه وأنه فردٌ ليس مثله أحد فى شرفه، واذا ذُمّ بها أريد أنه منفرد لاناصر له بمنزلة بيضةٍ قام عنها الظليمُ وتركها لاخير فيها ولا منفعة .
(٦) خام : نكص وجبن، وفى الأصل "حام" .

ولو درى النـائمُ أىَّ قَـدَمٍ يُحرزها الساهرُ لاشتاق السَّهَدْ
وربّما برَّح بالعين الكرى وكانت الراحـة داءً للجسـدْ
تسلَّمتْ من القذى أخلاقُهُ والماءُ يقـذَى بالسِّـقاء والزَّبَدْ
وانتظم القـلوبَ سِلكُ ودّه فما يَرَى من لا يُحبّ ويَوَدّ
لا رفَقَ الغيظُ بقلبٍ محفَـظٍ(١) عليك إن لم يقل الشِّـعرَ اعتقدْ
جاراك يرجو أن يكون لاحقا، سومُ السَّحوق(٢) فات أن يُجنَى بيدْ
ينقـاد للذِّلّة طـوعَ نسبٍ حيرانَ فى الأحساب أعمى لم يُقَدْ
يدين بالبخل اذا سِيلَ فإن أخطأ يوما بنـوالٍ لم يَعُـدْ
مـدّ بحبـلِ شرِّه فانفصمت أسـبابُه وأنت بالخـير تَمُـدّ
فكلّما جاز مـدًى جاوزته مقاربا للمجـد من حيث بَعُـدْ
بك اعتلقتُ ويدِى وحشـيَّةٌ وضمّ أنسى شمـلَه وهـو بَدَدْ
وارتاض منّى لك خُلْقٌ قامصٌ لم يدر قبـلُ ما العطاءُ والصَّـفَدْ(٣)
ملكتَ قلـبى شـعفا فما وَفَى بقدرِ وجدى بك صبرى والجلَدْ
حـتّى حـوانى أوّلا فأوّلا وواحدٌ أوّلُ ألفٍ فى العـددْ
كم أيكةٍ أنبتَهـا جودُك لى تُربُ ثراها طيِّبٌ والماءُ عِـدّْ (١١٣)
وكلما صوَّح منهـا غُصُنٌ عاد بهـا جودُك غضّـاتٍ جُدَدْ
قـد ملأتْ أوعيَـتى ثمارُها فقَدْكِ(٤) إن ردَّ عبابَ(٥) السيلِ قَدْ
لم تبق فىَّ خَـلّةٌ تسـدُّها وإنما الخَلّةُ بالمـال تُسَـدّْ

(١) محفظ : مغضب . (٢) السحوق : النخلة الطويلة . (٣) الصفد : الوثاق والصفد أيضا بمعنى العطاء . (٤) قدْك : حسبك . (٥) العباب : معظم السيل وارتفاعه وكثرته ، وفى الأصل "عنان" ، ومعنى البيت : فحسبك إن كانت لفظة حسب (قد) ترد عباب السيل .

لى فيك من كلّ فقيدٍ خلَفٌ فابقَ فما يضرُّنى مَنْ أفتقدْ
اذا السنانُ سَلِمتْ طريقةً عُلياهُ(١) فلتمضِ الأنابيبُ قِصَدْ(٢)
واضرب بسهمٍ فى العلاء فائزٍ من يدِ عُمرٍ فائزٍ لا يُقتَصَدْ
تُنفَضُ عنك الحادثاتُ شُعَبا حيثُ التهانى حافلاتٌ تحتشدْ
كلّ صباحٍ شمسُ إقبالك فى فُتوقِهِ مفتنةٌ شمسَ الأبدْ
جذلانَ بين مادحٍ وحاسدٍ فموجباتُ المدح يوجبن الحسدْ

* * *

وقال وكتب بها الى الوزير أبى القاسم الحسين بن علىّ المغربىّ، وقد غاب عن بغداد أنفًا من النظر، ذاهبا مع الحميَّة يستوحش له، ويذكر مكان الاستضرار ببعده، ويتفاءلُ له بسرعة العودة، وأنفذها اليه فى سنة خمس عشرة وأربعمائة

خاطرْ بها إمّا ردًى أو مُرادْ وردْ لها أين وجدتَ المَرادْ
ولا تُماطلْها بجمّاتِها معلّلا أظماءَها بالثِّمادْ
باعدْ عزيزا بين أسفارها فعزّةُ النجم السُّرى والبعادْ
للهِ رامٍ بلُبانَاتِهِ طولَ الليالى وعروضَ البلادْ
يُقدِمُ إما مبلغا نفسَه معذرةً أو بالغا ما أرادْ
يحفِزُه الضيمُ فتنبو به مضاجعُ الغيدِ ولينُ المِهادْ
اذا أحسَّ الهُونَ صاحتْ به نخوتُه، أو طارَ، أو قيلَ: كادْ
يَعجُمُ منه الدهرُ إن رابهُ جلْدَ العصا صُلبَ حصاةِ الفؤادْ
سمتْ به الهمّةُ حتى نجا منفردا من بين هذا السوادْ

---

(١) فى الأصل "غرباه"، ومعنى البيت اذا سلم أعلا السنان محددا فلتتكسر الأنابيب وهو على سبيل المثل للبيت الذى قبله. (٢) قصد جمع قِصْدة وهى الكسرة.

مولّيا آخرَ حاجاتِهِ ... خزائمَ العيس ولُجُمَ الجيادْ
أقسمَ مهما اكتحلتْ عينُه ... بمثلِهِ لا اكتحلتْ بالرقادْ
وبات مغمورَ العلا شاكرا ... ميسورَه، يقنعُ بالإقتصادْ
يرضَى من الحظّ بما جاءه ... عفوا، وما الحظّ سوى الاجتهادْ
ينام للضيم على ظهره ... مُراوحَ الخدّ وثيرَ الوسادِ
إن راءه من يومه رائعٌ ... قال: عُدُوّاً[1]، فرسُ الذلّ عادْ
ما أكثرَ المُنحِى على مجده ... لُبُغةٍ تُرجَى ورزقٍ يُفادْ
ومؤثرَ المالِ على عرضه ... مجتهدا ينقُصُ من حيث زادْ
عَدِّ عن الدنيا وأبنائها ... وبعْ مودّاتهم بالبعادْ
ما هذه الدهماءُ[2] إلا دبى[3] ... ينشُرُه في الأرض حُبُّ الفسادْ[4]
إلّا فتًى يأنف من عيشةٍ ... لغيره فيها عليه اعتدادْ
ودولةٍ تخطُبُ راياتُها ... باسم سواه في رءوس الصِّعادْ
مثل "أبي القاسم" غيران ليس ... يستفيد من عزّته ما استفادْ
يجود بالنفس كما جاد أو ... يسود بالواجب من حيث سادْ
هيهات! قامت معجزاتُ العلا ... فيه وبانت آية الإنفرادْ
لا تلدُ الأرضُ له من أخٍ، ... أعقمها من بعدِ طولِ الولادْ
شاد به اللهُ بُنَى[5] مجدِهِ ... راسيةً، واللهُ ما شاء شادْ
بانَ من الناس فما عابه ... شيءٌ سوى تشبيهه بالعبادْ
أبلجُ في كلّ دُجَى فحمةٍ ... عمياءَ لا يقدَحُ فيها الزنادْ

(١) العُدوّ: العدوان. (٢) الدهماء: الجماعة من الناس. (٣) الدبى: الجراد الصغير.
(٤) في الأصل "السفاد". (٥) بنى جمع بُنية وهى ما بنيته، وفى الأصل "بنا".

يصيبُ بالأقول من ظنِّه فليس يُستثنَى ولا يُستعادْ
تهفو قُوَى الحلم، وغضباتُه تأوِى الى مستحصفاتٍ شِدادْ (١)
أرهفَ من آرائه ذُبَّلا تردُ للطعن أمامَ الطرادْ
وقاد للأعداء رقّاصةً (٢) تعزِفُ — لولا يدُه — أن تُقادْ
معرّقاتٍ (٣) كان أُمّاتُها ربائطا ما بين أبياتِ "عادْ"
يشكُمُها إن خلعتْ لُجُمَها ما جرَّ من فضلِ نواصى الأعادْ
خضَّبها الطعنُ بماء الطُّلَى (٤) فشُهْبُها (٥) فى شَعَراتِ الورادْ
يحالفُ الصبرَ عليها فتًى ما بدأَ الكرَّة إلا أعادْ
يبذُلُ فى حفظ العلا مهجةً تكبُرُ أن تفديَها نفسُ فادْ
يَرَى طلابَ العزّ أو بَردَهُ فى حرّ ما يَشرَبُ يومَ الجِلادْ
شجاعةٌ سبَّبها جودُه، إن الفتى يشجُع من حيث جادْ
يا راكبَ الدهماء (٦) لم يُحفِها سَيرٌ ولا حنَّتْ لتغريدِ حادْ
حدَّدها الطالى فما عابها على بياضِ الجسم لُبْسُ الحِدادْ
لا تلتوى من ظمأ والثرى مُكْدٍ وأكبادُ المطايا صَوادْ
يَحفِزها من مثله سائقٌ يَضِلُّ خِرّيتُ الفلا وهو هادْ
راكبُها وهو على ظهرها موطَّأُ الجنبِ قليلُ السهادْ
يَكرعُ فى صافٍ قليلِ القذى عَذبٍ ويرعَى أبدا بطنَ وادْ
بلِّغ — بلغتَ الخيرَ — خيرَ امرئ شُدَّتْ عليه حَبَوات البوادْ

(١) مستحصفات : مجدولات محكمات . (٢) يريد بقوله رقاصة : الخيل كثيرة الرقص وهو ضرب من الخبب . (٣) معرّقات تمتدّ عروقها أى أصولها ، وفى الأصل "معرفات" . (٤) الشهب : البيض . (٥) الوراد : الحمر . (٦) الدهماء : الناقة الشديدة .

قل للوزير : آعترقَتْ[1] بعـدكم عظمى نيوبُ الأزمَاتِ الحِدادْ
وآرتجع البخـلُ وأبنـاؤه ما أَسأرتْ عندِىَ كفُّ الجوادْ
غاض النـدَى بعـدك يا بحرَهُ وبانَ مذ بِنتَ بفضـلِ السّدادْ
وآغبرّ جوٌّ كنتَ خضَّرتَهُ فشمَطتْ فيـه الرُّبَا والوِهادْ
دِينٌ من العـدل عفا رسمُه شَرَعتَهُ للنـاس بعـدَ آرتدادْ
وسُنّةٌ فى المجـد قد قُوّضتْ أقمتَ من أطنابها والعمادْ
ومهملٌ من كلمٍ نادرٍ نفَّقَهُ[2] مدحُك بعـدَ الكسادْ
عاد يُـوَفَّى أجرَهُ كاملا عندك حيًّا قبـلَ يومِ المَعـادْ
عَرَفْتَهُ والنـاسُ مِن حاسدٍ أو جاهـلٍ بالقولِ والإنتقادْ
أوحشتَ بالبعد فلا أُوحِشتْ منـك مغانى الكرم المسـتفادْ
وشُلَّ[3] سَرْحُ الأمر من قبضة الـ ـراعى فأمسَى هَجمـةً[4] لا تذادْ
معطَّلَ المجلسِ والمنـبرِ الـ ـمركوبِ عارى السرجِ رِخوَ البِدادْ[5]
تعـلَّقَ الممسـكُ أطرافَـه منـه برُسـغَىْ قاطع لا يصـادْ
كأنمـا صـاحَ غرابُ النوى : بدادِ فيـه بعـدَ جمعٍ بدادْ
قد أسِـفَ الرأسُ على تاجه وأنكرَ[6] العاتقُ فقْـدَ النّجادْ[7]
ووَجْهُ "بغـدادَ" على حسنه أسفعُ[8] مكسوفٌ عليـه آربدادْ[9]
كانت حريمـا بك ممنوعـةَ الـ ـظهر فعـادت وهى دارُ الجهادْ
فى كلّ بيتٍ من أذًى عَوْلةٌ تُبْـدَا ومن خوفٍ أنينٌ يُعـادْ

(١) اعترقت : نزعت ما عليه من لحم . (٢) نفّقه : روّجه . (٣) فى الأصل "سلّ" .
(٤) الهجمة : من الإبل ما بين السبعين الى المائة أو الى دونها . (٥) البداد : بطانة تحشى وتوضع على الدابة وقاية لظهرها . (٦) العاتق : موضع نجاد السيف من الكتف . (٧) النجاد : حمائل السيف . (٨) الأسفع : الشاحب المتغير اللون مما يقاسى من المشاقّ . (٩) الآربداد : التغير .

وكيف لا يُنكَرُ عهدُ الحمى ... يفوتُه العامُ بصوبِ العِهادْ !
يا مبدئَ الإحسان فينا أعدْ ... فالبدر إن مرّ مع الشهر عادْ
قم فأثرْها عزمةً لم تنمْ ... ضُعفا ولم تنقُصْ لغير ازديادْ
عاجلْ بها جَدْعَ أنوفٍ طغتْ ... وأرؤسٍ قد أينعتْ للحَصادْ
يحسبها الأعداء قد أُخمِدتْ ... وإنما جمرُك تحتَ الرَّمادْ
لا تأخذِ الدهرَ بزلّاته ... وسَعْهُ بالعفو وبالإعتمادْ
ولا تُكشِّفْ عن صدورٍ خبتْ ... أضغانُها من قاتلٍ أو مُضادْ
فكلّما تُبصره صالحا ... فإنما يصلُح بعد الفسادْ
أنا الذى ردّ زمانى يدى ... من بعد شدِّى بكم وٱعتضادْ
وطمِعتْ فىّ ذئابُ العدا ... حتى حلا مضغٌ لها وٱزدرادْ
وفُتّ فى حالى وفى عيشتى ... بطلبى ظِلَّكُمُ وٱفتقادْ
لا نَسِيَ اللهُ لكم والعلا ... ما زدتُمُ فى عُدّتى أو عَتادْ
ونعمةٍ أثقلتُمُ كاهلى ... بحملها وهى يدٌ من أَيادْ (١١٥)
كم ناخسٍ ظهرى على شكركم ... وحاسدٍ فى مدحكم أو مُعادْ
ومنكرٍ حفظى لكم يرتمى ... مَقاتلى من خطأٍ وٱعتمادْ
وليس للخابطِ إلا العَشَا ... مِنّى وللخارطِ إلا القَتادْ
وناشطاتٍ أبدا نحوكم ... من عُقَلِ الفِكرِ لِيانِ المَقادْ
سوافرٍ عن غُرَرٍ وُضّح ... ينصَعُ منهنّ سوادُ المِدادْ
يَخلِطنَ فرضَ الحقّ فى مدحكم ... بخالص الحبِّ وصفوِ الودادْ
حافظةٍ فيكم عهودَ الندَى ... حفظَ الرُّبَا عهدَ السوارى الغوادْ
وقلّما يرعى أيادِيكُمُ ... فى القرب مَنْ لم يَرْعَها فى البعادْ

* * *

وقال وقد بلغـه تشوُّقُ الأمير الأجلّ نور الدولة أبى الأغرّ دُبَيْس بن علىّ بن مَزْيَد الى ما يسمعه من شعره، وٱقتراحه أن يُخصَّ بشىء يَجمعُ فيـه بين أن يحفظه وبين أن يكون مديحا له، وتوسّط بعضُ كتّابه فى هذا، فكتب اليه يمدحه، ويذكر بعضَ أعدائه ممّن نجمَ عليه فى جُمادى الأولى من سنة ستّ عشرة وأربعمائة

أمِنْ "أسماءَ" والمسرى بعيدُ ... خيالٌ كلّما بخلَتْ يجودُ؟

طوَى طىَّ البرودِ عِراصَ "نجدٍ" ... وزار كما تأرَّجتِ البرودُ

يشقُّ الليـلَ والأعداءَ فردا ... شجاعا وهو يذعَرُه الوليـدُ

مواقِدُ "عامرٍ" و"سروح طىٍّ" ... وما قطعت برملتها "زرودُ"

له ما للبـدورِ من الدياجى ... فأرَّقَـنى وأصحابى هُجـودُ

فقمتُ له أطوِّقـه عِناقا ... يدا ضعُفتْ وباعُها شـديدُ

يدُ القنّاصِ تخفُـقُ أين مُدَّتْ ... حِبالتُـه فتَضبِطُ ما تصـيدُ

فيا لكِ سُحـرةً سُرِقتْ لوانّى ... غدًا فيهـا يـتمّ لِىَ الجُحـودُ!

وكيف وتُربُ "بابلَ" "سَلْخَ شهرٍ" ... وأردانى (١) بريَّاها شُـهودُ!

أَمَا ومشعشعين "بذاتِ عِرقٍ" ... صلًا (٢) يَقْرِى "العِراقَ" له عمودُ،

ورامٍ سهمَ عينيـه "بسَاجٍ" ... و"بالزوراء" يقتُلُ مَن يريدُ،

لَمَـا وفَتِ الصوارمُ والعوالى ... بمـا جنتِ المحاجرُ والقـدودُ

وكم يأوِى "المشقَّرَ" من غزالٍ ... تحاذر من كَناسَتِه الأسودُ

تُقلِّمُ حولَه الأظفـارَ عَيْنٌ ... ويُهْتِمُ دونَه الأنيـابَ جيـدُ

وأبيضَ من نجومِ "بنى هلالٍ" ... وجوهُ العيش بعـد نواه سودُ

---

(١) الأردان جمع رُدنٍ وهو الكمّ. (٢) الصلا: الوَقود.

هويتُ له الذى يهواه حتّى ... حلا إعراضُه لى والصدودُ
نفضن الحبَّ أسمالا وعندى ... لهنّ على القلى حُبٌّ جديدُ
ورُحنَ وقد سفكنَ دمًا حراما ... تصيح به الأنامِلُ والخدودُ
أما تنهاك عن عيدِ التصابى[1] ... مواضٍ من شبابك لا تعودُ؟
وقادحةٌ لها فى كلّ يومٍ ... ذبولٌ من نشاطك أو خمودُ
طوالع فى عذارك لا الأحاظى ... قَسَمْنَ طلوعَهنّ ولا السعودُ
وقالوا: حلَّمتْكَ، فقلت شوقا: ... متى مبدى الخلاعةِ لى يعيدُ؟
يَحُرُّ عَلَىَّ أبيضُها خمولا ... وكنت بجاهِ أَسْوَدِها أَسودُ
ولم أر كالبياض مذمَّمًا فى ... مواطنَ وهو فى أخرى حميدُ
فتلحاه العوارضُ والمَفَالِى ... وترضاه الترائبُ والنهودُ
عدمتُ مكارم الأيّام، مَنْ ذا الـ ... ـتقىُّ بها ومَنْ فيها السعيدُ؟
مع الفضل الخصاصةُ والتمنّى ... وحولَ العجزِ تزدحم الجدودُ
تُقامُ على الفقير وما جناها ... اذا وجَبتْ على المثرى الحدودُ
وما لك من أخٍ فى الدهر إلا ... أخوك طريفُ مالِك والتليدُ
مَحَضْتُ الناسَ مختبرا فكلٌّ ... بكىءٌ[2] دون زُبدته زهيدُ
هُمُ حولى مع النُّعمَى قيامٌ ... وهم عنّى مع الجُلَّى قُعودُ
توقَّ تحيةَ ابن العمِّ يوما ... فربَّ فمٍ بقُبلته يكيدُ
ولا تخدعْك مسحةُ ظهرِ أفعَى ... فتحتَ لثاتِهِ نابٌ حديدُ
وأغلبُ ما أتاك الشرُّ ممّن ... تذبّ الشرَّ عنه أو تذودُ
وحولك من قبيلك من تكون الـ[3] ... ـقليلَ به وإن كثر العديدُ

(١) العيد: ما يعتادك من هم أو مرض أو نحوه.
(٢) البكىء: الناقة لا تدرّ.
(٣) فى الأصل "يكون".

مُـداجٍ أو مُبادٍ أو حسودٌ ... وشرُّهُم على النِّعمِ الحسـودُ

ومولًى عرشُـه بك مشمخرٌّ ... بطول الحفر يَهـدِمُ ما تشيدُ

نصحْتُ لمارقٍ من "آل عوف" ... لو أنّ النصحَ يبلغ ما أريدُ

وقلتُ له : قناتَك لا تدعها ... تُوصَّمْ بالعـقوق ولا تميـدُ

وبيتَـك لا تبدّلْ فيـه غدرا ... فإنّ عليـك ما يَخني النُّـدودُ (١)

ولا تعبَثْ بعـزٍّ "مَزيَدىٍّ" ... لتَنقُصَـه وأنت به تزيدُ

هم التحموك معـروقا (٢) وضمُّوا ... عزيبَـك وهو متحِسٌ طريدُ

ومـدّوا ضَبْعَك المغمورَ حتى ... سما بك بعـد مهبطِه صعودُ

الى نادٍ تفـوه به وتغشَى ... وسامرةٍ يُشَبُّ لها وَقـودُ

عُنُوا بثراك وآغترسوك حـتّى ... بسقتَ على العِضاهِ وأنت عودُ

وربُّوا نعـمةً لك لا يغطّى ... عليها السترَ غَمطُك والجُحودُ

فما غَـنِيَ المبصّرُ وهو باغٍ ... بما تُجدِى المَشُورةُ أو تُفيـدُ

وقام يقـودُها سُوقًا (٣) عجافًا ... أعزُّ من القيام بها القـعودُ

يَلوثُ جبينَـه منها بعـارٍ ... تبيـد المخـزياتُ ولا يبيـدُ

فكيف وأنت طير البغى فيها ... جرت لك بالتى عنها تحيـدُ

نزلتَ لها بدار الهُـون جارا ... لأقـوامٍ تُضامُ وهـم شهودُ

صديقَ العجزِ أسلمك الأدانى ... بجُرمك وآسـتراب بك البعيدُ

تَقاذَفُـك المهامهُ والفيافى ... وتُنكرك التهائمُ والنُّجودُ

فما لك ـ لا وألتَ (٤) ـ وأنتَ حُرٌّ ... يُجيرك من عشيرتك العبيدُ

---

(١) الندود : النفور والشرود . (٢) معروقا : منزوعا ما عليك من لحم . (٣) سوق جمع ساق . (٤) يقال : وأل فلانا : آتخذه موئلا .

وأن الجارَ لا حىّ عزيزٌ بأسرته ولا مَيْتٌ فقيدُ
ولو بأبى الأغرِّ صرختَ فاءتْ عليك فضولُ رأفته تعودُ
إذن لأثرتَ عاطفةً وحِلمًا تموتُ له الضغائنُ والحُقودُ
وكان الصفحُ أبردَ فى حشاه اذا ٱلتهبتْ من الحَنَقِ الكُبودُ(١)
وعاد أبرَّ بالأنساب منكم وبالقربَى لو ٱنك تستعيدُ
نتجتَ من المنى بطنا عقيما نَمَى بك والمنى أمٌّ ولودُ
أتنشُدُ ما أضلَّ الحزمُ منها ؟ أطِلْ أسفا فليس لها وجودُ !
وتوعدُه وذلك ذلُّ جارٍ، متى ٱجتمع المذلةُ والوعيدُ ؟
تريدون الرءوسَ وقد خُلِقتم ذُنابَى لا ٱنتفاعَ بأن تريدوا
ويأبى اللهُ إلا "مَزْيَدِيّا" على "أسدٍ" يؤمَّرُ أو يسودُ
فدعْها للذى جفلَتْ اليه وسلْه العفوَ فهو به يجودُ
دَعُوا قوما يخاصم فى علاهم رقابَكُم المواثقُ والعهودُ
بأىّ سلاحكم قارعتموهم أبَى الماضى الشبا ونبا الحديدُ
وإنّ سيوفَكم لتكون فيهم مَكاوىَ لا تَنُشُّ(٢) لها الجلودُ
ففخرا يا "خُزَيْمُ" فكلُّ فخرٍ الى أنواركم أعمى بليدُ
لكم نار القِرى وندَى العشايا وفرسانُ الصباح وَعَوْا فَنُودوا(٣)
وأندِيَةٌ وألسنةٌ هُبوبٌ اذا ٱنتُضيتْ(٤) وأحلامٌ رُكودُ
ومنكم كلُّ وَلّاجٍ خروجٍ وذو حَزْمَيْن صدَّارٌ وَرودُ
موقَّرُ ما أقلَّ السرجُ ثَبْتٌ اذا مالت من الرَّهَجِ اللُّبودُ

(١١٧)

(١) الكبود جمع كبد . (٢) تنش : تصوّت . (٣) فى الأصل "فتودوا" .
(٤) فى الأصل "انتضبت" .

اذا "مُضَرٌ" تَطَامَنَ كلُّ بيتٍ ... لها وعلا بربوتها الصعيدُ ،
وكانت جمرةَ الناسِ ، احتبيتم ... وفيكم عزُّ سورتها العتيدُ
بَنَى لَكُمُ "أبو المظفارِ" مجدا ... على موت الزمان له خلودُ
وقدّمكم على الناس اضطرارا ... مقاماتٌ وأيامٌ شُهودُ
إجارةُ "حاتمٍ"(١) "ودمٌ شريقٌ" ... به لبّاتُ "حُجْرٍ"(٢) والوريدُ
وطعنةُ "حاتم" وطَرٌ قديمٌ ... قضى "مَروانُ" فيها ما يريدُ
وصاحتْ باسم صامتَ نفسُ حرٍّ ... "ربيعُ المقترين"(٣) بها يجودُ
و"صخرٌ" ذابَ "صخرٌ"(٤) على قناكم ... ولان لكم به الحجر الشديدُ
ويومُ "عُتَيْبةٍ" عَلَمٌ عريضٌ ... تَبَاشره المواسمُ والوفودُ
كرائمُ من دماء باردات ... لديكم لا دِيَاتٍ ولا مَقيدُ
وإنّ "بابلٍ" منكم لبحرا ... لو انّ البحرَ جاد كما يجودُ
اذا الوادى جرى مِلحا أُجاجا ... ترقرق ماؤه العذبُ البَرودُ
فتىُّ السنِّ مكتهلُ حجاهُ ... طريفُ الملك سؤدده تليدُ
اذا اشتبهتْ كواكبهم طلوعا ... "فنور الدولة" القمرُ الوحيدُ
أناف به وقدَّمه عليكم ... أبٌ كَرُمٌ(٥) أناف به الجدودُ
أغرُّ قسيمُهُ(٦) السيفُ المحلَّى ... ومسحبُ ذيله الروضُ المجودُ
يعود اذا تغرَّب فى العطايا ... ويُقلع فى الهَنَاتِ فلا يعودُ

(١) يشير الى حاتم الطائى حين أجاره عمرو بن أوس . (٢) يشير الى حجر بن عمرو الكندىّ يوم ذبحته بنو أسد . (٣) يشير الى جدّ لبيد بن ربيعة وكانت العرب يسمونه "ربيع المقترين" لسخائه وقد قتلته بنو أسد ، وفى قول : إن قاتله "صامت بن الأققم" المذكور فى صدر هذا البيت . (٤) يشير الى صخر بن عمرو بن الشريد يوم طعنه ربيعة بن ثور الأسدىّ ؛ ولهذه الإشارات قصص طويلة ولعل وجه الفخار بها أن ممدوح مهيار يمتّ بالنسب الى بنى أسد الذين منهم كل من مر ذكرهم . (٥) كرم : كريم . (٦) القسيم : النظير .

بليلُ الريقِ من كَلِمٍ سديدِ ... يقوم بنصره رمحٌ سديدُ
تراغتْ حول قبّته بكارٌ ... شفار الجازرين لها قُتودُ
تراه الخيلُ أفرسَ من تمطّتْ ... به والجيشُ أشجعَ من يقودُ
ويَغنَى ثم يُفقِرُ راحتيه ... مقالُ المادحين : الفقرُ جودُ
مَن الغادى ينقّلُه حِصانٌ ... مفدّى السبق أو عَنْسٌ وَخُودُ
اذا ركب الطريقَ، وفَى بشرطى ... أخٌ منه على أربى عقيدُ
اذا بلّغتُ عن "إنسانَ"(١) ينزو ... وراء ضلوعه قلبٌ عميدُ
يرى المرعى الخصيبَ يصدّ عنه ... ويظمأُ وهو يمكنه الوُرودُ
فقل لأمير هذا الحىِّ عنى : ... أيُجمَعُ لى بك الأملُ البديدُ ؟
أحِنُّ الى لقائك والليالى ... علىّ مع العوائق لى جُنودُ
وتجذبنى نوازعُ موقظاتٌ ... اليك وراءها قَدَرٌ رَقُودُ
وكم وعدتْ بك الآمالُ نفسى ... ويقضى الدهر أن تُلْوَى الوُعودُ
فهل من عطفةٍ بالود؟ إنى ... على شحط النوى خِلّ ودودُ
محبٌّ بالصفاتِ ولم أشاهِدْ ... كأنى من نجيِّكُمُ شهيدُ
وكم مَلِكٍ سواكم مدّ نحوى ... يديه فقصّر الباعُ المديدُ
ومعصوبٍ بذكرى أو بشعرى ... أحوِّل عنه شعرى أو أحيدُ
أحاذر أن تبدّلَنى أكفٌّ ... سوائمُ صاننى عنها الغُمودُ
لعلّ علاكُمُ وندى يديكم ... سيُنهِضُنى بمُثقِلةٍ تؤودُ
ومُجتمِعٍ عليها القولُ، أنّى ... بها والقولُ مشترك فريدُ
من الغرّ الغرائبِ لم يَعِبْها الـ ... ـكلامُ الوغدُ والمعنى الرديدُ

(١) إنسان : اسم ماء .

نوادر تلقـط الأسماعُ منهـا عن الأفواه ما نَثَرَ النشـيدُ
تَسـير بوصفكم وتُقيم فيكم خوالدَ فهى قاطنـةٌ شرودُ
وليس يَضُرُّ راجيكم لِرفـدٍ تَلَوُّمُهُ [اذا](١) قصَـدَ القصيدُ

* * *

(١١٨) وقال وكتب بها فى النيروز الى أبى الحسن جابر يهنّئه ويتنصره على قوم كان يستضرّ بمعاملتهم فى معيشةٍ له

جَـمَّ لها الوادى وعزَّ الذائدُ وطاب ما حـدَّثَ عنها الرائدُ
فخلّها راتعـةً مجـرورةً وراءها الأرسانُ والمَقاودُ
يُخلِفُ ما آستُسلفَ من جِرَّتها كهلٌ(٢) أثيثٌ ومَعينٌ باردُ
حيثُ المغـيرُ لا ينالُ فرصـةً منها ولا يطمعُ فيها الطاردُ
تذبُّ عنها من سِماتِ ربّها صـوارمٌ ليس لها مَغامدُ
اذا بدت فى عُنُـقٍ أو حارِكٍ فهى عليها أعينٌ رواصـدُ
ونَمْ فقـد حرَّمَها هـذا الحمى وضمَّها وهى دُخانٌ شاردُ
وأعجـزَ النـاسَ جميعا رَعْيُها فاليـومَ يرعاها جميعا واحـدُ
أَرْوَعُ لا يغلِبُـه المكرُ ولا تـدِبُّ فى حريمـه المَكايدُ
أعارها عينا فكانت عُـوذَةً لها وشيطانُ الزمان ماردُ
أفرشَها "كافى الكفاةِ" أمنَـهُ فالظلُّ سَكْبٌ والنسـيمُ باردُ
دانَ بتاجِ الحضرةِ الدهرُ لها وحلَّ حبـلَ الذلِّ عنها العاقدُ
وصـدَّقَتْ أن الربيعَ بعـدَها بـوارقٌ من يده رواعـدُ
غاصتْ غصونُ المجد تحتَ مائها فأورقَ الذاوِى وقام المائدُ

(١) هذه الكلمة غير موجودة بالأصل . (٢) الكهل : النبت تم طوله وظهر نوره .

وضَحِكَ القاطبُ من وجه الثرى ... وسالَ وادى المكرُماتِ الجامدُ
وبشَّر الفضلُ بقايا أهلِهِ : ... لا تقنطوا ، فى الناسِ بعدُ ماجدُ
نقلَ لأبناء الطِّلاب والمنى ... والحاجِ ضاقتْ بهم المَقاصدُ ،
يتاجرون المجدَ فتخيسُ(١) فى ... أيديهم البضائعُ الكواسدُ :
تضمُّكم حَنوتُهُ(٢) وأنتمُ ... عِزُونَ(٣) فى الآفاق أو بدائدُ
زَمَّ الأمورَ فلوَى أعناقَها ... ساعٍ الى الغاياتِ وهو قاعدُ
ودبَّر الدنيا على علاَّتها ... فصَلَحَتْ والدهرُ دهرٌ فاسدُ
ماضٍ له من عزمه مجرَّدٌ ... يذُبُّ من جهلِ الزمانِ غامدُ
يَرَى بوجهِ اليوم صدرَ غدِهِ ... تُعطيه ما فى المَصدرِ الموارِدُ
لا يأخذ التدبيرَ إلا مِن عَلِ ... فالناسُ يخطُّونَ وهو صاعدُ
رأى انتهاءَ مجدِهِ مبتدأً ... لمّا أعانَ الكفَّ منه الساعدُ
أسهرَهُ حبُّ العلا منفرِدا ... وهو على ظنِّ العيونِ راقدُ
جَدَّ وقارا والزمانُ هازلٌ ... وجادَ عفوا والسحابُ جامدُ
ولاحَ فى المُلكِ شِهابا فوَرَى ... زنادُهُ والمُلكُ نجمٌ خامدُ
منتصرا بنفسه لنفسه ... كالليث يشرَى(٤) ما لَهُ مساعدُ
لا يَملكُ الحفظُ عليه أمرَهُ ... ولا تُفرِّى حِلمَه الشدائدُ
يُنهِضه الكمالُ من أثقالِهِ ... بأوسُقٍ تلفظها الجلامدُ
مدَّ على الدولةِ من جناحه ... ما مدَّ عطْفا لبنيه الوالدُ
حتى استقامتْ وهى بَلهاءُ الخُطا ... عمياءُ ما بين يديها قائدُ

(١) تخيس : تكسد . (٢) الحنوة : العطفة . (٣) عزون جمع عِزَةٍ وهى العصبة المجتمعة من الناس ، وفى الأصل "عزين" . (٤) يشرى : يتقدّم و يلجّ .

كم قـدَمٍ قبلَك قـد زَلَّتْ بهـا ضُعفا وكـفٍّ لم يُطعها الساعدُ
وضابطٍ لم يُغنِـهِ — لَمّـا طغتْ أدواؤُها — التجريبُ والعـوائدُ
يَحرُسها وليس من حُماتِها مثـلُ الشَّـغا(١) ينقُص وهو زائدُ
جاءت على الفَـتْرةِ منـه آيةٌ معجِزةٌ قامت بها الشواهـدُ
مَوهِبـةٌ فاجئـةٌ لم تُحتَسَبْ ولم تسـوِّفْه بها المَواعـدُ
كنتَ خبيئا ترقُبُ الأيامُ فى إظهـارِه المِيقاتَ أو تراصِـدُ
كالنارِ فى الزّند تكون شَرَرا بالأمس وهو اليومَ جمـرٌ واقدُ
فأبرزتْـك للعيونِ كوكبا يَزهَرُ لم تَجـرِ به العـوائدُ
يَفـديك محظوظون وجهُ عجزِهم بِغَلَطِ النّعمة فيهـم شاهـدُ
قـد سَرَق الدهرُ لهـم سـيادةً ليس لهـا من المَساعى عاضدُ
(١١٩) تَنافَرُ الأقلامُ عن أيمانهـم وتَقشـعِرُّ منهـم الوسـائدُ
لم يَنظِموا المجـدَ كما نَظَمتَـهُ ولا حلَتْ عنـدهم المحامِـدُ
ولا أَعانَ طارفا من حظّهم مجـدُ أبٍ مثـلِ أبيـك تالدُ
وخيرُ من شاد الفخارَ رافعٌ، أُسـرَتُهُ لِمَـا بَنَى قواعِـدُ
وبعضُ علياءِ الفـتى مَكاسبٌ بنفسـه وبعضُـها مَوالدُ
ولِيهنِـكَ الأمرُ الذى ذلَّ به لك العـزيزُ وأقـرّ الجاحـدُ
ولَانَ فى يديك منـهُ مِرسٌ(٢) مُـلاوِذٌ مَن رامَـهُ مُحايدُ
يَنقُصُ من قـدرِك وهو فاضلٌ على وسِـيعات الأمانى زائدُ
ومُشرِفاتٌ فُضُـلٌ لِبستَهـا تَزْلَقُ عنها المُقَـلُ الحـدائدُ
كلِبـدةِ الليثِ سَطَا وحسنُهـا كالوشيِ تُكساهُ الدُّمَى الخـرائدُ

(١) الشغا : الزائد من الأسنان . (٢) المرس : الشديد المراس .

لو كانت الأفلاكُ أجسادا لَمَا ... كان لها من مثلها مَجاسِدُ

باطِنة وظاهر جمالُها ... فالحسنُ منها غائبٌ وشاهدُ

تَسحَبها فى الأرض ولفخرها ... مَعالِقٌ فى الجوّ أو مَعاقدُ

وكالسماء عِمّةٌ صِبْغتُها ... قد جاءها من الزمان وافدُ

مقدودةٌ منها ، ومن نجومها ... فى طَرَفَيْها سائرٌ وراكدُ

إن لم تكن تاجًا فقد أكسَبَها ... نورُك ما لم يُكسَ تاجًا عاقدُ

وضاربٌ الى "الوجيهِ"(١) عِرْقُه ... بأربع تَشقَى بها الأوابدُ(٢)

من اللواتى نَصَرَتْ آباءَها ... فى السبق أمّهاتُها الرِدائدُ

وصَبحَتْها(٣) بالصريفِ(٤) عُلَبًا(٥) ... قبلَ عِيالِ ربِّها الولائدُ

خاضَ الظلامَ فاهتدى بغُرّةٍ ... كوكبُها لمقلتيه قائدُ

يجاذبُ الريحَ على الأرض ومِن ... قلائدِ الأفقِ له قلائدُ

حَلْىٌ من التبرِ اذا خَفَّ بها ... أُثقِلَ فهو تحتها مُجاهدُ

ينصاعُ "كالمِرّيخ" فى آلتهابِهِ ... وأنت فوق ظهره "عُطاردُ"

غرائبٌ من الحِباء(٦) جُمِعَتْ ... بها لك الفوارِكُ الشوارِدُ

تبرَّعَ المَلْكُ بها مبتدئا ... وكلُّ بادٍ بالجميل عائدُ

قد كنتُ عيَّفتُ لك الطيرَ بها ... مستيقِظا والحظُّ بعدُ هاجدُ

وبَرَقَتْ لى فى المنى سيوفُها ... من قبلِ أن تُبرِزها المَغامدُ

عِلْما بما عندَك من أَداتِها ... وأنها سيفٌ وأنت ساعدُ

---

(١) الوجيه : اسم فرس . (٢) الأوابد : جمع آبدة وهى الوحش . (٣) صبحتها : سقتها الصَّبوح وهو اللبن يحلب بالغداة . (٤) الصريف : اللبن ساعةَ يُحلَبُ ، وفى الأصل "الصرير" . (٥) العُلَب جمع عُلبة وهى قَدَح ضخمٌ من جلدٍ أو خشب يُحلب فيه . (٦) الحِباء : العطاء ، وفى الأصل "الحياء" .

فلم يَخُنِّى فارسُ الظنِّ ولا ... غَرَّتْنِيَ المَخَايِلُ الشواهِدُ
وبعدُ، لى فيك رجاءٌ ناظرٌ ... الى السماء وحسابٌ زائدُ
حتى يُشَقَّ للزمان رمسُهُ ... وأنت باقٍ والعلاءُ خالدُ
بك ٱستقاد الفضلُ ودماؤه ... مطلولةٌ وعَزَّ وهو كاسدُ
نصرتَهُ والناسُ إمّا جاهلٌ ... بحقِّه أو عارفٌ مُعاندُ
ورِشْتَ من أبنائه أجنحةً ... طار حَصيصا ريشُهُ البدائدُ
تُعطِى وأنت مُعدِمٌ وإنما ... يُعطِى أخوك البحرُ وهو واجدُ
زرعتَ عندى نعمةً سالفةً ... أنت لهذا الشكر منها حاصدُ
عَطفا على ذكرى ووصفا فخرُهُ ... باقٍ علىَّ والزمانُ بائدُ
ونَظَرا بَدأْتَنى برأيه ... لو أن باديه الىّ عائدُ
لكن أردتَ الخيرَ لى ودونه ... حوائلٌ من زمنى حوائدُ
فهل لأرضى لك أن تَبُلَّها ... على الجُدوب سُحْبُك الجوائدُ؟
غَرَسْتُ منك بالولاء والهوى ... غرْسا فماذا أنا منه حاصدُ
أُنظرْ، فقد قدَرتَ، فى مَظْلَمةٍ ... كنتَ على إنصافها تُعاهدُ
وٱقضِ ديونَ المجد فيها وٱرعَ لى ... ما تقتضى الأواصرُ التوالدُ
ولا تكن — حاشاك — من معاشرٍ ... تَخذُلُ أقوالهم العقائدُ
كانوا يدى وريحُهم راكدةٌ ... وأُسرتى والحظُّ عنهم عاصد (١)
فحين هبّت عاصفا رياحُهم ... قلَّ الوفىُّ ونَأَى المساعدُ
غَنّيتُ أَنْ أسكرَنى جفاؤهم ... وفى غِنائى لَهُمُ عَرابدُ (١٢٠)
وبُخلاء لا تُهنّا نعمةٌ ... هُمُ اليها السُّبُلُ والمَقاصدُ

(١) العاصد : الملتوى المنحرف .

اذا كَرُمتَ لؤمـوا سَفارَةً ... وإن قربتَ فهُم أباعـدُ

تُغالِقُ الأرزاقَ أيمانُهُم ... تَضجُّ من مطلِهم المَواعـدُ

لا يُرتجى حُكمُ القريض بينهم ... ولا يُخاف اللّغْوُ والعَرابدُ

وكيف أبغِي فى النَّبيطِ منهُم ... والعُجم أن تنفعَنى القصائدُ

تلافَ بالفضل الوسيع ما جَنَى ... مُسلِمُهم علىّ والمُعاهدُ

حاشاك يشقَى واحدٌ بفضلِهِ ... على زمانٍ أنتَ فيهِ واحدُ

قد طال صونى سمعَك المشغولَ عن ... بثِّك ما ألقى وما أكابدُ

ونَقَبتْ(١) جسمى وقلبى صابرٌ ... من زمنى نيوبُهُ الحدائدُ

ولم يدعْ تحت الخطوب فَضْلةً ... فىّ تدبُّ نحوها الأوابدُ(٢)

وأعوزَ المُقامُ أن أَسْطيعَهُ ... وسُدِّدَتْ عن سيرىَ المَقاصدُ

أيقتُلُ الزمانُ مثلى هَدَرا ... وأنت ثأرى والزمانُ عامدُ؟

أنت بفضلى شاهدٌ فلا أمتْ ... هَزْلًا وتضييعا وأنت شاهدُ

أعدْ — مع الإثقالِ — نحوى نظرةً ... تَنعشنى لحاظُها الردائدُ

لعلّها يا خيرَ مَن يُدعَى لها ... تَصلُحُ شيئا هذه المفاسدُ

وآبتعْ بها الشكرَ فعندى عوَضٌ ... تَضْمنُهُ(٣) القواطنُ الشواردُ

كلّ مطاعٍ أمرُها مسلَّطٌ ... فى الشعر ملقاة لها المَقالدُ

سائرة تنشرها الركبانُ أو ... عامرة بذكرها المَشاهدُ

ترَى الكلامَ عَجُزًا وطَرَفًا ... وكلُّها وسائطٌ فرائدُ

اذا رأتْ عِرضَ كريمٍ عاطلا ... فهى له العقودُ والقلائدُ

---

(١) نقبت : جعلت به نَقْبًا أى خَرْقا .

(٢) الأوابد : غرائب الكلام ويريد بها القصائد .

(٣) فى الأصل " تضمه " .

تحمِـلُ من وصفك ما يحمِـلُهُ ... عن روضة الحَزْن النسيمُ البـاردُ
طالعــة بهـا التهانى أنجمـا ... ما كرَّ نوروزٌ وعيـدٌ عائدُ
يفنى بنــو الدنيـا وأنت مَعَها ... باقٍ على مرّ الزمان خالدُ
تَبـقَ عليك والذى نأخـذُه ... من الجــزاءِ مضمحِلٌ بائـدُ
مَحامِدٌ يحسُـدُك النـاسُ لهـا ... والنـاسُ إما حامدٌ أو حاسـدُ

* * *

وقال يصف دَواةً

وخرقاءَ مُعـرِقةٍ فى الضـلا ... ل شاقك فى القَصد إرشادُها
اذا سُقيتْ فيما أُطعِمَتْ ... مرنَّقــة، ماؤها زادُها
وإن رَشَفَتْ ريقَها ألسُنٌ ... وقاءَتْ ففى القِءِ أكبادُها
تقَطِّع منهـا فـلا تَرعوِى ... وتُعـدَى بها وهى عُـوّادُها
ترى زوجَهـا أبدا فوقهـا ... ومن غيرِهِ جاء أولادُها

* * *

وقال يمدح أهل البيت

بكى النـارَ سَـتْرًا على المَوْقِـدِ ... وغار يغـالطُ فى المُنجِـدِ
أحبَّ وصان فوَرَّى هوًى ... أضـلَّ، وخاف فلم يَنشُـد؟
بعيـد الإصاخة عن عاذلٍ ... غنىٌّ التفـرّدِ عن مُسـعِدِ
حمولٌ على القلب وهو الضعيفُ ... صبورٌ عن المـاء وهو الصَّدِى
وقورٌ وما الخُـرقُ من حازمٍ ... متى ما يَرُحْ شيبُه يغتـدى
ويا قلبُ إن قادك الغانيـاتُ ... فكم رسَنٍ فيك لم ينقـدِ
أفقْ فكأنى بهـا قـد أُمِرَّ ... بأفواهها العـذْبُ من مَوْردى

وسُوِّدَ ما ٱبيضَّ من ودّها ... بما بيّض الدهرُ من أَسودى
وما الشيبُ أولُ غدرِ الزمان ... بَلَى من عوائده العوَّدِ
لَحَا اللهُ حظّى كما لا يجودُ ... بما أَستحقّ وكم أَجتدى
وكم أتعلَّلُ عيشَ السقيم ... أذمِّمُ يومى وأرجُو غدى (١٢١)
لئن نام دهرِى دون المُنَى ... وأصبح عن نَيلها مُقعِدى
ولم أك أحمَدُ أفعالَه ... فلى أُسوةٌ ببنى "أحمدِ"
بخير الورى وبنى خيرِهم ... اذا وَلَدُ الخيرِ لم يُولَدِ
وأكرمِ حىّ على الأرض قام ... ومَيْتٍ توسّد فى ملحَدِ
وبيتٍ تقاصَرُ عنه البيوتُ ... وطال عَلِيًّا على الفرقَدِ
تحومُ الملائكُ من حولِه ... ويُصبحُ للوَحْىِ دارَ النَّدى
ألا سَلْ "قريشا" ولُمْ منهُمُ ... مَن ٱستوجبَ اللومَ أو فنِّدِ
وقل : ما لكم بعد طول الضلا ... ل لم تشكروا نعمة المرشِدِ؟
أتاكم على فترةٍ فٱستقام ... بكم جائرين عن المَقصِدِ
وولَّى حميدا الى ربّه ... ومَن سَنَّ ما سنَّهُ يُحمَدِ
وقد جعلَ الأمرَ من بعده ... "لحيدَرَ" بالخبر المُسنَدِ
وسمَّاه مولَى بإقرارِ مَنْ ... لو ٱتبَعَ الحقَّ لم يَجْحَدِ
فلتم بها — حسدَ الفضل — عنه ... ومن يكُ خيرَ الورى يُحسَدِ
وقلتم : بذاك قضى الٱجتماعُ ... ألا إنما الحقُّ للفردِ
يعزُّ على "هاشمٍ" و"النبىِّ" ... تلاعُبُ "تَيْمٍ" بها أو "عَدِى"
وإرثُ "علىٍّ" لأولاده ... اذا آيةُ الإرثِ لم تُفسَدِ
فمن قاعدٍ منهُمُ خائف ... ومِن ثائرٍ قامَ لم يُسعَدِ

تَسـلَّطُ بغيـا أكفُّ النفا ق منهـم على سـيِّدٍ سـيِّدِ
وما صُرِفوا عن مقام الصـلاةِ ولا عُنِّفوا فى بُنَى(١) المسـجِدِ
أبوهم وأمُّهُـمُ مَن علمـ ـتَ فانقُصْ مَفـاخِرَهم أو زِدِ
أرى الدِّينَ من بعدِ يومِ "الحسين" عليـلًا له الموتُ بالمَرصـدِ
وما الشِّرك لله من قبـله اذا أنت قستَ بمسـتبعَدِ
وما آل "حربٍ" جَنوا إنمـا أعادوا الضـلال على من بُدِى
سيعلم مَن "فاطمٌ" خصمُهُ بأىّ نكالٍ غـدًا يرتدى
وَمَنْ ساءَ "أحمدَ" يا سِبطَهُ فباءَ بقتلك، ماذا يـدى؟
فـداؤك نفسى ومَنْ لى بذا لك لو أن مولًى بعبدٍ فُـدِى
ولَيتَ دمى ماسَقَ الأرضَ منك يقوتُ الرَّدَى وأكون الرَّدِى
وليتَ سَبقتُ فكنتُ الشهيدَ أمامَك يا صاحبَ المَشهَدِ
عسى الدهرُ يَشفِى غدًا من عدا ك قلبَ مَغيظٍ بهم مُكمَدِ
عسى سطوةُ الحقّ تعلو المُحالَ عسى يُغلَبُ النقصُ بالسؤدُدِ
وقـد فعَلَ اللهُ لكنى أرى كبِدى بعـدُ لم تبرُدِ
بسـمعى لقائمكم دعوةٌ يُلبِّى لها كلُّ مسـتنجِدِ
أنا العبـدُ والأكُمُ عَقـدُهُ اذا القـولُ بالقلبِ لم يُعقَدِ
وفيـكم ودادى ودِينى معًـا وإن كان فى "فارسٍ" مولدى
خَصَمْتُ ضلالى بكم فاهتديتُ ولولاكُمُ لم أكن أهتـدى
وجردتمـونى وقـد كنتُ فى يد الشِّرك كالصارم المغمَـدِ
ولا زال شـعرِىَ من نائحٍ(٢) يُنَقَّـل فيكم الى مُنشِـدِ
وما فاتنى نصرُكم باللسان اذا فاتنى نصرُكم باليـدِ

(١) بُنَى جمع بُنْيَة . (٢) فى الأصل "فى" .

* * *

وقال وكتب بها الى الأجلّ العميد أبى منصور بن المزرّع فى رجب سنة تسع وأربعمائة، وقد أحسن له السَّفارة، ووفى بكثير من الشرط فى المودّة

حرِّم عليها نُزُهاتِ الوادى ... وولِّها جوانبَ البلادِ
وغنِّها إنْ طرِبَتْ لصافرٍ ... آذانُها برَهَجِ الجِلادِ
وآسبِقْ بها الى العلا شوطَ الصِّبا ... لعلّها تُعَدُّ فى الجِيادِ (١٢٢)
قد لفظتْكَ هاجدا وقاعدا ... مَكاسرُ البيتِ وحَجْرُ[1] النادى
كم التمادى تطلب العفوَ به؟ ... قد بلغَ الجهدَ بك التمادى
لا بد إن عفت تخاليطَ القذَى ... أن تُخلَطَ الأرجُلُ بالهوادى
ما العزُّ بين الحُجُراتِ كامنا ... ولا الغنَى فى الطُّنْبِ والعِمادِ
تفسَّحى يا نفسُ أو تطوَّحى ... إمّا الردى أو دَرَكُ المُرادِ
إن النفوس فاعلمى إن حُمِلتْ ... مسجونةٌ فى هذه الأجسادِ
خيرٌ من الزاد الوثيرِ والأذى ... أن أنفُضَ الأرضَ بغير زادِ
قد ملَّنى حتَّى أخى وأنكرتْ ... كلابُ بيتى فى الدجى سَوادى
كم أحملُ الناسَ على عِلّاتهم، ... قد جُلِبَ[2] الظهرُ وجُبَّ الهادى
فى كل دارٍ ناعقٌ يخبِطُ فى ... جنبىّ وهو خاطبٌ ودادى
وحالمٌ لى فاذا آستسعدتُه ... فى يوم رَوعٍ مال بالرقاد
يُعجبُه قربى لغير حاجةٍ ... فإن عرَتْ طارَ مع البعادِ
اذا عدمتُ عُدَدى ضحكتُ من ... تبجُّحى بكثرةِ الأعدادِ
أُنسا على ما خيَّلَتْ وخلَبتْ ... بروقُها بوحشةِ آنفرادى

(١) حَجْر جمع حَجْرة وهى الناحية. (٢) جلب: ظهرت به الجلبة وهى القشرة تعلو الجرح.

ما أنا — والحزمُ معى — بآمنٍ شريحتَى(١) صـدرى على فؤادى
قد شَمِتَ النُّقصانُ بالفضـلِ وقد تَسلَّط العجـزُ على السَّـدادِ
فاجفُ الوُصولَ وآهجُ من مدحتَهُ فربّما تُصـلِحُ بالفسـادِ
ولا تخـلْ ودَّ "العميد" منحةً سيقتْ بقصـدٍ أو عن اعتمادِ
لكنّها جوهرةٌ يتيمـةٌ تقـذفها البـحارُ فى الآحادِ
جاءت بها — والوالدات عُقُمٌ — مُقْبـلةً غريبـةُ الولادِ
خلِّ له النـاسَ وبِعْهـم غانيـا به عـلى كثرتهم وفادِ
وحكِّم المجـدَ التليـد فيهمُ وفيـه واسأل ألسنَ الرُّوّادِ
بالأقربينَ الحاضرين منهُـمُ ما غاب من ذاك البعيدُ النـادى
وحبّذا بين بيوتِ "أَسَـدٍ" بيتٌ اذا ضـلَّ الضيوفُ هادى
أَتلعُ طال كَرما ما حـولَه تَشـرُّفَ الرَّبْوِ(٢) عـلى الوِهادِ
مُوضَحـةٌ على ثلاثٍ(٣) نارُهُ إن سَرِفوا(٤) النيرانَ فى الرَّمادِ
بيتٌ وسيعُ البـاب مبلولُ الثرى ممهَّـد المجالسِ رَخصُ الزادِ
إنْ قوَّضَ البيوتَ أصلٌ حائرٌ طُنِّبَ بالآباءِ والأجـدادِ
تُرفَعُ عن "محمـدٍ" سُجوفُهُ جـوانبَ الظلماء عن زنادِ
أبلج يُورِى فى الدجى جبينُـه على خبـوّ الكوكب الوقّادِ
ساد وما حُلَّتْ عُرَى تميمـه بالأطيبَيْن : النفسِ والميـلادِ
وجاد حتى صاحت المزنُ به : أكْرمتَ يا مُبخِّلَ الأجـوادِ
من غِلمةٍ تحاشـدوا على النـدَى تحاشُـدَ الإبلِ على الأورادِ

(١) الشريحة : كلّ سمين من اللحم ممتدّ . (٢) الربو : الرابيـة وهى ما ارتفع من الأرض .
(٣) يريد بالثلاث : الأثافىّ جمع أثفيّة وهى الحجر توضع عليه القدر . (٤) سرفوا : أغفلوا .

ودبّروا المجدَ فسدُّوا ما وَلُوا ... سدَّ السيوف ثُغَرَ الأغمادِ

مشَوا على الدارسِ من طُرْق العلا، ... ويَقتفِى الرائحُ إثرَ الغادِى

يعتقبون دَرَجا ذروتَها ... تعاقُبَ العقودِ فى الصّعادِ

مَثنَى ووُحدانًا الى أن أحدقوا ... بهالةِ البدرِ على ميعادِ

للكَلِم المعتاصِ من سلطانهم ... عليه ما للجحفل المنقادِ

فهم قلوبُ الخيل مثلُ ما هُمُ ... إن خَطَبوا ألسنةُ الأعوادِ

هل راكبٌ؟ وضَمِنَتْ حاجتَهُ ... غضبَى القِماصِ سَمحةُ القيادِ؟

مُطلَقةُ الباعِ، اذا تقيَّدتْ ... من الكَلالِ السُّوقُ بالأعضادِ،

تدرُّ قبل البوّ أو تَطرَبُ من ... مَراحها قبل غِناء الحادى،

لا يُتهِمُ الليلُ عليها فجرَهُ ... ولا يَخافُ عدوةَ العوادى،

لها من الحق العريضِ ما آشتهتْ، ... همَّك فى السرعةِ والإبعادِ،

تَصدُقُها — واللَّحَظاتُ كُذُبٌ — ... عينَا قُطامِىٍّ[1] على مِرصادِ:

بلِّغ — وفى عتابك الخيرُ — إذَن ... تحيةً من كَلِفِ الفؤادِ (١٢٣)

ينفُثُ فيها شجوَه كما آشتفى الـ ... ـمدنَفُ بالشكوى الى العُوّادِ

قُلْ لعميدِ الحىّ بين "بابلٍ" ... و"الطَّفِّ" جادت ربعَك الغوادى

ما آعتضتُ أو نمتُ على البين فلا ... بقلقٍ بتَّ ولا سهادى

أشرقَنى الشوقُ اليك ظامئا ... بالعذْب من أحبابِىَ البِرادِ

ما زارنى طيفُ حبيبٍ هاجرٍ ... إلا آعترضتُ فثنَى وسادى

ولا نسَمتُ البانَ تفليه الصَّبا ... إلا تضوّعتُك من أبرادى

---

(١) القطامىّ : الصقر أو الحديد البصر الرافع رأسه الى الصيد .

والبدرُ يحكيك فيشقَى ناظرى ... حتى كأنّ بِيضَه (١) دآدى

فهل على ماء اللقاءِ بِلَّةٌ ... يُرْوَى بها هذا النزاعُ الصادى ؟

مالك لا تسمحُ بالقربِ كما ... تسمحُ بالمالِ وبالإرفادِ ؟

أنت جوادٌ والنوى مَبخَلَةٌ ... ما أعجبَ البخلَ من الجوادِ !

ملَكتَنى بالودّ والرفدِ معا، ... والرفدُ من جوالبِ الودادِ

وقاد عُنْقى لك خُلْقٌ سامِسُ الـ ... ـجبل على صُعوبة آنقيادى

حملتُ منك اليدَ بعدَ أختِها ... بكاهلٍ لا يحمِل الأيادى

ولم يكن قبلَك من مآربى ... لمسُ يدِ المُجدى ولا من عادى

مَواقفا أعطيتَ فيها مسرفا ... والبحرُ يعطينى على آقتصادِ

فما أذمُّ الحظَّ إلا قمتَ لى ... بمِنةٍ تكسبه أَحمادى (٢)

ولا أنادى الناسَ إلا خِلتُنى ... إياك من بينهم أنادى

ولم تكن نَحْلَبِىٌّ برقُهُ ... لا للحيا آعتنّ (٣) ولا الإرشادِ

يحلِبُ مدحى بلسانٍ ذائبٍ ... مع النفاق ويدٍ جمادِ

ماعرَفَتْ فيه الندى "طىٌّ" ولا ... أغناه شيخُ البيتِ فى "إيادِ"

يدخُلُ فى مجدِ الكرام زائدا ... غبينةَ الأنسابِ فى "زيادِ"

تسلَّطَ البخلُ على جَنابِهِ ... تسلُّطَ الخُلْفِ على الميعادِ

لَتعلَمَنّى شاكرا مجتهدا ... إن هو كافا (٤) عفوك آجتهادى

بكلِّ مغبوطٍ بها سامعُها ... كثيرة الأحبابِ والحسّادِ

مصمَّت لها الندىٌّ، واسع ... نصيبَها الضخمَ فمُ الإنشادِ

---

(١) بيضه أى لياليه البيض والدآدىء تقدّم شرحها . (٢) أحماد جمع حمدٍ . (٣) اعتنّ : ظهر وآعترض . (٤) يريد "كافأ" .

غريبـــة حتى كأنْ ما طُبِعَتْ ... من طِيبِ هذا الكَلِمِ المُعتادِ
ترفَعُها عنايتي عن كُلْفة الـ ... ـلفـــظِ ومعنى الغارة المُعادِ
تغشاك إما بالتهانى بالعـــلا ... أو التهادى بُكرةَ الأعيادِ

* * *

قال وكتب بها الى الأمير أبى الذوّاد المفرّج بن علىّ بن مَزْيَد أخى نور الدولة دُبَيْس ، يمدحه و يصف ملاقاته للأسـد وظفره به ، وقد أطال سؤاله فى ذلك ، وأنفذها فى شهر ربيع الآخر سنة تسع عشرة وأربعمائة

بعينيك يومَ البينِ غَيْبى ومَشهَدى ... وذلُّ مَقامى فى الخليط ومقعَدى
وقَوْلى ـ وقد صاحوا بها يُعجلونها ـ : ... نَشَدتكُمُ فى طارقٍ لم يزوَّدِ
أناخ بكم مستسقيا بعضَ ليلةٍ ... ولم يدْرِ أن الموتَ منها ضحى الغد
أتحمون عن عضّ الضراغم جاركم ... ويقتُلُنى منكم غزالٌ ولا يدى ؟ (١)
ومازلتُ أبكى كيفَ حُلَّت "بحاجرٍ" ... قُوَى جَلَدى حتى تداعَى تجلُّدى
وعنّفنى "سعدٌ" على فرط ما رأى ... فقلتُ : أتعنيفٌ ولم تكُ مسعدى ؟
أسفتُ لحلمٍ كان لى يومَ "بارقٍ" ... فأخرجه جهلُ الصبابة من يدى
وما ذاك إلا أن عجِلتُ بنظـــرةٍ ... قَتلتُ بها نفسى ولم أتعمّـــدِ
تحرَّشْ بأحقاف "اللوى" (٢) عُمرَ ساعةٍ ... ولولا مكانُ الريب ، قلتُ لك : آزدد
وقل صاحبٌ لى ضلَّ "بالرمل" قلبُهُ ... لعلّك أن يلقاك هادٍ فتهتـــدى
وسلِّمْ على ماءٍ به بَرْدُ غُلّتى ... وظلِّ أراكٍ كان للوصل مَوعدى
وقل لحَمام "البانتين" مهنّئا : ... تغنَّ خليًّا من غرامى وغَرِّدِ
أعنـــدكُمُ يا قاتلينَ بقيَّـــةٌ ... على مهجةٍ إن لم تمتْ فكأن قَدِ ؟ ١٢٤

(١) لايدى : لايدفع الدِّية . (٢) أحقاف جمع حِقْف وهو ما آعوجّ من الرمل وآستطال .

ويا أهل "نجدٍ" كيف بالغور عندكم ... بقاءُ تهامىٍّ يهيم بمُنجد؟
ملكتم عزيزا رقُّه فتعطّفوا ... على مُنكرٍ للذلّ لم يتعوّد
أغدرا وفيكم ذمّةٌ عربيّةٌ ... وبخلا ومنكم يستفادُ ندى اليد؟
فليت وجوهَ الحىّ أعدتْ قلوبَهُ ... ففجّرَ لى ماءً بها كلُّ جلمد
وليتكُمُ جيرانُ "عوفٍ" تلقّنوا ... خلالَ الندى والجودِ من "آل مَزيَد"
من الضيّق الأعذارِ والواسعى القِرَى ... اذا ما "جُمادى" قال للّيلة: آبرُدى
ولفّ على خيشومِه الكلبُ مُقعيا ... يرى الموتَ إلا ما آستغاث بمَوقد
وشدّ يديه حالبُ الضَّرع غامرا ... على مُصفِرٍ (١) قد مسّه الجدبُ مثمِد (٢)
وباتَ غلامُ الحىّ يُسند ظهرَه ... من النَّضد (٣) الواهى الى غيرِ مُسند
هنالك يأوِى طارقُ الليل منهُمُ ... الى كلّ رطْبٍ مُثمِرِ النبتِ مُزيِد (٤)
كريم القِرى والوجهِ ملءِ جفانِه ... رحيبِ الرواقِ مُنعمِ العيش مُرفِد
قليل على الكُوم الصفايا حنوُّه ... اذا السيف ردَّاهنَّ للساقِ واليد
كمثلِ "أبى الذوّادِ" لا متعلِّلٍ ... اذا سُئل الجدوَى ولا بمُنكِّد
فتًى، بيتُهُ للطارقين، وسيفُهُ ... لهامِ العدا، والمالُ للمتورِّد
ويوماه إما لاصطباحِ سُلافةٍ ... تُصفَّقُ أو داعى صياحٍ ملدَّد
وفَى بشروطِ المُلك وهو آبن مَهدِه ... وسُوِّدَ فى خيط التميم المعقَّد
وجادَ على العلّات والعامُ أشهبٌ ... بأحمرَ من خير الرحابِ وأسودِ
ولم تحتبسه عن مساعى شيوخه ... سِنُوه التى حلّته حِليَة أمردِ
أناف بجَدَّيه وأسندَ ظهرَهُ ... الى جبلين من "عفيفٍ" و"مَزْيَد"

(١) المصفر: المفتقر. (٢) المثمد: القليل الماء. (٣) النضد: السرير.
(٤) المزيد: المتوّر، وفى الأصل "مزيد".

له فى ملوك الشرقِ والغربِ منهُمُ نجومُ السماءِ من ثريًّا وفرقدِ
أيارا كبَ الوجناءِ يخبط ليلَه على الرزق لم يقصد ضلالًا لمقصدِ،
ترامت به الآفاقُ ينشُدُ حظَّه فلم يُعطِه التوفيقُ صفحةَ مُرشِدِ،
أنخها تُفرِّجْ همَّها "بمفرِّجٍ" وطلِّق شقاءَ العيش من بعدُ وآسعدِ
وَرِدْ جَمّةَ الجودِ التى ما تكدَّرتْ بمَنٍّ وردْ ظلَّ المنى المورِقِ النَّدِى
وبِتْ فى أمانٍ أن يسوءَك ظالمٌ علَتْ يدُهُ أو أن تُراعَ بمعتدِى
حَماك "أبو الذوَّادِ" مالكُ أمرِهِ على كلّ حامٍ منهُمُ ومذوِّدِ
أخو الحرب إقا مُحمِدٌ يومَ أُوقِدتْ وإقا شَبوبٌ نارَها غير مُخمِدِ
له الخطوة الأولى اذا السيف قصَّرتْ به ظبتاه فهو يوصل باليدِ
اذا ٱبتدر الغاراتِ كان سهامُها له من قتيلٍ أو أسيرٍ مصفَّدِ
خفيف أمام الخيلِ رسغُ جوادِهِ اذا الخوفُ أقعَى بالحصانِ المعرِّدِ
ولما كفى الأقرانَ فى الرَّوع وٱرتوتْ صوارمُهُ من حاسرٍ ومسرَّدِ(١)،
تعرَّضَ للأُسدِ الغِضابِ فلم يدعْ طريقا لذى شِبلين منها ومُفرَدِ
حماها الفريسُ أن تُطيفَ بأرضه وشرَّدَها عن غابها كلَّ مَشرَدِ
وهانتْ فصارتْ مُضغةً لسلاحه ممزَّقةً فى صَعدةٍ أو مُهنَّدِ
ويومَ لقيتَ الأدرعَ الجهم(٢) واحدا جرى مُلبِدٌ يشتدُّ فى إثر مُلبِدِ
نَصبتَ له لم تستعن بمؤازرٍ عليه ولم تُنصَر بكثرةِ مُسعِدِ
وقفتَ وقد طاش الرجالُ بموقفٍ متى تمثَّلْه الفرائصُ تُرعَدِ

(١) الحاسر: من لا مِغفَر له ولا درع، والمسرد: لابس السَّرْدِ وهو الدرع. (٢) الأدرع الجهم: الهجين العابس.

فأوْجرتُه[1] نجـــلاءَ أبقتْ بجنبه ... فُتوقا اذا ما رُقِّعتْ لم تُسَـــدَّدِ
تَحـــدَّرُ منها لَبَّتـــاه وصـــدرُهُ ... على ساعدٍ رِخوٍ وساقٍ مقيَّـــدِ
فلم تُغنِـــهِ إذ خان وثبـــةُ غاشمٍ ... ولم ينتقذه منك إقعاءُ مُرصـــدِ
رأى الموتَ فى كفَّيكَ رأْىَ ضرورةٍ ... فأوردَ منـــه نفسَه شرَّ مَوْرِدِ
وأحرزتَهـــا ذكرا يخصُّـــك فخرُهُ ... تَناقَلُه الأفواهُ فى كلِّ مَشـــهَدِ
جمعتَ الغريبيْن: الشجاعةَ والنَّدَى ... وما كلُّ مُرْدٍ للكُماةِ بمُرفِـــدِ
وقمتَ بإحكام الســـيادةِ ناظما ... عُراها فما فائتك حُلَّةُ ســـيِّدِ
أتانى من الأنبـــاء أنك مغـــرمٌ ... بفضلِ مديحى عارفٌ بتوحُّدى
حبيبٌ اليك أن تُزَفَّ عرائسى ... عليك تَهادَى بين شـــادٍ ومُنشِدِ (١٢٥)
متى ما تَجِـــدْ لى عنـــد غيرك غادةً ... مخـــدَّرةً تَغبِطْ عليهـــا وتَحسُدِ
فقلتُ: كريمٌ هزّه طيبُ أصله ... وواحدُ قومٍ شاقه مـــدحُ أوحدِ
وليس عجيبا مثلُها عنـــد مثلِهِ ... اذا هبَّ يقظانا لهـــا بين رُقَّدِ
فأرســـلتُها تُلقِى اليـــك عنانَهـــا ... وغـــيرُك أعيتْـــه فلم تتقـــوَّدِ
لها فارسٌ من وصفِ مجدك دائسٌ ... بأرساغِها ما بين طَودٍ وفدفـــدِ
يرى كلَّ شىء فانيـــا ورداؤه ... على عُنْقِ باقٍ فى الزمان مخـــلَّدِ
متى تَجزِها الحسنَى بحقِّ ابتـــدائها ... تَزُرْكَ بعينٍ تملأ الســـمعَ عُوَّدِ
فوفِّرْ على عجـــز البُعول صَـــداقَها ... وعرِّسْ بها أمَّ البنين وأولدِ
وصُنْها وكرِّمْ نُزْلَهـــا إنّ بيتَهـــا ... كبيتك فى أُفْق السماء المشـــيَّدِ
وكن "كعلىٍّ" أوفكن لى "كثابتٍ" ... وفاءً وإعطاءً وإنْ شئتَ فازددِ

(١) أوجرته: طعنته، وفى الأصل "أوخزته".

* * *

وقال وكتب بها الى الأجلّ عميد الرؤساء أبى طالب محمّد بن أيّوب يمدحه ويهنّئه بالمهرجان الواقع فى شعبان سنة ثمان عشرة وأربعمائة

أمنها — على أنّ المزارَ بعيدُ — خيالٌ سَرَى والساهرون هُجودُ؟

طوى "بارقا" طىَّ الشجاعِ "وبارقٌ" خِطارٌ يفلُّ القلبَ وهو حديدُ

يجوبُ الدجى الوحشىَّ والبيدَ وحدَهُ فكيفَ وكِسرُ البيتِ عندك بِيدُ!

نعم! تُحمَلُ الأشواقُ والعيسُ ظُلَّعٌ ويَمشِى الهوى والناقلاتُ قُعودُ

وتتّسع البلوى فيمضِى مصمِّما جبانٌ عن الظلِّ الخَفوقِ يحيدُ

من المبلغى؟ — والصدقُ قصدُ حديثِهِ — وفى القول غاوٍ نقلُهُ ورشيدُ،

عن الرمل "بالبيضاءِ": هل هِيلَ بعدنا وبانِ "الغضا": هل يستوى ويميدُ؟

وهل ظبياتُ بين "جَوٍّ" "ولعلعٍ" تمرُّ على وادى "الغضا" وتعودُ؟

سوانحُ للرامين، تَصطادُ مثلَها وحوشُ الفلا، وهى الرماةَ تَصيدُ

ويوم "النقا" خالفنَ منّا فعاذلٌ خلىٌّ ومعذولُ الغرامِ عميدُ

سفكنَ دَمًا حُرًّا وأهونُ هالكٍ دمٌ حكمتْ عَيْنٌ عليه وجِيدُ

حملن الهوى منّى على ضُعف كاهلٍ وهَى، وتقولُ الحاملاتُ: جليدُ

تطلعتِ الأشرافَ[1] عينى ريادةً لقلبى سفاها والعيونُ ترودُ

وما علمتْ أنّ البدورَ "برامةٍ" وجوهٌ ولا أنّ الغصونَ قدودُ

وقالوا: غدًا ميقاتُ فُرقةِ بَينِنا فقلتُ "لسعدٍ": إنه لوعيدُ

غدًا نعلنُ الشكوى، فهل أنت واقفٌ تسائلُ حادى الركبِ: أين يريدُ؟

وهل تملك الإبقاءَ أو تجحد الهوى ووجهُك قاضٍ والدموعُ شهودُ

(١) الأشراف جمع شَرَف وهو: ما شَرُف وارتفع من الأرض.

وقد كنتُ أبكى والفـراقُ دَعَا بِهِ (١) دلالٌ أدارِى عطفَـه وصـدودُ
فما أنا من بَينٍ رجاءُ إيابِهِ وعـودٌ (٢) تُقَضَّى دونه وعهـودُ
هل السابق الغضبانُ يملكُ أمرَه ؟ فما كلّ سير اليعملاتِ (٣) وخيدُ !
رويدا بأخفافِ المطىّ فإنما تداسُ جباهٌ تحتها وخـدودُ
عذيرى من الآمال أمَّا ذراعها فرحبٌ وأمَّا نَيْلُها فزهيـدُ
يُرينك أنّ النجمَ حيثُ تحطُّـه وأنّ زمامَ الليث حيث تقـودُ
ودون حصاة "الرملِ" إن رُمتها يدٌ دفوعٌ، وسهمٌ للزمان سـديدُ
سقَى الناسَ كأسَ الغدرِ ساقٍ مُعدِّلٌ متى يُبْدِ قبلَ السكر فهو معيـدُ
فمستـبردٌ يهـنَى بأولِ شربةٍ ومستكثرٌ يثـنى له ويزيدُ
ونَحَّى "ابنَ أيّوبٍ" فأصبح صاحيًا وفاءٌ عريقٌ فى الوفاءِ تليـدُ
فلو لم يُبرِّزْ يومَ كلِّ فضيلةٍ كفَى أنه يومَ الحِفاظِ وحيدُ
حـوانى وأيّام الزمان أراقمٌ وهَبهَبَ عنّى والخطوبُ أسـودُ
ولبَّى دعائى والصـدَى (٤) لا يُجيبنى بيقظتِـهِ والسامعون رُقـودُ
وأنهضَنى بالدهر حتى دفعتُـه وجانبُـه وعْرٌ علىّ شـديدُ
وقد قعدتْ بى نُصرةُ اليدِ أختَها وقُلِّصَ عنى الظـلُّ وهو مديدُ
تكفَّلَ لى بالعيشِ حتى رعيتُـهُ على وخَـمِ الأيّام وهو رغيـدُ
وأطلقَ من ساقَىَّ حتى أنافَ بى على أَرَبِى والحادثاتُ قُيـودُ
فما راعنى من عقّنى وهو واصـلٌ ولا ضرّنى من غابَ وهو شهيدُ

(١) فى الأصل "دعابةٌ" . (٢) فى الأصل "عهود" . (٣) اليعملات جمع يعملة وهى الناقة النجيبة المطبوعة على العمل . (٤) الصدى : رجوع الصوت وترديده .

من القوم مدلولٌ على المجدِ واصلٌ ... اذا ضلَّ عن طُرقِ العلاء بليدُ

عتيقُ نجارِ الوجهِ أصيدُ صرَّحتْ ... به عن صفاياها غَطارِفُ صِيدُ

كرامٌ تُضيءُ المشكلاتُ برأيهم ... ويُنظَمُ شملُ المجدِ وهو بديدُ

يَسُودُ فتاهم فى خيوطِ تميمِهِ ... ويشأَى(١) كهولَ الناس وهو وليدُ

إذا نزلوا بالأرضِ غبراءَ جعدةً ... أماهَ(٢) حصًا فيها وطابَ صعيدُ

كأنَّ نصوعَ الروض حين تسحَّبتْ ... مآزرُ منهم فوقَها وبُرودُ

سخا بهمُ أنَّ السخاءَ شجاعةٌ ... وشجّعهم أنَّ الشجاعةَ جودُ

لهم بابنهم ما للسحابة أقلعتْ ... من الروض يومَ الدَّجْنِ وهو صَخودُ(٣)

وماغابَ عن دارِ العلا شخصُ هالكٍ ... مضَى وبنوه الصالحون شُهودُ

"أبا طالبٍ" لايُخلف الفخرُ دوحةً ... وأنتَ لها فرعٌ وبيتُك عُودُ

بَغَى الناسُ أدنَى ما بلغتَ فطُيِّرتْ ... رياحُك عَصفًا والبُغاةُ رُكودُ

وشالَ بكَ القِدحُ المعلَّى وحطَّهم ... وليس لهاوٍ بالطباعِ صعودُ

فلوكلَّمتْك الشمسُ، قالتْ: لحِقتَ بى ... علاءً وإشراقا، فأينَ تريدُ؟

أقرّ لك الأعداءُ بالفضلِ عَنوةً، ... ومعترِفٌ من لم يسَعْهُ جُحود

وكيف يُمارِى فى الصباحِ معاندٌ ... وقد فَلَقَ الخضراءَ منه عمودُ؟

تسمَّعْ من الحسادِ وصفَك واغتبطْ ... فأعجبُ فضلٍ ما رواه نديدُ

وإن نَكَلوا شيئا فإن فصاحتى ... وراءك كنزٌ فى الكلام عتيدُ

وبين يدَىْ نُعماك منّى حميَّةٌ ... لها مَدَدٌ من نفسها وجُنودُ

اذا رامحتْ حربًا رأيت كماتَها ... تلاوَذُ من أطرافها وتَحيدُ

---

(١) يشأى: يسبق. (٢) أماه: كثر ماؤه. (٣) الصَّخود: الشديد الحرّ.

أذودُ بها عن سَرح عِرضك كلّما تطلَّعَ فيه للفريسةِ سِيدُ (١)
اذا نَشَطتْ من عُقلةِ الفكرِ أرسلتْ بها طَلِقاتٍ وثْبُهنّ شُرودُ
مطايا لأبكار الكلام اذا مشى على حسكِ (٢) السَّعدانِ (٣) منه رديدُ
نطقتُ بها الإعجازَ فالمؤمنون لى على دِينها بين الجِنانِ خُلودُ
ويحسدنى قومٌ عليها وحظُّها شقٌّ وحظّ المقرفاتِ سعيدُ
تمنَّوا على إخصابهم جدبَ عيشها وأنهُمُ خُصُّوا بها وأُفيدوا
ولم أحسبِ البلوى عليها مُزاحِمٌ ولا أنَّ ضنكَ العيش فيه حسودُ
لها النسبُ الحرُّ الصريحُ، اذا طغت عليك إماءٌ غيرها وعبيدُ
يزورك منها — والنساءُ فوارِكٌ — كواعبُ تُصْفيك المودّةَ غِيدُ
لهنّ جديدٌ من نوالك كلّما أتى طالعا يومٌ بهنّ جديدُ
ففى كلّ يومٍ مهرجانٌ مقلَّدٌ بهنّ ونيروزٌ لديك وعيدُ

* * *

وقال يمدحه أيضا وكتب بها اليه فى المهرجان الواقع فى سنة عشرين وأربعمائة وفيها نبذة من المعاتبة

تمنَّاها بجهلِ الظنِّ "سعدُ" وما هى من مطايا الظنِّ بعدُ
وخالَ ظهورَها قُعُدا ليانا فرحَّلَ وهى مُزلِقةٌ تكُدُّ
وراوحَها القِعابَ (٤) ليعتشيها (٥) فضرعٌ زلَّ أو خِلفٌ يَنِدُّ

---

(١) السِّيد : الذئب . (٢) الحسك : الشوك . (٣) السّعدان نباتٌ من أفضل مراعى الغنم له شوك ، وفى المثل "مَرعًى ولا كالسّعدان" . (٤) القعاب جمع قَعْب وهو القدح الضخم يُحلب فيه ، وفى الأصل "العتاب" وهو تحريف . (٥) فى الأصل "لتغتشيها" ولم نعثر لها على تفسير يتفق ومعنى البيت .

براثنُ أَوْسَقَتْهُ دما صبيبا ... وفى قومٍ لها أَقِطٌ(١) وزُبدُ
لعلّك "سعدُ" غرَّك أن تراها ... على الجمراتِ(٢) تأكلُ أو تَرُدُّ
وأنّ العامَ أخلفها فجاءتْ ... حبائلَ فى حبائلها تُمَدُّ
مفلَّلةً(٣) على الأعطانِ فوضَى، ... هبيتَ تظنُّ أنّ الفَلَّ(٤) طردُ
وما يُدريكَ من يَحمِى حماها ... ويحضُرُ(٥) ذائدا عنها ويَبدو(٦)
وإنّ وراءها لقَنًا تَلظَّى ... وأسيافًا وألسنةً تُحَدُّ (١٢٧)
ومنتقصَ الطبائعِ إن أخيفت، ... لَشَدُّ الأُسْدِ أهونُ ما يَشُدُّ
اذا صاح الإباءُ به تنزَّى ... يُطيع النيطَ أغلبُ مستبِدُّ
ومشحوذا! من الكَلِم المصفَّى ... به الأعراضُ تُفرَى أو تُقَدُّ
اذا عصَبَ اللّهاةَ الريقُ فاضت ... دوافقُ منه واديها مُمَدُّ
تحاشَدُ "يَعْرُبٌ" إن قال: نصرا ... وتغضَبُ بالطباعِ له "مَعَدُّ"
فما لك — لا أبا لك — نتّقيها ... وفيها السيفُ والخصمُ الألدُّ
طغَى بك أنْ ونَتْ عنك القوافى ... وخلّفَ فُتورها دأبٌ ووخْدُ
لئن دَرِدَتْ فلا يَغررْك منها ... أراقمُ يزدرِدنَ وهنّ دُرْدُ
وإن نأت البلادُ برافديها ... فقومٌ آخرون لها ورِفْدُ
ولم يَقعُدْ عن المعروف جُندٌ ... من الكرماء إلا قام جُندُ
وكم من حاضرٍ دانٍ كفانى ... رجالا لَفَّهُمْ سَفَرٌ وبُعدُ
ولم أعدَمْ نوالَهُمُ ولكن ... وجوهٌ بعدَها ألمٌ ووجدُ

---

(١) الأقط: الجبن المتّخذ من اللبن الحامض. (٢) الجمرة: ما يفيض به البعير فيأكله ثانية. (٣) مفللة: مهزومة. (٤) الفلّ: الانهزام. (٥) يحضر: أقام بالحضر. (٦) يبدو: ينزل البادية.

سقى الله "ابنَ أيوبٍ" سماءً ... تروح سحابُها ملأَى وتغدو
وإلا ماءُ خـديه حياءً ... وإلا خـلّةٌ منـه وودُّ
وأىّ خلالِه كرمًا سقاه ... كَفَى وسقَى نميرٌ منـه عِدُّ
أخوك فلا تغيّره الليالى ... اذا لم يُرعَ عند أخيك عهدُ
ومولاك الذى لا الغُلُّ[1] يسرى ... به ظَهْرًا ولا الأضغانُ[2] تحدو
تَضَيَّفْهُ وأنت طريدُ ليلٍ ... رمى بك فيه إقتارٌ وجهدُ،
وقد ألقت بكلكلها "جُمادَى"[3] ... لخيط سمائها حلٌّ وعَقْدُ،
وهبَّتْ من رياح "الشامِ"[4] صرٌّ ... عسوفٌ[5] لم تَرضها قطّ "نجدُ"،
وأبوابُ البيوت مقرّناتٌ[6] ... فلا نارٌ ولا زادٌ مُعَدُّ،
تجِدْ وجهًا يضىء لك الدياجى ... كأنَّ جبينَه فى الليل زَندُ
وكفًّا تهرُبُ الأزماتُ منها ... تَرَقرقُ سَبْطةً والعامُ جَعدْ
وبِتْ وقِراك مَيسَرةٌ وبِشرٌ ... وزادُك نُخبةٌ وثراك مَهدُ،
تمامَ الليلِ وآغدُ بصالحاتٍ ... من الأخلاق إن تَرَكَتْك تغدو
شمائلُ أصلُها حَسَبٌ وخِيرٌ[7] ... وزهرةُ فعلِها كرمٌ ومجدُ
تقلّبُها أبًا فأبًا مؤدٍّ ... كما أخَذَ الغلا إرثا يُرَدُّ
تَتِمُّ به اذا حُسِبَ المساعى ... عن الآباءِ عِدَّةُ ما يُعَدُّ
تفرَّدَ بالمحاسن فى زمانٍ ... تنكَّرَ أن يقالَ : البدرُ فردُ

---

(١) فى الأصل "الغيل". (٢) فى الأصل "الأظعان"، وقد رجحنا كلمتى "الغل والأضغان" ليستقيم معنى البيت، ومعناه : أن مولاك من لا يتخذ الحقد ظهرا يركبه ولا يحدوه الضغن فينساق أمامه لاقتراف الشرّ والأذى. (٣) يقال للشتاء عند العرب : جمادى. (٤) الصرّ : الريح الشديدة الصوت والبرد (٥) العسوف : التى تمرّ فلا يثنيها شىء. (٦) مقرّنات : مشدودة بالحبال كناية عن إحكام إغلاقها، وفى الأصل "مقرّمات". (٧) الخير : الشرف والأصل.

وجاراه على غَرَرٍ رجالٌ ... لهم شدٌّ وليس لهم أشُدُّ
فقصَّر كلُّ منتفخٍ هجينٍ ... ومرَّ أقبُّ[1] يطوِى الشوطَ نهدُ[2]
ثقيلٌ والحلومُ مشعشعاتٌ ... نصيعُ العِرض والأعراضُ رُبْدُ
ملكتُ به المنى وعلى الليالى ... ديونٌ بعدُ لى فيه ووعدُ
وكان نوالُ أقوامٍ ضمانا ... أسوَّفه وجودُ يديه نَقْدُ
أحدَّ بنصره نابَىَّ حتّى ... فَرَسْتُ به الخطوبَ وهنَّ أُسْدُ
وعاد أشلَّ كفُّ الدهر عنّى ... بأنك[3] لى به سيفٌ وزندُ
فلا يعدَمْك معتمرٌ[4] غريبٌ ... له بك أسوة[5] : صَبْرٌ وحَشْدُ
ولا يَفْقِدْك منّى مستضىءٌ ... بهَدْيِك فى الظلام وأنتَ رُشْدُ
وردَّ عليك رائحةً ثنائى ... عزائبَ[6] مثلُها لك يُستَرَدُّ
خمائصَ أو يَجِدنَ اليك مرعًى ... خوامسَ[7] أو لهنَّ نداك وِرْدُ
حواملَ من نتاج الجود ملء الـ ... ـجيوب فمالُها شكرٌ وحمدُ
من الكلم الذى إن كان حدٌّ ... لغاياتِ الفصاحة فهو حدُّ
سبقتُ به المقاولَ[8] مستريحا ... ففتُّهُمُ وقد نَصِبوا وكدُّوا
تكرُّ عليك واحدةً ومَثنَى ... بهنّ وفودُها ما قام "أُحْدُ"
ليوم المهرجان وكان عُطْلًا ... وشاحٌ من فرائدها وعِقْدُ
سلبتُ الناس زينتَها ضنينا ... بها وبرودُها لك تَستجِدُّ
وأعتقنى من الحِرص آقتناعى ... بما تُولِى، ومَولى الحرصِ عبدُ

(١٢٨)

(١) الأقبّ : الفرس الدقيق الخصر الضامر البطن . (٢) النهد : الفرس الحسن الجميل .
(٣) فى الأصل "بآية" . (٤) المعتمر : الزائر والقاصد للشىء . (٥) الأسوة : ما يتأسى به الحزين . (٦) العزائب : الإبل تبعد عن المرعى ، وفى الأصل "غرائب" .
(٧) الخوامس : الإبل ترعى ثلاثة أيام وترد الرابع . (٨) المقاول جمع مِقول وهو الفصيح المبين .

❖ ❖ ❖

وقال يهنئ كمالَ الملك أبا المعالى بن أيّوب بالمهرجان ، ويستوحش لبعد غيبته ، وأنفذها اليه

أمكنتِ العاذلَ من قِيادِها ... فانتزع الرحمةَ من فؤادِها

ولوّنت أخلاقَها فقد غدا ... بياضُها يشِفُّ عن سوادِها

والغانياتُ عَطفةً وصدْفةً[1] ... يُجنَى لك الحنظلُ من شِهادِها[2]

لا يملأُ الراقدُ من أحلامِه ... إلا كما يملك من ودادِها

أعلقُ ما كنت بها طماعةً ... أنصلُ ما تكونُ من إسعادِها

متى تُكلَّف من وفاء شيمةً ... تعدْ الى شيمتها وعادِها

آهِ على الرقّةِ فى خدودها ... لو أنها تسرى الى فؤادِها

"بالبان" لى دَيْنٌ على ماطلةٍ ... يميس غصنُ البان فى أبرادِها

سلّطتِ الوجدَ على جوانحى ... تسلُّطَ الخُلفِ على ميعادِها

يا طَرَبا لنفحةٍ "نجديّةٍ" ... أعدِلُ حرَّ القلبِ باستبرادِها

وما الصَّبا ريحىَ لولا أنها ... اذا جرت هبَّتْ على بلادِها

قل لمُحيِض العيسِ[3] أغباسِ[4] السُّرَى ... تأكلُ عَرضَ البيدِ فى إسآدِها[5]

موائرا ترى السَّلامَ[6] رمَضا[7] ... بينَ سُلامَاها[8] الى أعضادِها

ذُبالُها تحت الدجى عيونُها ... لا تستشير النجمَ فى رَشادِها

تبغِى الندَى وأين من مُرادِه ... طىُّ الفلا وأين من مُرادِها

(١) الصدفة : الإعراض والصدّ ، وفى الأصل "صرفة" . (٢) الشِّهاد جمع شَهْد وهو عسل النحل . (٣) العيس : الكرام من الإبل . (٤) أغباس جمع غَبَس وهو ظلام الليل ، وفى الأصل "أعناس" . (٥) الإسآد : السير طول الليل . (٦) السلام : شجر . (٧) الرمض : حرقة الحرّ . (٨) السُّلامى : عظم فى فِرْسِن البعير أو عظامٌ صغارٌ طول إصبع أو أقلّ فى اليد والرجل .

عِنْدَكَ روضٌ وسحابٌ مغدِقُ إن صدَقَتْ عينُك فى ٱرتيادِها
أيدى بنى "عبدِ الرحيم" أبحرٌ أعذبَها اللهُ على وُرّادِها
أيدٍ تَساوَى الجودُ فيها فٱكتفَى أن يسألَ المُعْتامُ(١) عن أجوادِها
سلالةٌ من طينةٍ واحدةٍ مجموعُها يوجَدُ فى آحادِها
إرْمِ بهم على الليالى تَنتصِفْ بهِمْ على ضعفِك من شِدادِها
وشِمْهُمُ على الخطوب تَنْتضِلْ(٢) بيضَ "السُّرَيْجِيّاتِ"(٣) من أغمادِها
أُنظرْ اليهم فى سماواتِ العلا مرفوعةً منهم على عِمادِها،
ترَ النجومَ الزُّهرَ من وجوههم ثابتةَ السعودِ فى أوتادِها
لهم سناها ثمّ ما ضرّهُمُ نقصانُ ما يَكثُر من أعدادِها
أسرةُ مجدٍ شهِدَ الفضلُ لما عُقِّبَ عنها بعلا أشهادِها
حسبُك من آياتها دلالةً أن "كمالَ الملك" من أولادِها
حَيِّ وقرِّبْ غُرّةً أبيّةً كان النوى يألَمُ من بعادِها
ما سكنَتْ أرضٌ الى حضورِها إلا بكتْ أخرى على ٱفتقادِها
تودُّ حبّاتُ القلوب أنها — ما سافَرتْ — تكون من أرفادِها
عاد الى الدولة ظلُّ عزّها وقرّت الأرواحُ فى أجسادِها
وٱمتلأتْ من شُهبها أفلاكُها وضُمّت الغيلُ على آسادِها
يخطبُها قومٌ وفى حِبالكم نكاحُها وهم بنو سِفادِها
يا عجزَ من يطمعُ فى قنيصِها والليثُ جثّامٌ على مِرصادِها
أنت لها بعدَ أبيك ثُغرةٌ غيرُك لا يكون من سِدادِها

(١) المعتام : المختار . (٢) تنتضل : تجرّد . (٣) السريجيات : السيوف المنسوبة الى قين آسمه سريج .

وجهُـك فى ظلمائها سراجُها ... وكفُّك الذائبُ فى جَمادِها
صدعتَ بالفضـلِ وكنتَ معجِزا ... تُطيعُك النفـوسُ باجتهـا ِها
وأذعنتْ طـائعـةً مختـارةً ... بميلها إليـك وٱنقيـادِها
إن ضلَّت الآراءُ باجتماعها ... كفتْك آراؤك بانفـرادِها
أو عُبِـدَتْ أموالُ قـومٍ، شَرُفَتْ ... نفسُـكَ أن تكون من عُبَّـادِها
كفتْكَ كسبَ العـزّ نفسٌ حرةٌ ... أحرزتِ العـزّةَ من ميـلادِها
وقدّمتك — فاجتُبيتَ سيِّدا — ... أرومـةٌ طرفُك من تلادِها
(١٢٩) تُعـدِى معاليها الى أبنـائها ... على زمان "هودِها" و"عادِها"
لكم قُـدامَى الأرضِ أو سُـلافُها ... كنتم رُبًّا والنـاسُ فى وهادِها
وجمّـةُ الملك تجِـمُّ لكُـمُ ... ما طاب وٱسـتَغزَرَ من أورادِها
اذا نطقتم سـكتَ النـاسُ لكم ... على قُوَى الأنفـاسِ وٱمتـدادِها
كأنما ألسـنُكم لهاذمٌ(١) ... على القنـا تُشرَع فى صِعادِها
ميمـونةُ النُّقْبـة(٢) أين وُجِّهَتْ ... حَلّاتِ المزنُ عُرى مزادِها
وإن سُـئلتم لم تَروا أموالَكم ... ناميـةً إلا عـلى نفـادِها
هَنَـا المعالى منـك يا خيرَ أبٍ ... يُكنَى بهـا جمعُـك من بدادِها
ذاك، وسلْ مذ غبتَ عن نفسى وعن ... ضراعـةٍ لم تكُ فى ٱعتيـادِها
ونَبـوَةِ الأعين عـنّى فيكُمُ ... كأننى صُـيِّرتُ من سُهادِها
أخَّرتُ نفسى بل قعدتُ حَجْـرةً(٣) ... مزمِّـلا بالذلّ فى بِجـادِها(٤)
مخفِّضا قـولى متى قيـل : صَهٍ ... خشعتُ بينَ هائهـا وصادِها

(١) اللهاذم جمع لَهذَم وهو السنان . (٢) النقبة : الوجه . (٣) حجرة : ناحيـة .
(٤) البجاد : كساء مخطّط من أكسية الأعراب .

بينَ رجال كَمَنتْ فضائلى عنهمْ كُمون النار فى زنادِها
لم أرجُهُم وليتنى لم أخشَهم، قلوبُهم تئنُّ من أحقادِها
تسلُقنى باللوم فيكم ألسنٌ أقوالُها تصغُر فى آعتقادِها
فكيفَ - معْ قناعتى - ظنُّك بى هل كان إلا المصُّ من ثمادِها
خلّفتنى جوهرةً ضائعةً بقلّةِ الخبرةِ من نُقّادِها
لا حظَّ لى أرجوه عند غيركم من عُدَّةِ الدنيا ولا عَتادِها
تسكُنُ أحشائى الى حِفاظكم سكونَ أجفانى الى رقادِها
أنتم لنفسى فى الحياة وبكم أنتظر العَونَ على مَعادِها
فأين كان صبرُكم على النوى من عَركها الصبرَ ومن جهادِها
وهل - وقد أمرضها بعادكم - كنتم بعَطفِ الذِّكْر من عُوّادِها؟
بلى! لقد واصلَها ما بلّها من عَون أيديكم ومن إرفادِها
وقمتُمُ على النوى بلفتةٍ من نصرها شيئا ومن إنجادِها
فاغتنموا الآنَ تلافِى نَقصِها فى سَعةِ الأيّام وآزديادِها
وعند نعماك لها إن قُضِيتْ دَينٌ عليه جُملةُ آعتمادِها
مؤجّلا قبل النوى وبعدَها من طارف الرسوم أو تِلادِها
فوكِّل الجودَ على نفسك فى قضائها ومُرْهُ بافتقادِها
وآعلم بأن الحالَ فى تسويفها تَضيقُ حتى الوعد فى إبعادها
وآسلم لها وآسع بها سوائرا[1] بعفوها منك وباجتهادها
لك الطويلُ الشوطِ من خيولها فليس ترضَى لك باقتصادِها
لها بطونُ الأرض بل ظهورُها تصوَّبَتْ أو هى فى إصعادِها

(١) هذه الكلمة وردت بالأصل هكذا "سوا".

رَجْلَى ولا يعلَقُها ركبُ الفلا ... بإبلِ البيدِ ولا جيادِها
تَسترقِصُ الأسماعَ أو تحانَى ... أستخلفُ "الغريضَ"(١) فى إنشادِها
كأنّها على الطروس أنجمٌ ... لألأتِ الخضراء(٢) بأتقادِها
يكاد أن يبيضَّ من نُصوعها ... ما سوَّد الكاتبُ من مدادِها
تنفَّسُ الأيّامُ عن صوابِها ... فى وصف نُعماكم وفى رشادِها
ما دمتُمُ حَلْيا لمهرجانها ... فينا وتيجانا على أعيادِها

* * *

وقال وكتب بها الى ناصر الدين بن مُكرَم يشكر ما تقدّم من إنعامه، و يتنجَّزه الكريم من عاداته، وأنفذها اليه بعمان

هل تحت ليلك "بالغضا" من رائدِ ... يقتاف آثارَ الصباح الشاردِ؟
هيهات تلك نَشيدةٌ ممطولةٌ ... عند الغرام على المحبِّ الناشدِ
وكفاك عجزا من شجىٍّ ساهرٍ ... يرجُو الرِّفادةَ(٣) من خلىٍّ راقدِ
يا إخوةَ الرجلِ الغنىِّ أصابَ ما ... يبغِى وأعداءَ المُقلِّ الفاقدِ
صاحبتُ بعدكم النجومَ فكلُّكم ... إلبٌ(٤) علىّ وكلهنّ مساعدى (١٣٠)
فاذا ركدن فمن تحيُّرِ أدمعى ... واذا خفقن فمن نُبُوِّ وسائدى
دُلُّوا علىَّ النومَ، إن طريقَهُ ... مسدودةٌ بعواذلى وعوائدى
وعلى الثنيَّةِ "باللوى" متطلِّعٌ ... طِلْعِى بمَربأة الرقيب الراصدِ
يَقِظٌ اذا خاف الرقيبَ تخطَّأتْ ... عيناه عن قلبٍ مُريدٍ عامدِ

---

(١) الغريض : هو مغنّ اسمه عبد الملك وكنيته أبو زيد ولُقّب بالغريض لأنه طرئ الوجه غضّ الشباب، والغريض لغةً الأبيضُ الطرىّ من كلّ شئ . (٢) الخضراء : السماء . (٣) الرفادة : المعونة . (٤) الإلب : القوم يجتمعون على عداوة إنسان .

متجاهـلٌ ما حالُ قلبي بعـدَه ... جهـلَ العليم وغائبٌ كالشاهدِ
والى جَنوب "البانِ" كلّ مُضِرَّةٍ ... بالبان بين موائسٍ ومـوائدِ
يمشين مشى مَها "الجواءِ" تخلّلتْ ... عنهنّ غيطانَ النقا المتقاودِ (١)
متقـلداتٍ بالعيون صـلائفًا ... وطُلًى ولم يَحملنَ ثِقـلَ قـلائدِ
نافثتهنّ السـحرَ يوم "سويقـةٍ" ... فاذا مَكايدهنّ فـوق مَكايدى
كنتُ القنيصَ بما نصبتُ ولم أخلْ ... أن الحبالة عُقـلةٌ للصائدِ
أنكرتُ حلمى يومَ "بُرقَةِ عاقلٍ" ... وعرفتُـه يوم اللقـاءِ "بغامدِ"
وجعلتُ سمعى من نبال عواذلى ... غرضَ الغـرورِ لكلّ سهم قاصـدِ
القلبُ قلبُكَ فامضِ حيث مضى الهوى ... بك من مضِـلٍّ سعيُهُ أو راشـدِ
ما دام يدعـوك الحسانُ فتًى وما ... دام الذوائبُ فى قِـرابِ الغامـدِ
فوَراء يومك من صِـباك ضُحَى غدٍ ... وعدٌ يسوءُك منـه صـدقُ الواعدِ
ولقـد سريتَ بليـلهِ وبصبحه ... فَحَماً وفى لَهَبِ البياض الواقـدِ
فاذا المشيبُ مع الإضاءة حـيرةٌ ... واذا الشـبابُ أخو المضلّ الواجدِ
ومطيّـةٍ للّهـوِ عزَّ فَقارُها ... وصليفُها (٢) عن راكبٍ أو قائـدِ
مما احتمَى من رحله بقماصـهِ ... ومن الخشاش بأنفـه المتصايدِ
أعيا على ركب الصَّـبا أن يظفروا ... بمَغالقٍ من غَرْزِها (٣) ومَعاقـدِ
قد رُضْتُها فـركبتُ منها طَيِّعا ... ينصاعُ بين مَراسـنى ومَقاودى
وأخٍ رفعتُ له بحىَّ عـلى السُّـرى ... والنجمُ يسـبحُ فى غـديرٍ راكـدِ،
فوعَى فهبَّ يحُـلُّ خيـطَ جفونهِ ... بالكُرهِ من كفِّ النُّعاس العـاقدِ
غيران قام على الخطار مساعدا ... نصرَ الحسامِ رفـدتهُ بالساعدِ

(١) المتقاود : المستوى . (٢) الصليف : عرض العنق . (٣) الغرز : ركاب الرحل .

حتى رجمتُ الليـلَ منـه بكوكبٍ فتقَ الدجَى وأضاء وجهَ مَقاصـدى
فردينِ سَومَ الفـرقدين تمـايلا مسـتأمنيْن على طريق واحـدِ
ومحجَّبٍ تدع الفـرائصَ هيبـةً أبوابُه من خافـقٍ أو راعـدِ
تتسـابقُ الجَبهاتُ دون سريرِه للفوزِ بين معـفِّر أو ساجدِ
لا تطمعُ الأقدارُ فى آستنزاله بضـعائفٍ منها ولا بجـلائدِ
أذِنَتْ عليـه وسـائلى وترفَّعتْ أستارُه لمَقاصـدى وقصائدى
وبعثتُ غُرَّ قلائدى ففتحنَ لى أبـوابَه فكأنهنّ مَقـالدى
"كعمانَ" أو مَلِكٍ "عُمانٌ" دارُهُ دانى النوالِ على المَـدى المتباعدِ
رانٍ علىّ عـلى آرتفـاع سمائه بَرٍّ بوفـدِ مـدائحى ومَحامـدى
بعثتْ بصـيرتُه نَفَـاقى عنـدَهُ(١) والشـعرُ يُبْضَعُ فى أوانٍ كاسـدِ
وقضَى عـلى أنى الوحيـدُ بعلمـهِ فكفَى بذلك أنه من شاهدى
سـبق المـلوكَ فبـذَّهم متمهلا جاروا ومرَّ على الطـريق القاصـدِ
ومضَى عـلى غُـلَوائهِ متسـنِّما(٢) لم تَرتفِقْ(٣) مَسـعاتُه بمُعاضـدِ
طيّانَ(٤) لم يقضِ البوازلَ قبـلَه جَـذَعٌ ولم يُطِلِ القيامَ بقـاعـدِ
نَسَبَ السماءَ، يريد أين فخارُها منـه، فباهلَها بفخـرٍ زائدِ
وسما يماجـدُ قومَه بنجومها فثَـنَى ولم يظفَـرْ بنجمٍ ماجـدِ
غرسَ المعالىَ "مُكرَمٌ" فى تربها فجنت حـلاوةَ كلّ عيشٍ باردِ
حَجْرًا عـلى الأقـدارِ فيما نفَّـذَتْ أحكامَها من صـادرٍ أو واردِ
لن تعـدَم الآفاقُ نجما طالعـا منهـا ينـوّر إثر نجـمٍ خامـدِ

(١) النفاق : الرواج . (٢) فى الأصل "متبسم" . (٣) ترتفق : تستعن .
(٤) الطيان : الطاوى وهو الجائع .

فالسيفُ منهم فى يمين المنتضى ... كالسيف منهم فى يمين الغامدِ
هم ما هُمُ ! وتفرّقت آياتُهم ... فى المجد ثم تجمّعتْ فى واحدِ
أحيت لهم أيامُ محيي الأمّةِ الـ ... ـعافي وهبّتْ بالرّقودِ الهاجدِ (١٣١)
وتسنّمتْ دَرَجَ السماء بذكرهم ... أيامُ آثارٍ لهم ومَشاهدِ
وإلى "يمين الدولة" افتقرت يدٌ ... فى الملك لم تُعضَدْ سواه بعاضدِ
نظمَ السياسةَ مالكٌ أطرافَها ... لم تستعنْ عَزَماتُه بمُرافدِ
وأقامَ ميلَ الدولتينِ مؤدِّبٌ ... بثقافه خَطَلَ الزمانِ المائدِ
سبقَ الرجالَ بسعيه وبقومه ... والمجدُ بين مَكاسبٍ ومَوالدِ
جَرت البحارُ فما وفت بيمينه ... فكأنَّ ذائبَها يُمَدُّ بجامدِ
ضنَّتْ بجوهرها وما فى حِرْزِها ... من مُنفساتِ ذخائرٍ وفوائدِ
فاستخرجتْها كفُّه وسيوفُه ... فسخَتْ بها لمؤمِّلٍ ولرافدِ
نامَ الرعاةُ عن البلادِ وأهلِها ... عجزا وعيناه شِهابَا واقدِ
وحَمَى جوانبَ سَرحِهِ متنصِّفٌ ... للشاء من ذئب الغضا المستاسدِ
واذا الأسودُ شممن ريحَ عرينه ... كانت صوارمُه عِصِىَّ الذائد
ما بين "سَرْبُزَةٍ"(١) الى ما يَستقِى ... "وادى الأُبُلَّةِ" هابطا من صاعدِ
يقظانُ يضرب وهو غيرُ مبارزٍ ... عزما ويطعن وهو غير مُطاردِ
كفٌّ له تحمِى وسيفٌ يُنتضَى ... ولحاظُ راعٍ للرعيّةِ راصدِ
واذا بغَى باغٍ فباتَ يرومُه ... باتت صوارمُه بغيرِ مَغامدِ
ومطوِّحٍ ركِبَ الخِطار فردَّه ... أعمى تحيَّر ماله من قائدِ
كفَّ الرَّعاعَ وجاء يطلبُ حاجةً ... عسراءَ فى كفِّ الهمامِ اللابدِ (٢)

(١) سربزة : جزيرة فى أرض الهند يجلب منها الكافور . (٢) فى الأصل "اللائد".

يَرمى الكواكبَ وهى سعدٌ كلُّها ... بمَناحِسٍ من جَدّه ومَناكِدِ
جُنَّتْ به الأطماعُ فاستَغوى بها ... يصبو الى شيطانها المتمارِدِ
خُبِّرتُهُ يبغى "عُمانَ" وأهلَها ... فعرفت مَصدَرَه بجهل الوارِدِ
لم يُنجِه والموتُ فى حَيزومِه[1] ... ما ضمَّ من حَفْلٍ له ومحاشِدِ
جمحَتْ به غرّارةٌ من حَينِه ... قذفته فى لَهَواتِ صِلٍّ زارِدِ[2]
نُسِفَتْ بأطراف الرماحِ جنودُهُ ... طَوْحَ السنابِلِ[3] عن شفارِ الحاصِدِ
من راكبٌ — وفؤادُه من صخرةٍ — ... جَوفاءَ[4] أمَّ فواقِرٍ وأوابِدِ؟[5]
حدباءَ تسلك من عثار طريقها ... حُدْباً ذواتِ نواقِصٍ وزوائِدِ
فتظلّ طورا فى عنانِ سمائها ... صُعُدا وطورا فى الحضيض الهامِدِ
تختبُّ قامصةً ولم تطأ الثرى ... وتظلُّ لا فى سبسبٍ وفدافِدِ
يظمَا بها الركبانُ وهى سوابحٌ ... فى غامرٍ تيّارُه متراكِدِ
شنعاءَ لو طَرَقَ الخيالُ بمثلها ... عينى لما أطبقتُ مقلةَ راقِدِ
بلِّغْ — وليتَ رسائلى تقتصّها ... شفتى وغائبَ المؤخَّرَ شاهدى —
أو ليت قلبى كان قلبَك أصمعا[6] ... فى أضلعٍ صُمِّ العظامِ أجالِدِ
فأخوضَ بحرا من حميمٍ آجنٍ ... يُفضِى الى البحرِ الزُّلالِ البارِدِ
قلْ إن وصلتَ "لناصر الدين" آستمع ... فِقَرًا تُجمِّعُ كلَّ أنسٍ شارِدِ
يا خيرَ من حَملتْ ظهورُ صواهلٍ ... فى المُلك أو ضمَّتْ صدور وسائِدِ
وتعصّبَتْ بالنور فوق جبينه ... عَذَبُ[7] اللواء تَحُفُّ تاجَ العاقِدِ
أنا عبدُ نعمتك التى شُكِرَتْ اذا ... ما نعمةٌ نيطت بآخرَ جاحِدِ

(١) الحيزوم : وسط الصدر . (٢) زارد : اسم فاعل من زرد الشيء : بلعه . (٣) فى الأصل "السنابك" . (٤) يريد بالجوفاء السفينة . (٥) الفواقر والأوابد : الدواهى .
(٦) الأصمع : الذكىّ . (٧) العذب جمع عذبة وهى خرقة تلفّ على رأس الرمح .

أغنيتنى عن كلّ مذمومِ الجَدَا ... ألقاه مضْطَرًّا بوجهٍ حامدِ
ونفضتَ عن ظَهرِى بفضلك ثِقلَ ما ... أوعيتُ من نُوبٍ علىّ شدائدِ
كان الزمانُ يُسِرُّ لى ضِغْنا فقد ... أصلحتَ لى قلبَ الزمان الفاسدِ
وحفِظتَ فىّ تكرُّما وتفضُّلا ... ما أذكَرتْكَ قدائمى وتلائدى
ذِمَمٌ لو آعتَصَمَ العُداةُ بمثلها ... عقدوا بهنّ لديك خيرَ معاقدِ
ومن الذى يُرعَى سواك لنازح ... عن لحظه نائى المحلّ مُباعدِ
متناقِصِ الخطواتِ عنك ذكرتُهُ ... فى سَكرةِ المُلكِ العظيم الزائدِ
أوليتَنى فى آبنى ونفسى خيرَ ما ... أوليتَ فى ولدٍ شفاعةَ والدِ
فلذاك كرَّ على مشقّة طُرقِهِ ... وكررتُ أطلبُ من نداك عوائدى
تُعطى المنى ونعود نسألُ ثانيا[1] ... فتعود حبّا للسماح العائدِ (١٣٢)
وتموتُ حاجتنا وينفَدُ فقرُنا ... وسؤالنا ونداك ليس بنافدِ
فاحكم بسنّتك التى شَرَعَ الندى ... لك شرعَها حُكمَ القديرِ الواحدِ
كَفِّلْ علاك بحاجتى واكفف يدى ... عن كلّ جَعد الكف جَعد الساعدِ
فالناسُ غيرَك من تضيق مجالتى ... فيه وتُقتل بالمطالِ مواعدى
صنْ عنهُمُ شَفَتى ودعنى واحدا ... فى الدهر أشربْ من قليبٍ واحدِ
حاشا لمجدك أن تُسدَّدَ خلّتى ... بمُشارِك لك فىّ أو بمساعدِ
وآنصِتْ لها غُرَرًا لمدحك وحده ... يُنظمنَ بين قلائدٍ وفرائدِ
من كلّ مخلوعٍ لصادقِ حسنها ... فيها عذارُ العابدين لعابدِ
عذراءَ مفضوضٍ لديك ختامُها ، ... ما كلُّ عذراءٍ تُزَفُّ بناهدِ
تجلو عليك بيوتُها ما أُنشِدت ... حوراءَ ذات وشائح وقلائدِ

(١) فى الأصل "وتعود سأل" .

كعقيلة الحىّ الحُـــلولِ تمشّت الـ ـخُيَلاءَ بين وصائفٍ وولائـــدِ
مما سبقتُ بخاطرى أمَّاتِها وحويتُـــهُ برقاىَ أو بمكايدى
خضعَ الكلامُ لمعجِـــزى فى نظمِها فعنا لها من راكعٍ أو ساجـــدِ
قد آمنَ الشـــعراءُ بعـــد فسوقهم بدلائلى فى فضلها وشـــواهدى
وأطاع كلُّ منـافق إن سَـــره أو ساءه وأقـــرَّ كلُّ معانـــدِ
فاعطفْ لمهديها وحامـــلِ تربِها وآحمـــلْ له حقَّ السفير الرائـــدِ
وآردُدْهُ عن عَجَـــلٍ كما عوَّدتَه برواجعٍ من نعمتيك ردائـــدِ
وآشـــددْ يدًا بالخافقين مملـــكا عنقيهـــما من أتهُـــمٍ ونجائـــدِ
فى دولةٍ أختِ السـعودِ وعـــزّةٍ أمِّ النجـــوم وعمـــرِ ملكٍ خالدِ

* * *

وقال وكتب بها الى الوزير كمال الملك أبى المعالى

تهوَى — وأنت مُحلَّأٌ[1] مصدودُ — ماءَ "النَّقيب"، وإنه موردُ
ويُقرّ عينَك — والوصالُ مصوّحٌ — غصنٌ يرفُّ على الحمى ويميـــدُ
واذا رغبتَ الى السحاب فحـــاجةٌ لك مايصوب على "الغضا" ويجودُ
ما ذاك إلا أن عهـدَك لم يحُـلْ أفما لحىٍّ فى "النخيـــل" عهودُ؟
ومن الشقاوة حافظٌ متجنّبٌ يقضى عليـــه غادرٌ مـــودودُ
قَسَما — ولم أُقسمْ بسكّانِ الحمَى عن رِيبـــةٍ لكنه تأكيدُ —
لهمُ — وإن منَعوا — مكانُ مَطالبى وهمُ — وإن كرِهوا — الذين أريدُ
أتنسَّمُ الأرواحَ وهى رواكدٌ منهم وتُجـــدِبُ أرضَهم فأرودُ
وأكذِّبُ الواشى الىّ بغـــدرهم وعلى الحـــديثِ دلائلٌ وشهودُ

(١) المحلأ : الممنوع عن الماء .

فهم الصديقُ ولا مودةَ عندهم ... وهم الأقاربُ والمزارُ بعيدُ
و" بأيمنِ العلَمين " من أبياتهم ... ظبيٌ يُصادُ الظبيُ وهو يَصيدُ
لاهٍ اذا جمع الرجالُ حلومَهم ... حل العزائمَ خصرُهُ المعقودُ
يَرمِي القلوبَ وما دمٌ بمطوَّحٍ ... ما لم تُرِقه مقلةٌ أو جيدُ
وعدَ الوفاءَ وليس منه فغرَّني ... ومن السرابِ اذا آغتررتَ وعودُ
أعنو له وأنا العزيزُ بنفسه ... وأَلينُ عمدا والفؤادُ جليدُ
واذا عزفتُ فتُبتُ من دِين الهوى ... جذبَ الغرامُ بمقودى فأعودُ
ولقد أحنّ الى "زرودَ" وطيبتي ... من غير ما فُطرتْ عليه "زرودُ"
ويشوقُني عَجَفُ(١) "الحجازِ"، وقد ضفا(٢) ... رِيفُ(٣) "العراق" وظلُّه الممدودُ
ويُطَرِّبُ الشادى فلا يهتزُّني ... وينالُ منّى السائقُ الغِرّيدُ
ما ذاك إلّا أنّ أقمارَ الحمى ... أفلاكُهنَّ اذا طلعنَ البيدُ
طفِق العذولُ ـ وما آرتفدتُ برأيه ... فيهن ـ يُبدِئُ ناصحا و يعيدُ
فأنا الذى صدعَ الهوى فى أضلعى ... ما لا يَلُمُّ العذلُ والتفنيدُ
ياصاحِ ، هل لك من خليلٍ مؤثِرٍ ... راضٍ بأن يشقى وأنت سعيدُ؟
متقلقلٍ حتى تقرَّ، وربّما ... بَقِّ رقادَك ساهرٌ مجهودُ
يَلِقَ القواذعَ(٤) أو يقيك لسانُه الـ ... مشهورُ فيك وعزمُه المشدودُ
كذُبالةِ(٥) المِصباحِ أنت بضوئها ... فى الليلة الظلماء وهى وَقودُ
من دون عِرضك نَثْلةٌ(٦) منضوضة(٧) ... منه وإن لم يقضها "داودُ"(٨)

(١) العجف : ذهاب السمن وهو هنا كناية عن الجدب . (٢) ضفا : فاض وسبغ .
(٣) الريف : ما أخصب من الأرض وكثر زرعه . (٤) القواذع جمع قاذعة وهى الهجر والشتيمة .
(٥) الذبالة : الفتيلة . (٦) النثلة : الدرع الواسعة وفى الأصل "شَلَّةٌ" . (٧) فى الأصل مغضوضة . (٨) داود هو داود النبى عليه السلام وكان مشهورا بعمل الدروع و إحكامها .

قـلَّ الثِّقاتُ فإن عَلِقتَ بواحـدٍ ... فاشدد يديك عليه فهو وحيـدُ

لا يُبعِـد اللهُ الألى حفِظ العلا ... بيتٌ لهم حولَ النجوم مَشِـيدُ

واذا اقشعرّ(١) العامُ أغدقَ من ندًى ... أيديهـم الوادى ورَفَّ العـودُ

واذا سرى نقصُ القبائل أقبلتْ ... تَنمِى المكارمُ فيهُـمُ وتـزيدُ

لا يعـدَمُ الجودَ الغريبُ ومنهُـمُ ... شخصٌ على وجـه الثرى موجودُ

بيتٌ، بنو عبـدِ الرحيم طُنـوبُهُ ... وأبوهُـمُ سـاقٌ له وعمـودُ

تطغى رياحُ البِرِّ فيـه عواصـفا ... ولها بأثناء(٢) البيوت ركودُ

مِن حولِه غُـرَرٌ(٣) لهم وضّـاحةٌ ... تبيضّ منهنّ الليالى السـودُ

واذا أناخ به الوفـودُ رأيتَهـم ... ـكرما ـ قياما والوفودُ قعـودُ

فاذا أردتَ طُـروقَهُ لمهمَّـةٍ ... "فأبو المعالى" بابُهُ المقصـودُ

جاراهُـمُ فأراك غائبَ أمسهم ... ـ رؤيا الزيادة ـ يومُهُ المشهودُ

ومضَى يُريدُ النجمَ حـتى جازه ... شوطا، فقال النجمُ: أين تريدُ؟

شرَفٌ "كمالُ المُلك" فى أطرافه ... حامٍ عن الحسب الكريم يذودُ

فصَـحَ(٤) البوازلَ وهو قارحُ عامه ... وأجابَ داعى الشَّيبِ وهو وليدُ

يقظانُ يقدَح فى الخطوب بعزمةٍ ... تسرى به وبنـو الطريق هُجـودُ

عَشِقَ العلا وسعَى فأدرك وصلَها ... متروِّحا وحسـودُه مكدودُ

ووفَى بأشراطِ الكفايةِ داخلا ... من بابها ورِتاجُها(٥) مسـدودُ

عبِقٌ بأرواح السيادة عِطفُـه ... فكأنه فى حِجـرها مولودُ

لو طاول الغَمرُ(٦) المغفَّلُ خُلقَـه ... شيئا تعلَّم منـه كيفَ يسودُ

---

(١) اقشعرَّ: لم يُصبْ ريًّا. (٢) فى الأصل "بأبيات". (٣) فى الأصل "له".

(٤) فَصَح: من قولهم: فصَحه الصبحُ بمعنى بان له وغلبه ضوءُه. (٥) الرتاج: الباب العظيم.

(٦) الغمر: الجاهل الأبله.

هَشٌّ لصدر اليوم إمّا مالُه ... فيه وإمّا قربُه المنقودُ

لا قبلَ نائله اذا سُئل الندى ... وعدٌ ولا قبل اللقاءِ وعيدُ

واذا الخلالُ الصالحاتُ تكاملتْ ... فهى الشجاعةُ أو أخوها الجودُ

أفنَى الثراءَ على الثناءِ وعلمُهُ ... أنّ الفَناءَ مع الثناء خُلودُ

ولربّما بُلِي البخيلُ بموقِفٍ ... يُخزيه فيه مالُهُ المعبودُ

لك من خلائقه اذا ما رستَه ... جنبانِ ذا سهلٌ وذاك شديدُ

فمع الحفيظة قسوةٌ وفظاظةٌ ... حتى كأنّ فؤادَه جُلمودُ

ومع المودّة هِزّةٌ وتعطّفٌ ... فتقول : غصنُ البانة الأُملودُ

يا أُسْرةَ المجدِ التى لم تتبهْ ... عن مثلها الأيامُ وهى رُقودُ

كُفِىَ الزمانُ العينَ فى أعيانكم، ... إن الزمانَ عليكُمُ محسودُ

لولاكُمُ نُسِىَ الثناءُ ولم يكن ... فى الناس لا رِفدٌ ولا مرفودُ

ولكان قُلُّ الفضلِ أو ميسورُهُ ... يفنَى فَناءَ كثيرِه ويَبيدُ

بكُمُ رددتُ يدَ الزمانِ، وباعُهُ ... متوسّعٌ بمَساءتى ممدودُ

وحملتُ مضعوفا ثقائلَ خطبه ... وهى التى تُوهِى القُوَى وتؤودُ

وخلطتمونى بالنفوس فمن يقَعْ ... جُنُباً[1] فإنى منكُمُ معدودُ

واذا تلوّنَ معشرٌ بتلوُّنِ الـ ... ـدُّنيا فعهدِى فيكم المعهودُ

وعُنيتَ أنت بخَلّتى فسددتَها ... ونظمتَها بالجودِ وهى بديدُ

واذا تقاعدَ صاحبٌ عن نُصرتى ... فالنصرُ حظّى منكَ والتأييدُ

فلأجزينّك خيرَ ما جازَى امرؤٌ ... وجَدَ المقال فقالَ وهو مُجيدُ

مما يُخالُ قوافيا ومعانيا ... بالسمعِ وهو حَبائرٌ وبُرودُ

---

(١) جُنُباً : بعيدا غريبا .

ويكون زادَ السَّفرِ[1] فى ليل الطَّوَى ... ويقادُ تتبعــه المهارى القُــودُ
من كلِّ مخـلوعٍ عِذارُ محبِّهـا ... فيهـا ومعــذورٍ بهـا المعمودُ
وكأنهـا بين الشفاهِ قصـائدًا ... فــوق النحــورِ قلائدٌ وعقــودُ
عذراء تحسُدها — اذا أنصفتَهـا ... أوقاتَهـا منك — الكعابُ الرودُ
يحتثُّها شــوقا لك النــيروزُ أو ... يأتى فيُطلِعَها عليــك العيــدُ
لك من بشائرها الخلودُ ودولةٌ ... تمضى بهـا الأيَّامُ ثم تعــودُ
ما أحسبُ الدنيا تطيب وأمرُها ... إلَّا الى تدبيركم مردودُ
فبقيتم والحاسـدون علاكُمُ، ... لا خــيرَ فيما ليس فيــه حسودُ

* * *

وقال وكتب بها الى الصاحب أبى القاسم بن عبد الرحيم فى عيد النحر يهنّئه، ويعرِّض بذكر بعض من جهِلَ قضاءَ حقِّه، ولم يُجازِ خدمتَه عند السلاطين

أنشُدُ[2] من عهد "ليلَى" غيرَ موجودِ ... وأقتضيها مُعارا غــيرَ مردودِ
رِضًا "بليلَى" على ما كان من خُلُقٍ ... جَعْــدٍ ونَيــلٍ كثيرِ المنّ معــدودِ
من العــزيزات[3] أنسـابًا وأخبيةً ... فى صفوةِ البيتِ حلَّتْ صفوةَ البيــدِ
محبُّهـا قــد قضى فى كلِّ معــركةٍ[4] ... قضيّةٍ عن بلاغِ الأينُــقِ القُــودِ
تُقَــلُّ من غيرِ ذُلٍّ عنــد أُسرتِهـا ... بين القبابِ المنيعاتِ الأباديدِ[5]
كم ليــلةٍ قد أرتنى حشوَها قمــرا ... وجوهُها البيضُ فى أبياتِهـا السُّــودِ

(١) السفر : المسافرون . (٢) دخل على هــذه الكلمة الزحاف المطوىّ وهو حذف الرابع الساكن وقد ورد كثيرا فى الشعر ومنه لمهيار أيضا فى نفس هذه القصيدة قوله

* أملس لا عرضه الوافى بمنتقص *

(٣) فى الأصل "العريرات" . (٤) لعله يريد كلّ معركة من معارك الحب التى لا تخوض غمارها النوق لبعدها عن المعارك الحقيقية . (٥) الأباديد : المتفرقة .

من كلِّ هيفاءَ إلا الرِّدفَ تحسبهُ ... غصنا من البان معقودا بجُلمودِ

ما مستقيماتها للريح مائلةٌ ... لكن براهينُ عِزٍّ لى المواعيدُ

لُثْنَ العناقيدَ(١) فوقَ الخمرِ(٢) واختلفت ... شِفاهُهنَّ على ماءِ العناقيدِ(٣)

ورُحن يَرمِين بالألحاظ مقتنصًا ... فما تصيَّدنَ إلا أنفُسَ الصِّيدِ

يا ليلَ(٤)، لو كان داءٌ تقتُلين به ... داويتِه كان داءً غيرَ مقصودِ

اليأسُ أروحُ لى والصبرُ أرفقُ بى ... من نومِ ليلكِ عن همّى وتسهيدى

ما ماء "دِجلةَ" ممزوجا بغدركُمُ ... وإن شفَى باردًا عندى بمورودِ

ولا صَبَا أرضِكم هبَّت تروّحنى ... وفاءَ وعدٍ لكم بالمطلِ مكدودِ

حسبى! سَمحتُ بأخلاقى فما ظفِرت ... فى الناس إلا بأخلاقٍ مَناكيدِ

وصاحبٍ لينُ أيّامِى وشدّتُها ... فَرقٌ له بين تقريبى وتبعيدى

يمشى ابنَ دأيةَ(٥) فى ظلِّ الرجاءِ معى ... وفى النوائبِ يعدو عدوةَ السِّيدِ(٦)

وواسعِ الدار عالى النارِ يُوهمنى ... خِصبَ القِرَى بين مبثوثٍ ومنضودِ

يهوَى الأناشيدَ أن يكذِبن سُمعَتَه ... ولا يَهشُّ لأعواضِ الأناشيدِ

أغشاه غِشيانَ مجلوبٍ يُغَرُّ بما ... رأَى وأُصرَف عنه صَرفَ مطرودِ

يجودُ مِلءَ يدى بالوعدِ يمطُلُه ... والمطلُ من غيرِ عُسرٍ آفةُ الجودِ

فَدَى الرجالُ ـ وإن ضنّوا وإن سمحوا ـ ... فتًى يهونُ عليه كلُّ موجودِ

لا يحسب المالَ إلا ما أفاد به ... ثناءَ محتسبٍ أو ذِكرَ محمودِ

كم جرَّبَ المدحُ أملاكا وجرَّبه ... فصبَّ ماءً وحَتُّوا من جلاميدِ

أملسُ لا عِرضُه الوافى بمتنقَصٍ ... يوما ولا مالُه الواقى بمعبودِ

---

(١) يريد بالعناقيد الغدائر . (٢) الخمر جمع خِمار وهو شبه النقاب . (٣) يريد بماء العناقيد الخَمْر . (٤) يريد يا ليلى . (٥) ابن دأية : الغراب . (٦) السيد : الذئب .

مَن سائلٌ بالكرام السابقـين مَضَوا ... وخلّفـوا الذِّكرَ من إرثٍ وتخليـدِ؟
هذا "الحسينُ" فخذ عينًا ودعْ خبرًا ... من الروايات عنهـم والأسانيـدِ
من ساكنى الأرضِ قبلَ الماءِ من قِدمٍ ... وعامريها وما ذَلّت لتشـييدِ
كم حاملٍ منهُـمُ فضلًا، حمائلُهُ ... تُحَـلُّ عن عاتق بالتـاج معـقودِ
لم يبرحوا أجبُـلَ الدنيا وأبحرَها ... أصلين من شاهقٍ منها وممـدودِ
وحسّنوا فى الندى أخلاقَ حلمهمُ، ... إنّ الندى فى النُّهى(١) كالماء فى العودِ
يا آل "عبدِ الرحيم" آختار صُحبتَكم ... تأنُّـقى فى آختياراتى وتجـويدى
أُحِبُّكم وتُحِبُّـونى وما لَـكُمُ ... فضـلٌ ورُبَّ ودودٍ غـيرُ مودودِ
قرابةٌ بيننا فى "فارسٍ" وَصـفتْ ... عنّى وعنكم طهاراتِ المواليـدِ
لا زال مـدحىَ مـيراثا يقابلـكم ... عـنّى اذا الشـعرُ فى آذانكم نُودِى
بكلِّ حسـناء لو أحفشْتُها(٢) برزتْ ... للخـاطبين بروزَ الغـادةِ الرُّودِ(٣)
من نسج فكرى تردّ العارَ دونكُمُ ... ردَّ السهام نبتْ عن نسج "داودِ"
ما أنبتتْ لِىَ شَجْـراءُ الرجاء بكم ... خِصـبا وما كرَّ دهرٌ عـودةَ العيـدِ
(١٣٥) وما تبـاحُ المُـدَى مشـحوذةً أبدا ... صبيحةَ النحـرِ(٤) من نحرٍ ومن جيـدِ

* * *

وقال وكتب بها الى الوزير أبى المعالى يهنئه بالنيروز

أنذرَتْنى أمُّ "سعدٍ" أنَّ "سعدا" ... دونها ينهـدُ(٥) لى بالشَّرِّ نَهْـدَا
غيرةً أن تسمعَ الشَّربَ تُغنّى ... باسمها فى الشِّعر والأظعانَ تُحدَى

(١) فى الأصل "اللُّهى" جمع لهوة وهى أجزل العطايا أو لعلها "اللَّها" جمع لهاة وهى اللحمة المشرفة على الحلق من سقف الفم، وكلاهما لا يتفق ومعنى البيت. (٢) أحفشتها: ألزمتها الحِفْش وهو البيت الصغير من الشَّعر. (٣) الرود: الشابة الحسنة الناعمة، وفى الأصل "الغيد". (٤) يريد بصبيحة النحر عيد الأضحى و بالثانية أعلى الصدر. (٥) ينهد: يسرع.

قلت : يا لَلحبِّ من ظبيٍ رخيم ... صدتُه فاهتجتُ ذؤبانا (١) وأُسْدا

ما على قومِكِ أن صار لهم ... أحدُ الأحرار من أجلكِ عبدا !

وعلى ذى نظرةٍ غائرةٍ ... بعثتْ سُقما الى القلب تَعدَّى !

قَتلتْ حين أصابت خطأً، ... وقِصاصُ القتلِ للقاتِل عمدا

أتُرانى طائعًا أضرمتُها ... حُرَقًا تأكلُ أضلاعى ووجدا !

سبّبتْ لى فيكِ أضغانَ العدا ... نظرةٌ أرسلتُها تطلبُ ودّا

وعلى ما صفحوا أو نقَموا ... ما أرى لى منكِ يا "ظبيةُ" بُدّا

أَجتلى البدرَ فلا أنساكِ وجها ... وأرى الغصنَ فلا أسلاكِ قدّا

فاذا هبَّتْ صَبَا أرضكمُ ... حمَلتْ تُربَ "الغضا" بانا ورَندا

لامَ فى "نجدٍ" وما استنصحتُه ... بابلٌ لا أراه الله "نجدا" !

لو تصدَّى رشأُ "السَّفحِ" له ... لم يلُم فيه ولو جارَ وصدّا

يصلُ الحولُ على العهد وما ... أنكرَ التَّذكارُ من قلبِيَ عهدا

أفيروَى عندكم ذو غُلّةٍ ... عدِمَ الظَّلْمَ (٢) فما يشربُ بَرْدا ؟

رُدَّ لى يوما على "كاظمةٍ" ... إن قضى الله لأمرٍ فات ردّا

وحمانى من زمانٍ خابطٍ ... أبدا فى عَطَنى شَلًّا وطردا

كلَّما أبصر لى تامكةً (٣) ... كدَّها أو ردّها عظما وجلدا

يصطفى الأكرمَ فالأكرمَ من ... نُجَبى أنفسَ ما كنتُ مُعِدّا

كلّما شُدّتْ بظهرى هَجمةٌ (٤) ... ركب الشرَّ لها ركضا وشدّا

واقعا فى كلّ مَن كثّرنى ... بيدٍ خرقاءَ أو أصبحتُ فردا

---

(١) ذؤبان جمع ذئب . (٢) الظلم : ماء الأسنان وبريقها . (٣) التامكة . الناقة العظيمة السنام (٤) الهجمة : من الإبل ما بين السبعين الى المائة فاذا بلغت المائة فهى هُنَيْدة .

أُكلةَ الصُّعلوكِ ، لا أُسـنِدُ ظهرا ... فى الملمّـاتِ ولا أَشتَدُّ عَضْـدا
غاب أنصـارى فمن شاء ٱتقانى ... حذَر الإثمِ ومن شاء تعـدَّى
شَقِيَتْ من بعـدهم نفسى وهم ... أىّ برجٍ نزلوه كان سـعدا
قل لأمـلاكٍ نأَى عنّى بهـم ... ناقلُ الأقمـار قُربا ثُمَّ بُعـدا :
يا سـيوفى يوم لا أملِك عزًّا ... وعيـونى يوم لا أُورَد عِـدًّا
وشـبابى إن دنوتم كان غَضًّـا ... واذا رحتم مع البين ٱسـتُرِدَّا
عجبا لى كيف أبقى بعـدكم ... غير أن قد خُلِقَ الإنسـان جَلْدا !
غلبَ الشـوقُ فما أحمِـلُ صبرا ... وجفا الناسُ فما أسألُ رِفـدا
أنا من أغراسـكم فانتصروا لى ... قبـل أن تهشِمَنى الأيامُ حصدا
يا رسـولى، ومتى تَبلُغْ فقـلْ ... خيرَ ما حُمِّـل مأمونٌ فأدَّى :
يا "كمالَ الملكِ" يا أكرمَ مَن ... يمَّمتْـه ظُعُنُ الآمالِ تُحـدَى
يا شهابا كلّما قال العـدا : ... كاد يخبـو، زاده الرحمنُ وقـدا
يا حساما كلّما ثلّمـه الـ ... ـضربُ راق العـينَ إرهافا وحَـدَّا
ما بـراك اللهُ إلا آيـةً ... فَتن النـاسَ بها غَيًّا ورُشْـدا
وَثَبَاتُ الليثِ إن أُنكِر فى ... شَدَّةٍ كان مع الأخرى أشَـدَّا
كلّما عاند فيها حاسـدٌ ... ظهـرتْ باهرةً مَن يتحدّى
ولَكَمْ أنشرتَ إعجازا بها ... من فِعـالٍ طُوِيتْ لحـدا فلحدا
وبخيـلٍ خامـلٍ أعديتَـه ... كرما نال به الحمـدَ ومجـدا
وزليـقٍ منتهَى شاهقـةٍ ... حيثُ لا يصـعَد إلا مَن تردَّى
طَأْمَنَ(١) الجوُّ لها وٱنحـدرت ... قُلل الأجبال حتى كنّ وُهْـدا

(١) طأمنَ : ٱنخفض .

حَرَصَ الكوكبُ أن يطلُعَها فهوَى عنها وما سدّ مَسَدَّا
واذا الكيدُ مشَى يَسْمُتُها(١) طامعًا عاد وقد خاب وأكدى
خفَّ من خطوك فيها ناهضٌ لم يسرْ فى التيه إلا سار قصدا
يأخذ المجلسَ من ذِروتِها مالكا تدبيرَها حَلًّا وعَقْدا
طرتَ فيها والعدا واقعةٌ تأكل الأيدى(٢) لها غيظا وحِقدا
يُلعَنُ الناسُ على عجزهمُ ويُحيَّا بالمساعى وتُفَدَّى
فَرَّعَت للمجد منكم دوحةٌ كنتَ من أنضرها عُودا وأندَى
تربةٌ بورك فى صَلصالها أنجبتكم والدا طاب وولْدا
طينةٌ — أعجِبْ بها — مجبولةٌ أخرجتْ سَلْمى وثَهْلانَ وأُحْدا(٣)
يا عيونَ الدهرِ، لا زالتْ بكم قَذِياتٍ أعينُ الحسّاد رُمدا
وتقاضَى الملكُ عنكم بسيوفٍ منذ سُلَّتْ لم تكن تشتاقُ غَمدا
كلَّما سُوِّدَ منكم بأخيهِ صارمٌ يَمَّمَ أمضَى وأحَدَّا
وبَقيتم لبقايا كرَمٍ بكُمُ يُلحَمُ فى الناس ويُسدَى
لم تكن لولاكُمُ أرماقُها أثرا يَخفَى ولا عينا تبدَّى
يا نجومى، لا يَرُعْنِى منكمُ غائرٌ باخٌ(٤) ولا حَيدانُ ندَّا
نوِّروا لى وأسرجوا فى طُرُقى أقطعِ الأرضَ بكم جَمْزًا(٥) ووَخْدا
أجمع الحصباء فى مدحكُمُ بلسانى وأعدُّ الرملَ عَدّا
وكما أرْغمتُ من قبلُ بكم آنُفًا(٦) آبيةً أجدعُ بَعْدا

(١) يسمتها : يقصدها ، وفى الأصل "يسمنها" . (٢) قوله "تأكل الأيدى" كناية عن عضهم أيديهم من الغيظ . (٣) أحد وما قبله أسماء جبال . (٤) فى الأصل : "غابر" ؛ وباخ : خمد وانطفأ . (٥) الجمز : الإسراع فى العَدْو . (٦) آنُف جمع أنْف .

أبدا أنصُبُ نفسى دونكم ... علَما فردا وخَصّاما ألدّا
غير أنى منك يا بحرَ الندى ... أشتكى حظّى فقد خاب وأكدَى
عادةٌ تُمنَعُ أو تُقطَع بتّا ... وحقوقٌ وَجبتْ تُهمَلُ جِدّا
ووعودٌ يجمحُ المطلُ بها ... أن يرَى ميقاتُها عندك حدّا
بعد أن قد كنتَ أحفاهم[1] وفاءً ... لى وأوفاهم لما أسلفتَ عهدا
حاش للسُّحبِ التى عُوِّدتُها ... منك أن يَروَى بها الناسُ وأصدَى
نفثةٌ من مذكرٍ لم يألُ فى الـ ... ـصبر للحاجةِ والأوطارِ جهدا
بعث النيروزُ يستعجلكم ... سائلا فى الوعد أن يُجعلَ نقدا
وهُوَ اليومُ الذى من بعده ... سوف تُفْنون مدى الأيام مدّا
فاقبلوه شافعا وارضوا به ... زائرا عنّى بالشعرِ ووفدا
أنتُمُ أكرمُ من يُهدَى له ... والقوافى خيرُ ما يُحبَى[2] ويُهدَى

* * *

وقال يمدح عميد الرؤساء أبا طالب ويهنّئه بالنيروز

صدَّتْ "بنعمانَ" على طول الصدَى ... دعها فليس كلُّ ماءٍ مَوردا
لحاجةٍ أمسّ من حاجاتها ... تخطَّأتْ أرزاقَها تعمُّدا
ترى وفى شروعها ضراعةٌ ... حرارةً على الكبودِ أبردا
عادةُ عزٍّ جَذَبَتْ بخَطْمِها[3] ... وكلُّ ذى عزٍّ وما تعوَّدا
لا حَمَلَتْ ظهورُها إن حمَلَتْ ... رِجْلا على الضيم تقرُّ أو يدا
إن لم يلِقْها جانبٌ مقاربٌ ... فارمِ بها الجنبَ العريضَ الأبعدا

(١) فى الأصل "أخفاهم". (٢) فى الأصل "يجبى". (٣) الخطم: مقدّم أنف الدّابة وفمها.

خاطرْ ولو أردى الخطارُ، إنه ... لا يأمن الذلّةَ مَن خاف الردَى
لا يُحرزُ الغايةَ إلا بائعٌ ... بغِلاظةِ العيش الرقيقَ الرَّغدا
يَطوى الفلا لايستضيفُ مؤنسا ... والليلَ لا يسأل نجما مرشدا
اذا رأى مَطعمةً خافضةً ... عوَّذَ بالله ومالَ الحَيدا
يُعطِى جِذابَ الشهواتِ عُنُقًا ... شمساءَ(١) لا تعرف إلا الصَّيدا(٢)
تمارسُ الأيّامُ منه كلّما ... حارنَ أو لجّ غلاما نَكِدا
يعزِفُ(٣) إلا عن فُكاهاتِ الهوى ... وقد رأى فيه الحبيبَ المسعِدا
أقسمَ بالعفّةِ : لا تيمّهُ ... ظبيٌ رنا أو غُصُنٌ تأوَّدا
ولا قَرَى(٤) صَبابةً فؤادَه ... إلا السلوَّ حاضرا والجَلَدا
شأنَك يا بنَ الصَّبَواتِ فالتمسْ ... غيرى أخًا، لستُ لهنَّ ولَدَا
مولاك من لا يخلُق الشوقُ له ... وجدا ولا طولُ البعاد كمدا (١٣٧)
كأنما يَشهدُ من عَفافه ... على المشيبِ يافعًا وأمردا
موقَّرا متَّعظا، شبابُه ... كأنما كان مَشيبا أَسْودا
تحسبه نزاهةً وكرمًا ... ومجدَ نفسٍ "بابن أيوبَ" اقتدَى
فِدَى عميدِ الرؤساء مُصفِرٌ(٥) ... لو طاب لا يصلُح إلا للفِدَى
يرضَى بما ساق اليه غَلَطُ الـ ... ـحظّ ولم يسعَ له مجتهدا
يعجَبُ من جهالةِ الأيّام فى ... وِجدانه ما لم يكن لينشُدا
تحسبه جاء يريد غيره ... فضلَّ عن طريقِهِ وما اهتدى
وحاسدٍ، فخارُه مع نقصِهِ ... فى الناس أن عادى العلا وحسَدا

(١) الشمساء : الممتنعة الأبيّة . (٢) الصَّيد : رفع الرأس كبرا وزهوا . (٣) فى الأصل "يعرف" . (٤) قرى : أضاف . (٥) المصفر : المفتقر .

تُلهِبُ نارُ الغيظ فى ضلوعه ... جمراً يقول حرُّها : لا بَرَدا

زال[1] بنصرِ مجدِهِ غيران ما ... نازلَ إلا ظافراً مؤيَّدا

مدّ الى أخذِ العلا فنالها ... يدا تبوعُ ساعداً وعَضُدا

تَقضِى له الأقلامُ من حاجاتها ... ما ٱستقضت الذابلَ والمهنَّدا

ما زال يرقَى فى سماواتِ العلا ... بروجَها الأسعدَ ثمَّ الأسعدا

مصاعداً نجومَها حتى اذا ... تطاولتْ خلَّفَها وصعِدا

رأى المعالى بالمساعى تُقتضَى ... والشرفَ المحرَزَ من كسبِ الندَى

فصاعبَ الأُسودَ فى أغيالها ... صرامةً وجاودَ الغيثَ جَدَا

وكلّما قيل له : قِفْ تسترحْ ... جزتَ المدَى ، قال : وهل نلتُ المدَى ؟

ناهضَ ثِقلَ الدولتين فكفى الـ ... ـمُلكَ الطريفَ ما كفاه المتلَدا

وكان للأمرين منه جُنَّةً ... مسرودةً وصارما مجرّدا

فاغترسَ "القادرُ"[2] يومَ نصرِهِ ... وٱستثمرَ "القائمُ بالأمر"[3] غدا

قام بأمرٍ جامع صلاحَهُ ... فضمَّه بنفسه منفردا

فلستُ أدرى أَلِوَحيٍ هابط ... أم ٱختيارا لقَّباهُ الأوحدا ؟

وزارةً وفَّرها لدَستِهِ ... أنَّ أباه قبلُ فيه ٱستندا

دبَّرها مستبصرا فلم يكن ... مفوِّضا فيها ولا مقلِّدا

يُسنِد عن آبائه أخبارَها ... صادقةً اذا ٱتهمتَ المُسنِدا

وأعتقُ الناس بها من لم يزل ... مكرَّرا فى بيتها مردَّدا

يا من مخضتُ الناسَ فاستخلصتُه ... بعدَ ٱجتهادى فاليا منتقدا

---

(١) زال : نهض . (٢) إشارة الى الخليفة القادر بالله . (٣) إشارة الى الخليفة القائم بأمر الله .

والبازلُ العَوْدُ وقد نبذتُهم ... بَكِيّةً[1] معرورةً[2] أو نَقَدا

ذلّلتَ أيامَى وآستقربتَ لى ... غُلُبّةً[3] وفاءها المستبعدا[4]

هوّنْتَ عندى الصعبَ من صروفها ... فخلتُ أفعاها الوَثُوبَ مَسَدا

أعديتَها بحفظك العهدَ فقد ... صارت صديقا بعد أن كانت عِدا

ولم تضيِّع حُرَما أحكمها ... قديمُ حقّ فيكُمُ وأكّدا

أنتَ كما كنتَ أخًا مُخالِلًا ... بحيثُ قد زدتَ فصرتَ سيّدا

فاسمعْ أقايضْك بها قواطنا ... سوائرا معقّلاتٍ شُرَّدا

عوالقا بكلِّ سمعٍ صَلِفٍ ... يلفِظُ أن يَقبلَ إلّا الأجودا

ممّا قهرتُ فجعلتُ وعرَه ... مُدَيَّنًا[5] وحرَّه مستعبَدا

مَطارِبا اذا آحتبى الراوى لها ... شككتَ هل غنَّى بها أم أنشدا!

تُخالُ أرجازا من آستقصارها ... وقد أطال شاعرٌ وقَصَّدا

يَمضى الفتى الموسومُ فى نفارها ... صفحا وتُبقِى عِرضَه مخلَّدا

تَحمِلُ أيّامُ التهانى تُحَفًا ... منها اليك بادئاتٍ عُوَّدا

ما دامت الغبراءُ أو ما حَمَلَتْ ... مدحوّةٌ من الجبال وَتِدا

سنينَ تطويهنّ حيًّا سالما ... مُنَوِرزا فى العزّ أو معيِّدا

لا الشعرُ تَبلَى أبدا رسومُهُ ... فيك ولا تُعدَمُ أنت سَنَدا

---

(١) البكيّة : الناقة أو الشاة قلّ لبنها ، وفى الأصل " بلية " . (٢) المعرورة : التى أصابها العُرُّ وهو الجَرَبُ . (٣) غُلُبّة : قهرا ، وفى الأصل " غلية " . (٤) فى الأصل " المستعبدا " .

(٥) مدينا : مملّكا مذلّلا .

* * *

وقال يمدح كمال الملك أبا المعالى ويهنّئه بالمهرجان

(١٣٨) رَدَّ عليها النـومَ بعـد ما شَرَدْ إشرافُها على شَرافٍ(١) من "أُحُدْ"
وضَمَّها منشورةً مجـرى الصَّبا وعَطَنَ الدارِ وطِينـةَ البـلَدْ
فعطَفَتْ كلَّ صليفٍ ناشِزٍ على الحشاشِ وعلى لين المَسَدْ
يقودها الحادى الى حاجتـه وهمُّها أخرى اليها لم تُقَـدْ
وإنما تيمَّمها "بحاجرٍ" أيّامُها "بحاجرٍ" لو تُسـتَرَدْ
وصالحاتٌ من ليـالٍ أخلقتْ(٢) عهـودُها وهى مع الذِكْرَى جُدُدْ
يادين من أهل "الغضا" سقامُها ووجدُها بمـدّعٍ ما لم يجِـدْ
وحفظُها عهـدَ ملولٍ ماطلٍ يذكر ما آسترعَى وينسَى ما عَهِـدْ
وكم على "وادى الغضا" من كبِدٍ يحكم فيها بسوى العـدل الكَمَدْ
ومن فـؤادٍ بدَدٍ تلفِظُـه ولائذُ الحىّ مع الحصا البَدَدْ
وصارمٍ ما شَـقِىَ القَيْنُ به مذ سـلَّه غُنجُ اللحاظِ ما غُمِـدْ
ومن غزالٍ لا يُقِـلُّ رِدفُـه ضعفا وفى حباله عُنقُ أَسَـدْ
وقامـة لو لم يكن لشكلها فعلُ القناة لم تمـلْ ولم تمِـدْ
بانات وادٍ مـذ حَمَتْ شجـراءَهُ رماحُ "قيسٍ" ما آختُلِى(٣) ولا عُضِدْ(٤)
تلاوِذُ الريحُ بكلِّ مرهفٍ غصنٍ اذا قام وحِقْفٍ إن قعـدْ
حبائب "بالخيْف" فى مَلاعبٍ هنّ النعيمُ وهى جنّاتُ الخُلُدْ
سقتْ دمـوعى حَرُّها ومِلحُها عيشا بها بالأمس طاب وبَرَدْ

---

(١) الشَّراف : اسم موضع . (٢) فى الأصل "أخلفت" . (٣) ما آختُلِى : لم يُقطع مابه من خَلًى وهو الرطبُ من النبات . (٤) ماعضد : ماقطع نباته بالمِعضد وهو آلة تستعمل فى قطع الشجر .

لو كان لى على الزمان إِمْرَةٌ ... بطاعةٍ قلتُ : أعدْها لى أعِدْ
يا راكبا ، تدوسُ للرزقِ به ... حرَّ الثرى (١) والليلَ وجناءُ أُجُدْ
ترى الطريقَ عَرضَهُ وطُولَه ... لُقطبها بين ذراعٍ وعَضُدْ
تطوى السُّرى طىَّ الرياح لا تُرَى ... سائلةً : أين المَدَى وما الأَمَدْ
كأنّها من خِفّةٍ من مسّها الـ ... ـأرضَ على أربعِها لا تعتَمِدْ
تطلب نُجْحَ حاجها بجَهْد من ... أقسمَ لا يطلُبُ إلا ما يَجِدْ :
اِرجِعْ وراءَ فاسترحْ وأَعفها ... ما كلُّ حظٍّ لك منه أن تَكُدّْ
مَطرَحُ عينكَ غِنَى مقترفٍ (٢) ... كفى بنى الحاجاتِ شُقّاتِ البُعُدْ
بجانب "الزوراء" قصرٌ قصدُهُ ... بحرٌ اذا أعطى الغِنَى لم يقتصِدْ
أيدى بنى "عبد الرحيم" مدَّه الـ ... ـدّ ائمُ والبحرُ يَغيضُ ويَمُدّْ
قد أفعموه وأباحوا وِردَه ... مخلَّدا عَذْبا فمن شاء وَرَدْ
قومٌ اذا لم تَلْقَ منهم واحدا ... وإن لقِيتَ الناسَ لم تَلْقَ أحدْ
صانوا حمى أعراضِهم ، ومالُهم (٣) ... وذِيَّةٌ (٤) على الطريق تُتتقَدْ
وعَقدوا لكلّ جارٍ ذمّةً ... وذمّةُ المال بهم لا تنعقدْ
هم دبَّروا الأرضَ فلم يُعيهِمُ ... بثقلها تدبيرُها ولم يَؤُدْ
ملوكُها اليومَ وآباؤهُمُ ... ملوكُها وما على الأرض وَتِدْ
تمطَّقوا (٥) السؤدُدَ فى مهودهم ... من حَلَمٍ ما أَرضعتْ من لم يَسُدْ

---

(١) فى الأصل "جدّ الثرى" ، والوجناء الأجد : الناقة القوية الموثّقة الخَلْق . (٢) المقترف : المكتسب . (٣) المال عند أهل البادية النَّعَم يذكر ويؤنث ، يقال : هو المال وهى المال .
(٤) وذيّة : حقيرة مبتذلة وفى الحديث « أمن أجل دنيا دنيّةوشهوة وذيّة » وفى الأصل "ودية" .
(٥) تمطقوا : تذوقوا .

وطوّحوا وهم جِذاعٌ فُصُلُ[1] بالقارح البازل والقَرْمِ[2] الأشَدّْ
وكلّما نازعهم منازعٌ سلَّمَ مختارا لهم أو مضْطَهَدْ
ولا ومَنْ قاد الصِّعابَ لَهُمُ وأوجدوا الفضلَ بهم وقد فُقِدْ ،
وأظهرَ الآيةَ فى اشتباههم بأسا وجودا وعناءً وجَلَدْ ،
ما تَلِدُ الأرضُ ولو تحفَّلتْ مثلَ "كمالِ الملكِ"، والأرضُ تَلِدْ
رعَى بنى الدنيا على اختلافهم منفردا بما رعاه مستبِدّْ
لا مستشيرٌ يُبصر الشورى له رأيا ولا منتصِحٌ فيرتَفِدْ
وَحْدَةُ ذى اللِّبدةِ، لا يُفقره غَناؤه بنفسه الى العَدَدْ
تُحرِّم النومَ المباحَ عينُه إزاء كلِّ خَلَّةٍ حتى تُسَدّْ
لا مُغلَقُ[3] الرأيِ ولا مضطربُ الـ ـأحشاءِ تحت حادثٍ من الزُّؤُدْ[4]
اذا أصاب فرصةً لعزمه صمَّمَ لا يسوّفُ اليومَ بغدْ
مباركُ النظرةِ، مَن أبصره مصطبحا بوجهه فقد سَعِدْ
لو صيغت الأيامُ من أخلاقه لم يعترضْها كَدَرٌ ولا نَكَدْ
لم يُسمِه الملكُ "الكمالَ" أو رأى عن عفوه نقصانَ كلِّ مجتهِدْ
ولا أرادته العلا أباً لها إلا وقد أفلحَ منها ما وَلَدْ
أقرّ بالفضل له حاسدُه ولو رأى وجهَ المحمود لحَمِدْ
أفقره الجودُ وإن أغناه أن ساد به، ولم يَسُدْ مَن لم يَجُدْ
فلا يزلْ على الزمان منكُمُ مسلَّطٌ يَفرِى الأمورَ ويُقِدّْ
ولا تَبدَّلْ بسواكم دولةٌ أنتم على أرجائها سِترٌ يُمَدّْ

(١) فُصُل جمع فصيل وهو ما فُصِلَ عن الرضاع، وفى الأصل "فضل". (٢) القرم : الفحل.
(٣) فى الأصل "معلق". (٤) الزؤد : الفَزَع.

ولا رأى سريرُها وسرجُها ... مِن غيركم مَن يمتطى و يقتعِدْ
وكنتَ أنت باقيا مساوِقا ... بعمره وعزّه شمسَ الأبَدْ
تَسبِي العطايا لك كلَّ حُرّةٍ ... لولا نداك لم تكن لتُعتَبَدْ
بِنْتِ الخدور فى الصدور رضَعتْ ... ثدىَ النُّهى ونشأتْ من الكَبِدْ
لم تُمتَهنْ بلفظةٍ يلفِظُها ... من شرِّها السمعُ ولا معنًى يُرَدّْ
يَرقِى بها ودَّ القلوبِ ساحرٌ ... ما شاء بالنفثةِ حلَّ وعقدْ
كل لسانٍ ثنوىٌّ مشرِكٌ ... وهو لكم فى شعره فردٌ صمدْ
ما دار — مذ دار الكلامُ — ناطقٌ ... بمثلها ولا جرتْ فى الصحْفِ يدْ
تغشاك منها كلَّ يومٍ تحفةٌ ... نخبةُ ما قال الخبيرُ أو نقدْ
رآك دون الناس أولى بالذى ... بالغ فيهِ من ثناء وآجتهدْ
ما نافقتْك مِدحةٌ ولم يَقلْ ... فيك غلوَّ الشعرِ إلا ما آعتقدْ

* * *

وقال فى سرير

قام بِرِجْلٍ ومشى على يدِ ... ممتريا للرزقِ من سيبِ يدِ
أهيفُ وهو فى السِّمانِ معرِقٌ ... وواحدٌ وهو كثيرُ العَدَدِ
يمُدّه حبلٌ ضعيفٌ فتلُه ... حتى يعودَ مُحْكما ذا جلَدِ
يُشِتُّ شملا كلّما فرّقه ... أَلَّفَ منه بين شملٍ بددِ
تُبصر من عِظامه وجِلدِهِ ... اذا آكتسى اللُّجَيْنَ فوق العسجد

* * *

وقال فى رمّانةٍ حمراء

ما أمُّ أولادٍ كثيرٍ فى العـــددْ (١) تُروِى رِضاعا وهى بِكْرٌ لم تلدْ ؟
تبسِمُ عن عَذب الرُّضابِ بارِدِ لولا دمٌ يصـــبُغه قلت : بردْ (٢)
أعجِبْ به ماءً زُلالا شَبِما (٣) تجمُعـــه فى أُهُبٍ (٤) نارٌ تقـــدْ !
يا حسنَهـا مجموعةَ الشملِ ويا أضعافَ ما تَحسُنُ والشملُ بددْ

* * *

وقال فى الغَزَل

"باخَيْف" مُخطَفَةُ الحشا (٥) تهوَى الغصونُ لها القدودا
أخذَ الغـــزالُ نِفـارَها وأعارها عَينـا وجِيـــدا
أَلِفتْ مِطـال عِداتِهـا (٦) يا ليتهـا تعِـــدُ الصدودا
نثرتْ مـــدامعيَ الفـــريـ (٧) ـدَ لنظمِ مَضحكِها (٨) الفريدا
قد كان رثَّ (٩) هوای فابـ ـتسمتْ فردّتْه جـــديدا

* * *

وقال فى غرضٍ من أغراضه

أعانقُ غصنَ البانِ منها تعلّةً فأُنكره مسًّا وأعرفُه قـــدّا
وأعدِلُ لثمَ الأُقحوانِ بثغرها فأُرزَقُه برقا وأُحرَمُـــه بَرْدا
فللهِ مَن لم أستعِض عنه غائبا ولم أر منـــه ظالما أبدا بُدًّا

---

(١) إشارة الى ما بالرمّانة من كثرة الحَبّ . (٢) إشارة الى حلاوتها ولونها . (٣) الشبم : البارد . (٤) أُهُب جمع إهاب وهو الجِلْد . (٥) مخطفة الحشا كناية عن نحول الخصر .
(٦) عدات جمع عدة وهى الوعد . (٧) الفريد : الدرّ المنظوم . (٨) مضحكها : مبسمها .
(٩) رثّ : بَلِىَ .

قافيـــة الـــراء

وقال فى غرضٍ وهى أوّل قوله

بدين الهوى إن صحّ عقدُك فى الهوى ... أعن مللٍ[1] فى الهجر أم كاشحٍ أغرى؟

ألا قلّما يقضى من الحبّ حاجةً ... مُعنًّى بنفسٍ عُلّقتْ حاجةً أُخرى

حلفتُ لئن كان الجفاء لغدرةٍ ... لقد أبصرتْ عيناىَ من عينك الغدْرا

أقول لطيفٍ منك وسّدتُ خدّه ... يمينى لمّا جلّ عن يدىَ اليسرى:

نحولى الذى عاينتَ من هجر ليلةٍ ... فما ظنُّها بالجسم لو هجرتْ عشرا

وقال فى مثله

ترنّمتْ ترنُّم الأسيرِ ... ورْقاءُ فوقَ ورَقٍ نضيرِ

تنطِقُ عن قلبٍ لها مكسورِ ... كأنها تُخبِرُ عن ضميرى

لبّيكِ يا حزينةَ الصفيرِ ... إن استجرتِ فبمستجيرِ

مثلكِ فى تبلُّدِ المهجورِ ... قصّ جناحى زمنى فطيرى

لكِ الخيارُ أنجدى أو غورى ... وحيثما صار هواكِ صيرى

وإن أردتِ الأمنَ أن تجورى ... فيمّمى "بغدادَ" ثمّ سيرى

أو حوِّمى[2] بربعها المعمورِ ... مذ غاب فيه قمرى بالنورِ

عسى تقولين لأهل الحُورِ: ... وَا وَحْشتِى بعدك للسرورِ

---

(١) فى الأصل "ملك". (٢) فى الأصل "أوحوى".

* * *

وقال يُعزّى الشريفَيْن السيّدَيْن الرضىّ والمرتَضَى ابنى الطاهر أبى أحمد الموسوىّ عن خالهما أبى الحسين بن الناصر العَلَوىّ، وكان تُوفّىَ فجأةً

خُدَعُ الزمانِ مـودّةٌ من ثائرِ ... ومُنَى الحياةِ وتيرةٌ(١) من غادرِ

نغترُّ بالباقين منّا، والذى ... فَرَسُ(٢) المقدَّمِ رابضٌ للغابرِ

واذا ذوَى من دَوحةٍ غصنٌ فيا ... سَرْعانَ ما يُودى(٣) بأخرَ ناضرِ

يا عاشقَ الدنيا، النجاءَ فإنّها ... إن ساعدتْ وصلَتْ بنيّةِ هاجرِ

لا تَخدَعنّك بالسرابِ فلم تدع ... ظنًّا يُرجِّم فيه وجهُ السافرِ

وأردد لحاظَك عن زخارفها تفُزْ، ... إنّ البلاءَ موكّلٌ بالناظرِ

خَذَل المحدِّثَ نفسَه بوفائها ... تصريحُها بالغدرِ فى "ابن الناصرِ"

مشت المنونُ اليه غيرَ محصَّنِ الـ(٤)ـجَنَباتِ واغتالته غيرَ محاذرِ

ولو انتحتْه لأنذرتْه وإنما ... شبَّ الفجيعةَ أن أُصيبَ بعاثرِ

صَرعتْه مسبِلةَ الكِمامِ(٥) وإنما ... يقع التحفُّظُ من ذِراعَىْ(٦) حاسرِ

لم يُنجِه البيتُ المطنَّبُ بالكوا ... كبِ والمعمَّدُ بالهلالِ الزاهرِ

والنسبةُ العلياءُ إن هى شجَّرتْ ... زلِقتْ معارجُها بكلِّ مُفاخرِ

وعصائبٌ مضريّةٌ قرشيّةٌ ... خُلقوا لحفظِ وشائجٍ(٧) وأواصرِ(٨)

يتراكضون الى تنجُّزِ ثأرِهم ... ولو انه عند الغمام السائرِ

من كلِّ أبلجَ منكباه لواؤه ... بضفيرتيه السمهريّةَ ضافرِ

---

(١) الوتيرة : التريث والإبطاء ، وفى الأصل "وثيرة" . (٢) فَرَس بمعنى الفترس ، والغابر : الحاضر . (٣) فى الأصل "يولى" . (٤) فى الأصل "محض" . (٥) الكمام جمع كم .
(٦) الحاسر : المكشوف الذراعين . (٧) الوشائج جمع وشيجة وهى المشتبكة المتصلة .
(٨) الأواصر جمع آصرة وهى العطف من قرابة أو رحم أو صهر .

بَرْدُ النسيم اذا تربّع عنده ... حَرُّ الهجيرِ اذا عرا فى "ناجرِ"
أَنِسٌ بأسبابِ الطلابِ كأنّه ... ولو آمتطى النكباءَ(١) غيرُ مُخاطرِ
كلّا ولا أغنتْه عفّةُ نفسه ... عن عاجلٍ يُرضى سواه حاضرِ
ولقاؤه شهواتِه ببصيرةٍ ... معصومةٍ عنها وذيلٍ طاهرِ
نرجو لصالحنا تطاوُلَ عمره، ... تعبٌ رجاءُ ولادةٍ من عاقرِ
لو خُلِّد آبنُ البرِّ أو أمِنَ الردى ... لعفافه لم يولَد آبنُ الفاجرِ
أو كان يَسلم بالشجاعة ربُّها ... لم تَطوِ مقبورا حَفيرةُ قابرِ
بالكُرهِ فارق سيف "عمرٍو"(٢) كفّه ... وتقلّصت عن رمحه يدُ "عامرِ"(٣)
سقت الغيوثُ "أبا الحسين" ثراك ما ... سقت "الحسينَ" أباك عينُ الزائرِ
ومن الغرام وفيه ماءٌ هامعٌ ... منه دُعاىَ له بماءٍ قاطرِ
أبكيك لا ما تستحقُّ، وجهدُ ما ... تسعُ الصبابةُ أن تسيلَ مَحاجرى
وأُشارِكُ النُّوّاحَ فيك بأنّنى ... أرثيك(٤) فالتأبين نوحُ الشاعرِ
وأَمَا وبدرَىْ "هاشمٍ" ولَدَيْكَ ما ... مبقيهما ذكرا له بالداثرِ

(١٤١)

---

(١) النكباء: الريح آنحرفت عن مهبّ الرياح. (٢) يشير الى عمرو بن معد يكرب وهو من شجعان العرب المشهورين بالبأس فى الجاهلية وقد أدرك الإسلام فأسلم ثم آرتدّ بعد وفاة النبيّ ثم أسلم وقد سأله عمر آبن الخطاب عن الحرب فقال: مرّةُ المذاق، اذا قَلَصتْ عن ساق، من صبر فيها عُرف، ومن ضَعُفَ عنها تلف؛ وسأله عن السيف فقال: ثَمَّ قارعَتْك أمّك عن الثُّكل. (٣) يشير الى عامر بن مالك وهو أيضا من شجعان العرب المعدودين وكان يُسمّى "مُلاعب الأسنّة" وسُمّى بذلك لقول أوس آبن حَجَر:

ولاعبَ أطرافَ الأسنّةِ "عامرٌ" ... فراحَ له حظُّ الكتيبة أجمعُ

(٤) هذه الكلمة غير موجودة فى الأصل وقد طاف بنا خاطر ونحن نصحح هذا البيت لابأس من إيراده وهو

وأُشارِكُ النُّوّاحَ فيك بأنّنى ... فى الشعر فالتأبينُ نَوحُ الشاعرِ

إن لا يكونا نسلَ ظهرِكَ فالذى ... نشراه (١) بابنِ الظَّهر ليس بناشرِ
وإذا الفتى ضعُفتْ مؤازرةُ ٱبنه ... فى الأمر فابنُ الأختِ خيرُ مؤازرِ
أبواك وٱبناك الفخارُ بأسرِهِ ... والمجدُ يورَثُ كابرا عن كابرِ
لا تحسبَنَّ الموتَ راع حماهما ... فالسارقُ المغتالُ غيرُ القاهرِ
أقسمتُ لو لحقاك قبلَ وصوله ... ما كان بينهما عليك بقادرِ
مَنْ مُبلِغٌ حيًّا يُجمِّعُ عِزّه (٢) ... غَرْبَىْ حُسامِ بنى "الحسين" الباترِ ،
صبرا ، وإن فُرِكَ (٣) العزاءُ فإنّه ... كنزُ الثوابِ ذخيرةٌ للصابرِ
هو حُكمُ عدلٍ لا يُردُّ وكان ما ... يَهِنُ القلوبَ لو ٱنه من جائرِ (٤)
حفِظَ العلا لكما مشيِّدُ عرشها ... بكما فلا معمورَ بعد العامرِ
واذا جَرَتْ ريحُ الحوادث عاصفا ... فلتنحرِفْ عن ذا الخضمِّ الزاخرِ
وكفَى حسودَكما الشقيَّ علاجُهُ ... غيظ الهجينِ من العتيقِ الضامرِ
لا غرَّنى منه السكوتُ فإنه ... خوفَ العقابِ سكينةٌ فى نافرِ

* * *

وٱتخذ بعضُ أصدقائه من أولاد الرؤساء الكُتَّاب فى داره بيتا للخَيش (٥) فى وسطه بركة مثمَّنةٌ ، قد نُصِبتْ فيها صَومعةٌ للحركات مُربَّعةٌ ، لها أربعُ منائرَ مجوَّفةٌ فى جوانبها الأربعة ، يتوسَّطُها عمودٌ عالٍ فى صورة الأسطوانة ، ينزل اليه الماءُ من حَوضٍ

(١) ناشر بمعنى منشور ، وهذا البيت ورد فى الأصل هكذا

إن لا يكونا نسل طهرك فالدى ... نشراك يابن الطهر ليس بناشر

(٢) هذا الصدر ورد فى الأصل هكذا

* من مبلغ حيلى يجمع غره *

(٣) فرك : كُرِهَ . (٤) فى الأصل "جابر" . (٥) قوله : للخيش أى لمروحة الخيش وهى نسيج كشراع السفينة ، يعلّقها أهلُ العراق فى سقف البيت مبلولةً بالماء و يعملون لها حبلا يجذبونها به فيهبُّ منها نسيمٌ عليلٌ يُذهب أذَى الحرِّ .

مُشرِفٍ مرفوعٍ بناؤه على سماء البيت ، مصوّب اليه بالحركاتِ ، حتى اذا استقرّ الماءُ فى قرارِ البركة فاضَ منه ثمَّ من الأربعةِ الجوانبِ فيضا يعلو حتى يكادَ بفضلِ قوته يلحَقُ بسقف البيتِ ، وقد عُملتْ لها تماثيلُ من الصُّفْرِ(١) ، يُسمَّى كلُّ واحدٍ منها باسمٍ ، فتؤخذُ آلتُها فتركَّبُ على ذلك العمود الأوسط ، ثم تُدارُ بحركةٍ من الحركاتِ فترُشُّ الماءَ على سائر من يحويه البيتُ أو يقاربُهُ ؛ فمن التماثيل صورةٌ تُسمَّى "الخَرْكاة"(٢) ، اذا نُصبتْ وأديرتْ تَشَكَّلَ الماءُ عليها بشكلِ "الخركاةِ" وبقىَ معلّقا لا يغيضُ ولا يسيلُ حتى تُقطعَ حركتُها ، ويوضع عليها من جوانبها الشموعُ اللِّطافُ المسرَّجةُ ، فتدور فيها من غير أن تطفئها ؛ ومنهنّ صورة تُسمَّى "العَروس" يُجعلُ لها ذلك العمودُ كالكرسىِّ ، فتدور راقصةً عليه ، وتُوصِّلُ فى دورانها الماءَ الى رأسها بيدها ؛ ومنهنّ صورةٌ تُسمَّى "الجَمَل" على هيئته ، اذا نُصبتْ سارت مسيرَهُ بالماءِ ١٤٢
المحرِّكِ لها ، ومنهنّ صورة سَمَّوها "الطَّنْبَلَنْب"(٣) فى هيئةِ رجلٍ ناشبٍ ، اذا نُصبتْ وأريد بعضُ حاضرى البيتِ بالبلَلِ ، صوّبَ سهمهُ ذلك اليه فأصابه ، فكيفما هرول لينجُوَ منه كان الماءُ تابعا له ما دام فى عَرْصَةِ البيتِ ، ثم يخرج الماءُ من هذه البركة الى بُستانٍ فى صحن الدارِ متناهٍ فى الحُسْن ، فيه صنوفُ النخلِ والسَّرْوِ وغير ذلك من الشجر وأنواع الرياحين والزَّهر ، ما يروق مثله ! وهواءُ هذا البيت مجلوبٌ من "بادَهَنْج"(٤) قد شُيِّد على سطحه مفتوح الجناحيْن لمهبِّ الجَنوبِ والشَّمالِ ، فدخل

---

(١) الصُّفْر : النحاس . (٢) الخركاة [كما ورد فى محيط المحيط] بالفارسية القبة التركية ويقال فى تعريبها : خَرْقَاهَة ، وقد وردت فى شعر مهيار بالهمزة كما سيجىء . (٣) الناشب الذى يحمل النُّشَّابَ وهى السهام . (٤) البادهنج : المَنفَذُ الذى تجىء منه الريحُ ، وسماه بعضُهم "راووق النسيم" وقد قال فيه أبو الحسن الأنصارىّ

ونفحة "بادهنج" أسكرتنا ... وجدتُ لروحها بَرْدَ النعيمِ
صفا جَرْىُ الهوا فيه رقيقا ... فسمَّيناه "راووقَ النسيمِ"

مهيارُ رحمه الله على هذا الصديقِ ذات ليلةٍ، فسأله التعريجَ الى هـذا البيتِ والنظرَ الى عجائبه ففعل، ولما نُصبتْ التماثيلُ وجاءت النوبةُ الى المعروفِ "بالطنبلنب" رُكِّبَ نحوهُ وصُوّبَ إليه فبلَّ ثيابَه، وكان فعلُه فى قلّة نفعِ الفرارِ منه على ماقدّمناه؛ فعند ذلك سئل ذِكرَ البيتِ وما حواه ووصفَ الدارِ والبستانِ والبركةِ والبادهنج، فقال واصفا الحال بما يزيد حلاوةً، ويروق موضعُ الإصابة فيه عند مُشاهدةِ الموضع، وممازحا للرَّجُلِ بغرامة ما بلَّه من ثيابه

نديمى وما الناسُ إلا السُّكارَى ... أدِرْها ودعنى غـدًا والخُمـارا
من العجـزِ تركُ الفتى عاجلًا ... يَسُـرُّ لأمرٍ يُخافُ ٱنتظارا
وعَطِّلْ كؤوسَـك إلا الكبيرَ ... تجِدْ للصـغيرِ أُناسا صِـغارا
وقـرِّبْ فـتَى مائةٍ[1] أو يزيـ ... ـدُ قد أُكمِلَ الشيبَ إلا الوقارا
تُسِـرُّ المَسَـرَّةَ أحشاؤه ... ويُـبْرِزُ للعينِ طِينا وَقَارا
لصونِ سـواه رأيتُ الغـلا ... مَ ينفُضُ عن كتِفَيْه[2] الغُبارا
وذى مِـبزلٍ[3] كزنادِ المكبِّ ... يَقـدَحُ بالبَزْ منه[4] شرارا
فسلَّ من النـارِ فى وجهه ... لسـانا، فأمسك فاهُ حِـذارا
وخادعَهُ عن خَلوقيَّـةٍ[5] ... تُذوِّبُ فى كأسها الجُلَّنارا
جَنَتْ فقرَ شُرَّابِهـا المسلمين ... وأغنت "بُغُمَّى"[6] اليهودَ التِّجارا
عَقرْنا البُـدورَ[7] لهم فى المهو ... رِ حـتى جلَوها علينا عُقارا
يطوف بهـا عاطـلُ المِعصَمَيْـ ... ـنِ يُلبِسُـهُ الجامُ منها سِوارا

(١) يريد بفتى مائة : الدَّنّ . (٢) فى الأصل "كتفيه" . (٣) المبزل : الحديدة التى يفتح بها الدنّ . (٤) قال القاموس : شِرار ككتّاب واحدته شرارة بكسر الشين وورد بهذا الضبط أيضا فى محيط المحيط وفى أقرب الموارد، وقال المرتضى : الصواب أنه كسحاب وهو ما تطاير من النار .
(٥) خلوقية : نسبةٌ الى الخَلوق وهو نوعٌ من الطِّيب . (٦) غُمَّى : قرية من نواحى بغداد .
(٧) البدور جمع بَدْرة وهى الكيس يسع عشرة آلاف درهم .

شفيقٌ على الحبِّ من غيره ... اذا قلت : ما أحسن البدر غارا
ولا ومُقبِّلِهِ ما فَرَقْتُ ... أريقتُه الخمرُ أم ما أدارا
هنيئا لِلَهْوِيَ إنّي خلعـ ... ـتُ حلمي له وتركتُ الوقارا (١٤٣)
وصرتُ فتى غَبَقاتِ(١) الملوكِ ... عشيًّا ، أخا النشواتِ ٱبتكارا
ودادِيَ والدهرُ ما دامَ [دام](٢) ... وشعرِيَ والنجمُ ما سارَ سارا
وفيحاءَ من دورهم(٣) زرتُها ... وأخلِقْ بها جَنّةً أن تُزارا
تلجلجَ فى وصفها المحدثون ... وحُدِّثَ "رضوانُ" عنها فخارا
تعرَّبَ قاسمُها عادلا ... فخطَّ وتحسبه العينُ جارا
صُحُونا طِوالا كما تقتضى ... شجاعتُنا وحصونا قِصارا
وشَقَّ لبستانها عن ثَرًى ... اذا طلعَ النبتُ فيه أنارا
وقد بتُّ(٤) فى ظلِّ شجرائِهِ ... عُيونَ الأذى رِقبةً(٥) وٱستتارا
تخفَّرَ(٦) منها بمسلوبةٍ ... سوى ورَقٍ أُلحَفَتْهُ(٧) إزارا
من الهيفِ حين يجورُ النسيمُ ... على غصنها لا تُطيق ٱنتصارا
نحولٌ عَرَضْتُ له بالسِّمانِ ... وصُغرَى تجنَّبتُ منها كِبارا
ومنشورةٍ سترَتْ نفسَها ... فخاطت قميصا ولاثت خمارا
وعزَّتْ فصانت سوى ساقها ... وما إن أباحته إلا ٱضطرارا
تُشمِّر عنه جلابيبَها ... لعادته أن يخوضَ الغِارا
فكادت تُواريه ضنًّا به ... ومن حسنها أنّه لا يُوارَى

(١) غبقات جمع غَبْقة وهى شُرب العشىّ .
(٢) هذه الكلمة غير موجودة فى الأصل و يقتضيها السياق .
(٣) فى الأصل : "دونهم" .
(٤) فى الأصل "بات" ولا نظنها تؤدى المعنى .
(٥) فى الأصل "فيه" وهو تحريف .
(٦) تخفّر : ٱستجار ، وفى الأصل "تحمّر" .
(٧) فى الأصل "ألحقته" .

تُشَكِّكُنى وهى طوع الريا ح تَتْبَعُها يَمنَةً أو يَسارا
أتدنو لتُسعفَنى بالعِنا ق فى مثلها أم تصدُّ آزورارا ؟
وتجلو عليك بناتِ الفسيلِ (١) اذا كَسِتِ السَّعَفاتُ الثِّمارا
غدائرُ غيدٍ يُضفِّرْنَها وتأبى عليهنّ إلا انتشارا
جلبنا له الماء من شاهقٍ (٢) جزانا بحسْبِ الصعود انحدارا
وما سال حتى أسلنا اللُّجينَ ولا عَزَّ حتى أهنَّا النُّضارا
اذا ما تحلَّق مستعليا تَعلَّقَ بالطبع يبغى الفرارا
فثَوَّرَ خَمْسا اذا ما نطقنَ بأخبارِهِ خِلتَ نقعا مُثارا
اذا جادهنَّ ندًى جُدْنَهُ وإن فرَّ طِرْنَ إليه نِفارا
هوِينَ الأَمانةَ حتى اجتهـ ـنَ ليقضينَهُ ماءَه المستعارا
تَروسُ (٣) عليهنّ فى وسْطِهِنَّ كُبرَى تعولُ بناتا صِغارا
برزنَ يُخيَّلْنَ للناظرين صوامعَ من حولها أو مَنارا
اذا سدَّدتْ لطعانٍ قَنًا (٤) حذفْنَ اليها نُصولا طِرارا
حوتْهنّ معجزةُ الآيتينِ تجودُ الحيا وتُمِدُّ البحارا
فمن بين خَرْكاءَ مضروبةٍ على تَلعةٍ حَمَلَتْها اغترارا
تَولَّى مَجَاريَها فوقها من الماء سَمحٌ كريمٌ نِجارا
اذا ما أُديرَ لها مرّةً لتُعجِبَ جادت فدارتْ مرارا
لها آيةٌ لم تكن قبلَها ولكن ظَهَرنا عليها اقتدارا
ترى ظلَّها جامدًا مائعا وتحمِلُ ضدَّين ماءً ونارا

(١) الفسيل جمع فسيلة وهى الصغيرة من النخل ويريد ببنات الفسيل النخل . (٢) الضمير فى "له" عائد الى البستان فى قوله * وشقَّ لبستانها عن ثرًى *
(٣) تَروسُ : تتبختر . (٤) فى الأصل "فتى" .

ومثلِ العروسِ "عروسٌ"[1] تُديمُ ... يداها على منكبيها النِّثارا
اذا ما جَلَوها أبتْ حِشمةً ... بكرسيِّها أن تُطيق القَرارا
طلبنا لها الكُفءَ من قومها ... فعزَّ وكان سوى الكُفء عارا
فعدنا نزُرّ عليها السُّجوفَ[2] ... فترضَى بها عفّةً وٱختفارا[3]
وكالظبيِ يُظلَم باسم الجمال ... فيطغَى إباءً ويُغضِى ٱغتفارا
ويُزبِدُ فوه لُغاما[4] اذا ... تفرّق عن شَفَتيْه ٱستطارا
يسير رويّاً[5] اذا ما ٱغتدت ... كبودُ المطايا عِطاشا حِرارا
ولولا الذى فعَلَ "الطَّنْبَلَنْبُ" ... لقد أنجدَ المدحُ فيه وغارا
ولكنّه خافرٌ للذما ... مِ جاورتُهُ فأساءَ الجِوارا
بغانى فلم أنجُ مع نَهْضَتى ... ورحبِ خطائِى[6] منهُ فِرارا
رمانى فأصمَى بسهمٍ له ... يدور مع المتَّقى كيفَ دارا
اذا هو فوَّقهُ للثيا ... بِ ألقَى جروحا تُضِلُّ السِّبارا
فأردَى ردائى وجاءت اليـ ... ـك دُرّاعتى[7] تبتغى منكَ ثارا
قتيلى لديكَ فلا تذهبنَّ ... عليكَ دماءُ ثيابى جُبارا[8]
وبيتٍ اذا الدهرُ ضامَ الشتاءَ ... تعوَّذَ منه به فاستجارا
صحِبتُ[9] الخريفَ به فى المصيفِ ... وذكَّرنى الليلُ فيه النَّهارا

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل و يقتضيها السياق لقوله فى النثر الذى تقدَّم وصفا لما قيلت بسببه هذه القصيدة : "ومنهن صورة تسمّى العروس" . (٢) فى الأصل "نريها" . (٣) فى الأصل "وٱحتقارا" . (٤) اللغام : زبد أفواه الإبل . (٥) فى الأصل "عوبا" . (٦) الخطاء جمع خطوة ، وقد ورد فى الأصل هكذا "ورحت خطاى" . (٧) الدُّرّاعة : جُبّة من صوف .
(٨) هذا البيت ورد فى الأصل هكذا

فسلى بدمك فلا تذهبن * عليك وما سأى حبارا

(٩) فى الأصل "صبحتُ" .

وأهـدَى الهواءَ له ناشـرٌ ... جناحيْن لو حَمَلاه لطارا

تنصَّتَ للـريح مستفهما ... بأذْنيْن لا يحملان السِّرارا

اذا عَـبَرَتْ مطلقاتُ الريا ... ح يسلُكْنه ظِلْنَ فيه أَسارى

فتلفِظُ منها السُّمومُ(١) الشّـرارَ ... ويُلقى الينا النسيمُ الحِبارا(٢)

غرائبُ روَّضتَ يا ابن الكرام ... برأيك منها الشَّموسَ النَّوارا(٣)

وباهلتَ بالأرض فيها السما ... ءَ فأعترفت نجلا وانحصارا

وقبَّحتَ فى جنب تحسينها(٤) ... بأعين أربابهن الديارا

فلو "صاحبُ السَّدِّ"(٥) لاحت له ... تبيَّن فيما بناه العَوارا

وقيستْ "لكسرَى" بإيوانه ... قَلاَهُ ولم يُعطَ عنها اصطبارا

أرتك بدائعَها هِمّةٌ ... تُهينُ عليك العظيمَ احتقارا

وفضْلٌ يُجَلِّيكَ(٦) يومَ الرِّها ... نِ مَنْ لا يُبِدُّ(٧) ومَنْ لا يُجارَى

فأُقسِمُ بالله لو أنصفو ... كَ قِسْما وردُّوا الىَّ الخيارا

لما كنتُ أرضَى لك الخافقيْـ ... ـن مُلكا ولا جَنَّةَ الخُلد دارا

* * *

وأنفذ اليه أبو القاسم سعدُ بن الكافى الأوحد هدّيةً مقترنةً بهديّةٍ من أبيه، وكتابا يعتذرُ فيه من التقصير عمّا فى نفسه من قضاء حقّه، فكتب اليه

بُلِّغتْ صبرا فقالت : ما الخبرْ ... قلتُ : قلبٌ سِيمَ ذلًّا فنفرْ

لا تعودى فى هَوًى ظالمةً ... ربّما عاذ بحِلمٍ فانتصرْ

---

(١) السُّموم جمع سَمٍّ وهو الثقب . (٢) الحِبار : الأثر . (٣) الشموس النوار : الممتنعة النافرة . (٤) فى الأصل "تحصيلها" ولو راعينا التحريف لعلها تكون تحصينها . (٥) فى الأصل "البيد" . (٦) فى الأصل هكذا "وفصل يحملك" . (٧) فى الأصل "يندّ" .

نظرةٌ أعرضتُ عنها أعقبتْ غضبا آذنَ للقلب النظرْ
أرهفتْ سيفيْن فى أجفانها كلَّ مَنْ غرَّا يبتْ على غَرَرْ (١)
أقسمتْ مَن جَرَحاه لا برا، (٢) يا طبيبي متْ ودائى فى الحَوَرْ
أرسلتْ ليلةَ صدّتْ طيفَها ناظرا أين رقادى من سَهَرْ
قال : حيّانى ، فقالت : نائما طرفُه؟ قال : نعم ، قالت : غَدَرْ
يا هَوَى حسناءَ! ما شئتَ لها من فؤادى ، غيرَ ذلٍّ وخَوَرْ
رُبَّ يومٍ باهلتْنى بالصِّبا وصَغارٌ عندها حظُّ الكِبَرْ
وتنكّبتُ مُدِلًّا وَفْرةً (٣) (٤) نَشَرَ العنبرَ عنها مَنْ ضَفَرْ
فرأت شَيْبا فقالت : غُيِّرتْ قلتُ : ما كلُّ شبابٍ فى الشَّعَرْ
غُيِّرت بيضاءَ فى سوداءها قلتُ : مهلا! آيةُ الليلِ القمرْ
ما لغزلانٍ تصافينى الهوى ما آستطاعتْ وأُجازيها الكَدَرْ (٥)
أنِستْ إذ يئستْ من قَنَصى فآستوى ما قرَّ منها ونفرْ
وهل "الزَّوراء" إلا وطنٌ يخدعُ الشوقَ وفى أخرى الوطَرْ؟
يا نداماىَ بها النِّسيانُ لى ولكم منِّى حِفاظى والذِّكَرْ
كلَّ يومٍ أنا أبكى منكُمُ صاحبا بالأمس بقَّانى ومَرّْ
إنّ فى "الرَّىِّ" و"سعدٍ" عِوضًا كلّما قايستُ طابَ وكَثُرْ
سوف أنجو راكبا إحسانَهُ كلُّ مركوبٍ سوى ذاك خَطَرْ
ساريا أجنُبُ كُبْرَى هِممى أطلبُ المرعَى لها حيثُ المطَرْ
خاب من رام المعالِى حاضرا والأمانِى فى كَفالاتِ السَّفَرْ

(١) هكذا بالأصل ، وعلى هذه الصورة يكون قد دخل على هذا الشطر "الكفُّ" وهو واقعٌ فى كلمة "عَلَى" والكفُّ حذفُ السابع الساكن وهو عيبٌ . (٢) يريد لا برأ . (٣) تنكّبتُ : ألقيتُ على منكبى وهو مجتمعُ رأس الكتف والعضد . (٤) الوفرة : الشعر المجتمع على الرأس .
(٥) فى الأصل "وإحارتها" .

ما الغِنَى والمجدُ إن زرتَ فتًى ذا تناءٍ وهو ناءٍ لم يُزَرْ؟
لا تباعِدْهُ الليالى إنّه أملٌ بين "جُمادَى" و"صفَرْ"
بأبى الساقى وبالغيثِ صدًى والفتَى الحلوَ الجنَى والشُّهدُ مُرّْ
(١٤٥) عَلَّمتْ أعداؤه أمواله (١) لَمَمًا (٢) يمنعها أن تَستقِرّْ
يافعٌ مكتهلٌ من حلمه للصِّبا السنُّ وللرأى (٣) الكِبَرْ
يا أبا "القاسمِ" (٤) صابتْ (٥) نِعمةٌ لك لم يعدُ بها الغيثُ الزَّهَرْ
لم أزلْ أصبرُ علما أنه أبدا يُعقِبُ خيرا من صَبَرْ
ناظرا عادَكُمُ (٦) فى مثلها جَنَّةً لى من عذابٍ منتظَرْ
كان جُرحا جائفا (٧) فاندملتْ قرحةٌ منه وكَسرٌ فجُبِرْ
يا ملوك "الرِّىِّ" هل داركم الـ ـأرضُ طُرًّا أم تعولون البَشَرْ؟
وَسِعَ الناسَ جميعا جودُكم فاستوى من غابَ عنكم وحَضَرْ
واصلَتْ شاعرَهم نُعمَى لكم لم تدعْ مفحَمَهم حتّى شَعَرْ
حلِّ (٨) يا "سعدَ العلا" (٩) بهماءَها مِن قَبولٍ بحُجولٍ وغُرَرْ
وآجلُ لى أُخرَى على الكافى متى آحْـ ـتشمتْ منه حياءً وخَفَرْ
عرفَتْ مَنَّكَ فيما قبلَها فأتتْ واثقةً تقفو الأثَرْ
حاجةٌ تمّتْ ووافَى حظُّها حين نبَّهتُ لها منك "عُمَرْ" (١٠)

(١) اللمم : الجنون . (٢) فى الأصل "تمنعها" . (٣) فى الأصل "والرأى" .
(٤) فى الأصل هكذا "ياباقسم" . (٥) صابت : مطرت . (٦) عاد جمع عادة .
(٧) جائفا : بالغا الجوف . (٨) فى الأصل "خلِّ" . (٩) البهماء : السوداء .
(١٠) لعلّه يشير بذلك الى قول بشار بن برد مادحا عُمَر بن العلاء :

اذا دهمتك عظائمُ الأمور * فنبِّهْ لها عُمَرا ثمّ نَمْ

وفى رواية : اذا أيقظتك حروبُ العدا * فنبِّهْ لها عُمَرا ثمّ نَمْ

* * *

وكان فخرُ الملك ليلةَ أنشدَه القصيدةَ اللاميّة التى أوّلُها

* أروم الوفاءَ الصعبَ بالطلبِ السهلِ *

خلع عليه خلعةً نفيسةً، وأتحفه ببعضِ ما فى مجلسه من التحايا والألطاف، ثم وصل فخرُ الملك الى حضرة أمير المؤمنين القادر بالله رِضوانُ الله عليه مستخرِجا خلعةً ولواءً للملك سلطان الدولة، فقُدِّم وأُكرِمَ وبلغَ من التميز الى غايةٍ لم يُدركها أحدٌ من نظرائه، ونُوِّه باسمه فى الخطاب والتلقيب، وقُلِّد سيفا مُحلًّى بذهبٍ تشريفا له، فقال يَذكرُ ذلك، ويهنّئه بمكان المِنحةِ، ويَذكُر ما أتاه اليه، ويشكره عليه، ويسأل مُعاوَدة الرسم فيه، وأنشدها فى يوم المهرجان

فَكاكُك أيّها القلبُ الأسيرُ ... غدًا، لوقال حادى الركبِ: سِيرُوا

عسى الأظعانُ تُطلِعُ إن أثاروا ... هلالًا كان تكفُره الخدورُ

وإن أخذوك أنتَ وخلّفونى ... فسِرْ معَهم فذاك لهم يَسيرُ

تَعلّقْهم عساهم أن يُذِمُّوا(١) ... عليك من الصبابة أو يُجيروا

لِمَن شَدَنيّةٌ(٢) سبقتْ عِجالًا ... فما تدرى أتقصِدُ أم(٣) تجورُ؟

يخوض الليلَ سائقُها أنيسا ... بآيةِ: لاحَ بين يديه نورُ

وكيف يَخاف تِيهَ الليلِ رَكبٌ ... تَطلَّعُ من هوادجه البدورُ

يناجزُ فى الوَداعِ معاتباتٍ ... لهنَّ كبودُنا ولنا الزفيرُ

أكنتَ معى بعينٍ أم بقلبٍ ... "برامةَ" والعيونُ إلىَّ صُورُ؟(٤)

---

(١) أن يذمّوا عليك: أن يأخذوا عليك الذمّة. (٢) الشدنيّة: الناقة المنسوبة الى موضع باليمن أو الى فحل من كرام الإبل. (٣) فى الأصل "أو". (٤) صور: مائلة.

غداةَ أقولُ — وٱبتهجتْ جِباهٌ[1] — عطفنَ علىّ وٱبتسمت ثغورُ — :
أَمَا من قُبلةٍ فى الله؟ قالوا : متى حلَّتْ لشاربها الخمورُ؟
وقارَكَ وٱلتفتْ تَرَهُنَّ بيضًا، كَبِرتَ! فقلتُ : مسكينُ الكبيرُ
ألَا يا صاحبىَّ تمليَّانى، أطاعَ إبايَ[2] وٱعتدلَ النُّفورُ
أرى كبدى وقد بَردتْ قليلا، أماتَ الهمُّ أم عاش السرورُ؟
أم الأيامُ خافتنى لأنّى "بفخر الملك" منها أستجيرُ؟
ذرانى، عاد إملاحى نميرًا ويُفعَمُ[3] بعد ما نضبَ الغديرُ
طغَى أملى وطال قصيرُ باعى ويَنْمِى الشىءُ أقلُه حقيرُ
ولا تتعجّبا من خِصب رَبْعى فربعى بعضُ ما جاد الوزيرُ
ولكن بانِعاهُ[4] عن لسانى فإنّى حين أَعجِزُ أستشيرُ
ظهورُك آيةٌ لله صحّتْ بها الأديانُ وٱشتفت الصدورُ
وزالت شُبهةُ المرتابِ[5] فى أن تُكشِّفَ عن ضمائرها القبورُ
رآك وميِّتُ الآمال حىٌّ بجودك والندَى الأعمى بصيرُ
فآمنَ "بالمسيح" وآيتيه وأَنْ نشأتْ من الطِّين الطُّيورُ
وأيقنَ أن "موسى" شقَّ بحرا بأن شُقَّت بكفّيك البحورُ[6]
ولمّا أن أتيتَ على فتورٍ وبابُ ضلالةِ الأمم الفتورُ[7]،
وأبصرَ قبلك الماضين مرُّوا ولمّا تنتظِمْ بهم الأمورُ،

(١٤٦)

(١) فى الأصل "حياة" . (٢) يريد إبائى . (٣) فى الأصل "نضت" .
(٤) فى الأصل "بانعاه" . (٥) فى الأصل "المرتات" . (٦) يشير بذلك الى قوله تعالى (وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْئَةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِى وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَى بِإِذْنِى) . (٧) يشير بذلك الى قوله تعالى (فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ ٱضْرِبْ بِعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ) .

صبا "لمحمّدٍ" وأطاع فيه ... وقال: الرُّسْلُ خيرهم الأخيرُ
أقول بمعجزاتك لا غُلوًّا ... وكاتمُ نعمةِ المعطى كَفورُ
إذا الأسماء أُلزمتِ المعانى ... فأنت الحقُّ والوزراءُ زورُ
رأيناهم وكلُّهُمُ شُكولٌ ... مُصلِّيهم(١) لسابقهم نظيرُ
بكَ انتصر الملوكُ [وأنتَ(٢)] فيما ... دَعوْك لنصره نِعمَ النصيرُ
فأنت الليلةُ القَمراءُ بانت ... على الأخَواتِ واليومُ المطيرُ
حميتَ كبيرَهم إذ حُمَّ وقتٌ ... تحوطُ به وقد كَبِرَ(٣) الكبيرُ
وماتت دولةٌ فأقمتَ أخرَى ... فلا موتٌ عصاك ولا نشورُ
وباشرتَ الخلافةَ فاطمأنَّتْ ... على أمرٍ ومطلبُه عسيرُ
ويومُ(٤) العهدِ والوافى قليلٌ ... أطاعك منبراها والسريرُ
ألِينَ عليك مُعجَمُها المُعاصِى ... وخَفَّ اليك مجلسُها الوقورُ
درَى "الفهرىُّ" حين أسفَّ قومٌ ... وطِرتَ بأىّ قادمةٍ تطيرُ
رآك بهَدْيِه بفزاك خيرا ... وقد يتفرَّسُ الرجلُ البصيرُ
وأعطاك التى نشزتْ(٥) قديما ... وإن هى أُغليتْ فيها المهورُ
وأفرشك الكرامةَ لم يدُسْها ... جبانٌ(٦) فى الملوك ولا جسورُ
مقالا فى اصطفائك واعتقادا ... يُحيلُ على اللسان به الضميرُ
وقلَّد سيفَه بيدَيْه سيفا ... طويلُ نجادِه عنه قصيرُ
حساما كان "للمنصور" حِصنا ... ولم يك للمدينة بعدُ سورُ

(١) المُصَلِّى: الجواد يأتى فى الحلبة ثانيا. (٢) هذه الكلمة غير موجودة بالأصل فرجّحناها ليستقيم بها المعنى والوزن. (٣) كبر: أسنّ وهرم وقد ورد هذا البيت فى الأصل هكذا

حميت كبيرهم أو حمّ وقتٌ ... تحوط أو كبر الكبيرُ

(٤) هذه الكلمة فى الأصل "يو". (٥) فى الأصل "نشرت". (٦) فى الأصل "جنان".

وصاحَبَ بعـده الخلفاءُ تِرْبا ... رفيقا حين يجلِسُ أو يثورُ
تـذلُّ له المنابرُ يرتقيها ... وتألفُـه المناكبُ والمجورُ
وما كفؤٌ له لولاك كفؤا ... ولكنّ الذُّكورَ لها الذُّكورُ
أميرُ المؤمنينَ يقول : خـذْهُ ... فإنّـك فى تقلُّده الأميرُ
ولو عَقلتْ "عُقَيْلٌ" شاورتنى ... فكنتُ برأيِ ناصحها أشيرُ
فورتِ مكانَ لم تَجِـدى ثباتا ، ... ويقتُـلُ ذِكرَهُ البطلُ الفرورُ
إذنْ فترحزحى عن دارِ مُلْكٍ ... لغيرِك ضَرعُها ولكِ الدُّرورُ
أغرَّكِ "بالجزيرةِ" ما أغرنا ! ... نظارِ[1] فقـربَ ما ترتجع المغيرُ
فـلا تتـوهَّمى بالشـرِّ لينا ... فقـد يتألَّقُ النَّصلُ الطريرُ
تخطَّتْها - وإن وسعتْكَ - مَرعًى ... فكم دارٍ تُبيرُ[2] كما تُميرُ[3]
ويَقطَعُ عُضوَه المرءُ اضطرارا ... وإن أَلِفَتْ منابتَها الشُّعورُ
سمعتَ بشائرَ الظفَـرِ استمعْ لى ... أُعِـدْ خبرًا وأنت به خبيرُ
أنا المولى صنعتَ اليـه نُعمَى ... أخى فيها حسـودٌ أو غيورُ
جذبتَ من القُنوع بها ذراعى ... فطارت دون أخمَصِىَ النسورُ
نفائسُ لم ينلْهنَّ اقتراحُ الـ ... ـمُنَى فيما تُسَدِّى أو تُنيرُ[4]
بَرَدْتَ على الزمان بها فؤادى ... وكان عليه مرجلُه يفورُ
وها هى نالت الأيّامُ منها ... فجـدِّدْ ، أخلَقَ الظِّلَ الدُّثورُ
يزور المهرجانُ برسم قـومٍ ... ولى رسمٌ يشوق ولا يزورُ
وقوم يكرمون على الأَسامِى ... فتُزْجَى المُجْبُ عنهـم والستورُ

(١) نظار كقطام بمعنى انتظرى . (٢) تُبـير : تُهلك . (٣) تُمـير : تُطعم .
(٤) تُنير : تُلحم .

يقول الشعرُ — إن حضَروا وغبنا — فدى[1] الغُيَّاب ما قال الحُضورُ
يكرِّرُ[2] غابرٌ ما قال ماضٍ وقِدْمًا أخلقَ المعنَى الكُرورُ (١٤٧)
وأحلَى القولِ أسلمُه منالا فما هذى الشقاشِقُ والهديرُ
تطبَّعتِ القرائحُ واطمأنَّتْ فلمْ يتكفئونك يا صبورُ
بهذا الحكمُ[3] حين تحالباها نقائضَ[4] حاز زُبدتَها "جريرُ"

* * *

واتصلتْ من مجد المعالى مؤيّد الملك رحمه الله مقاماتٌ فى وصفه، وأفعالٌ جميلةٌ فى الثناء عليه، ومعاضدةٌ على بعض الناس ممن اعتمد أذيَّتَه، وعنايةٌ حاضرةٌ وغائبةٌ بشئونه يُؤثِر بعضُها من مثله ويُكبِر، وما زال مؤثِرا على قديم الوقت لأن يخصَّه بشىء من شعرٍ، موافقا لما يبعثه على ذلك، فقال يشكره ويهنّئه بعيد الفطر، ويُعرِّض بذكر الرجُل الذى آذاه، وأعانه عليه

ينام على الغدر من لا يَغارُ ولا يُظلَم الحرُّ فيه انتصارُ
علَىَّ لعينى اختيارُ الحبيبِ وإن خاننى فإلَىَّ الخِيارُ
ملكتُ فؤادى على "بابلٍ" وعقَّ أخاه الفؤادُ المُعارُ
وفيمن سمحتُ به للحُمو ل أبيضُ ليلٍ سُراه نهارُ
اذا شكرتْ حُقْبُه[5] خصرَه تظلَّم من مِعصَميْه السِّوارُ

---

(١) فى الأصل "قدا". (٢) الغابر: الحاضر والماضى وهو من الأضداد والمراد به هنا الحاضر. (٣) يريد: بهذا كان الحكم. ويريد بالتثنية فى "تحالباها" جريرا والفرزدق وكلاهما من كبار الشعراء فى دولة بنى أمية وكانا يتهاجيان وقد وُضع فى أهاجيهما كتابٌ اسمه "نقائض جرير والفرزدق".
(٤) النقائض جمع نقيضة وهى أن يقول شاعر شعرا فينقض عليه شاعر آخر حتى يجىء بغير ما قال، فيقال هذه القصيدة نقيضة تلك التى قالها فلان ومنه "كتاب نقائض جرير والفرزدق" المارّ ذكره وفى الأصل "نقائصٍ". (٥) الحقب جمع حقاب وهو شىء تشدّه المرأة على وسطها وتعلّق به الحلى.

وبدرٌ وما عُـدَّ من شهره ... سـوى هجـره والتجنّى سِـرارُ
تطلّـعَ يُتبِعـنى مقلتيـ ... ـه مختمرا من حُلاه الخِمارُ
وكنتُ الحليمَ وفى مثلها ... تخِفُّ الحلومُ ويهفـو الوقارُ
أُحبُّ الجفاءَ عـلى عـزّةٍ ... ولا أحمل الوصلَ والوصـلُ عارُ
قَضيتَ وتهوَى، ويرضَى الفـتى ... بطيفٍ يزور وربعٍ يُـزارُ
وهبّتْ تـلوم عـلى عفّـتى ... وتحـذر لو قد كفاها الحِذارُ
تقول : القناعـةُ موتُ الفـتى ... اذا أُلِفتْ والحياةُ اليسـارُ
وما الناسُ — لو أنصفتنى الحسا ... بَ — والأرضُ إلا صديقٌ ودارُ
وما ٱرتبتُ حـتى رأيتُ اليمـ ... ـنَ تُعقَد فى الحقِّ عنها اليسـارُ
وتَطمعُ بالشـعر لى فى الغنى، ... متى نَصـح الطمعَ المستشـارُ؟
ولم تدرِ أنّ المساعى الطوا ... لَ آفتُهن الحظوظُ القِصارُ
وما علمُ طبِّـك من علّتى ... وصـبرىَ والكرمُ الإصطبارُ
اذا لم يُبيِّنْ[1] أَسًى أو أُسًى[2] ... فكيف يَبينُ غـنًى وٱفتقارُ
خَـبَرتُ رجالا فما سرَّنى ... عـلى الودّ ما كشفَ الإختبارُ[3]
ولمّـا غلِقتُ برهن الوفاء ... لهم تركونى "بنجدٍ" وغاروا
فلا يُبعـد اللهُ مِن ظلمهـم ... أخلّاءَ حَصُّوا جَناحى وطاروا
وجرَّبتُ حظّى بمـدح الملوك ... مِرارا وكلّ جناها مُرارُ[4]
وكم من مُقامٍ توقّـرتُ فيـ ... ـه طاروا له فرحا وٱسـتطاروا

(١) يبيِّنْ : يبنْ، من قولهم : بيَّنَ الصبح لذى عينين بمعنى بان . (٢) الأسى بالفتح : الحزن، والأسى بالضم جمع أُسوة وهو ما يتعزّى به الحزينُ . (٣) فى الأصل "الآختيار". (٤) المرار : شجرٌ مُرٌّ اذا أكلته الإبل قلّصت شفاهُها .

وخفّتْ مسامعُ هنّ الجبالُ وجفّتْ أناملُ هنّ البحارُ
وأُخرَى ولم يأتنى نفعُها ويا ليت لم يأتِ منها ضرارُ
اذا ما دعوتُ "زعيمَ الكفا ةِ" أدركنى الماءُ والحطبُ نارُ
وقام لها ناهضَ المنكبيْن يُقلّصُ عن قدميْه الإزارُ
اذا خاض نَقْعَىْ حِمًى أو حِجًا تفرّج عن حاجبيْه الغبارُ
كريمٌ تبرّعَ بالنصر لى وبالخيلِ من دون نصرى انتشارُ
أَبَى أن أضامَ وردّ الفِرارَ (١) علىّ وأقصى سلاحى الفرارُ
بلا قَدَمٍ نتقاضاه لى فتُرعَى له ذمّةٌ أو ذِمارُ
بلى! فى التجانس حقٌّ جناه علىّ، وجارُك بالجنس جارُ
عجبتُ لباغىّ أن أسترقّ "وكسرَى" أبى ولسانى "نزارُ"
أرادَ لنقصٍ به بذلَهُ وربحَى فى بيع عِرضى خَسارُ
أمانٍ (٢) أصابت له فى سواى وخابت معى والأمانى قِمارُ (١٤٨)
دمُ الفضلِ ثارَ به أن يُطَلّ فتًى لا ينام وللمجدِ ثارُ
قؤولٌ اذا الألسنُ المطلَقا تُ قيّدَها حَصَرٌ وانكسارُ
يُرَى فَوْرُهُ واصفا غَوْرَهُ وهل يصفُ النارَ إلا الشّرارُ
كفى الدولتين عناءُ "الحسيـ ـن" مَن يُستشارُ ومَن يُستجارُ
وقُلّبتا واليه مصيـ ـرُ أمريْهما وعليه المَدارُ
وقمتَ ودون المَقام الحميدِ مزالقُ يصعُبُ فيها القَرارُ
وقبلكَ قد جرّبوا وٱجتَنَوا وبعدَك وانتصحوا وٱستشاروا
وحلّوا بسيماك مَن جرّدو ه لو قُطِعتْ بالحُلِىّ الشّفارُ

(١) فى الأصل "القزار". (٢) فى الأصل "أما إن".

فـذاك مُدِلٌّ عـلى عجـزه يُـؤمَّرُ وهـو عِيالٌ يُمارُ
طريرُ العِيانِ صدىٌّ اللسـانِ خُطَا لفظِـهِ خطأٌ أو عِثارُ
اذا نشر الكِبرُ أعطافَـه طوت بشرَه الغَـرَماتُ(١) الصِّغارُ
لثـوب الرياسـةِ ضيقٌ عليـ ـه معْ وُسْعِ أثـوابِه وانْشمارُ
غريبٌ اذا أنت فيها انتسبـ ـتَ أدلَى به نسبٌ مستعارُ
جزتك عن المُلك يومَ الجـزاء وعن فخـره يومَ يُجزَى الفخارُ،
غوادٍ من الحمـدِ والإعترافِ غوارفُ من كلِّ عذبٍ غِزارُ
تجـودك نَعماءَ تزكو النفـو (٢)سُ فيها وتَغْنَى عليها الديارُ (٣)
وعـنّى سـوائرُ إما تحـطُّ الرّ واةُ وقاطنـةٌ حيث ساروا
عـذارَى يُحلّى لهنّ الجمالُ ويُخلعُ فى حبّهنّ العـذارُ
يُخَيَّـلُ ما نشرَتْ من علاك (٤)عيابا مـتى نشرتْها التِّجارُ
اذا حَـبَّرتْ أمّهاتُ القـريـ ـض أخبارَها وبنـوه الكبارُ،
تمنَّـوا بجهـدِهـمُ عفـوَها على ما سَبَوا غيرَهـم أو أغاروا
يُقـرُّ لمجـدك إكثارُهـا (٥)بما سلَفتْ أنّه الإقتصارُ
فإن شفَع العبـدُ فى مذنبٍ نجت وجروحُ الأمانى جُبارُ (٦)
وإن بلَغ الشكرُ حـقَّ امرئ فغايتُها معَـك الإنتصارُ

---

(١) الغرمات جمع غرمة وهى المرة من الغَرْم. (٢) فى الأصل "يجودك". (٣) فى الأصل "النوس". (٤) عياب جمع عيبة وهى ما توضع فيها الثياب. (٥) فى الأصل "ما".
(٦) جبار: هدر وفى الأصل "حبار" وهو تحريف.

* * *

وبلَغهُ عن أبى منصور بن ما سرجيس عتابٌ جميلٌ، وذكرٌ طيّبٌ، وتشوُّقٌ شديدٌ، وتشوُّفٌ الى الوقوف على شىء من شعره، فراسله يسأل ذلك دفعاتٍ، ويخطبُ ودَّه، ويرغبُ اليه فى غِشيانِه، فأحبَّ أن يكونَ أولُ ما يفسح به المودّةَ أمرا يخصُّه، فكتب اليه هذه القصيدةَ، وأنفذها يوم فِصح النصارَى بعد الخجل وتكرُّر الرغبة

شوارِدُ حظٍّ لا يَقِرُّ نَفُورُها ... وربقةُ همٍّ لا يُفكُّ أسيرُها
وصحبةُ أيّام تُعَدُّ حظوظُها ... قِصارا اذا عُدَّتْ طِوالا شهورُها
ونزعٌ بأطماعٍ ضعافٍ تمدُّها ... أمانىٌّ لم يَقبَلْ يمينا مُعيرُها
أمرُّ على عَمياءَها أستدلُّها ... وآوِى الى بَلهائها أستشيرُها
بوارقُ ما للعين إلا وميضُها ... ولا للثرى العطشانِ إلا غُرورُها
تعجَّبُ من صبرى وعندى خَلوبُها ... ومُصعِقُها وعند غيرى مَطيرُها
أجِدَّك لم يأنس فمى بثديِّها ... فأسئلُ عن أخلافها ما دُرورُها
وجاذبتها ثم آستمرّ ضرورةً ... مَريرِى (١) على ما ساءنى ومَريرُها
كأنّى اذا لم أقضِ منها لُبانةً ... وقد نضَبتْ أوطارُها ونُذورُها،
وأنّى ترانى أغسلُ الدمَ موجَعا ... أو العارَ فآعلم ثَمَّ أنى عقيرُها
عطاءٌ على التقتير إلا غديرةً ... تزاحَمَ حول الأربعين (٢) قَتيرُها
غرابيبُ (٣) من لون الشبيبةِ وُقَّعٌ ... أسَفُّ (٤) من الأيّام بازٍ يُطيرُها

(١) المرير: الحبل اذا أحكم فتله وآشتد ويقال: استمرّ مريره أى آستحكم عزمه. (٢) القتير: الشيب أو أوّل ما يظهر منه. (٣) غرابيب: سود، وهو وصف لموصوف محذوف يراد به الغربان على جرى عادة العرب فى تشبيه الشيب. (٤) أسفّ: دنا فى طيرانه من الارض حتى كادت رجلاه تصيبانها.

تُقسّى القلوبَ بعدها وحشةً لها ... كأنّ قلوبَ الغانيات وُكورُها

تُرِى بوجوهٍ أنها بجمالها ... تصيدُ وما الأشراكُ إلا شعورُها

(١٤٩) أجاور فى شيى عيونا قويّةً ... على جِزَلِ الشّيبِ المغالِطِ حُورُها

وكلّ بياضٍ فضلةٌ لا يليقُها ... اذا لم يكن إلا السواد يَضيرُها

سلا جمراتِ البين بى: كيف دُستُها ... يوقّدُ بالأنفاس تحتى سعيرُها

حملتُ بقلبى منهمُ وهو حَبّةٌ ... ومن عِيسهم ما لا تُقِلُّ ظهورُها

تلفتُّ بالأظعانِ رَفعا ومَهبِطا ... تعوّجُ لى أو تستقيمُ سطورُها

بعشواءَ من فرطِ البكاء كأنما ... تواعدَ نارُ الحىِّ بَيْنًا (١) ونورُها

وفيمن نكِرتُ الحلمَ من جزَعٍ له ... صبورُ مقاماتِ الوداع شكورُها

اذا أفحمتنى قولةٌ فُصِحتْ (٢) له ... وأقتلُ ألفاظِ الإناثِ ذُكورُها

يدير كئوسا مُرّةً من لحاظه ... وفى فيه أُخرَى حُلوةٌ لا يُديرُها

من العربيّاتِ الكرائمِ درّةٌ ... تُخاض اليها من "تميم" بحورُها

تلوم أمشاعى فى القناعة جالسا ... فهل ثورةٌ تُرضِى المَعالى أثورُها؟

وأوحدنى كما ترينَ وعفّ بى ... فسادُ مودّاتٍ أرَى وفجورُها

وأبناءُ عَلّاتٍ (٣) أخوها غنيُّها الـ ... ـريحُ ومولاها الهجينُ فقيرُها

وجوهٌ يصفّيها النفاقُ وتحتَها ... بطائنُ من غِشٍّ يشِفُّ (٤) كُدورُها

أضمُّ القوافى لى تنمىءُ عليهمُ ... وليس وراء الحِدر إلا نُفورُها

وأوحشها ممّن تُقلِّدُ أنه ... سواءٌ حصاها عنده وشذورُها

وأن قياما بالفِناء لذَودِها ... أعزُّ اذا لم يَرعَ خِصبا مسيرُها

---

(١) مرجع الضمير فيه قوله عشواء فى أول البيت. (٢) فى الأصل "فضحت". (٣) أبناء العَلّات هم بنو أمّهات شتّى وأبٍ واحدٍ، الواحد: عَلّة. (٤) فى الأصل "يسف".

أفى نُصرة الأعرابِ من حسدٍ لها؟ ومنهم بواديها ومنهم حُضورُها !
وفى قومها من "فارسٍ" للسانها عدوٌّ، فسل فى "قيصرٍ" مَن نصيرُها
لعلَّ غلاماً أدَّبَ الملكُ رأيَهُ تئِطُّ(١) به أرحامُها فيُجيرُها
وما ضرَّ فى غير "الكُفاةِ" ارتخاصُها(٢) اذا ما غلَت عند "ابن عيسى" مهورُها
اذا ما دعتْ أفضى اليه افتراعُها فكان فتاها مَن أبوه وزيرُها
سعى للعالى سعيَها وهو يافعٌ وأكبرُها من ساد وهو صغيرُها
وهيبَ وما طَرَّتْ خميلةُ وجهه وأولَى النصولِ أن يُهابَ طريرُها
أراك وما أسديتَ بعدُ صنيعةً يقول الرضا عنها ويَشهَدُ زُورُها
تَخالَفُ أقوالٌ عليك اتفاقُها وتكثُرُ أوصافٌ اليك مصيرُها
لقد فخر النادى أبٌ عَدَلَ ابنَهُ اذا خاف نجلاتِ الرجالِ فخورُها
وفى شطَطِ الآمالِ فيك لنفسه وأكثرُ آمالِ النفوس غُرورُها
لمدَّ على العلياء منك فنالها يداً يذرعُ(٣) الرمحَ الطويلَ قصيرُها
لكُم وفضةُ(٤) الآراءِ تبتدِهونها(٥) فتُصمِى(٦) اذا الآراءُ أشوَى(٧) فَطيرُها(٨)
وما وهنتْ فيما تُقلِّبُ دولةٌ وأنتم لها إلا وفيكم جُبورُها(٩)(١٠)
لقد علمتْ كيف اطرادُ نظامها لياليَ إذ تُلقَى اليكم أمورُها
اذا ذُكرتْ أسماؤكم هشَّ تاجُها لأيّامه منكم وحنَّ سريرُها

(١) تئط : ترق وتحن . (٢) فى الأصل "تحاصها" . (٣) يذرع : يقيس بالذراع، وفى الأصل "يدرع" . (٤) الوفضة : المرة من الوفض وهو العدو والإسراع . (٥) تبتدهونها : تقولونها على البديهة . (٦) تصمى : تصيب المقتل . (٧) أشوى : أصاب شواه لا مقتله . (٨) الفطير : الرأى الذى يبدو من غير تروٍّ ومنه "إياك والرأى الفطير" . (٩) فى الأصل "الافيكم" . (١٠) الجبور : جبر العظم .

حلفتُ بما يحمى الخمير أحلَّه ... ويوقدُ مما قَلَّدتْهُ ضُفورُها (١)
رَعَوها الربيعَ فالربيعَ وعطَّنوا (٢) ... عليها الى أن ضاق عنها سيورُها (٣)
تساقُ الشهورَ والليالى هديَّةً ... الى ساعةٍ تُوفَى "بجَمْعٍ" أُجورُها
"ببطحاء" لو ما أنبتَ الدمُ روضةً ... لروَّضَ من جارى طُلاها (٤) صخورُها
لقد سرَّ سمعى ما استطاع مخبِّرى ... بودِّك، والأخبارُ نَزْرٌ سرورُها
سلاما ووصفا واشتياقا بغَيبةٍ (٥) ... ذكتْ لوعتى منها وشبَّ زفيرُها
فإنَّك للآداب والودِّ خاطبٌ ... بشيرُ العلا فيما خَطبتَ بشيرُها
فقل: كيف تنبو روضةٌ غاضَ برهةً ... جدَا الماءِ عنها ثم فاضَ غديرُها؟
محاسنُ أيقظتَ العلا فى طلابها ... فقد (٦) نام هاديها وقام ضريرُها
فليتك — إن كان المبلِّغ صادقا — ... أجابك عفوا سهلُها وعسيرُها
فتحتُ لك الأبوابَ عنها وقد أَبَى ... زماناً حفيظاها (٧) وحُصِّنَ سُورُها
لئن كانت "الزَّبَّاءَ" عِزًّا ومَنْعَةً (٨) ... فأنت لها من غير جَدْعٍ "قصيرُها"

---

(١) ورد هذا البيت فى الأصل هكذا: والظاهر من السياق أنه يريد أن يُقسِم بالبُدْن التى تُهدَى وقد حاولنا تصحيحه وتصحيفه على وجوه شتى فلم نوفق الى ما يرضى الذوق الأدبىّ فأثبتناه كما هو حرصا على أمانة النقل. (٢) عطَّنوا: اتخذوا لها العطَنَ وهو المناخ. (٣) سيورها: جلودها.
(٤) الطُّلَى: الأعناق. (٥) فى الأصل هكذا "بعسه" ومنه بدلا من منها. (٦) فى الأصل "فقل". (٧) حفيظاها: حارساها. (٨) الزباء: ملكة الجزيرة وكان "جذيمة الأبرش" قد وترها بقتل أبيها فغررته وأرته أنها تريد الزواج به فلما قدم عليها قتلته وكان "قصير" من أهل الرأى والحجا عند "جذيمة" ومن ثقاته فذهب الى "عمرو بن عدىّ" وطلب منه أن يثأر لخاله من "الزبّاء" واحتال على ذلك "قصير" بأن جدع أنفه وخرج كأنه هارب من "عمرو بن عدىّ" حتى قدم عليها، فلما سألته عن سبب جدع أنفه قال لها: زعم "عمرو بن عدىّ" أنى غررتُ خالَه وغششتُه ومالأتُك على قتله فصدَّقته وأكرمته، وما زال بها حتى هيّأ "لعمرو" الفرصة فسار اليها برجاله فلما رأته وعلمت أنها لا محالة هالكة مصَّت خاتما فى يدها به سُمٌّ وقالت: بيدى لا بيد عمرو؛ وقصتها طويلة.

ولولا الوداد ما برزنَ سواهما وقد برزتْ بالغانيات خدورُها
ولا عاقها فى عرضها[1] لمعاشرٍ معارفَها عُجْمُ البصائر عُورُها ١٥٠
اذا اتسعتْ أيمانُها لعطيّةٍ وراجعت الأخلاقَ ضاقت صدورُها
ولكنّها نفسٌ يطاعُ صديقها على حُكمها فيها ويُعصى[2] أميرُها
تَمَلَّ بها لا طيبَ نشرٍ يفوتها اذا لومستْ ولا جمالَ يبورُها
أزورُ بها دُورَ الملوك طليعةً ترود لِيَ الأخلاقَ ثم أزورها
وفَسِّحْ لها فى زينة الفِصْحِ[3] موضعا تقوم به، تُتْلَى عليك عُشورُها
ونَلْ وأبوك العزَّ ما حنَّ فاقدٌ وقام على السَّبْعِ الطِّباقِ مديرُها
وأوفَى بها شُعثٌ لكم يُدرسونها "مزاميرَ" يستوفى اللُّحونَ "زَبورُها"
مُكبِّين للأذقانِ يحتضنونها يصانُ عن الصفح العنيفِ سُفورُها
تفوتكُمُ بالسمع، والعينُ ما رأتْ ودلَّ على ما فى القلوب نذيرُها
فأُقسمُ لو قُضَّتْ[4] ضلوعىَ بعدها لما التأمتْ إلا عليكم فُطورُها[5]

* * *

وكتب اليه مؤيّد السلطان ذو المجد بن زين الكُفاة بن الصاحب الأوحد ذى السياستين أبى محمد بن مُكرم وهو مؤمَّرٌ على عُمانَ وأعمالِ البحر، يذكر أيّامَ مصاحبته إيّاه فى الصِّبا، ويتشوَّقُ قربَهُ، ويصفُ استيحاشَه لمكانه، ويحثُّه على زيارته، ويرغِّبه فى فوائد الإلمام به، ومنافع غشيانِه، فأجابه عن كتابه نثرا بما اشتمل على وصف العذر فى التأخّر والارتفاع لسلوك البحر، وقَرَنَ الكتابَ بهذه القصيدةِ يمدحه، ويعرِّض بذكر إنسانٍ عتبَهَ على المودّة، وقصده بالأذيّة من أهله، ويذمُّ اليه بعضَ من ببغداد من مدبِّرى الأمور، ويصف السفينةَ البحريَّة وأنفذها اليه

(١) فى الأصل "تعرضها". (٢) فى الأصل "وبعض". (٣) فى الأصل هكذا "رتبة الفسح". (٤) فى الأصل "فضت". (٥) فطور جمع فَطْرٍ وهو الشَّقُّ.

بين "النقا" "فثنية الحجر" سمـــراءُ تُرقَبُ بالقنـا السُّمرِ
رصفَتْ قلائدَها بمـا سفكتْ من فيضِ دمعٍ أو دمٍ هَـدْرِ
ماشئتِ من حَبِّ القلوب أوالـ ـأجفان فى بيضٍ وفى حُمُـرِ
نزلَتْ "مِنًى" أُولَى ثلاثِ "مِنًى" فقضت نجـيزة ليلة النَّفْـرِ
وجلَتْ لأربع عشرة قمـرا والشهـرُ ما أوفَى عـلى العَشْرِ
تَرمِى الجِمارَ وبين أضلعنـا غرضٌ لها ترميـه بالجمـرِ
من لى على عَطْـلَى بغـانيـةٍ شبَّتْ وشِبْتُ وعمرُها عُمرى
لم تَنـوِ فى قَسَمٍ تَحلَّتَـهُ إلا اذا حلفتْ على الهَجـرِ
قالت وليت فى ضنا جسدى: طَـرْفى علىَ إسقامه عُذرى
وٱستُسقِيَتْ لظَمَاىَ ريقتَهـا فاستشهدتْ بالآى فى الخمـرِ
وتقـول للعـذّالِ مُغضَبةً: شيَّبتُـه من حيثُ لا يدرى
قبَّلتُ عصيانًا عوارضَـه عمدا فأعدى شَعرَهُ ثَغـرى

* * *

وأَخٍ مع السرّاء من عُـدَدِى وعلىّ فى الضـرَّاء والشـرِّ
تطوِى حشـاه عـلى تبسُّمِه أضلاعَ مُشرجةٍ(١) على الغِمـرِ(٢)
مولاى والأحداثُ مغمَـدةٌ فاذا ٱنتُضِينَ فَرَى كما تَفْـرى
تَعِبٌ بحفظ هَنـاتِ مَيسَرتى حتى يعـدِّدَهـا على العُسرِ
الدهرُ ألْيَنُ منـه لى كنفـا لو كان يتركنى مـع الدهرِ
ومغيِّمِ المعـروف يخـدعنى إيمـاضُ واضحتيـه بالبِشرِ
سكَنَ اليفاعَ(٣) وشبَّ موقِـدَه نارا يغُـرُّبها ولا يَقْـرى
ذى فطنـةٍ فى الشكر راغبـةٍ وغبـاوةٍ بجوالب الشكـرِ

(١) مشرجة : مضمومة . (٢) الغمر : الحقد والغلّ . (٣) اليفاع : نقيض الحضيض .

فاذا مدحتُ مدحتُ ماطرةً ... واذا عصرتُ عصرتُ من صخرِ
لا طاب نفسًا بالنوالِ ولا ... مَخَضَ المودةَ زُبدةَ الصَّدرِ
وأرادنى من غير ثروتِهِ ... أن أستكينَ لذلَّةِ الفقرِ
ينجو بعرضى أن يضام له ... عَرْضُ الفلاةِ(١) وغضبةُ الحُرِّ
وتجُزُ الأيّام ما وعدتْ ... فى مثله وعواقبُ الصبرِ (١٥١)
"ومؤيّد السلطان" عاليةً ... يَدُه بتأبيدى وفى نصرى
لو شئتُ فُتُّ سُرَى النجوم به ... وخفيتُ(٢) عن ألحاظها الزُّهرِ
ولبلَّغتْنِى المجدَ سابحةٌ ... بالظَّهرِ(٣) ليست من بنى الظهرِ
ترتاح للضَّحضاح(٤) خائضةً ... [وتكُدُّ](٥) بالمتعمِّقِ الغَمرِ
تجرى الرياح على مشيئتها(٦) ... فتُخالُ طائرةً بما تجرى
واذا شراعاها لها نُشِرَا(٧) ... خفقَتْ بقادمتيْن من نَسرِ
فى جانبٍ لينٌ يُدَفِّعُها ... وخِطارُها فى جانبٍ وَعِرِ
يحدو المطىَّ الزاجرون له ... وتساقُ بالتهليلِ والذِّكرِ
من لى بقلبٍ فوقها ذَكَرٍ ... مُصْغٍ لعذلى تابعٍ أمرى
قالوا : الشجاعةَ ! إنّه غَرَرٌ ... متقاربُ الميقاتِ والقدْرِ

---

(١) فى الأصل "الفلاء" . (٢) فى الأصل "حفيت" . (٣) يريد وصف السفينة بأنها تسبح بظهرها وهو جِرْمُها الذى فى الماء وأنها ليست من الإبل ذوات الظهر . (٤) الضحضاح : الماء القريب القعر . (٥) هذه الكلمة غير موجودة بالأصل فرجّحناها لاتزان البيت أولا ولإتمام المعنى بها ثانيا . (٦) فى الأصل "مشيتها" . (٧) فى الأصل "نشر" وفيه نظر الى قول مسلم بن الوليد فى وصف السفينة

اذا أقبلت راعت بقُنَّة قَرْهبٍ * وإن أدبرتْ راقت بقادمتَىْ نَسرِ

قوله : بقنة قرهبٍ أى برأس ثور وحشىّ مسنّ ، ويراد بقوادم النسر المقاذيف .

يومان فى لُجٍّ فإن فَضُـــلا بزيادةٍ فبليـــلة العِـــبْرِ (١)
هيهـات منّى ساحلٌ يَبِسٌ والبحرُ يُفضى بى الى البحـــرِ
القصـــدُ والمقصودُ من شَبَهٌ فى الجـود أو حدٌّ من الغَـزْرِ (٢)
ما أنَّ (٣) إلا أنَّ ذا أجِنٌ مِلحٌ وذاك زلالةُ القَطْـــرِ
جارَى الملوكَ فبـــذَّهم ملك سبق القـوارحَ فى سِنِى مُهـرِ
وأَرَى بنى الستين عجـــزَهُمُ فى الرأى وهو ٱبنُ ٱثنَتَىْ عَشْرِ
لا طارفُ النعماءِ مـــنزعجٌ فيهـا ولا مستحدثُ الفخـرِ
من وارثى العلياء ما ٱغتصبوا مجـــدا ولا ملكوه بالقهـــرِ
أرباب بيتِ مكارمٍ عقـدوا أطنـابَه بأوائـــل الدهرِ
ضربوا على الدُّوَل ٱستهـامهمُ (٤) وتقاسمـــوا بالنَّهْى والأمرِ
فى كلّ أفْقٍ منهُـــمُ عَـــلَمٌ مَرعَى العفاةِ وسَـــدَّةُ الثَّغْـــرِ
أبناء "مُكْرَمَ" وهى مَعرِفةٌ نصروا ٱسمهـا بإهانة الوفـــرِ
قَطَنـوا (٥) وسار عطاؤهم شَبَهـا بالبحـر قامَ ومُلْكُهُ (٦) يســـرى
فى كلّ دارٍ من مواهبهـــم أثرُ الحيـا فى البـلدة القفـرِ
وملكتَ ياذا المجـد غايتَهم، ما للبِهـامِ (٧) فضـــيلة الغُـــرِّ
زيَّدتَهـــم شرفا وبعضُهُـــمُ لأبيه مثـلُ الواوِ فى "عمرو"
ســـدُّوا بك الغاراتِ منفردا فملأتَ صفَّ الجحفـلِ المَجْرِ (٨)
ودجا ظـــلامُ الرأى بينهُـــمُ فوضَحتَ فيـــه بطلعةِ الفجـرِ

(١) العبر : الساحل والحافة . (٢) الغزر : كثرة الدَّرِّ . (٣) ما أنّ : ما هاج وما ثار حتى أشبه صوته الأنين ويريد البحر . (٤) الآستهام : الآقتراع . (٥) فى الأصل "فطنوا" . (٦) مُلْكه مثلّثةً : ماؤه وفى الأصل "ملكسنه" . (٧) البهام : السود . (٨) الجحفل المجر : الجيش الكثير .

وأبوك يومَ "البصرةِ" آعترفت ... قِمَمُ العدا لسيوفه النُّكرِ
ألقى عصًا من عزمةٍ بَتَرَتْ(١) ... آياتُها حدَّ الظُّبا البُتْرِ(٢)
لقَفَتْ على "الكَرجيِّ" ما أفكتْ ... كفَّاه من كيدٍ ومن مَكْرِ
فمضى يخيِّر نفسَه خَوَرا ... ذلَّيْن من قَتْلٍ ومن أسرِ
يجدُ الفِرارَ أحبَّ عاجلةً ... لو كُفَّ غربُ الموتِ بالفَرِّ
ورأت "عُمانُ" وأهلُها بك ما ... أغنى الفقيرَ وأمّنَ المُثرى
صارت بجودك وهى موحشةٌ ... أُنسَ الوفودِ وقِبلةَ السَّفْرِ
يفديك مبتهجٌ بنعمته ... أسيانُ(٣) فى المعروف والبِرِّ
ألهاه طيبُ المالِ يُحرِزُهُ ... عن طِيبِ ما أحرزتَ من ذِكْرِ
يبغى عِثارَك وهو فى تعبٍ ... كالليلِ طالبُ عثرةِ البدرِ
قد قلتُ لما عقَّ: دع مِدَحى ... زينُ "الكفاةِ" أبرُّ بالشِّعرِ
أُتركْ مقاماتِ العلاء له ... متأخِّرا فالصدرُ للصدرِ
يا نازحا ورجاءُ نعمتِه ... منّى مكانَ السَّحرِ(٤) والنَّحرِ
هل أنت قاضٍ فىَّ نذرَك لى؟ ... فلقد قضت فيك المنى نذرى
أيّامَ لى وحدى الوفاءُ وكـ ... ـلّ الناس من نَكْثٍ ومن غَدرِ
وأرى نداك اليومَ فى نفرٍ ... لم يُشرَكوا فى ذلك العصرِ
أُردد يدى ملأى وحاش لمن ... يعتامُ جودَك من يدٍ صِفْرِ
وآعطفْ علىَّ كما صددتَ أذُقْ(٥) ... طعميك من حُلوٍ ومن مُرِّ
وآلبسْ من النعماء سابغةً ... لا تدَّريها(٦) أسهمُ الدهرِ

(١) بترت: قطعت. (٢) البتر جمع أبتر وهو القاطع من السيوف. (٣) الأسيان: الحزين.
(٤) السحر: الرئة. (٥) فى الأصل "بما". (٦) لا تدريها: لا تجعلها غرضا لها.

تَعمَى النـــوائبُ عن تأمُّلها ... وتُطيلُ فيهـا نَومـــةَ السُّكرِ
مهما تَعُـــدْ[1] خَلَقًا بِفِدَّتِها ... تـــزداد بالتقليبِ والنشـــرِ
واسمـــعْ أَزُرْكَ بكلّ مائقةٍ ... عينَ الضجيع خريدةٍ بِكْرِ
نَسْجُ القريحـــةِ ثوبُ زينتها ... وحُلِيُّهـا من صـــنعة الفكرِ
من سحر "بابلَ" نفثُ عُقدَتِها[2] ... سارٍ و"بابلُ" منبتُ السِّحرِ
وكأنما ســاقَ التِّجارُ بهـا ... لك من "صُحارَ"[3] لطيمةَ العطرِ
تُمسى لهـا الآذانُ آذنـــةً ... ولو أنهنّ حُجـــبنَ بالوَقْـــرِ[4]
حتى أراك وأخمصاك معـا ... قُرطانِ "للعَيّوق"[5] و"النَّسرِ"
هذى الهَـــدِىُّ[6] علىَّ جَلْوَتُهـا ... وعليكم الإنصـافُ فى المَهـــرِ

* * *

وكتب الى الأستاذ أبي طالب بن أيّوب فى النيروز

لعـــلَّ لهـا مع النَّسرين[7] سِـــرًّا ... فدعهـا طائراتٍ أن تَمُـــرَّا
ركائب واثقين من الأمانى ... وأظهُـــرِها بما قتلتْـــه خُبْرا
تـــلوح خواطفـا فتظُنُّ أمرًا ... بهـا فى الســـير وهى تُريد أمرا
ســـواءٌ عنـــد أعينهـا سِرارا[8] ... قطعنَ الشهرَ أو سايرن بـــدرا
ولولا أن يخضن مع الدرارِى ... سوادَ الليـــل لم يُخلَقن حُمـــرا[9]
يُحَطُّ المَيْسُ[10] منهـا عن جُنـــوبٍ ... محلَّقـــةٍ وكنَّ رحلنَ شُـــعرا[11]

(١) فى الأصل "بعد" . (٢) فى الأصل "نفت" . (٣) صُحار: قصبةُ عمان وهى بلد مشهور بخيراته وطيب هوائه وكثرة أسواقه ؛ واللطيمة : العِيرُ تحمل الطيب . (٤) الوقر : الصمم . (٥) العيوق والنسر : اسما كوكبين . (٦) فى الأصل "هادى" ، والهدىّ : العروس . (٧) النسران : كوكبان يقال لأحدهما : النسر الواقع وللآخر النسر الطائر . (٨) السرار : ليالى آخر الشهر . (٩) فى الأصل "يحلقن" . (١٠) الميس : الرحل . (١١) شُعْرا جمع شَعْراء وهى الكثيرة الشعر على بدنها .

اذا أُرسِلَن فى الحاجات خَطْبًا[1] حَبَوْنَكَ ثيِّبًا منها وبِكرا
يَكُنَّ الى فَوارِكها[2] شفيعًا يُقرُّ نِفارَها ويكُنَّ مَهْرا
وراءَ العزّ نطلبُهُ فإما وصلنا أو بلغنا فيه عُذرا
وماء تُحبَسُ[3] الأنفاسُ منه وتُستشرى[4] به اللَّهَواتُ حَرَّا
وردت مع القطا الكُدرىِّ منه أَجُونًا[5] من بقايا الصَّيف كَدْرا[6]
أُسيغُ شرابهُ المكروهَ حلوا اذا قايستُه بالذلِّ مُرَّا
وبيتِ قِرًى تشرَّف ساكنوه يَفاعا يَقسِرون العيشَ قَسْرا
نزلتُ به وفيه غِنًى لقوم وسرتُ بجودهم وتركتُ فَقرا
وكالمُهَراتِ فى فَتَياتِ حىٍّ حَكَيْنَ رماحَه فخطَرنَ سُمرا
يُردن الخيرَ إلا أنَّ قولا يُظِنُّ المستريبَ بهنَّ شَرَّا
خلوتُ بنومهنَّ فلم أوسِّدْ يدى جنبًا ولا جنبىَّ نُكْرا
ورحتُ وقد ملأتُ الودَّ عينًا بما أودعتُها وملأتُ صدرا
وقافيةٍ على الراوى لَجوجٍ خدعتُ نِفارَها حتى آستقرَّا
تموتُ بموتِ قائلها القوافى وتبقَى لى وللمدوحِ ذِكْرا
فصُحتُ "ليعرُبٍ" فيها كأنّى عَجُمتُ "ببابلٍ" فنَفَثْتُ سِحْرا
طلبتُ لها من الفتيان فَذًّا[7] يكون لعِقدها المنظومِ نَحرا
فلم يَعْدُ "آبنَ أيّوبَ" آختيارى وقد عمَّمتُ فى ذا الناسِ سَبْرا

---

(١) خطبا : مخطوبة . (٢) الفوارك جمع فاركة وهى المبغضة زوجها . (٣) فى الأصل "يحبس" . (٤) تستشرى : تُفسَد بما يصيبها ، من قولهم : استشرَى البعير عرًّا أى فسد جلده بما أصابه من الجرب . (٥) الأجون : الماء المتغير . (٦) الكدر : الذى فيه كدرة مثل أكدر وكَدِر . (٧) فى الأصل "قدا" .

وما طـــوّفت فى الآفاق إلا ... وجـــدتُك أنتَ أينَ طلبتُ حُرّا
جنَبتُ بك الهـــوى كهلا كأنى ... جنبتُ يدى الشبـابَ المسبكرّا (١)
وعلّقتُ المـــودّةَ منك كفّى ... على زلِقٍ متينِ الفتـــلِ شَزْرا (٢)
دعوتُك والحـــوادثُ ذاهبـاتٌ ... بسرح (٣) تصـــوّنى طردا وطَـــرّا
وقد طَلَقَتْ بنـاتُ الصـبرِ منّى ... كأنى لم أكن للصّـــبر صِهرا
فكنتَ أنخى هوًى وأبى حُنُـــوًّا ... ونفسى نُصـــرةً وبُنىً بِـــرّا
حملتَ حمـالةَ الأيّامِ عـنّى ... قُلُوصا (٤) فكّنى منهـا وكَرّا
مغارمُ أشكَلَتْ، أقضَيْتَ حتّى الـ ... ـمودّةِ أم قضَيْتَ بهنّ نَذْرا؟
أشرتُ الى يديك فصُبتَ (٥) عفـوًا ... وقد أتعبت أيدى المزن غَفْـــرا
ولمـا ثَلَّمتْ منّى الليـالى ... أريتُك خَـــلّةً فسـددتَ عَشْرا
مَكارمُ لم تُسـابَقْ فى مـــداها ... وقد حرَصَتْ عليهـا الريحُ حَصْرا
وأخـــلاقٌ صفت من كلّ غِشٍّ ... سكرتُ بهـا وما عوطيت خمـرا
ملكتَ حسابَها إرثا حـــلالا ... فصرنَ لديك حقًّا مســتَقرّا
أبًا فأبًا من الأعـــلام فيها ... نعـــدّهُمُ اليك هـــلمّ جـــرّا
لَعَمْرُ الحاســـديك، وهـــل يُبَقّى ... لهم حَسَـــدُ الكمالِ عليك عَمْـــرا؟
لقـــد ليموا بما نقمـــوا وإنى ... لأوسعُهم بما حســـدوك عُذرا
أقِلْنى العجـــزَ إن قَصّرتُ وصفا ... لِمـا أوليتَ أو قَصّرتُ شكرا
فإنّ علىّ جَهْـــدَ الفكرِ قـــولا ... وليس علىّ عنـــد الغيثِ قَطْـــرا

(١٥٣)

(١) المسبكر : التامّ المعتدل . (٢) الشزر : فتل الحبـل عن اليسار وهو أحكم لفتله .
(٣) السرح : المـال السائم، وفى الأصل "بشرح" . (٤) القلوص : الوثب . (٥) صبت من صاب المطر يصوب بمعنى انصبّ ونزل، وفى الأصل "قضيت" .

على أنّ القوافى الغُرَّ عنى ... كوافلُ بالذى أَرضَى وسَرَّا
تروح عليك أو تغدو التهانى ... بهنّ حوافلَ الأخلافِ غُزْرا
اذا مَطَرَتْ ترى الأحسابَ بيضا ... بما يُثنِينَ والأعراضَ خُضْرا
كأن لطيمةً منها أُنيخَتْ ... ببابك، فارتدعْ[1] ما شئتَ عِطرا
تعدّ الدهرَ نيروزا وعيدا ... وصوما راجعا أبدا وفِطرا
فتصحَبُه بأنفذَ منه أمرا ... على الدنيا وأطولَ فيه عُمرا

* * *

وكتب الى الصاحب أبى القاسم بن عبد الرحيم فى النيروز

هل عند ريحِ الصَّبا من "رامةٍ" خبرُ ... أم طاب أن صاب روضاتِ اللّوى المطرُ؟
علامةٌ لك من "أمّ الوليد" أتت ... تعلو الرياحُ بها والمزن تنحدرُ
كأنّ ما هبَّ عِطرياً مجاسدُها[2] ... منفوضةً وكأنّ البارقَ الأُشُرُ[3]
هوًى ترامت به الأيّام تُبعدُه ... وقرَّبتْه لك الآياتُ والذِّكَرُ
ونازلٌ "باللوى" يسليك صورتُه ... تيهُ الطريق وينسيك آسمَهُ الحذَرُ
سرى الى الشرق مشتاقا وما فُقِدتْ ... عينٌ له "بلوى خبتٍ"[4] ولا أَثَرُ
يُجشِّمُ البدرَ أن يشقَى برؤيته ... ويلبَسُ الليلَ زوّارا فيعتكرُ
ما آستوطن البيدَ لولا أنه رشأٌ ... وما آمتطى الليلَ لولا أنه قمرُ
يا مِنّةً للكرى لولا حلاوتُها ... ما ذُمَّ — وهو وفاءٌ فى الهوى — السهرُ
مدَّ الظلامُ بها قبلَ الصباح يدا ... بيضاءَ بانَ بها من أمسه السحَرُ

---

(١) يقال: آرتدع بالطيب بمعنى تضمَّخ.
(٢) المجاسد جمع مِجْسد وهو القميص يلى الجسدَ.
(٣) الأُشُر: حدّة ورقّة فى أطراف الأسنان.
(٤) لوى خبت: آسم موضع، وفى الأصل "خبث" وهو تحريف.

فى الضـاربين على "البَلْقـاءِ" باديةً ... يَسبِى لهـا الحرَّ من أبنائه الحَضَرُ

تُصبِى الأحاديثُ عنهـا وهى نازحـةٌ ... والسـمعُ يعلَق ما لا يعلَق البصرُ

سمراءُ غارتْ عليهـا — وهى تُشبهها[1] ... فى القدّ واللون — تحميها القنا السُّمُرُ

تَلينُ خَلْقًا ويجفـو خُلْقُها فكأنْ ... فى جسمِها الماءِ[2] أُلْقِى قلبُهـا الحَجَـرُ

"سعديّة" تدّعى أن الوفاءَ لهـا ... من صُلب "حاجبَ"[3] حبلٌ ليس ينبتر

فما لها وفـؤادى فى خِفارتهـا ... والشـوقُ يرعاه ظلمـا ليس ينتصرُ

لوشاء بعـدُ جوارِى وهو مطّـرِحٌ ... من شاء، قال: "التميميّون" قد غدروا

ما أنكرتْ "أمُّ خير" وهى معرضة ؟ ... أغيرَ أنْ لوّنتْ من لِمّتى الغـيَرُ؟!

وَفَى الصِّبَا للهـوَى إذ[4] كان حالفه ... لا يُحلَقُ الحبُّ حتى يُحلَقَ الشَّـعَرُ

أرى المنى بعـدُ تُملِى لى سـوالفها ... وفى المشيب الذى آستقبلتُ مزدجَرُ

أشتاق حاجاتِىَ الأولَى وتجـذبنى ... الى آتبـاع النُّهى حاجاتِىَ الأُخَـرُ

ما أشرفَ الحـلمَ لولا ثِقل محمِـلِهِ ... وأجـلَ الصمتَ لولا قولهم : حَصَرُ

وما أعزَّ الفـتى فى ظلِّ عفّتِـهِ ... لو شُـوور الحزمُ أو لو صحّت الفِكَرُ

ما لكَ[5] فى الحرص إلا فضـلُ ذلّتِهِ ... والرزقُ يفعل فيـه ما آشتهى القـدَرُ

خُلْقانِ فى هـذه الدنيـا مُعاسرةٌ ... ما طولِبتْ ، وبها إن تُورِكت يُسُرُ

قنعتُ منهـا بمـا بلَّ الصـدَى كِبَرًا ... من همّتى ظنَّ قـومٌ أنه صِـغَرُ

أسوِّفُ العيشَ حسنَ الظنِّ أجـبُرُه ... على فسادٍ وجَـبْرُ الظنِّ منكسرُ

مرقِّعا بالمنَى أرجـو غدا فغـدا ... تأتى الحظوظُ وحظّى بعـدُ منتظَرُ

رضًا بنفسِىَ أو ودِّ آمرئ ثِقـةٍ ... أغنَى به ، وغنًى المـالِ مفتقِـرُ

(١٥٤)

(١) فى الأصل "نشب" . (٢) يريد فى جسمها الذى هو كالماء . (٣) ينبتر: ينقطع، وفى الأصل "ينتشر" . (٤) فى الأصل "إن" . (٥) دخل الطىّ على هذه الكلمة وهو حذف الرابع الساكن وقد كرر كثيرا فى هذه القصيدة .

وإن مدحتُ ففخرٌ[1] لا أعابُ به ... ولا يكذِّبُ إخبارى به الخُبُرُ

اذا غلوتُ بقولٍ فيه لم ترنى ... الى المروءة فيما قلتُ أعتذرُ

حدِّثْ بفضلِ بنى "عبدِ الرحيم" وما ... طابوا على قِدَمِ الدنيا وما كثُروا

وٱستشهد الصُّحُفَ[2] الأولى بما نقلت ... عنهم وما قصَّت الآثارُ والسِّيَرُ

المكتفين اذا غابوا بشُهرتهم ... عن الشهادة والكافين ما حضَروا

أبناء ذِروة هذا الملكِ قد فَرَعوا ... سَنامَه يطلبون النجمَ ما ٱنحدروا

تملَّكوا قُربَ[3] الدنيا وشِرعتَها ... لا يَرِدُ الناسُ إلا كلَّ ما صدَروا

لا تستخفُّهم الأحداثُ إن طرقت ... عن الحُلومِ ولا يُطغيهم البطَرُ

اذا بلوتَ تُقاهم أو بصائرَهم ... فى نعمةٍ شَكَروا أو نكبةٍ صبَروا

تكلَّموا وأَرِمَّ[4] الناطقون لهم ... لا يؤمَرون ولا يُعصَوْن إن أَمَروا

يُدعَون فى السنواتِ الشُّهبِ[5] جامدةً ... فيفعلون بها ما يفعلُ المطرُ

غاض الفُراتُ وضنَّ المزنُ وٱنبعثتْ ... فى المزنِ تُعصَرُ أيديهم فتنعصِرُ

لو ركَّبوا فى أعاليهم أناملَهم ... [يوم][6] الوغَى خُضِّرتْ أطرافُها الحُمُرُ

إن كنتَ فيمن طواه البينُ ممترياً ... منهم فعندك من منشورهم خَبَرُ

هذا "الحسينُ" حياةٌ خُلِّدتْ لهمُ ... ليسوا بأوّل موتَى بابنهم نُشروا

صَلِّى[7] فزادت على السُّبَّاق حَلبتُه ... محلَّقُ العُرفِ جارٍ خطوُه حُضُرُ[8]

كالسهمِ أحرزَ ذكرا يومَ تُرسله ... لم يُعطِه أبواه القوسُ والوترُ

عُصارة فضلتْ فى الطِّيب طينتَها ... والخمرُ أطيبُ شىء منه يُعتصَرُ

---

(١) فى الأصل "فخز". (٢) فى الأصل "انقلبت". (٣) القرب: طلب الماء ليلا.
(٤) أرمّ: سكت. (٥) الشهب: البيض، و يكنى بالبياض عن الجدب والقحط. (٦) هذه الكلمة غير موجودة بالأصل. (٧) صلّى الجوادُ اذا جاء بعد الذى جلّى. (٨) الحُضُر: ٱرتفاع الفرس فى عَدْوه وقد ضُمّت الضاد للضرورة الشعريّة.

لا يعدَم "الصاحبَ" ابنُ الليل قوَّسهُ ... طـولُ السُّرَى وتنقّى(١) عظمَه السَّفرُ

فـوَّزَ فى البيـدِ لا ظـلٌّ يفىء له ... ظُهْـرًا ولا يتّقيه من ندًى سَحَـرُ

تَرمِى به غرضَ الأخطـارِ حاجتُهُ ... يحـلو له المِلحُ أو يصفو له الكَدِرُ

يُحسُّ أو يـتراءى(٢) كلَّ مُخلِفَـةٍ(٣) ... لا سمعَ يَصـدُقُه فيهـا ولا نظـرُ

يرَى سماوتَه(٤) فى الماءِ يُنكرُها ... من طول ما اختلفتْ فى عينه الصُّورُ

حتى اذا ملَّت الأقـدارُ شِقـوتَه ... وحان من سعيه أن يُدرَك الظفـرُ

آنَسَ من جوده نارا مبشـرةً ... بـبَرْدِ عيشته من حيثُ تستعـرُ

بفـاء يقتافُهـا حتى أصاب قِـرًى ... يأخذُ منـه اشتطاطَ النفسِ أو يذَرُ

بينـا تكونُ البـدورُ الطائماتُ به ... ولائدا وتُذَكَّى للقِـرَى البِـدَرُ(٥)

فلا خلا منـه ربعُ الفضـلِ يعمُرُه(٦) ... بالمـال يُقسَمُ والأقـوالِ تُدَّخَرُ

وبَيْضـةِ الملكِ يحميهـا فما كَرَبت(٧) ... مـذ قام يَشعَبُهـا بالرأى تنفطِـرُ

تيمَّنوا باسمـه حتى لقـد وثِقـوا ... لو سار فى غير جيشٍ أنهـم نُصِروا

طلقُ النقيبـةِ لم يعقِـل سعايتُه(٨) ... عن مطلبٍ "رجبٌ" يُخشَى ولا "صَفَرُ"

غَرَّرَ فى العـزِّ حتى نال غايتَـهُ ... وجانبُ العزِّ مركوبٌ له الغَرَرُ

لو عِيبَ ما عابه شىءٌ يُزَنُّ(٩) به ... من النقيصـةِ إلا أنه بشـرُ

حلا له الحمـدُ حتى ما له ثمـنٌ ... يغـلو عليـه وحتى مالُهُ هَـدَرُ

---

(١) تنقّى : استخرج النِّقْىَ وهو المخّ . (٢) يتراءى بمعنى يرى ، وفى الأصل "تنزأ" .

(٣) المخلفة : السحابة تُطمِعُ فى النزول ثم تنكُصُ عنه . (٤) سماوته : شخصه . (٥) يريد ذوات البدر جمع بَدرة وهى جلد السخلة . (٦) فى الأصل "يعموه" . (٧) كربت : يقال كرب يفعل أى كاد يفعل وهو من أفعال المقاربة و يكثر تجريد خبرها من أن و يقلُّ اقترانه بها والمشهور فيها فتح الراء ونُقِل كسرُها . (٨) فى الأصل "سعادته" . (٩) يزنّ به : يظنّ به أو يتّهم به .

لو وَهَبَ المرءُ يوما نفسَهُ سَرَفا ... لم يَهَبِ النفسَ إلا وهو مختصرُ
عَجِمتُ أيّامَ دهرى صعبةً بكُمُ ... فسالمتْنى وفى أيّامها خَوَرُ
وكان لى عندَ حظّى قبلَ ودّكُمُ ... ثأرٌ فقمتُ بكم كالسيف أثّأرُ (١)
فلتأتينّكُمُ عنّى وبى أبدا ... غرائبٌ وهى فى أوطانها فِقَرُ (٢)
تسرى مراكبَ للأحساب، تَعرِضُها ... على العيون شِيَاتٌ (٣) كلُّها غُرَرُ
اذا تحلّتْ فمعناها قلائدُها الـ ... ـضارُ أو لفظُها أقراطُها الدُّرَرُ (٤)
ممّا ولَدتُ وإن خالفتُ منصِبَها ... "كِسرَى" أبى وأبوها نسبةً "مُضَرُ"
تسرُّكم وتسوء الحاسدين لكم ... ونفعُ قومٍ لقومٍ غيرِهم ضَرَرُ
فى كلِّ يومٍ جديدِ العهد مبتكرٍ ... تسوقُها لكم الرَّوْحاتُ والبُكَرُ
لها بأحسابها طُولٌ وما قطَعتْ ... سَيْرا وفيها عن استحقاقكم قِصَرُ
وقد سمعتم سواها قابلين له ... فكيف يحلو لجانى النحلةِ (٥) الصَّبِرُ
وإن تشابهتِ الألفاظُ واتفقتْ ... فرُمّةُ (٦) الحبل شكلا حيّةٌ ذكَرُ

* * *

وقال فى غرض له

١٥٥

ياليلةً ما رأتها أعينُ الغِيَرِ ... لم ينجُ لى قبلَها صفوٌ من الكَدَرِ
كأنها ساهمتنى فى السرور بما ... أولت فطالت، وعمرُ الليل فى القِصَرِ
يئست من صبحها حتى التفتُّ الى ... وجهِ العِشاء أعزّيه عن السَّحَرِ
كم يوم سُخطٍ صفا لى منه ليلُ رضًا ... حتى وهبتُ ذُنوبَ الشمسِ للقمرِ

(١) أثّأر: أُدرك ثأرى، وأصله أثتئر قُلبت التاءُ ثاءً. (٢) فِقَر جمع فقرة وهى العَلَم من جبل، ويريد بذلك أن قصائده أعلامٌ فى مواطنها. (٣) شيات جمع شية وهى العلامة. (٤) فى الأصل "قراطها". (٥) فى الأصل "النخلة". (٦) الرمة: القطعةُ من حبل بال.

* * *

وكتب الى حضرة مؤيّد الملك أبى علىّ الزنجىّ فى المهرجان وهو بواسط، يمدحه وقد استبطأ خدمته، وأنكر تأخّرها عنه، ويذكر وقوف أمره فى أشياء أنعم بترتيبها من معيشته خلفاءُ له، وتولّى إنشادَ هذه القصيدة أبو طالب بن أيّوب

تَغَرَّبْ فبالدار الحبيبةِ دارُ ... وفُكَّ المطايا فالمُناخُ إسارُ

ولا تسأل الأقدارَ عمّا تجرُّه ... مخافةَ هُلكٍ والسلامةُ عارُ

اذا لم يَسَعْها الأمنُ فى عُقر دارِها ... فخاطِرْ بها، إنّ العلاءَ خطارُ

أرى إبِلى تَعصِى الحُداةَ كأنما ... بوازلُها تحتَ الحبالِ بِكارُ

تَقامصُ من مسّ الهوان جُنوبُها ... كأنّ الأذى طردٌ لها وعَوارُ

تَحَسَّى(١) القذَى المتزورَ من ماء أهلِها ... وتأبَى النميرَ العِدَّ وهو(٢) بحارُ

ومذ علِمتْ أن الخَشاشةَ(٣) ذلّةٌ ... ففى خَطْمها من أن تُخَشَّ نِفارُ

لغيرى قِرَى ألبانِها ولحومِها ... ولاقحةٌ(٤) من أُدْمِها(٥) وحُوارُ(٦)

متى دبَّ ماءُ الضيم فيها فلم تعُدْ ... مطىَّ قفار الأرض وهى قِفارُ

وإن لم تُناضِلْ من عقودِ نُسوعِها(٧) ... نصولٌ نَعَى سيبَ اللِّصابِ(٨) تبارُ(٩)

ظِرابُ(١٠) الغضا من تحت أخفافِها سَفًا(١١) ... يطيشُ وأحقافُ "الغويرِ" حِفارُ

---

(١) تحسّى محذوفة التاء الأولى بمعنى تشرب، وفى الأصل "تحاشى" ولا تتّفق والمعنى.

(٢) فى الأصل: "وهى". (٣) الخَشاشةُ: العود يوضع فى أنف البعير. (٤) اللاقحة: الناقة تقبل اللقاح، وفى الأصل "لاقحة". (٥) الأدم جمع أدماء وهى التى فى لونها سمرة.

(٦) الحُوار: ولد الناقة من حين يرضع الى أن يُفطم. (٧) نسوع جمع نِسع وهو سَيْرٌ أو حبلٌ من أَدَم تشدّ به الرِّحال. (٨) اللِّصاب جمع لِصْب وهو مضيق الوادى، ويقال: "أعذب من ماء اللصاب".

(٩) التَّبار: الهلاك. (١٠) ظِراب جمع ظَرِب وهو ما نتأ من الحجارة وحُدَّ طَرَفُه، وفى الأصل "طراب". (١١) السفا: التراب الذى تسفيه الريح.

كأنّ السياطَ يقتلِعنَ اذا هوت ... سفائنَ منها ، والسرابُ بِحارُ

مُقامى على "الزَّوراء" وهى حبيبةٌ ... مع الظُّلم غَبنٌ للعُلا وخَسارُ

وكم حَلَّةٍ مجفوَّةٍ ولها الهوى ... وأُخرَى لها البغضاءُ وهْى تُزارُ

وفى غيرها المجدُ الذى كان مَرّةً ... لها شرفٌ فى قُربه ونِفارُ

اذا حَمَلتْ أرضٌ ترابَ مذلَّةٍ ... فليس عليها للكريم قَرارُ

وكم عزمةٍ مرتاضةٍ قد ركبتُها ... فخضْتُ بها الحاجاتِ وهْى غِمارُ

وذى سِنَةٍ جفَّعتُ بالنوم عينَه ... وأجفانُه عَطْفًا عليه طَوارُ (١)

صَحَا لى وقد ناديتُ من سَكرةِ الكرى ... وقد دار فى عينيْه منه عُقارُ

تنجَّزتُ أقصَى جودِه وهو كارهٌ ... ولم يك للمولَى علىّ خِيارُ

وليلٍ أضافَ الصبحَ تحت جَناحه ... وحُصَّ فلم يرفعْهُ عنه مَطارُ

هجمتُ عليه قادحا ببصيرتى ... دُجاهُ، وليلُ الزِّبرِقانِ (٢) نَهارُ

ومُشترفٍ (٣) من العفافِ أطلعتُه (٤) ... وقد نام واشٍ وآستقام نوارُ (٥)

فلم يتَوَصَّمْنى وسادُ علوتُه ... بعيبٍ ولم يَشهَدْ علىَّ إزارُ

وقافيةٍ أسهلتُ مجرَى طريقها ... لها فى حُلوقِ القائلين عِثارُ

نُضارٌ من القول الذى لم يُرَدْ به ... لُجينٌ ولم يوجد عليه نُضارُ

اذا ما آستبقْن الحسنَ يُبسطْن عن فمى ... شَرَدْنَ فلم يُعلَقْ لهن غُبارُ (٦)

يعيّرنى قومٌ خلوٌّ معاطنى ... وفيهم رُغاءٌ (٧) ما آشتَهَوا ونُعارُ (٨)

---

(١) الطَّوار: ما كان على حَدّ الشىء أو بحذائه . (٢) الزبرقان : البدر . (٣) المشترف : المكان يشرف عليه . (٤) آطلعته : طلعته وعلمته . (٥) النَّوار : النُّفورُ من الرِّيبة .
(٦) فى الأصل "عمار" ولعلها "عِصار" وهو أيضا الغبار الشديد . (٧) الرغاء : تصويت الإبل ، وفى الأصل "دعاء" . (٨) النعار : الصياح والتصويت بالخيشوم ، وفى الأصل هكذا "نعار" .

ولا عيبَ أن أهززتُ وحدى وأسمَنوا ... اذا أنا أنجدتُ العـــلاءَ وغاروا

ولستَ ترى الأجسامَ وهى ضئيلةٌ ... نواحـــلُ إلا والنفـــوسُ كِبارُ

خفِيتُ ونُورى كامنٌ فى قَناعتى ... وما كلُّ ما غَـــمَّ الهـــلالَ سِرارُ

وكيف أذود النومَ أخشى خَصاصةً ... ولى من كلاءاتِ الوزير جِـــوارُ

ونعماه ، إن دهرى أغار حُماتُه ... على الحُرّ من مسّ الهـوانِ، تَغارُ

اذا ضمّنى "مـــؤيّد الملك" مانعـا ... فما لدمِ الأيّام عنـــدِىَ ثارُ

نُكولى اذا أمسكتُ أطرافَ حبله ... قُـــوًى وٱفتقارى فى ذَراه يَسارُ ١٥٦

سقى اللهُ ماءَ النصر كفًّا بنانُها[1] ... غصـــونٌ لها دُرُّ البحار ثِمارُ

وحيّا على رغم الكواكب غُرَّةً[2] ... أسِـــرَّتُها للمعتفين مَنارُ

ترى الرزق شَفّافا وراء ٱبتسامِها ... كما شَفَّ عن لَمـــع البروق قِطارُ[3]

وزاد ٱنبساطا فى الممالك راحةٌ ... يمـــينُ الحيا إن جاودتْه يَسارُ

من القـــوم لو طار الفخارُ بمعشرٍ[4] ... الى غايةٍ فـــوق السماء لطاروا

بَنِى الملكِ ، والدنيا بماءِ شبابها ... وأيّامُها زُغْبٌ[5] تـــدبُّ صِغارُ

خيـامٌ على أطنابها "رُنّجيّـــةٌ" ... لها فى سماواتِ الفخار ديارُ

وزيريّةٌ جَدًّا فَخِـــدًّا يَعُـــدُّها ... على المجـــدِ عرقٌ ضاربٌ ونِجارُ

يُراحُ عليها بالعشىِّ لَبـــونُها[6] ... اذا رُوِّحتْ على البيوتِ عِشارُ[7]

وشَقَّ دُجُنّاتِ الخطـــوبِ برأيه ... بصـــيرٌ له سرُّ الغيـــوب جِهارُ

---

(١) فى الأصل "بناتها" . (٢) فى الأصـــل "الكواعب" وليست بوجيهه ولعلها محرفة كما رجّحنا . (٣) قطار جمع قَطر وهو المطر . (٤) فى الأصل "إن" . (٥) زغب جمع أزغب وهو الفرخ نبت ريشه الخفيف . (٦) اللبون : غزيرة اللبن . (٧) عِشار جمع عُشَراء وهى الناقة مضى على حملها عشرة أشهر، وعُشراء وعِشار كنُفساء ونِفاس ولا ثالث لها .

اذا رَدَّ فى أعطافه لحظاتِه ... تشعشَعَ سِربالٌ[1] له وصِدارُ
قريبُ الجَنَى حُلوٌ لأيدى عفاتِه ... وأشوسُ بين العاقرين مُرارُ
اذا ما بدا للعين راقت بشاشةٌ ... عليه وراعت هيبةٌ ووقارُ
فيُطمِعُ فيه ثغرُه حين يُجتَدَى ... ويؤيِسُ منه الأنفُ حين يَغارُ
له اللهُ[2] من مُلك حميت سريرَه ... وغايتُه[3] للطامعين وِجارُ
وقد نام عنه الدافعون وكُشِّفتْ ... خَباياه[4] للأبصارِ وهى عَوارُ
مددتَ بباعيْه فلم يُرَ معصمٌ ... له بارِزًا إلا وأنتَ سِوارُ
وغَرَّ بِك الأعداءَ خُلْقٌ مسامحٌ ... لهم وخلالٌ أن رضيتَ خِيارُ
وما علموا أنّ النصولَ شوارعٌ ... على عَلَقِ[5] الأكبادِ وهى طِرارُ
فإنَّ رقابَ الأُسْدِ دون عراكها ... مصارعُ للآجالِ وهى قِصارُ
وقد جرَّبوا عزميك والجودُ ساكنٌ ... على السَّلم والنقعُ الأغَمُّ[6] مُثارُ
وكم لك من يومٍ يُخيمُ[7] شجاعُه ... ولا يَصِمُ المهزومَ منه فِرارُ[8]
تَناكَرَ عنه المدّعون فلم يكن ... سوى أسمك للأبطالِ فيه شِعارُ
وقفتَ له والمرهفاتُ كأنّها ... دَبًى[9] فوق بَيْضِ[10] الدارعين مُطارُ
ولو أنَّ حدَّ السيف خانك دونه ... وَفَى لك جَدٌّ لم يَعُقْه عِثارُ
أَسِلْ[11] مُرَنَتَىْ كفَّيْك يَغْرَقْ بها العدا ... وسِمْ[12] بأسمك الأعداءَ فاسمُك نارُ

(١) الصدار : قميص صغير يلى الجسد . (٢) فى الأصل "لك الله" ولعله تحريف .
(٣) الوجار : الجحر . (٤) العَوار : العيب . (٥) العلق : الدم الغليظ الشديد الحمرة ، وفى الأصل "غلق" . (٦) الأغم : المظلم ، وفى الأصل "الأعتم" . (٧) يخيم : يجبن وينكص ، وفى الأصل هكذا "يحتم" . (٨) فى الأصل "قرار" . (٩) الدبى : الجراد .
(١٠) بيض جمع بَيضة وهى الخُوذة من الحديد توضع على الرأس . (١١) فى الأصل "أسا" .
(١٢) سم : فعل أمر من وسم بمعنى كوى ومنه المِيسم وهو الحديدة التى يُكوَى بها ، وفى الأصل "شم" .

ولا تَلْقَ يـومَ الرَّوع إلا مُصالتا ... بجَـدِّك إن كلَّت ظُبًا وشِفارُ

فإنّ لجُرح السـيف لا بـدَّ ثائرا ... [له](١) وجراحات الجدود(٢) جُبارُ

قضى اللهُ فى حُسَّادِ ملكك أنهـم ... وَقودٌ وأنّ الغيـظَ منك شرارُ

فألسـنُهم غَيظًا بوارِدُ(٣) رَطْبةٌ(٤) ... وأكبادُهم خلفَ الضـلوع حِرارُ

تناهَوْا(٥) حِـذارا أن يُعَلَّ حديثُهـم ... فما بين كلِّ اثنين فيـك سِرارُ

ولاموا نجـومَ السعدِ جهلا وإنما ... تدورُ لك الأفـلاكُ حيث تُدارُ

تُواقِفُ أقدامَ الأسـودِ كأنما ... جَنابُك عزًّا أن يُرامَ مُغَارُ

وتَخجَلُ من دفع الحقـوقِ كأنما ... لثامُك من فـرط الحياء خِمارُ

أجبْ دعوةً ياسـيّد الوزراء لم ... تُجبْهـا قريبـا إذ دعتْـك مِرارُ

تناديك عن شوق(٦)، مواقدُ نارها ... فـؤادى، وأنفاسى الحِرارُ أُوارُ(٧)

أُداريه خوفَ الشامتين، وظاهرى ... قِياسٌ(٨) لما فى باطنى وعِيارُ

الى كم يُقِـلُّ البعدُ ظهرِى وكم يُرى(٩) ... لجنبى على جمـر الفراق قَـرارُ

كأنى حيالَ البعـدِ بينى وبينكم ... يُقِـدُّ أديمى أو حشاىَ تُعارُ

ولَيتَ الزمانَ المطـربى بأقترابكم ... كما زال سُكْرٌ منـه زال خُمارُ

يكاد نزاعى نحوكم أن يطـيرَ بى ... وهـل لقصيصٍ فى السماءِ مطارُ

وأُطمِعَ قـومٌ بعدكم فى تهضُّمى ... فشـنُّوا على أحسابكم وأغاروا

---

(١) هذه الكلمة ليست فى الأصل. (٢) فى الأصل "الحدود". (٣، ٤) هاتان الكلمتان وردتا بالأصل هكذا "بوارد طه". (٥) هذه الكلمة وردت فى الأصل هكذا "ناهوا" وقد صحفناها الى تناهوا وتباهوا فوجدنا الأولى أحقّ بتأدية المعنى ومعناها نهى بعضهم بعضا. (٦) فى الأصل هكذا "مواقد نار". (٧) الأوار: حر النار. (٨) ورد هذا البيت فى الأصل هكذا

* أداريه خوف الشامتين بظاهرين * الخ

(٩) فى الأصل "ترى".

ولم يعلموا مقدارَ عَطفةِ جودكم ... علىَّ فلى نقصٌ بهم وضِرارُ
اذا حبسوا الماءَ الذى سُقتموهُ لى ... فمن أين تُسقَى سَرحتى وتُمارُ
وقد علموا أن لا ٱرتجاعَ لنَيْلكم ... ولا الثوبُ مما تلبَسون (١) مُعارُ
عسى اللهُ أن يقتادَ لى بإيابكم ... فيُدرَكَ من باغى ٱنتقاصِى ثارُ (١٥٧)
بكلِّ عزيزٍ بذلُها عند قومها ... لها مَنصِبٌ مَعْ حُسنِها ونِجارُ
اذا خطَرتْ بين الرُّواةِ حسبتهم ... يمانين فيما يحملون عِطارُ
تنِمُّ بما فيها كأنَّ طروسَها ... لطائمُ أهدتْها اليك "صُحارُ" (٢)
تَضوَّعُ رَندًا "فارسيًّا" لجنسها ... "وللعُرْبِ" (٣) فيها حنوةٌ (٤) وعرارُ
اذا جُلِيَتْ عَطْلَى (٥) عليك فَمْيُها ... عُلاك وحُسنُ الإستماع نثارُ
على المهرجان وسمةٌ من جمالها ... "عَروبةُ" (٦) منها فاصلٌ وشِيارُ (٧)
لئن قَصَّر المقدارُ خَطوِى عنكُمُ ... فلى غايةٌ فى بعثها وقُصارُ (٨)

* * *

وقال وقد جَرَتْ نَبوةٌ للصاحب أبى القاسم بن عبد الرحيم بالحضرة ونُفورٌ مع سلطانه فى خطاب، فاقتضت ٱعتزالَه عما كان اليه ولزومَ بيته، ثم عاد أمرُه الى أحسن ما كان عليه رتبةً وٱرتقاءً وتمكّنا من الحضرة وٱنبساطا، وأفيضت المكارمُ (٩) عليه، وضُوعِف الإحسان اليه، وكتب بها اليه يُعلِمه بما تجدّد، ويذكر التهنئةَ وذِكرَ الحالِ، ويحثّه على إبانة مسرّته بما كان يقول فيها، وأنفذها الى واسط

(١) فى الأصل "يلبسون". (٢) صُحار: قصبةُ عُمَان وهى مدينة ليس على بحر الصين أجلّ منها وهى عامرة ومشهورة بطيب هوائها وخيراتها وأسواقها. (٣) الحنوة: نباتٌ طيّب الريح. (٤) العرار: النرجس البرىّ أو هو بهارٌ ناعمٌ أصفرُ طيّبُ النَّكهة. (٥) عطلَى: غير متحلّية. (٦) عروبة: اسم ليوم الجمعة تعريب "أُرُبا" النبطية أو "عَروبَتا" السُّريانيّة. (٧) شِيار: اسم ليوم السبت، ولعله أراد تشبيه قصائده بيوم الجمعة والسبت لجلال مقامهما عند المسلمين وبعض أهل الكتاب. (٨) القُصار: الغاية. (٩) فى الأصل "اليه".

هل تَقبلون إنابةَ الدهرِ ... أم تُنصِتون له الى عُذرِ
أم تعرفون لقُربِ رَجعتِهِ ... ما كان همَّ به من الغدرِ (١)
فلقد أتاكم يستظلُّ بكم ... من حرِّ سخطكُمُ ويستذرى (٢) (٣)
متنصِّلا من هفوةٍ ، يدُهُ ... كادت تَشُلُّ بها وما يدرى (٤)
خزيانَ يُقسِمُ : لا سعَى أبدا ... للجدِّ فى وَهْنٍ ولا عَقْرِ
وَسْمُ الندامةِ فوق جبهتِه ... ويداه بالإقرارِ فى أسرِ
يَلقَى الجراحةَ بالدواملِ من (٥) ... إقلاعِه والكَسْرَ بالجَبْرِ
فاستعملوا البُقيا التى فُطِرتْ ... فيها حلومُكُمُ من الصخرِ
واستعبدوه بعفوكم فلكم ... بالجود من عبدٍ لكم حُرِّ
وأنا الزعيمُ لكم بعُهدتِهِ (٦) ... ووفائِهِ وشفيعُهُ شِعرى
قد كان غمرا لم يجد خورا ... وأظافرا خدشت ولم تفرِ
ونوافذًا حرِشت فما لقيت (٧) ... حرِجًا (٨) ولا متقبِّضَ الصَّدرِ
أُذُنٌ تمجُّ الهُجْرَ تسمعه ... ولسانُ صِدقٍ حاضرُ النَّصرِ
طرفٌ أشمُّ من الرجال أبَى ... فى الضيم أن يُعزَى الى صَبْرِ
ومودّةٌ كلمتْ فعوّرها (٩) ... نَبْذٌ من الإعراض والهَجْرِ
عتبٌ تخلَّص فى تراجمه ... من عثرة الفحشاءِ والهُجْرِ
لم يحترِش ضَغَنًا ولا حُنِيتْ (١٠) ... عُوجُ الضلوع له على غِمرِ
مَدَّ الوشاةُ له رقابَهُمُ ... يتطلعون عواقبَ المكرِ

(١) فى الأصل "العذر". (٢) فى الأصل "يستطيل". (٣) يستذرى : يستظل ويلتجىء.
(٤) فى الأصل "كانت تسل". (٥) الدوامل جمع داملة وهى ما تُبرئ الجرح. (٦) العهدة : الرجعة الى الإصلاح. (٧) حرِشت : خشنت. (٨) الحرِجُ : الضيِّق وفى الأصل "جَرَحًا".
(٩) عوّرها : جعل بها عوارا. (١٠) لم يحترش : لم يَجمَع، وفى الأصل "تحترس".

يرمون بالأبصار رائدةً أنّى تَصُوبُ سحابةُ الشرِّ
ظنّوا اليدَ اليمنى اذا بطشتْ قعدتْ بيسراها عن النصرِ
والنيّران و إن هما آختلفا فالشمسُ لا تُرتابُ بالبدرِ
يا خاب سعيُ مرقّشين(١) مشوا بالغشّ بين الماء والخمرِ
ومسوّلين نفوسَهم حسدا أن القِطارَ تُظنُّ كالبحرِ
خبطوا من التمويه فى ظُلَمٍ أسفرن عن مُستَبْهَمٍ وعرِ
لا يستقرُّ به الدليلُ على قصٍّ ولا يحنو على السَّفْرِ
قد عانقوا فيه رحالَهُمُ من قائفٍ أَثَرًا ومستقرِى(٢)
يَغلى الهجيرُ بهم اذا آنغمسوا فى الآل غلْيَ الماءِ فى القِدرِ
نجواهُمُ فيه اذا آشتوَروا : يا ليتَ لم نركبكَ من ظَهْرِ
قد طَأمنَتْ فقَعوا لها وضَعوا الـ ـجَبهاتِ موجةَ ذلك العِبْرِ (١٥٨)
وأفاقت الأيّام وآعترفت بمكانِ جَهلتها على السُّكْرِ
فتساندوا أسفا الى صَدَفٍ(٣) هاوٍ على ممطولةِ القعرِ
ملساءَ لا تجد الاكفُّ بها عَلَقًا(٤) بأنملةٍ ولا ظُفْرِ
عَضُّوا(٥) الحصا إن لان من كمدٍ لضروسكم وآمشُوا على الجمرِ
الله أحسنُ للعلا نظرا وأبرُّ بالمعروفِ والبرِّ
وأشدُّ ضَنًّا(٦) بالمحاسن أن يُقوينَ من عَيْنٍ ومن أَثْرِ(٧)
أو أن تُعطَّلَ(٨) بالذى زعموا سُنَنُ الهدَى ومواسمُ الشكرِ

---

(١) مرقّشين : مزوّرين . (٢) القائف والمستقرى : المتتبع الأثر وغيره . (٣) فى الأصل "صدق" . (٤) العلق : مصدر بمعنى التعلق . (٥) فى الأصل : "غضّوا" . (٦) فى الأصل "صبا" . (٧) يريد "أَثَرٍ" وسكنت الثاء للضرورة . (٨) فى الأصل "تعطلى" .

والمُلكُ يعلم أىَّ[1] سيفٍ وغًى ... يَمضى وسهمٍ رميَّةٍ يبرى

وترى الرجالَ وفوتَ[2] بينهم ... مثلَ البهامِ[3] تُقاس بالغُرِّ[4]

فيُعدُّ للجُلَّى أتمُّهم ... باعا وأحفظُهم قُوَى أسْرِ[5]

وأخفُّهم فى صدر موكبه ... سَرْجا وأثقلُهم على الصدرِ

ورأوا ظلامَ الأمر منذُ خبا ... عنهم سراجُ النَّهْى والأمرِ

قبضوا الذراعَ الرّحبَ واعتقدوا ... أنّ السماء تُقاسُ بالفِترِ

واستصغروا عفوَ اللبيب فما استـ ... ـغنَوا بجهل الغافل الغَمْرِ

حتى اذا أبَّت[6] حلومُهم ... فرًّا طليعةَ رأيهم تَسرى،

عادوا وقد خَفَّ البُغاثُ بهم ... يستطعمون مخالبَ النَّسرِ

فأقلْ عِثارَهُمُ فإنهمُ ... رجعوا اليك رجوعَ مضْطَرِّ

واحملْ — كما عَوَّدتَ — ثقلَهُمُ ... وانهض لهم بالنفع والضرِّ

وأعدْ مناكبهم كما أَلِفتْ ... بك من ثياب العزّ والفخرِ

وتَمَلَّ ما أُلبستَ من نَعَمٍ ... تكسو الزمانَ بها ولا تعرى

هذى ثمارُ الحلمِ مُجلَبةً[7] ... فتهنَّها ونتيجة الصَّبْرِ

وعواقب الحسنى، وواحدة الـ ... ـحسنات عند الله بالعَشْرِ[8]

قد كايلوك بقدر وُسعهمُ ... من رفع منزلةٍ ومن قدرِ

فاقنع ولا تُخجِلْ مَكارمَهم ... بظلالِ عالٍ مالُهُ يَجرِى[9]

ومتى ترمْ ما تستحقُّ نقد ... كلَّفتُمُ ما ليس فى الدَّهرِ

---

(١) فى الأصل "أن". (٢) فى الاصل "وقوت". (٣) البهام: السود.

(٤) الغرُّ جمع أغرّ أو غرّاء، وفى الأصل "العر". (٥) الأسر: شدّة الخلق.

(٦) أبَّت: تهيّأت للسير وتجهّزت، وفى الأصل "أنت". (٧) مجلبة: مجموعة. (٨) يشير الى قوله تعالى (مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا). (٩) فى الأصل "تجرى".

شمخَتْ بأنفك عِزّةٌ قَعَسَتْ(١) أن تستقادَ بِمخطَمِ(٢) القَسرِ
صَمَّاءُ من "عبد الرحيم" لها عِرقٌ يُمُدُّ إلى "مَنُوجَهْرِ"(٣)
دَرَجَ القرونُ و بيتُ مَفخَرِها عالى العِمادِ مخلَّدُ الذِّكرِ
طابت أحاديثُ(٤) المُلوكِ ولا كالعَرْفِ من آبائك الغُرِّ
الناضلين بكل صائبةٍ(٥) فى الرأى ضافيةٍ على النَّفْرِ(٦)
سيّارةٍ فى الأرض سنَّتُها بالعدل(٧) سيرَ الأنجم الزُّهرِ
والباسطين لمنع جانبهم بُوعا تطولُ على القنا السُّمرِ
واذا الكماة دُعُوا فصدَّهُمُ حَيْنٌ يُغالَطُ عنه بالوَقْرِ
شدُّوا الفِجاجَ الى صريخِهِمُ(٨) يتكاثرون تكاثُرَ القَطرِ
لهم الجفانُ البيضُ ضاحكة تحت الليالى الكُلَّحِ الغُبرِ
يتنازعون على الحديث، بها يَقوَى مقلُّهُمُ على المُثرى
كرماء معتَرفُون إن طرقَتْ أمُّ السنينَ بحادثٍ نُكُرِ
صبروا على البؤسى تعمُّهُمُ فكأنّهم أثرَوْا من الفقرِ
أنشرتَهم بعد الدُّثور كما ولدوك بعد الطىِّ والنشرِ
بك أورقت للمجد دوحتُهُ واهتزّ فى أفنانه الخُضْرِ
وأضاء للأقوال مسلكُها فمضى النجاحُ بركبها يَسرى
حلفَ السماحُ عليك: لا وَصَلَ ا لـ ـأسبابَ بين يديك بالوفْرِ

---

(١) قعست : علت وعزّت . (٢) المخطم : حبل يقتاد به البعير و يثنى على خطمه أى أنفه .
(٣) منوجهر : أحد ملوك الفرس . (٤) فى الأصل "أحادث" . (٥) ضافية : سابغة تقوم مقام الدرع، وفى الأصل "صافية" . (٦) النفر : القوم ينفرون معك و يتنافرون فى القتال . (٧) فى الأصل "بالعدّ" . (٨) فى الأصل "ضريحهم" .

ومن العجائب أن تطيعَك فى قَبْضِ[1] يدٍ هى جدولٌ يجـرى
أنا ذلك المـولى المقيمُ على صدقِ الهوى وسلامةِ الصدرِ
محفوظةٌ عنـدى ودائعكم فى الودّ حفظَ نفائسِ الذّخر
خَـلَّى الأقاربُ عنكمُ ويدى معصومةٌ بكمُ الى الحشـرِ ١٥٩
لا نبـوةُ الدنيـا تغـيِّرنى عنكم ولا متغـيِّرُ الأمرِ
ناديكمُ ظِـلِّى ودولتكم عِزّى وعمرُ سعودِكم عمـرى
جاهرتُ فيكم بالعـداوةِ مَنْ تُخشَى العـداوةُ منه فى السِّرِّ
ولقيتُ قـوما دونكم كرهوا أيّامكم بقـواصم الظهـرِ
كم قـولةٍ جرَّعتُ قائلَهـا غُصصا بتكذيبٍ له مُرِّ
وحملتُ أخرَى خفتُ صاحبَها أطوِى الجناحَ له على الكَسْرِ
حتى تَسرَّى الخطبُ وانفرجتْ كُرَبُ الدُّجى بتبلُّج الفجـرِ
فالان يانفسى لهـا انفسحى جَذَلا وياعينى لهـا قَـرِّى
وانهض بجهدك يالسانِى فى الـ ـبُشرَى لهـا وتصَفَّ يافكرى
وابعث ضوارعَ[2] عنك نائبـةً إن أخَّرتْك عـوائقُ الدهرِ
ولاجَةً، تطأ الصـدورَ بهـا كَلِـمٌ توسِّعُ ضيقَ العُـذرِ
نفّـاثةَ العُقُـداتِ تحسبُهـا هبطتْ الى "هاروتَ" بالسحرِ
وكأنمـا نَفَضَ التِّجارُ بهـا بين البيوت حقائبَ العطـرِ
يَشقَى بهـا المتحرِّشـون[3] كما تشقَى يدُ المشتـارِ[4] بالدِّبْـرِ[5]
فاستقبـلوا غُـرَرا مُوَحَّـدةً سيقتْ لكم من واحدِ العصرِ

(١) فى الأصل "قض" . (٢) ضوارع : مبتهلات، وفى الأصـل "صوادع" .
(٣) المتحرشون : المتعرضون ، وقد وردت هـذه الكلمة فى الأصـل هكذا "المحوسون" .
(٤) المشتار : جانى العسل . (٥) الدبر : جماعة النحل .

وتمسّكوا منّى بجوهرة الـ ـغوّاص وٱحمُوا معـدِن التبرِ
وٱقضوا نذورَ الشِّعر فِىَّ فقـد قَضَّيْتُ فيـكم شاكرا نَذْرى

* * *

وقال وكتب بها إلى أبى المعالى فى النيروز

اذا رُفِعَتْ من "شَراف" الخدورُ فصبرَك إن قلتَ : إنى صبورُ
ستعلمُ كيف يُطَـلُّ القتيـ ـلُ بعد النوى ويُذَلُّ الأسيرُ
فإن كنتَ منتصرا فاستقـدْ بثأرك والعيسُ عَجلَى تثورُ
وإلّا فَلِنْ جانبا للفـراقِ فما كنتَ أوّلَ جَلْدٍ يخورُ
ألا تُسعـدانى بعينيْكما وما كنتُ قبل الهوى أستعيرُ
فقد حار لحظِىَ بين ٱثنتين : هوًى منجدٍ وخليط يغـورُ
ترى العـينُ ما لا يراه الفؤادُ فيقصِـدُ قلبى وطرفى يجـورُ (١)
وقفتُ وقـد فاتنى بالحُمـو لِ غضبانُ ليلٍ سراه قصـيرُ
عنيفٌ اذا ساقَ لم يلتفتْ لساقٍ تَطيحُ ومخٍّ يَرِيـرُ (٢)
كفاه مع العيس حسنَ النشاط حنينىَ فى إثرها والزفـيرُ
ولما تعيَّفتُ فٱستعجمت مَيامنُ كانت بخيرٍ تطـيرُ
ولم ادرِ والشكُّ يَنفِى اليَقـينَ (٣) إلى أىِّ شِقَّىْ طريقى أصـيرُ
تَنَبَّـهَ، من هاجعـاتِ الرياحِ فـدلَّ عليكم، نَسيمٌ عطـيرُ
وخاطَفَ عينىَ برقٌ تُشـا مُ فى حافَتَيْه الطُّـلَى والنحورُ
وفى الظُّعْن مشتبِهـاتُ الجَما (٤) ل تَشقَى بأعجازهنّ الصـدورُ

---

(١) فى الأصل "يحور" . (٢) يرير : يذوب . (٣) فى الأصل "ياقى" .
(٤) فى الأصل "مشبهات" والبيت بها لا يتّزن .

حملنَ الى قتلنا فى الجفون ... سيوفا حمائلهن الشعورُ
وقُلِّدنَ دُرًّا تحدَّرْنَ عنه ... كأنّ قلائدَهنَّ النحورُ
بكيتُ دمًا يوم "سفح الغوير" ... وذاك لهم - وهو جهدى - يسيرُ
ومن عجبِ الحبّ قَطْرُ الدما ... ءِ من مقلتى وفؤادى العقيرُ
وليلٍ تعلَّقَ فيه الصباحُ ... فما يستَسِرُّ وما يستنيرُ
يعود بأوّلِ نِصفيْه لى ... اذا قلتُ : كاد وجاء الأخيرُ
كأنّ سنا الفجر حيرانَ فيـ ... ـه أعمَى تقاعدَ عنه بصيرُ
نسيرُ به ونحطُّ الركابَ[1] ... وغيهبُه جانح لا يسيرُ
كأنّ الثريّا على جنحه ... يدِى من مَقام الهوى تستجيرُ[2]
سريتُ أشاورُ فيه النجومَ ... ومالِىَ بالصبح فيها بشيرُ
إلى حاجةٍ فى العلا همَّتى ... إليها تطول وحظّى قصيرُ
وهل ينفعُ الرمحَ ، ما لم يُنَطْ ... بكفٍّ تُطاعِنُ ، نصلٌ طريرُ
عَذيرِىَ من وجه دهرى الوَقاحِ ... وأين من المتجنِّى عَذيرُ
ومن غَدرِ[3] أيّامه العادياتِ ... على ما أذمَّتْ عليه تُغيرُ[4]
ألم يكفِها أنّ غصنَ الصِّبا ... ذوَى وآستردَّ الشبابَ المعيرُ
ولو نظرَتْ حسَنا لم تَمِلْ ... علىَّ ومالِىَ فيها نظيرُ
ومولًى اذا أنا قلتُ : آحتكم ... تفاحشَ يحبِسنى[5] أو يجورُ[6]
رمانى وقال : آحترِسْ من سواىَ ... ليشعَبَ قلبىَ منه الفُطورُ

(١) فى الأصل "يسير به و يحطّ الركاب" .
(٢) معناه أن أنجم الثريا تشبه يده حين يرفعها مستعيذا من الحبّ .
(٣) فى الأصل "عذر" .
(٤) فى الأصل "تعير" .
(٥) فى الأصل بحسنى .
(٦) فى الأصل "يحور" .

ألم يأتِه أنّه لا يُحَسُّ[1] غَورى ولا يطّبينى الغؤور[2]
وأن حِمَى "هِبةِ الله" لى من الضيم لو رام ضيمى مجيرُ
ومن يعتصمْ بمعالى "أبى الـ ـمعالى" يبِتْ كوكبًا لا يغورُ
يبِتْ للغزالةِ من دونه ذراعٌ قصيرٌ وطرفٌ حسيرُ
حَمَى سَرحَ سودَده أن يرا عَ أشوسُ دون حِماه هصورُ
وقام بنُصرة إحسانه فتًى لا يُخذِّلُ وهو النصيرُ
طليقُ المحيا اذا ياسروه وجَهمٌ اذا حاربوه عسيرُ
له خُلُقانِ من الماء ذا كَ ملحٌ وهذا فُراتٌ نميرُ
وطعمانِ إن طَمِعَ الحلوفيـ ـه قام يدافعُ عنه المريرُ
اذا انتُهِكتْ للعلا حُرمةٌ تمَّرَ منه أبىٌّ غيورُ
وإن جئتَ محتلبا كفَّه سقى من أوامك ضرعٌ دَرورُ
وفَى بالسيادة لَدْنَ القضيبِ[3] ولم تتعاقبْ عليه العصورُ
ورُشِّح عاتقُه للنِّجاد ولم تُلقَ أخرازُه والسيورُ
حمولٌ قويمُ قناةِ الفقارِ[4] اذا ركعتْ للخطوبِ الظهورُ
رحيبُ الأضالِع ثَبْتٌ اذا تنفَّس من ضِيقهن الضَّجورُ
غنىٌّ بأولِ آرائه اذا ما استبدَّ فما يستشيرُ
سماتُ ابنِ عشرين فى وجهِه وفى حلمِه عشراتٌ كثيرُ
كريمٌ تفرَّع من أكرمِيـ ـنَ كَوْرٌ[5] نخارِهم لا يحورُ[6]

(١) فى الأصل "يحس" . (٢) الغؤور : الدخول فى الشىء . (٣) لدن القضيب : كناية عن غضارته وصغر سنه . (٤) قناة الفقار : كناية عن العمود الفقرىّ . (٥) الكَوْر : الزيادة .
(٦) لا يحور : لا ينقُص ، ومنه الحديث "نعوذ بالله من الحَوْر بعد الكَوْر" ، وفى الأصل "لا يخور" .

وسُومُهُمُ فى جباهِ الدهـو ... ر بالعـزِّ تبقَى وتَفنَى الدهورُ
اذا مات منهـم فتًى فابنُـه ... حيـاةٌ لسؤدُده أو نشـورُ
بنَى البيتَ لا ترتقى الفاحشاتُ ... اليـهِ ولو حَمَلتْهـا النُّسـورُ
رفيـعُ العمادِ تـرى بيتَـه ... مكانَ ابتنى منكبيْـه "ثَبيرُ"(١)
تَزالَقُ عنـه لحـاظُ العيونِ ... فترجعُ عن أفْقِـهِ وهْى زُورُ(٢)
ولو لم يكنْ فى العلوِّ السماءَ ... لمـا طلَعتْ منه هذى البدورُ
لنـيرانهـم فى مُتونِ اليَفاعِ ... لحـاظٌ الى طارق الليل صُورُ(٣)
مواقـدُ تُضرَمُ بالمنـدلىّ(٤) ... وتُنحـرُ من حولهنَّ البُـدورُ
عُلًا شادَها مجدُ "عبد الرحيم" ... على خُطّةٍ خطَّها "أرْدَشيرُ"
فروعٌ لهـمْ قَـلَمُ المُلك من ... أصـولٍ لهـم تاجُهُ والسريرُ
فـداكم شقٌّ بنُعماكُمُ ... تلثَّمَ عجْـزا وأنتم سُـفورُ
له حين يبطُشُ باعٌ أشـ ... ـلُّ من دونكم وجَنـاحٌ كسيرُ
ضعيفُ جناحِ الحشا بائسٌ ا ... لا سان بمـا ضمَّ منه الضمـيرُ
يغيض بأذرعكم فِـترُه ... وكيف ينـالُ الطويلَ القصيرُ
تدورُ عليـه رَحَى غيظِـهِ ... بكم وعليكم تدورُ الأمـورُ
على صـدره حسَدٌ أن غَدَتْ ... بأوجهكم(٥) تستنيرُ الصـدورُ
لكم كلّ يـومٍ بما ساءه ... بشـيرٌ ومنكم اليـه نذيرُ

---

(١) ثبير : اسم جبل ، وفى الأصل "تبير" وهو تحريف . (٢) زور : جمع زوراء وهى المائلة فى عِوجٍ وفى الأصل "صور" . (٣) صور ، مائلات . (٤) المندلىّ : العود أو هو المنسوب الى مَنْدَل وهى بلدة بالهنـد . (٥) فى الأصل "بأوجهك"

فللسيف والسَّرج منكم فتًى ... أميرٌ وللدّست منكم وزيرُ
وليس له غيرَ عضِّ البنان ... وذمِّ الزمان عليكم ظهيرُ
بكم وضَحتْ سُبُل المكرُماتِ ... وبات سِراجُ الأمانى يُنيرُ
ومالتْ الىَّ رقابُ المديـ ... ـحِ تُصحِب(١) وهى عَواصٍ(٢) نُفُورُ
وكان جبانا لسانُ السؤالِ ... فأصبح وهو جرىءٌ جسورُ
ملكتم نواصِىَ هذا الكلام ... فليس بهنَّ سواكم يطورُ(٣)
لذاك وأنتم فحولُ الرجا ... ل يهواكم الشعرُ والشعر زِيرُ(٤)
وهَبْتُ لسانى وقلبى لكم ... فيوما ودادٌ ويوما شُكورُ
وأصبحتُ منكم فمن رامنى ... سواكم فذاك مَرامٌ عسيرُ
لك الخيرُ، إنى فتًى منك شِمْتُ ... نداك فأسبَلَ نوءٌ غزيرُ
وجوهرة، لم تلِدْ مثلَها ... على طول غوصِىَ فيها البحورُ
وربَّ ندًى لك مستملَحٌ ... صغيرُك عندِىَ فيه كبيرُ
يطيبُ فأبصرتَ منه مكانَ ... رضاى وغيرُك عنه صبورُ
لئن قمتَ فيه بشرط الوفاء ... على فَوْرةٍ لم يعقها فتورُ،
فما كان أوّلَ ما يعجزو ... ن عنه وأنت عليه قديرُ
وكم أملٍ لى حَصيصٍ(٥) وثقتُ ... بأنّ جناحك فيه يطيرُ
وعندِىَ من أمّهات الجزاءِ ... وَلودٌ وأمُّ القوافى نَزورُ
تزورك فى كلّ يومٍ أغرَّ ... بحقٍّ من المدحِ ما فيه زُورُ

(١) تصحب : تذلّ وتنقاد . (٢) فى الأصل "عراض" . (٣) يطور : يحيط .
(٤) الزير : الرجل الغزِلُ الذى يحب مجالسة النساء ومحادثتهنّ . (٥) الحصيص : القليل الشعر، وفى الأصل "حضيض" .

أوانسُ، جـودُك من كفئها إذا أبرزتْها اليك الخـدورُ
وأمـدحُ قوما ولكننى اليك بما قلتُ فيهـم أُشيرُ

* * *

وكتب اليه فى النيروز

لِمَنِ الطُلولُ تراقصتْ(١)؟ نَجْـوَى حشاك قِفارُها!
قفـرٌ نبـا بك ودُّها وتعلّقتـك ديارُها
إن كنتَ أعينَهـا عدمـ ـتَ فهـذه آثارُها
دِمَنٌ كمسحبة الأزـ ـمّـة مُسـحَلا إمرارُها
ماتت حقائقُها وخُلّـ ـدَ زُورها ومُعارُها
وامتدَّ ليـلُ السافيا تِ بجـوِّها ونَهارُها
عندى لها إن أجدبتْ وَكَّافـةٌ تمتارُها
أَنِستْ بإسبال الدمو عِ كأنهـا أشـفارُها
ونعم بكيت، فهل تبـ ـلُّك سائلا أخبارُها؟
واهًا لها من حاجةٍ لو قُضِّيَتْ أوطارُها
يا دارُ تُرْبُكِ والهجـ ـيرُ وأضلعى وأُوارُها
حفظا "برملةَ" إن ألـ ـطَّ(٢) بذمـةٍ غـدّارُها
لا ضاع ما بينى وبيـ ـنكِ عهـدُها وذِمارُها
خلَتِ الليـالى من بدو رِكِ تِمُّهـا وسِرارُها
حتى كأنّ معيشـةً لم يحـلُ فيكِ مُرارُها
ومآربا بربـاكِ ما آسـ ـترختْ لنـا أستارُها

(١) تراقصتْ : ظهرت كأنها ترقص مع بعضها البعض لفعل السراب بها إذ يبين طللا ويُخفى آخر وهو من قولهم : ترقّصت المفازة أى ارتفعت وانخفضت من فعل السراب بها . (٢) ألطّ : جحد وأنكر .

إذ كلُّ ذى هَدفين فيـ ـك كِناسُها وصُوارُها(١)
ومسائح(٢) الأيام بقـ ـلٌّ أخضرٌ وعِذارها
وجهيرة فى الحسن تُكـ ـتَمُ فى الهوى أسرارُها
كثرت ضرائرها وقـ ـلَّ بذلك(٣) اسـتضرارُها
بلهاء يَرتبِطُ الحليـ ـمَ من الرجال إسارُها
خبثت أحاديث الوشا ـةِ بها وطاب إزارُها
خُلِقَتْ معطَّرةً فَخُيِّـ ـبَ كاسدا عطَّارُها
وتَذَكَّرَتْ ألفاظُها فثنَى اللثامَ خِمارُها
يا صاحبى، والعينُ تغـ ـنَمُ أو يُظَنَّ عُرارُها(٤)
والليلة الطولى يُخَوَّ ضُ بالجفون غمارُها
طرقَتْ "زميلةُ" تجتلى ظلَمَ "اللِّوى" أنوارُها
وعلى الرحال مُمَلْمَلو نَ(٥) وسادُهم أكوارُها
فى ليلةٍ لم يَنْثُ(٦) غيـ ـرَ حديثها سُمّارُها
عجبا لها نُفِضتْ إلـ ـىَّ سحيقةً(٧) أقطارُها
"بالغوطتين" جبالُها و"ببطن وجرةَ" دارُها
باتت تعاطينى "بنحـ ـلةَ"(٨) نحلةً أشتارُها(٩)

(١) الصوار : القطيع من البقر . (٢) المسائح جمع مسيحة وهى ما بين الصدغين إلى الجبهة ، وفى الأصل "مسابح" . (٣) فى الأصل "كبرت" وهو تحريف يعينه قوله "قلّ" . (٤) العُرار : الإثم والجناية . (٥) مململون : متقلبون . (٦) ينثُ : يُذِعْ ، وقد ورد هذا الصدر فى الأصل هكذا * فى ليلة ما غير * الخ (٧) فى الأصل "سجيفة" .

(٨) نحلة : اسم قرية بينها و بين بعلبك ثلاثة أميال ، وفيها يقول المتنبى

ما مقامى بدار "نحلة" إلا * كمقام المسيح بين اليهود

(٩) أشتارها : أجنيها وفى الأصل "أستارها" .

وتبسّمت عن بَرقـةٍ عسلُ الرُّضابِ قِطارُها
جمـدَ الحيـا بَرَدًا[1] بها وجرَتْ يذوبُ عُقارها
لم يألُ ناظمُ عِقـدِها نَصحا ولا نَمَّارُها
طرقَتْ بسهلٍ والمسـا لكُ صـعبةٌ أخطارُها
حَلَبَ البكيَّـةَ ثم جَـ ـدَّ من الصباحِ نِفارُها
فاذا يدى لم تَعتـلِقْ بسـوى المنَى أظفارُها
ولقـد رفعتُ طلائحا جُرْدُ[2] البطون قِصارُها
ضاقت مباركها وجا لت فوقَها أسـتارُها
"نجدا" تُغرِّبُ، والهوَى "بمحجَّـرٍ" أمّارُها
وعلى الربيئـةِ أشعثٌ سَدٌّ عليـه غُبارُها
ذو شَمْـلةٍ سَمَـلٍ[3] يُخا لُطُ جـلدَهُ أطمارُها
طابتْ [له][4] صحراءُ "صا رةَ"[5] أثلُها وعَرارُها
يرعى قلائصَ تُنتـقَى وحصى "الأُبَيرِقِ"[6] دارُها
إن ما طلتـه بغُزرِها[7] نهضت به أعيـارُها[8]
نظـر الربيعَ بجُهَّـدٍ لبقـوله[9] أوتارُها
يا راعيَ البَكَراتِ[10] ما "نجدٌ" وما أخبارُها؟
أوقِدْ بذى السَّمُراتِ[11] لى فقـد أستغمَّ مُنارُها

(١) فى الأصل "بردائها" وهو تحريف . (٢) فى الأصل "حرر" . (٣) سمل : بالية .
(٤) ليست موجودة بالأصل و يقتضيها المعنى والوزن . (٥) صارة : اسم جبل فى ديار بنى أسد .
(٦) فى الأصـل "حصى" بغير واو . (٧) الغزر : النياق ذوات الدَّر . (٨) أعيار جمع عَيْر وهو الحمار . (٩) بالأصل "لبعوله" . (١٠) البكرات جمع بكرة وهى الفتيّة من الإبل .
(١١) ذى السمرات : ناحية من نواحى العقيق . والسمُر لغة : العضاه .

ولو آنها بضلوعىَ الـ ـعوجاءِ تُذكَى نارُها
إن ينتقِضْ كرُّ الخطو بِ قُواى وآستمرارُها،
ويردّنى نقدُ العيو نِ تصادفَتْ أبصارُها،
وتقومُ لى بيدَىْ مشيـ ـبِ مَفارِقى أعذارُها(١)،
فلربَّ نَضرةِ(٢) عيشةٍ لى صفوُها ونُضارُها
وعَزيبةٍ(٣) من لذَّةٍ راحتْ علىَّ عِشارُها
وقضيَّةٍ فى الحبِّ لم يُملَلْ علىَّ خِيارُها
وصقيلةِ الأنيابِ(٤) تُشـ ـرِبُ حُلوةً أسآرُها
تقع الأمانى دون ما تَثنِى بهِ أسحارُها(٥)
باتت(٦) وذِكرِى طيِّبا دونَ الفراشِ شِعارُها
عرَّجتُ عنها مُعرِضا وقد آستقام مَزارُها
وسلافةٍ كدمِ الغزا ـلِ تُخال مِسكًا فارُها
ممّا أعانَ عليه "طِيـ ـبةَ بابلٍ" أنهارُها
غالَى بها السابونَ وآفـ ـتقدَ(٧) البُدورَ(٨) تِجارُها
فى بيتِ نَصرانيّةٍ باسم "المسيح" عِيارُها(٩)

---

(١) ورد هذا البيت فى الأصل هكذا

ويقوبى بيدى بشيـ*ـب مفارقى أعذارها

(٢) فى الأصل "نظرة". (٣) هذه الكلمة بالأصل هكذا "وعرسة". (٤) فى الأصل "الأنبات". (٥) أسحار جمع سَحْر وهو الرئة ويراد بها الصدر. (٦) فى الأصل "بانت".
(٧) فى الأصل "واقتعد". (٨) البدور جمع بَدْرة وهى جلد السخلة يسعُ عشرةَ آلاف درهم.
(٩) العيار: ما جُعل نظاما للشىء يقاس به ويسوّى ويقدَّر، وفى الأصل "عبار".

وَكَتِ[1] القِراف[2] بحجرِها ووِكاؤُها زُنَّارها
ما كستُ كفَّ مديرِها وعلى هواى مَـدارُها
لما حلَتْ رشَفاتُها لم تحـلُ لى أوزارُها
وسـواىَ واثِبُ لذّةٍ[3] تفـنَى ويبـقَى عارُها
ما للرجال تروم أشـ ـواطِى الطِّوالَ قِصارُها
أحفيتُ[4] رُسغَ جيادها وتنـوءُ بى أعيـارُها[5]
سـل ناخسا إبلى بأ ىِّ تدنُّس عَـوّارُها
وحِمى بنى "عبد الرحيـ ـم" يحوطُها وجِوارُها
فاذا ذراهم بُزْلُها مرحـولة وبِكارُها
أَهوِنْ بباغى ضيمها[6] يوما وهـم أنصارُها
والهضبةُ الملساءُ تمـ ـنعُ أن يداسَ خبارُها[7]
والدوحةُ العيناءُ تحـ ـلو للجُناة ثِمارُها[8]
ما بات يُفقِرها الندَى إلا "وثَمَّ"[9] يَسارُها
لولا تُقَى سُـؤّالها لاستُهوِنَتْ أعمارُها
حلماء والكلمُ القوا ذِعُ[10] مُغضِبٌ عـوّارُها

---

(١) وكت كأوكت بمعنى شـدّت بالوكاء فم القربة ، والوكاء : رباط القربة ، وفى الأصـل هكذا "رس" . (٢) فى الأصل "الفراق" ولما كانت هذه الكلمة لا تؤدّى معنى اضطررنا الى تحويرها فلم نجد ما يحكيها فى حروفها إلا "القراف" وهى أوعية من جلود واحدها قَرْف وإلا "الغراف" وهو المكيال العظيم الضخم ، وكلاهما يؤدّى معنًى لا بأس به فى السياق . (٣) فى الأصل "وأبث" .
(٤) فى الأصل "أخفيت" . (٥) فى الأصل هكذا "وتلوى" . (٦) فى الأصل "ضمها" .
(٧) الخبار : ما لان من الأرض . (٨) العيناء : الخضراء . (٩) فى الأصل "وتمّ" .
(١٠) القواذع : الكلمات التى فيها فحش وشتيمة .

ومغامرون إذا الكما ... ةُ تواكلتْ أغمارُها
عُرْبُ[1] الأكفِّ نمتهمُ ... من "فارسٍ" أحرارُها
سالت أناملهم وشا ... لت[2] أنفسٌ ونجارُها
فجّاكَ[3] آفاقُ المعا ... لى منهمُ وبحارُها
طاروا بمجدهمُ وقَـ ... ـصَّر بالنجوم مَطارُها
ركبَ الصعابَ من آبنهم ... ركّاضُها مِغوارُها
وحَمَى حقيقةَ مجدهم ... سَلِسُ القَناةِ مُمارُها[4]
لا تستباحُ مصونةٌ ... "وأبو المعالى" جارُها
يقظانُ أسهرَه اذا ... ذَكَرَ العيوبَ حِذارُها
قَلِقُ العزيمةِ إن حمى[5] ... صِغَرَ النفوسِ قرارُها
حمّالُ ألويةِ السيا ... دةِ ثَبْتُها صَبّارُها
سبقَ الكهولَ وسِنُّه ... ما آستُدْرِعتْ أشبارُها[6]
وجَرى فقدّمه على ... أقرانِه إقرارُها
عجِبوا — وقد لفّ الحيا ... دَ الى المدى مِضمارُها —
أنّ القوارحَ أُخِّرتْ ... وتقدّمتْ أمهارُها
لا تعجبنّ فإنّه ... امضى النصولِ طِرارُها!
أعلى الكواكبِ فى المنا ... زلِ والعيونِ صِغارُها
هى دوحةُ المجدِ التى ... لا يُخلِفُ آستثمارُها

---

(١) فى الأصل "غرب".
(٢) شالت: ارتفعت، وفى الأصل "سالت".
(٣) فى الأصل "فجال".
(٤) المِمار: المتردّد فى المطعون.
(٥) فى الأصل "حكى".
(٦) فى الأصل "أستمارها".

غدت الرياسةُ مِعصما فيها وأنتَ سِوارُها
هى خيرُ أهلِ زمانِها بيتا وأنتَ خِيارُها
إن السماء اذا سرتْ معدودةً أنوارُها
كثُرَتْ كواكبها ولي(١)ـسَ كثيرةً أقمارُها
بك عمّ وَدْقُ سحابِها جودا وتمّ(٢) فخارُها
وتشبَّثتْ(٣) غَيظا بأع ـناقِ العداة شفارُها
قادحتَها(٤) بمحاسنٍ ما أصلدتْ(٥) أيسارُها(٦)
وخلائقٍ مَلَكَ الهوى لك باقيا سَحَّارُها(٧)
شقَّتْ قلوبَ الحاسدين وما يُشَقُّ غُبارُها
كم من يدٍ لك كالغما م وكالسحابِ غِزارُها
تُرْوَى بها حالى ويُد رَكُ من زمانى ثارُها
وحصينةٍ من حسن رأ يك لا يُقَصُّ صِدارُها
تضفُو علىَّ ذيولُها وتضمُّنى أزرارُها
ولطيفةٍ باتت وقد حفَّى الندى آثارُها
أعيتْ إصابتُها وإنْ لم يُعِينى إكثارُها
والأعطياتُ جمالُها الـ ـمشكورُ لا أقدارُها
فِفداكَ مُعْطٍ يبذُلُ الـ ـمَنَّ عمَى ولا يختارُها

(١) فى الأصل هكذا

كبرت كواكبها وليـ*ـس كبيرة أقمارها

وهو تحريف يدلّ عليه البيت الذى قبله . (٢) فى الأصل "ثم" . (٣) وتشبثت : تعلقت ، وفى الأصل هكذا "وبسبت عمظا" . (٤) فى الأصل "فادحتها" . (٥) ما أصلدت : "ما صلبت" . (٦) الأيسار جمع ياسرٍ أو يَسَرٍ وهو السهلُ اللين . (٧) فى الأصل "سخّارها" .

ووقتك ريبَ الدهر أيـ ـدٍ عُرفُها إنكارُها
دينارُ جودكِ أو ودا دك لى ولا قِنطارُها
وٱستأنفت لك عُونها ما أسلفَتْ أبكارُها
تطوِى البلاد ولم تَرِمْ[1] فقطينُها سُفَّارُها
من كلّ طائرةِ الشُّعا ع اذا ٱستطار شَرارُها
تصلُ الكبيرَ ولا يخا ف ملالةً زَوَّارُها
عذراء يُخلَع فى هوا ك مع العفاف عِذارُها
فى أىّ بيتٍ شئتَ منـ ـها قلتَ : ذا سيَّارُها
سعتِ القوافى خلفَها وعَنَا لها جبَّارُها
لو ما تقدّم عصرُها وتردَّدتْ أدوارُها
ودَّتْ فحولُ الجاهلـ ـيَّـةِ أنّها أشعارُها
لو أُنصِفَتْ فوق الطُّرو سِ لأُذهِبتْ[2] أعشارُها
فى كلّ يومِ هديّةٍ مستحسَنٌ تكرارُها
يُروَى لكم بفم التها نئ صفوُها وخيارُها

* * *

وقال فى غرض له

يالنوازِى كبدٍ هاجها "بالبان" من "خنساءَ" تَذكارُ
عاد لها من بعد إقلاعها دينٌ من الحبِّ وإصرارُ
يا قوم، لى من أسرتى قاتلٌ مَنْ لقتيلٍ ما له ثارُ؟

---

(١) تَرِمْ : تفارقْ . (٢) لأُذهِبت : لذُهِّبَت .

أرى دَمِى يقطُـرُ من أنمـلٍ شـفارُها مُؤْقٌ[1] وأشـفارُ[2]
ظَبْىٌ رخيمٌ، لفظـهُ ناسكٌ وطرفُـه الفـاتكُ عيّـارُ[3]
ضُعفتُ تحت الغمز من عاجمٍ يصرَعُ لبّى وهـو خـوّارُ
أصبحتُ عبـدا بآختيارى له "وفارسٌ" قومَى أحـرارُ
يا موتُ نفسى لك إن أعرضتْ "خنساءُ" أو شطّت بها الدارُ
خوّفنى بالنـارِ فى وصلهـا قـومٌ وفى هجـرانها النـارُ

* * *

وكتب الى صـديق له من الكُتّاب يشكره على موقفٍ وقفه فى حاجةٍ له رضىَ سعيه فيها، ويتألّم لفقد جماعةٍ من إخوانه، ويهنّئه بالمهرجان

حيّـا أوجُهًا على "السّفح" غُرًّا وقِبابا بِيضـا ونُوقا حُمُـرا
ورماحا دون الحبائب يُهـزَزْ نَ ويُحطَمنَ فى الكتائبِ كسرا
وسراحين[4] كالحصونِ جيـادا تملأ الحُـزْمَ[5] مُهرةً أو مُهْـرا
يتمارحنَ فى الحبـالِ فينقُضـ ـنَ فتيلا[6] منهـا ويقطعنَ شَزْرا[7]
وقِرًى بعضُـه الوصالُ اذا أمـ ـسى طما جَفنـةً وزمْجَرَ قِـدْرا
آهِ للشـوقِ[8] ما تأوّهتُ منـه لليـالٍ "بالسفح" لوعُدْنَ أخرى
كنّ دُهما من الدآدى وقد كُنّ بتلك الوجـوه دُرعًا[9] وقُمْـرا[10]

---

(١) مؤق جمع مأق وهو مجرى الدمع من العين أو طرفها مما يلى الأنف . (٢) أشفار جمع شَفْر وهو أصل منبت الشعر فى حرف الجفن . (٣) العيّار : الذى يخلّى نفسه وهواها لا يروّعها ولا يزجرها . (٤) السراحين : الذئاب واحدها سرحان وتشبَّه بها الخيل فى سُرعة العَدْو . (٥) الحُزْم جمع حِزام . (٦) فى الأصل "فينقصن" . (٧) الشزر : فتل الحبل عن اليسار وهو أشدّ لفتله . (٨) فى الأصل "الشوق" : (٩) الدرع جمع الدرعاء وهى الليلة يطلع قمرها عند الصبح . (١٠) القمر جمع قمراء وهى الليلة المقمرة .

حيثُ لا تظفَرُ الوشاةُ بأسرا ... رِى اذا ما الصباحُ أعلنَ سِرًّا
فاذا ما العذولُ قال : عِقابًا ... فى ذنوبى، قال الصِّبا : بل غَفْرا
أجتنيها رَيْحانةَ العيشِ خضرا ... ءَ وتُمسى فيها المُنَى لِى خُضْرا
يا مَغانِى "الحمى" سُقيتِ، وما ينـ ... ـفعُنى الغيثُ أن يجودَكِ قَفْرا
أىُّ عين أصابتِ الدارَ؟ أقذَى اللهُ بعدِى أجفانَها وأضرَّا
عَرِيَتْ من ظبائها [الآنساتِ الـ ... ـبِيض] وآعتاضتِ الظِّباءَ العُفْرا (١)
لا تراها تُطيلُ بعد النوى غصـ ... ـنًا ولا جوُّها يُتِمُّ بدرا (٢)
غيرَ حُمٍّ (٣) من القطا جاثماتٍ ... كنَّ جُونًا (٤) فعدنَ بالرَّهْجِ كُدْرا (٥) (٦)
وبقايا مواقفٍ تصِفُ الجو ... دَ أباديدَ (٧) فى يدِ الريح يُذرى (٨)
قَلِّبوا ذلك الرَّمادَ تُصيبوا ... فيه قلبى إن لم تُصيبوا الجمرا
ما لدهرى قضَى الفراقَ عليها ! ... عذَّبَ اللهُ بالفراقِ الدهرا
أُنظرا لى ـ وقبلُ كنت بصيرا ـ ... يا خليلىَّ بين "جوّ" و"بُصْرى" (٩)
أوميضٌ سَرَى فشقَّ قميصَ الـ ... ـليل أم [ذاك] (١٠) طيفُ "سُعْدَى" تَسَرَّى ؟
زار وهْنا — لا يُصغِرِ اللهُ ممشا ... هُ — وحَيَّا فزاده اللهُ برًّا
بشَّرتنى مقدّماتٌ به يحـ ... ـملُ فيها ذيلُ النسيم العِطرا
وآعتنقنا وليس همّى سوى مسـ ... ـألةِ الليل أن يُميتَ الفجرا

(١) ورد هذا البيت فى الأصل هكذا

عريت من ظبائها الأُنُس وآعتاضت الظباء العفرا

وقد آحتفظنا بمعناه حين آضطررنا الى آتزانه . (٢) فى الأصل "نذرا" . (٣) حمّ جمع حمّاء وهى السوداء . (٤) جونا : بيضا . (٥) الرهج : الغبار . (٦) كدر جمع كدراء وهى التى بها غبرة . (٧) أباديد : متفرقا : يذرى : يبدّد، وفى الأصل "نذرا" . (٨) جوّ : اسم لناحية اليمامة . (٩) بصرى : من قرى بغداد قرب عكبراء، وفى الأصل "بين جوّ بصرى" . (١٠) هذه الكلمة ليست فى الأصل .

زورة لم تكن بخطّ(١) بنانى ... فى كتاب الآمال إلا سطرا

سَرَقَتها لِيَ الحظوظُ "وخنسا ... ءُ" استلابا من الزمان وطرّا(٢)

١٦٤ وأبيها ما حفظها الدهرَ أنكر ... تُ ولكن أنكرتُ بُعدَ المَسَرّى

جشّمتْها الأشواقُ فى ساعةٍ شُـ ... ـقّةَ ما تخبِطُ السحائبُ شهرا

فرحةٌ طار لى غرابا بها الليـ ... ـلُ وطارت عنّى مع الصبح نَسرا

ارتجعْها يا دهرُ لا زلتَ تستر ... جِعُ لؤما(٣) ما كنتَ أعطيتَ نَزْرا

وتعلّمْ أنّى بمكرك لا أحـ ... ـفِلُ ممّا ألفتُ منك المكرا

أنكرَ الغدرَ مرّةً منك قلبى ... ثمّ صارت سجيّةً فاستمرّا

لا حَمَى اللهُ حازما غرّه منـ ... ـك سرابٌ شعشعتْهُ فاغترّا(٤)

كُلْ بنابَيْك ملءَ جنبيك لحمى ... وتخذّلْ عنّى متى قلتُ: نصرا(٥)

قلّ صبرى على اقتنائى للجـ ... ـد وأمّا عنك الغداة فصبرا

أنت ذاك الذى أمتّ شبابى ... عَبطةً(٦) وهو ما تملّى العمرا

ورددتَ العيونَ عنّى وقد كنـ ... ـتُ لها الكحلَ حائصاتٍ(٧) خُزْرا(٨)

صار عِهْنًا تحتَ المراحل ينقا ... دُ وقد كان عاصىَ النبتِ شَعْرا

ومشيتَ الضَّرَاءَ(٩) كيدا لأحبا ... بى فريعُوا فى الأرضِ شَلًّا(١٠) ونَفْرا(١١)

صُدِعُوا مَطرحَ الزُّجاج تَشَظّى ... وتداعَوْا عطَّ(١٢) الأديم(١٣) تفرّى(١٤)

---

(١) فى الأصل "يكن بخط". (٢) الطرّ: السوق الشديد. (٣) فى الأصل "لوما". (٤) فى الأصل "فاعتمرا". (٥) فى الأصل "تحمى". (٦) عَبطة: نحرا من غير علّة، وفى الأصل "غبطة". (٧) حائصات: حائدات ما ئلات، وفى الأصل "خائضات". (٨) خزرا جمع خزراء وهى العين بها صغر وضيق. (٩) الضراء: الاستخفاء، من قولهم للرجل يختل صاحبه: هو يدب له الضَّراء ويمشى له الخَمَر (١٠) الشلّ: الطرد، وفى الأصل "سلّا". (١١) النفر: النفور. (١٢) العطّ: الشقّ. (١٣) الأديم: الجلد. (١٤) تفرّى: انشقّ.

قَسمتْهم يـــدُ الشتاتِ فشطرا ... للتنائى وللنـــوائبِ شطـــرا
فكأنّ الأرضَ الحمولَ أبتْ أن ... يجِـــدوا (١) فوقَهـا لرِجلٍ مَقَـــرًّا
خولسوا من يدى غصونا رطيبا ... تٍ وغابوا عنّى كواكبَ زُهْرا
أقتضيهـــم مطلَ الإيابِ وقـــد ... وفّى الفـــراقُ الوشيكُ فيهـــم نَذْرا
صحِبَ اللهُ راكبين الى العـ ... ـزّ طريقًـا من المخـافةِ وَعْرا
سمعـــوا هَتفةَ الحُمـــول فطاروا ... يأخذون الأرزاقَ بالسيف قهـرا
شربوا الموتَ فى الكريهـــة حُلوًا ... خوفَ يومٍ أن يشربوا الضيمَ مُرًّا
طَرحوا حاجَهـــم وراءَ متـــونِ الـ ... ـخيلِ ركضا والسـمهريّةِ (٢) جرًّا (٣)
كلُّ عجـــلانَ خَطُّهُ لأخيـــه : ... العَـلاءَ العـــلاءَ إن كنتَ حُرًّا
يمـــلأون الحُبا جُلوسًـا فإن ثا ... روا ملأتَ الفضاءَ (٤) بيضا وسُمرا
واذا آستُصرخوا لعضّـةِ عامٍ ... ركبوا الجودَ يطـردون الفقـــرا
لا يبالى الحيرانُ ما أطلقوا الأيـ ... ـمانَ (٥) أن تُمسكَ السماءُ القَطـــرا
إخوتى من بنى الوفاء ورهطى ... ـ يومَ أغزو ـ الملوكُ من آلِ "كسرَى"
غادرونى فـــردا ومرُّوا مع الأيـ ... ـام ، والحظُّ بعدَهم أن أمُرَّا
أتشكّى القـــذَى بمقـــلةِ حيرا ... نَ عليهـــم الى ضـــلوعٍ حَرَّى
ليتَ شِعرى بمـن أُعوَّضُ عنكم ... يومَ آبى ضيما وأدفعُ عُســـرا ؟
فسـدَ الناسُ بعدكم فآستوى فى الـ ... ـعيش مَن سرَّنى نفاقا وضَرَّا
ونجا بى ـ ما شئتُ ـ يأسِى منهم ، ... نال خيرا من ظنَّ بالناس شرًّا
وبلى ! قـــد أفادنى الدهرُ خِلًّا ... لَمَّ شَـعثِى وشَـــدَّ منّى أَزْرا

(١) فى الأصل "تجدوا" . (٢) السمهريّة : الرماح . (٣) فى الأصل "حرّا" .
(٤) فى الأصل "الفضل" . (٥) الأيمان جمع اليمين من الأيدى . وفى الأصل "ما أطلقوا أيمان" .

واحـدا أعلقتْ يدى غلطةُ الأيـ ـام منـه حبـلَ الوفاءِ المُمرَّا (١)

أَلمعيًّا رأَى بعـينِ ٱبنِ ليـلٍ (٢) خافيًا من محاسنى مستسرًّا (٣)

فاقتنانى تغنُّما وٱفـتراطا وٱستبانى قـولا لطيفا وبِرًّا

وتحـرَّى تفضُّلا أن يرى الفضـ ـلَ مضاعا، والحرُّ من يتحرَّى (٤)

صدَقتْ فى "أبى طريفٍ" ميامي ـنُ ظنونى وقـد تعيّفن زَجْرا

وتجلّت غشاوةُ الدهرِ عن قلـ ـبى وفكّتْ عنّى الليالى الحَجْرا

وأتانى يتـوبُ من ذنبـه الدهـ ـرُ ٱحتشاما له وكان مُصِرًّا

ألحقتْنى به غريبا من الآ مال قُربَى تُعَدُّ صِنْوا وصِهرا

فتحنّى لها ورقّ عليها ورأى الدهرَ عقّ فيها فبرّا

وصَلَ الودَّ لى بآخيّة (٥) الجا ه (٦) فكانا عُجالةً (٧) لى وذُخرا

وأتاه صوتى فنبّه منه "عُمَرًا" حين نبّهَ الناسُ "عَمْرا"

شيمةٌ منك يابن "باسِلَ" فى السؤ دُدِ لم تُعتَسَفْ عليها قَسرا

وعروقٌ زَكَى ثراهنّ فى المجـ ـدِ فأرعَى نباتُهن وأثْرى (١٦٥)

طاب مَجْناكَ فٱهتصرتُك وَرْدا لـيِّنَ الغصنِ وٱعتصرتُك خمرا

كان نصرى عليك دَيْنا فما كنـ ـتَ بغير القضاء منه لتبرا (٨)

ندبتْك العُلا له فتجرّدْ تَ حساما فيه وقمتَ هِزبرا (٩)

(١) المرّ : الحبل المفتول فتلا شديدا . (٢) ابن ليل : تقوله العرب لصاحب الغارات وللذى يسير الليل ولا يهوله لقوته وجسارته ، قال الراجز

ما ذا يريبنى الليل من أهواله * إنى أنا ٱبن الليل وٱبن خاله

وله معان كثيرة غير ما ذكرناه لا تناسب السياق .

(٣) مستسرا : متواريا . (٤) فى الأصل "برى" . (٥) الآخية : العروة ومن معانيها أيضا : الحرمة والذمة . (٦) يريد بهذه التثنية : الود والجاه . (٧) العجالة : ما يتزوده الراكب مما لا يتعبه أكله وهو هنا مجاز . (٨) يريد لتبرأ . (٩) الهزبر : الأسد .

مِلَّةٌ فى الوفاء ضيَّعها النا ... سُ وأحييتَها سَناءً (١) ونفرا (٢)
ولسانٌ فى الحمد كان عقيما ... قبلُ أولدتَهُ ثناءً وشُكرا
فتأهَّبْ لوافداتِ القوافى ... يعتملنَ الدُّجَى وما كُنَّ سَفْرا
ضارباتٍ فى الأرض طولا وعرضا ... وهى لم تلقَ جانبا مغبرَّا
حاملاتٍ لحُرِّ عرضك من بحـ ... ـرضميرى ملءَ الحقائب دُرَّا
كلّ غراءَ تجتليها على شر ... طك فى الحسن ثيِّباً أو بِكرا
لم أكلِّفك أن تسوقَ مع الرغـ ... ـبة فيها سوى المودةِ مَهرا
وبحقٍّ لم ينشرح لك صدرى ... بمديحٍ حتى ملأت الصدرا
ورآك الشِّعرُ العزيزُ على غيـ ... ـرك كُفئاً فلانَ شيئا وقَرَّا
كم عظيمٍ أبَى عليه وجبّا ... رٍ ثنَى عنه جيدَه وأمرَّا
فتهنَّ انقيادَه لك واعلمْ ... أىّ طِرْفٍ جعلتُه (٣) لك ظَهرا
والبس المهرجانَ حُلَّةَ عزٍّ ... لستَ من لُبسِها مدى الدهر تعرَى
طاعنا فى السنين تطوى عليهـ ... ـنَّ [طوالَ] (٤) السنين عصرا فعصرا
واعلُ حتى أراكَ أشرفَ كعبًا ... من مكان السُّهَى وأنبَهَ ذِكرا

* * *

وقال وقد بلغه عن الرئيس أبى القاسم هبةِ الله بن علىّ بن ماكولا ذكرٌ جميلٌ، وتقريظٌ لشعره، وتشوُّقٌ الى رؤيته، وكان مقيما بالبَطيحة، يتقلَّدها وواسطَ حَرْبا وخراجا، وكتب بها اليه

"بالغَور" ما شاء المطايا والمطرْ ... بَقلٌ ثخينٌ ونميرٌ منهمرْ
وسرحةٌ ضاحكةٌ وبانةٌ ... غنَّى الربيعُ شأنَها قبلَ السَّحَرْ

(١) السناء: الرفعة والعلو، وفى الأصل "شناء". (٢) فى الأصل "فجرا". (٣) فى الأصل "جلعته". (٤) هذه الكلمة ليست فى الاصل.

وأثرٌ من ظاعنين أحمدوا ... من عيشهم على "الأثيلات" الأثرْ

فراخ من حبالها وخلّها ... تأخذُ من هذا اللُّباخ (١) وتذرْ

كم المنى تُرعَى لها وكم تُرَى ... يُمسك من أرماقها رجعُ الجررْ (٢)

أما تُجَمٌّ (٣) لمساقطٍ لها ... يطرحُهنّ بالفلا طول السفرْ

الله فيها إنها طُرْق العلا (٤) ... وعُدَّةُ المرء لخيرٍ ولشرّْ

ظهورُها العزُّ وفى بطونها ... كنزٌ لليل الطارقين مدّخرْ

نعم لقد طاولها مطالُنا ... وحان أن يُعقبها الصبرُ الظفرْ

"فالغورَ" يا راكبها (٥) "الغورَ" إذنْ ... إنْ صدق الرائدُ (٦) فى هذا الخبرْ

لسًّا (٧) وخضما (٨) أو يعودَ تامكا (٩) ... الغاربُ التامكِ والجنْب المُعَرْ

وإن حنتَ "للحمى" وروضِه ... "فبالغضا" ماءٌ وروضاتٌ أُخَرْ (١٠)

هل "نجدُ" إلا منزلٌ مفارَقٌ ... ووطنٌ فى غيره يُقضى الوطَرْ

وحاجةٌ كامنةٌ بين الحشا ... والصدر إن ينبِضْ لها البرقُ تُنِرْ

يادِين قلبى من صَبًا نجديّةٍ ... تجرى بأنفاس العِشاءِ والسَّحَرْ

اذا نَسيتُ أو تناسيتُ جَنَتْ ... علىّ "بالغور" جناياتُ الذِّكَرْ

---

(١) اللباخ بضم أوّله : شجر عظيم معروف باللبخ . (٢) الجرر جمع جِرّة وهى ما يخرجه البعير من بطنه ليمضغه ثم يبلعه . (٣) تجمّ : تُترك ولا تُركب لتقوى . (٤) الله فيها بمعنى اتقوا الله فيها .

(٥) فى الأصل "يا راكبنا" . (٦) الرائد : الرسول الذى يرسله القوم لينظر لهم مكانا ينزلون فيه ، ومنه قولهم : "الرائد لا يكذب أهله" . (٧) اللسّ ، أن تأخذ الدابة الكلأ بطرف لسانها . (٨) الخضم : الأكل بأقصى الأضراس . (٩) التامك الأولى : بمعنى الناقة العظيمة السنام ، والتامك الثانية بمعنى السنام والغارب هنا بمعنى الغائر أو الذاهب ، والجنب المعر : الذى أصابه العر وهو الجرب ؛ فيكون معنى البيت أنّ الذى ذهب سنامه لهزاله والذى أصابه العرّ من طول السفر اذا وصل الى الغور أكب على اللس والخضم لكثرة المرعى به فيعود عظيم السنام بعد هزاله (١٠) فى الأصل "أحر" .

آهِ لتلك الأوجهِ البيضِ على ... "رامةَ" فى تلك القُبَيْباتِ الحُمُرْ
يَنزو بجنبيّ متى غنّى بها ... قلبٌ متى ما شربَ الذكرى سَكِرْ (١)
كنّا وكانت والليالى رطبةٌ ... بوصلنا والدهرُ مقبولُ الغِيَرْ
أيّام لا تُدفع فى صدرى يدٌ ... ولا يُطاع بى أميرٌ إن أمَرْ
وعاطفُ العيون لى وشافعى (٢) ... ذنبى اليها اليومَ من هذا الشَّعَرْ
وَسْمًا رجعتُ مهملا غفلاتِه ... اذا البهامُ نصّعتهنّ (٣) الغُرَرْ
ما خِيلَ (٤) لى أن الدرارى (٥) قبله ... يُنكرها سارى الظلام المعتكِرْ
قالوا : تحمّلتَ (٦) بها غديرةً ... مَرِدَعةً عن الخنا ومُزدَجَرْ
رُدُّوا سفاهى وخذوا وقارَها ... بَيْعَ الرضا، وندَما لمن خَسِرْ
رحتُ بها بين البيوتِ أزورا (٧) ... مواريا شخصِى من غيرِ خَفَرْ
أحملُ منها بقلةً ذاويةً ... بالعيش كانت أمسِ ريحانَ العُمُرْ
ياقَصُرتْ يدُ الزمان شدّما ... تطول فى ثَلْمى وفى نقضِ المِرَرْ (٨)
عَصًا شظايا ومشيبٌ عَنِتٌ ... ومنزلٌ نابٍ وأحبابٌ غُدُرْ
وصاحبٌ كالداء إن أبديتُه ... عَوَرَ وهو قاتل اذا أُسِرّْ (٩)
أحملُه حَمْلَ الشَّغا (١٠) نقيصةً ... وقلّةً ما زاد ألّا (١١) وكثُرْ
يُبرزه النفاقُ لى فى حُلّةٍ ... حبيرةٍ من تحتها جِلدُ نَمِرْ

(١) فى الأصل "شكر" . (٢) يشير بذلك الى سواد شعره وهو فتىّ . (٣) نصّعتهن : جعلتهن نواصع ، وفى الأصل "تضعتهن" . (٤) فى الأصل "حيل" . (٥) فى الأصل "التشاكى" ولا معنى لها هنا مطلقا وهو من تشويه النسخ ، وقد رجحنا كلمة "الدرارى" لأن الشاعر يريد تشبيه ما ابيضّ من شعره بالنجوم فى الظلام الدامس ، وكثيرا ما طرق هو وغيره من الشعراء هذا المعنى .
(٦) فى الأصل "تحمّلت" . (٧) الأزور : المائل ، وفى الأصل "أزوزا" . (٨) المرر جمع مِرّة وهى طاقة الحبل . (٩) فى الأصل "سر" . (١٠) الشغا : الزيادة فى الأسنان .
(١١) ألّا : صفاءً وبريقا .

مبتسمٌ والشـرُّ فى حِـلاقِـهِ ... خَفْ كيف شئت أرقما اذا كشَرْ
لأنفضنَّ الناسَ عن ظهرى كما ... قطَّرَ(١) بالراكبِ مجلوبٌ عُقِرْ
فَرْدًا شِعارى لا مساسَ بينهم ... منفَرَدَ الليثِ وإن شئتَ القَمرْ
نفسى حبيبى وأخى تقنُّعى ... وربّما طرَّفتِ الدنيا بحُرّْ
إن يكُ يأسٌ فعسى غائبةٌ ... تَظهرُ، والنارُ كمينٌ فى الحجرْ
قد بشَّرتنى بكريم هبَّةٌ ... بمثلها ريحُ الجَنوبِ لم تَثُرْ
تقول لى بصوتها الأعلى ضُحًى ... وبالنسيم فى الدُّجى الحلوِ العَطِرْ:
إنَّ فَتَى "مَيسانَ" دون دارِه ... (٢)[قد] بَقِىَ المجدُ وحيدا وغَبَرْ
يعرفُ ما قد أنكر الناسُ من الـ ... ـفضل ويُحيِى فى العلا ما قد دَثَرْ
وأنه — جرى بخيرٍ ذكرُهُ — ... حنّ وقد عُرِّض باسمى وذُكِرْ
وعَلِقَتْ بقلبه ناشطةٌ ... مرَّت عليه من بُنَيَّاتِ(٣) الفِكَرْ
فمن هو الراكبُ ملساءَ(٤) القَرا ... مُصْمَتةَ(٥) الظهر ببطنٍ منقعرْ؟
رفِّعْ ذُناباها وخفِّضْ صدرَها ... مُشرِفةَ(٦) الحارك(٧) وقَصاءَ(٨) القَصرْ
تحدو بها أربعةٌ خاطفةٌ ... تُنحى عليها أربعٌ منها أُخَرْ(٩)
اذا المطايا خِفنَ إظماءَ السُّرى ... فربُّها من شَرَقٍ على حذَرْ
يعدُّ أبراجَ السماء عَنَقًا ... فى مثلها تصعُّدا ومنحدَرْ
يرفَعُ عنها حدَبُ الموج اذا آسـ ... ـتنَّتْ(١٠) صناعُ الرِّجْلِ(١١) فى خوضِ الغَمَرْ

---

(١) قطّر: ألقى، وفى الأصل "فطر". (٢) ليست بالأصل. (٣) بنيَّات الفكر: الخواطر. (٤) القرا: الظهر. (٥) يشير بذلك الى السفينة. (٦) الحارك: أعلى الكاهل. (٧) الوقصاء: القصيرة وهو وصف خاص بالعنق. (٨) القصر: أصل العنق اذا غلظت. (٩) يشير بذلك الى المجاديف. (١٠) استنّت: اضطربت. (١١) صناع الرجل: الحاذق فى العمل برجله و يقابلها "صناع اليد"، وفى الأصل "صناع الرخل".

لو لم يلاطفها على آعتسافه ... بخُدعةٍ من اللّيان لم تسِرْ:
إسلَمْ وسِرْ وليس إلا سالما ... مَن راح فى حاجةٍ مثلى أو بَكَرْ
قُلْ "لأبى القاسم": يا أكرمَ مَنْ ... طُوِى اليه دَرْجُ أرضٍ أو نُشِرْ
وخيرَ من مُوطِلَ جفنٌ بكًى ... فى مدحه فلم يضِعْ فيه السَّهرْ
وآبنَ الذى قيل: إذا ولّى عن الـ ... ـدنيا تولّتْ بعده على الأثَرْ
وآستشرفَ الملوكُ من عطائه ... والخلفاءُ ما آستعزّ وآحتقرْ
ومَنْ تكونُ "الكَرَجُ"(١) "الدنيا بأن ... أُوطنَها "وعِجْلُ"(٢) "سادات البَشَرْ
لو لم يكن إلا "آبنُ عيسى"(٣) لكُمُ ... فخرا كفى ملء لسان المفتخِرْ
ساقِى العوالى من دمٍ ما رَوِيَتْ ... وعاقرُ البُدْنِ وعاقِرُ البِدَرْ
ناصبتم الشمسَ بحدِّ سيفه ... ودستُمُ بسعيه حدَّ القمرْ
وصارت الشمسُ تُسمِّيكم به ... أنجادَ "عدنانَ" وأجوادَ "مُضَرْ"
مضى وبقّى سؤرةَ(٤) المجد لكم ... ملآى(٥) اذا ما شرب الناس السُّؤَرْ
لكرماءَ آلتقموا(٦) طريقَه ... وألقوا بينهُمُ تلك السِّيَرْ
وشغلوا مكانَهُ من بعده ... كالشمس سدَّ جوَّها الشُّهْبُ الزُّهُرْ

(١) الكرج: مدينة بين همذان وأصبهان وأول من مصّرها أبو دلف القاسم بن عيسى العجلىّ وجعلها وطنه وكان قائدا فى عهد المعتصم كريما ممدّحا مشهورا بالسماحة والشجاعة وله مكان فى الشعر والغناء وهو الذى قال فيه علىّ بن جبلة

إنما الدنيا أبو دلف * بين مغزاه ومحتضرهْ
فاذا ولّى أبو دلف * ولّت الدنيا على أثرهْ

والى هذه الصفات يشير مهيار فى الأبيات التالية كما أشار الى هذين البيتين فى قوله .

وآبن الذى قيل: اذا ولّى عن الـ* ـدنيا تولت بعده على الأثر

(٢) عجل: اسم قبيلة . (٣) ابن عيسى: أبو دلف المذكور . (٤) السؤرة: البقيّة .
(٥) فى الأصل "ملى" . (٦) التقموا طريقه: نهجوا منهاجه .

زكيَّة طينتُهم، حديدة شوكتُهم، طاب حصاهم وكثُرْ
لا يتمشَّون الضَّراء(١) غيلةً لجارهم ولا يدبُّون الخمر(٢)
كلُّ غلام ذاهبٌ بنفسه مع العلاء إن بدا(٣) وإن حضَرْ
إمَّا زعيمُ فيلقٍ يطرحهم فى لهَواتِ الظلم حتى ينتصرْ،
مغامرٌ مسلَّطٌ بسيفه على الردى منتصِفٌ من القدَرْ،
أو تاركٌ لفضله من دِينه ما عزَّ من سلطانِه وما قهَرْ
عفَّ عن الدنيا وقد تزخرفتْ ممكنةً وعافها وقد قدَرْ
١٦٧ محكَّمٌ فى الناس يقضى بينهم بمُحكَم الآىِ ومنصوص السُّوَرْ
فكلّكم إمّا ابن عزٍّ حاضرٍ بسبقه(٤) أو ابن عزٍّ مدَّخَرْ
وحسبُكم شهادةً "لقاسمٍ" مجدُ "أبى القاسم" عينًا بأثَرْ
حدَّثَ عنه مثلَ ما تحدَّثتْ عن كرم الأغصانِ حلواءُ الثَّمَرْ
مواهبٌ فى "هبةِ الله" لكم أوفَى بها على مناكم وأبَرّْ
يا مسلفى تبرُّعا من ودِّه سلافةَ الخمرِ ووسمىَّ(٥) المطَرْ
ومُنزِلى من شُرُفاتِ رأيه مكانَ ينحطُّ السهَى وينحدِرْ
لبّيك قد أسمعتنى وإن يغبْ سمعِى عنك ففؤادى(٦) قد حضَرْ
عوائدٌ من الكرامِ عاد لى ميِّتُهن بعلاك ونُشِرْ
كم فىّ من جُرحٍ قد التحمتَهُ بها ومن كَسرٍ عَصَبتَ فجُبِرْ
ملكتَ رقِّى وهوى فاحتِكمْ ملكَ اليمين لم أهَبْ ولم أُعِرْ
لثمتُ ما خطَّت يدُ الكاتب مِن وصفِكَ لى لثمَ المطيفين الحجَرْ

(١) الضراء: الاستخفاء. (٢) الخمر: الخفية، يقال: "هو يدبّ له الضراء ويمشى له الخمر" لمن يختل صاحبه. (٣) بدا وحضر: أقام فى البادية أو فى الحضر. (٤) فى الأصل "بسيفه". (٥) الوسمىّ: أول مطر الربيع أو مطر أول الربيع. (٦) فى الأصل: "فغوادى".

وقلتُ : يا كامنَ شوقِي ثُرْ، ويا قلبِيَ إمَّا واقعا كنتَ فَطِرْ
ويا ظَمائى هذه شريعةٌ يدعو اليها الواردين من صَدَرْ
فلو علِقتُ بجناحِ نهضةٍ حوَّمَ بى عليك سعىٌ مبتدَرْ
ولرأيتَ معَ فرط حشمتى وجهى عليك طالعا قبلَ خَبَرْ
لكنَّها عزيمةٌ معقولةٌ (١) تئنُّ من ضغط الخطوبِ والغِيَرْ
وهمةٌ عاليةٌ يحُطُّها أسْرُ القضاء لا يفكُّ من أَسَرْ
وربّما تلتفتُ الأيّام عن لحاجها أو يُقلِعُ الدهرُ المُصِرّ
وإن أُقِمْ فسائراتٌ شُرَّدٌ يَزُرْن عنّى أبدا من لم أَزُرْ
قواطعٌ (٢) اذا الجيادُ حَبَسَتْ اليك أمراسَ (٣) الحبالِ والعُذُرْ (٤)
كلُّ ركوبٍ رأسَها الى المدى لم تزجُرِ الطيرَ ولمَّا تستشِرْ
نهارُها مختلطٌ بليلها ترمِى العشيّاتُ بها على البُكَرْ
تحمِلُ من مدحكُمُ بضائعا يمسى الغبينَ فى سواها من تَجَرْ (٥)
كأنَّما حلَّ "اليمانون" بها عِطارَ "دارين" وأفوافَ "هَجَرْ"
لم يمضِ من قبلى فمٌ لأُذُنٍ بمثلهنّ مُوعَبًا ولم يَطِرْ
سلَّمها خولُ هذا الشعر لى ضرورةً، ما سلَّموها عن خِيَرْ
شُهْدٌ لمن أحبَّكم وأَقِطٌ (٦) وفى أعاديكم سِمامٌ وصَبِرْ
لتعلموا أن قد أصاب طَوْلُكم (٧) مَن عرفَ النعمةَ فيه فشَكَرْ

---

(١) معقولة : محبوسة مشدودة بالعقال . (٢) قواطع : تقطع البلاد وتجتازها كالطيور القواطع . (٣) أمراس جمع مَرَس (جمع مَرَسة) وهى الحبل . (٤) العذر جمع عذار وهو اللجام . (٥) تجر : باع واشترى، وفى الأصل "نحر" . (٦) الأقط : شىء يتخذ من اللبن المخيض، يطبخ حتى يمصُل . (٧) الطول : العطاء .

* * *

وقال يرثى الصاحب أبا القاسم بن عبد الرحيم ، وقد قتل محبوسا بعد طول الأسر فى قرية على شاطئ الفرات من أعمال هِيت (١)

مَنْ حاكمٌ وخصومِىَ الأقـدارُ؟ كثُر العـدوُّ وقلّت الأنصارُ!

أشْجَى من الدنيا بحبِّ مقلِّبٍ وجهين ، عُرفُ وفائه إنكارُ

سـوْمَ الدعىِّ اذا تضرَّع ردَّه للؤم عرقُ الهُجنـةِ (٢) النَّعّارُ (٣)

واذا وَفَى لمنـاىَ يـومٌ حاضرٌ فأجارَ أسـلمنى غَدٌ غـدّارُ

أفصخرةٌ يا دهرُ هـذا القلبُ أم هو للهمـوم السـاريات قرارُ؟

فى كلِّ يـومٍ للنوائبِ شَـلَّةٌ (٤) من جانبىَّ وللهمـومِ غِوارُ (٥)

ومصائبٌ متحكِّماتٌ ليس لى معهنَّ فى بيع النفـوس خِيارُ

تُنحِى فأحملُها ثِقـالا مُكرَها وكأننى بتجـلُّدى مختارُ

جُرْحٌ على جُـرْحٍ ولكن جائفٌ (٦) ضـلَّ الفتائلُ (٧) فيـه والمِسبارُ (٨)

فَجَرَتْ عمائقُهُ العـروقَ وغادرتْ قَصَبَ (٩) العظامِ وهنَّ مُخٌّ رارُ (١٠)

فاغمـزْ قناتى يا زمانُ فإنّه ذاك المماكسُ طائحٌ خـوّارُ

كُشِفَتْ لنَبْلِكَ غامضاتُ مَقاتلى وترفَّعتْ عن صَفحتِى الأستـارُ

وأكلتُ لا خَلَفٌ يردُّ سـلامتى ذلًّا ولا يحمى حمـاىَ جِـوارُ

---

(١) هيت : بلدة على الفرات من نواحى بغداد . (٢) الهجنة : عدم الإعراق . (٣) النعّار : المصوّت . (٤) الشلّة : المرة من الشلّ وهو الطرد ، يقال : فلان يشلّهم بالسيف أى يطردهم ويكسعهم ، وفى الأصل "سلة" . (٥) الغِوار : الغارة . (٦) الجائف : الطعن أو الداء بلغ الجوف ، وفى الأصل "طارف" . (٧) الفتائل جمع فتيلة وهى الخرقة تفتل وتزاتُ ، وفى الأصل "القبائل" . (٨) المسبار : الآلة يجسّ بها الجرح . (٩) فى الأصل "فصب" . (١٠) الرار : الذائب .

ذهب الذى كانت تجاملنى له الد نيا وتسقُط دونىَ الأخطارُ
ويُردُّ فارسةَ[1] الخطوبِ نواصلاً مِنِّى مخالبُهنَّ والأظفارُ (١٦٨)
من يشترينى بالنفائسِ مُغليًا بعدَ "الحسينِ" ومَنْ علىَّ يغارُ؟
ويُظِلُّنى واليومُ أغبرُ مشمسٌ[2] أتجلَّلُ النكباتِ وهى أُوارُ
أم من يضُمُّ بدائدَ الآمال لى ويُفَلُّ عنى باسمه الإقتارُ[3]
واذا اقشعرَّتْ[4] أرضىَ استصرختُه فاذا لحينُ تُربُها ونُضارُ
المِخذَمُ[5] البتّارُ أُسقِطَ من يدى والغيثُ أقلَعَ عنّىَ المِدرارُ
والصاحب انتُزِعَتْ قوادمُ أسرتى منهُ وهِيضَ جَناحُها الطيَّارُ
فاليوم لا أبتِ الصَّغارَ ولا اعتزتْ إلا عبيدًا "فارسُ" الأحرارُ
وتطأطأتْ ذلًّا فطالت ما اشتهتْ شرفا عليها "يَعرُبٌ" "ونِزارُ"
كمًّا وإن كَرُمتْ نفاخرُها [به][6] فالآنَ ما بعدَ "الحسين" فخارُ
لا خفتُ بعدُ ولا رجوتُ وقد ثوى فى التُّرب منه النافعُ الضرَّارُ
سائلْ بهذا الذَّودِ[7] يرغو بكرُه[8][9] فى الحىّ: أين المُقرِمُ[10] الهدَّارُ
ومتى أخلَّ أبو الشبول بغيلِه فتناهقتْ من حوله الأعيارُ
يا مُدرَجا فردا تُسَدَّى[11] فوقه بالقاع أرديةُ الثرى وتُنارُ[12]

(١) فى الأصل "فارسه". (٢) ورد هذا الصدر فى الأصل هكذا
* ويظل من واليوم مشمس أغبر *
وتصحيحه بما رجّحناه لا يخفى على أهل الأدب واللغة. (٣) الإقتار: قلّة المال والافتقار.
(٤) اقشعرّت: أجدبت. (٥) المخذم: السيف. (٦) هذه الكلمة غير موجودة بالأصل.
(٧) الذود: من الإبل ما بين الثلاثة الى التسعة وهو واحد وجمع كالفُلك. (٨) فى الأصل "يرعوا".
(٩) البكر: الفتىّ من الإبل. (١٠) المقرم: الفحل يترك عن الركوب والعمل للفحلة.
(١١) تسدّى: يجعل لها سَدًى وهو ما مُدَّ من خيوط الثوب بخلاف لُحمته. (١٢) تنار: يجعل لها نير وهو اجتماع الخيوط بخلاف السدى، وفى الأصل "تثار".

مُلقىً وراءَ نسيَّةٍ ومَضلّةٍ تُخفِي ضريحَك والقبورُ تُزارُ
أذللتَ قلبى للأسى وتركتنى أتبرَّدُ الزفراتِ وهى حِرارُ
وحطمتَ آمالى فهنّ ضعائفٌ وقَصرتَ من همى فهنّ صِغارُ
أنا من شِفار القاتليك متى ٱلتقتْ من مقلَتىَّ مع الكرى الأشفارُ
أو قلتُ معتاضا بجارٍ مثله جارٌ ولا بالدار بعدك دارُ
ومتى صحبتُ العيشَ بعدك باردا والنـاسُ صاروا بى الى ما صاروا
نبـذوا عهودَك آنفا وتقسَّموا رُمَمًا بحبـل الخُلف وهو مُغارُ
ظنُّوا بفقـدِك أن يَلُمُّوا شَعثَها يا رُبَّ نقضٍ جَـرَّه الإمرارُ
ورجَوْا بهُلكك أن يخلّد ملكُهم فاذا سلامتُهـم بذاك بَـوارُ
فعلامَ لم تُشْكَمْ(١) وقـد فغرتْ لهم فلجاءُ(٢) يُنكرنا بها الفـرَّارُ
وتفجَّرتْ بالشرّ بعـدك والأذى جنباتُها وتداعت الأقطارُ(٣)
حذِروا السجالَ(٤) يخابطون قَليبها(٥) والحبـلُ(٦) واهٍ والجَبا(٧) منهارُ
ودّوا لو ٱنك حاضرٌ فكفيتَها لما تـولَّى أمرَها الأغمارُ
ورعَى النـدامةَ حيث لم يشبع بها غاوٍ رماك وآخرون أشاروا
ولَّى يفِـرُّ ولم يعفْها سُبَّةً تَسرى وليس من الحِمامِ فرارُ
سرعانَ ما ٱستعروا بجمـرةِ بغيهم ولربَّ باغٍ غـرَّه الأنصارُ
طرحوا الفراتَ الى الفراتِ فمادرى مُلقـوك أيُّهما له التيَّارُ(٨)

---

(١) تشكم : توضع فيها الشكيمة وهى حديدة اللجام . (٢) الفلجاء : المتباعدة ما بين الأسنان ويريد بها هنا الوزارة من باب المجاز . (٣) الأقطار جمع قطر وهو الجانب . (٤) السِّجال جمع سَجْل وهو الدَّلو . (٥) القليب : البئر (٦) فى الأصل " والحال " . (٧) الجبا : نثيلة البئر وهى التراب الذى حولها تراه من بعيد ، وفى الأصل " الحيا " . (٨) فى الأصل " البتار " .

وتعاظموا أن يَقبُروك ومن رأى ... ليثا يُخَطُّ [له الثرى](١) مِحفارُ(٢)

"وأبى العلا" ما كنتُ أعلم قبلَها ... أنّ البحورَ قبورُهنَّ بحارُ

ذلًّا لبيض الهند بعدك شدّ ما ... غدَرتْ ولا سَلِمَ القنا الخطّارُ

ما كان أنكلهنَّ عنك لو آنه ... عند السلاح حفيظةٌ وذِمارُ

قتلوك محصورا غريبا لا تَرَى ... مولًى يُعِزُّ ولا بجنبك جارُ

من خلْفِ ضيِّقةِ السماء بهيمةٍ ... يتزو بقلبك بأبُها الصَّرَّارُ

حفروا الزبى(٣) لك فارتديت وإنما ... سلطانُ ليث الغابة الإصحارُ(٤)

هلا وفيك الى وثوبٍ نهضةٌ ... ولديك مُنتفَدٌ(٥) وعندك زارُ(٦)

وخطاك واسعةُ المَدى تحت الظُّبا ... لا الخيطُ يحبسها ولا المِسمارُ(٧)

أعزِزْ علىَّ بأن تصابَ غنيمةً ... فى القِدِّ(٨) يجمعُ ساعديك إسارُ

فى حيث لا يُروَى على عاداته ... بيديك نَصلٌ حائمٌ وغِرارُ(٩)

وبمصرعٍ لك لم تشابر دونه ... فوق الأكفِّ صوارمٌ وشِفارُ

والخيل صائمة على أشطانها ... قَرْحى(١٠) تقامَصُ خلفَها الأمهارُ

بشياتها لم يُختضَبْ بدمٍ لها ... عُرفٌ ولم يُبلَلْ عليك عِذارُ

أو أن يكون الجوُّ بعدك ساكنا ... واليومُ أبيضُ ما عليه غبارُ

ووراء ثأرك غِلمةٌ لسيوفهم ... فى الرَّوع من مهج العدا ما آختاروا (١٦٩)

يتهافتون على المنون كأنّهم ... حِرصًا فَراشٌ والمنيَّةُ نارُ

---

(١) هاتان الكلمتان ليستا فى الأصل . (٢) المحفار : الآلة يحفر بها . (٣) الزبى جمع زبية وهى الحفرة ، وفى الأصل "الربى" . (٤) الإصحار : البروز للصحراء . (٥) المنتفد : السعة ، وفى الأصل "منتقد" . (٦) يريد زأر فسهّلت الهمزة . (٧) يشير بذلك الى القيد كما يدلّ عليه البيت التالى . (٨) القدّ : سير من جلد يقيّد به الأسير . (٩) الغرار : حدّ الرمح والسهم والسيف . (١٠) فى الأصل "مرحى" .

*

حلماءُ فى الحُلَّى فإن هم أُغضِبوا ... طاشوا فخنّت[1] فيهم الاوتارُ

لو صحتَ تُسمعهم وصوتُك فى الثرى ... فحصوا عليك وفى السماء لطاروا

خذلوك مضْطَرّين فيك وجمجموا ... من بعد ما فَصُحت بك الأخبارُ

وتناذروا أن يندبوك تقيّةً[2] ... فالحزنُ بينهُم عليك سِرارُ

إن يُمسكوا فيضَ الدموع فربّما ... فاضت عيونٌ فى الصدور غِزارُ

أو يجلسوا نظرا ليوم تشاورٍ ... فالريثُ أحزمُ ما أرابَ بِدارُ

ولربّما نام الطَّلوبُ بثأره ... لغدٍ ولكن لا ينام الثارُ

وقد آشتفى بعد البسوس "مهلهل" ... زمنا وما نَسِيَ الدَّمَ "المِرّارُ"

وعلى "الطّفوف" دمٌ أطيلَ مِطالُه ... حتى تقاضَى دَيْنه "المختارُ"[3]

لا بدّ من يومٍ مريضٍ جوُّه ... للخيل فيه بالرءوس عِثارُ

متورِّدِ الطرفين يكفُرُ شمسَهُ ... دَجْنٌ له عَلَقُ الكماةِ قِطارُ

تَصلاه باسمك آخذين بحقّهم ... عُصَبٌ لهم "عبدُ الرحيم" شِعارُ

فهناك يعلم قاتلوك بأنه ... ما عُقَّ مَن أبناؤه أبرارُ

ويرى عدوُّك — والبقاءُ لغيره — ... أنّ البقاءَ وإن أطيلَ مُعارُ

وإن آشتفى وحَلا بفيه غدرُهُ ... أنَّ آعتقابَ حلاوتيه مُرارُ

ولقد يُشاكُ[4] المجتنِي بمكان ما ... عجِلتْ يداه ويُلدغُ المشتارُ

ولّى بها شنعاء تَذهبُ نفسُهُ ... فيها ويَبقَى لومُها والعارُ

---

(١) خنت : فصوتت ، والأوتار جمع وَتَر وهو شرعة القوس ومعلّقها . (٢) تقيّة : اتقاء وخوفا . (٣) الطفوف : يراد به الطفّ وهو موضع قرب الكوفة قُتل به الإمامُ الحسين رضى الله عنه والمختارُ هو آبن عبيد الثقفىّ وقد قام بأخذ الثأر من قَتَلة الحسين فدعا الناس الى محمد بن على بن أبى طالب رضى الله عنه المعروف بابن الحنفيّة . (٤) فى الأصل "يشال" .

درستْ بك السُّنن الحميدةُ وٱغتدى ... نقْـدُ المكارم وهو منك ضِمارُ[1]

هل سائلٌ بك بعـدها أو قائلٌ ؟ ... هيهات لا خَـبرٌ ولا ٱستخبارُ !

حتى كأنك لم تقُـدْ ملمـومةً[2] ... يُومَى اليـك أمامَها ويُشارُ

خرساءَ إلا ما تكلَّم صارمٌ ... فى قَوْنَسٍ[3] أو طَنَّ عنـه فقَارُ

تهفـو عليك عُقابها[4] ويضمُّها ... منشـورةً لفنائك التَّكرارُ

وكأنَّ رأيك لم يلُحْ قَبَسًا اذا ... عَمِيتْ عشايا الرأى والأسحارُ

واذا خِلاط الأمرِ سُـدَّ طريقُه ... فلديك واضحـةٌ له وقـرارُ

وكأنّ بابَك لم يكن لعُفـاته ... حَرَما يُجـير ولا حمًى يُمتارُ

يأوى اليـه المستنون[5] ويلتـقى ... بفِنـائه السُّفَّارُ والحُضَّارُ

وتبيت تَلْغَـطُ من وصائلِ ناقةٍ ... عُشَرَاءَ عنـدك بُرمةٌ[6] أعشارُ

تُصفِى كرائمَها الضيوفَ وتكتفى ... فيما يليك بما ٱنتـقى[7] الجزَّارُ

وكأنّ كفّك لم تَبِنْ فى ظهرها ... قُبَـلُ الملوكِ وتشـهدُ الآثارُ

ويخفُّ بين بنانها إن حُمِّلَتْ ... ضـبطُ الحسامِ ويثقلُ الدينـارُ

بالكره منـك وبالمَسـاءة رَوَّحَت ... لسوى العُقور على البيوت عِشارُ

وتراجعتْ وخـدودُها ملطومةٌ ... بُزْلٌ لقصـدك وُجِّهَتْ وبِكارُ

وغفلتَ لم تسأل ـ ولستَ بغافلٍ ـ[8] ... أنّى تنكَّب بابَك الزُّوَّارُ

وتسلَّبتْ من فارسٍ أو راكبٍ ... تلك السروجُ اليـك والأكوارُ

---

(١) الضمار : الوعد المسوّف . (٢) الملمومة : الكتيبة . (٣) القونس : مقدّم الرأس أو العظم الناتئ بين الأذنين . (٤) العقاب : الراية وكانت راية النبيّ صلى الله عليه وسلم تسمى "العقاب" . (٥) المستنون : المجدبون . (٦) البرمة : القِدر . (٧) انتقى : استخرج النِّقْى وهو مخ العظام . (٨) فى الأصل هكذا

* وعقلت لم تسأل ولست بعاقل *

ومـــتى أرمّ[1] المادحون وأكسدتْ ... من بعـد ما نفقتْ بك الأشعـارُ

أو أن أقولَ فلا تصيخ لقـــولتى ... لو كنتَ متروكا وما تختـارُ[2]

وترى الزمانَ[3] يضيمنى فيفوتنى ... من راحتيك حميَّـــةٌ وغِيـارُ[4]

قد كنتَ حصنا من وَرايَ وكان لى ... بك من أمامى جُنَّةٌ وصِـــدارُ

أيامَ شـــيبى تحت ظلّك نضرةٌ[5] ... وصِبًا ولِيـــلِى فى ذَراك نهـارُ

وعلىَّ من نُعمَى يديك طلاوةٌ ... أمشى وتتبعنى لهـا الأبصارُ

قد كنتُ أحسبُ أن بأسَك هضبةٌ ... لا يســـتطيع رُقِيَّها المِقـــدارُ

وأقولُ[6] أنّ لسقف بيتك فى العلا ... عَمَـــدًا حبالُ الموت عنـه قصارُ

وإخالُ جودَك نَشْـلةً دون الردى ... حصـداءَ تمنع فَرْجَهـا الأزرارُ[7]

فاذا الشجاعةُ والسماحـــةُ متجرٌ ... تزكو بـــه الأعمـالُ والأعمارُ

غـــدرا من الأيّام تُفْتِـــقُ[8] شمسُها ... والأرض تورقُ فوقَها الأشجـارُ

ومذلَّة فى السُّحبِ وهى صواحب ... ليديك تَنزِل بعـــدك الأمطارُ

كم قـــد تعلّلتِ المنى بك ، تارةً ... أمنٌ وطورا خِيفـــةٌ وحِذارُ

وتخالفتْ فيك الرُّواةُ فسرّنى ... وتلوّنت بحـــديثك الأخبـارُ

ولقـــد ظننتُ بهـا وراءَ لثامها ... خـــيرًا[9] فكشَّفَ قُبحَها[10] الإســفارُ

إن تفتقدْ عينى مِثالَك فى العـــلا ... فبنوك من عَين العـــلا آثارُ

---

(١) أرمّ : سكت . (٢) فى الأصـل "تمختار" . (٣) فى الأصـل "يضمّنى" .

(٤) الغيار : الغيرة من الحميّة والأنفة ، وفى الأصل "عثار" . (٥) فى الأصل "نصرة" .

(٦) أقول هنا بمعنى أظنّ . (٧) فى الأصل "الإزار" . (٨) يقال : أفتق قرن الشمس بمعنى أصاب فتقا من السحاب فبدا منه . (٩) فى الأصل "فتحها" . (١٠) فى الأصل "الأشفار" .

سدُّوا مكانَك والشموسُ اذا هوتْ ... ملأت مَطارحَ نورِها الأقمارُ

طِبْ فى الثرى نفسًا فكلُّ منهُمُ ... ثَمَّ آقتراحُك فيه والإيثارُ

هم، أنفسا تُدوِى(١) عداك وألسنا، ... ن جمرتيك سلائطٌ وشَرارُ

كانوا السَّراةَ وقد عدِمتَ وبعضُهم ... لأبيه إن طرَقَ الحِمامُ عوارُ

متلاحقين الى العلاء كأنّهم ... مُجرَوْنَ يجمعُ بينهم مِضمارُ

الوفدُ وفدُك طائفٌ ببيوتهم ... والحاملُ العبقاتِ والسُّمَّارُ

تُتلَى عليهم فيك كلُّ فضيلةٍ ... للبيْتِ فيها النشرُ والتَّذكارُ

أيدٍ طُبعنَ على السماح وأوجهٌ ... فى عتقها من دوحيتك نِجارُ

هم ما هُمُ! ويزينُ مجدَ أبيهمُ ... خالٌ لزَندِ المجدِ منه سِوارُ

ما غِبتَ عنهم وهو شاهدُ أمرهم ... لك منه فيهم كافلٌ وطَوارُ

فليبقَ وليبقوا له ما طبّق الـ ... آفاق طِيبُ ثنائك السيَّارُ

واذا العزاءُ أتى فذَلَّ لهم به ... فيك العزيزُ وأسهلَ المِعسارُ

ولقد أُسلِّيهم(٢) وفى عِظتى لهم ... جَزَعٌ ورَجْع كلامِىَ آستعبارُ

ساهمتُهم عِبءَ المصابِ وكلُّنا ... تحت التجمُّل حاملٌ صبَّارُ

لا تبعُدَنّ بِلًى، فقد فات البلى ... بك أن يُظَنَّ تقاربٌ ومَزارُ

وسقاك ـ إن عطِش القليبُ وماؤه ... متبجِّسٌ(٣) وقَرارُه خَرَّارُ(٤)

---

(١) تدوى : تُمرِض . (٢) فى الأصل "أسلبهم" . (٣) متبجّس : متفجّر، وفى الأصل "متنحس" . (٤) خرّار : له خرير وهو صوت الماء، وفى الأصل "جرّار" .

متهـــدِّلُ الأطرافِ يَمسَحُ بالثرى ... مما ترا كَمَ ذيلُهُ الجَـرَّارُ
صَخِبُ الرُّعودِ تَهيـــجُ فى جَنباتِهِ ... للعاصفاتِ جَراجِرٌ[1] وخُـوارُ
فجـــرى يجلّلُ بالحيا حِيطانَهُ ... حتى الجـــداولُ تحتها أنهارُ
يَسقِى بأعذب ما سَقَى حيث ٱلتقتْ ... فِلقُ الصفيحِ عليـــكَ والأحجارُ
حتى يُظنَّ ثراكَ نَشـــوانا به ... دارت عليـــه من السحابِ عُقارُ
ويضوعَ منك بطيبِ مافى ضمنه ... فكأنّ ضارجَ تُربه عطّـارُ
ونزلتَ حيث تُحَطُّ أملاكُ العـلا ... شـــوقا اليـــك وتُرفَعُ الأوزارُ

تم الجـــزء الأوّل

ويليه الجزء الثـانى ، أوّله قصيدة مطلعها

رعَتْ بين "حاجرَ" والنعفِ "شهرا" ... جَميمًا[1] وعبَّتْ[2] شآبيبَ غُـزْرَا

---

(١) الجراجر : الأصوات . (٢) الجميم : النبات الكثير . (٣) عبّت : شربت وجرعت ، فى الأصل "غيّبت" .

إصـــلاح خطأ

وقعت فى هذا الجزء أغلاطٌ قليلة نرجو تصحيحَها فى صُحُفِها وهى :

صحيفة	سطر	خطـــأ	صـــواب
١	١١	وقَذاءُ	وقَذاةُ
٢٧	١٢	المزاح	المِراح
٢٧	٢٠	(٤) الجُرُبُ جمع أجرب	(٤) الجَرِبُ : الأجربُ
٢٨	٢٢	(٩) الأُهَبُ جمع أُهبة وهى العدّة	(٩) الأُهُبُ جمع إهاب وهو الجلد
٣٠	٦	كاثُرُوا	كاثَرُوا
٤٤	١٥	الزُّنْجبىّ	الزُّنَّجبىّ
٤٥	٢١	حجراتهم	حجزاتهم
٤٧	٧	رافدتْ	رادفتْ
٤٧	٩	تُدْمَل	تَدْمَل
٤٧	١٦	شبَهُ الأيّامَ	شبهَ الأيّامِ
٤٨	٢	حُسنَا	خَمسَها
٤٨	١٠	رأَمَتْ أبواءَها	رُئِمتْ أبواؤُها
٤٩	٩	مخداجُها	مخداجُرا
٥٠	١٧	دُبوبها	دَبوبها
٥٠	٢٢	(٩) تزمّ : تصوّتُ	(٩) تُرِمُّ : تسكُتُ
٨٨	٨	أبى الحسين	أبى الحسن
١٥٥	٢٠	(٣) الحِرَّة : الحجارة السود	(٣) الحَرَّة : الأرض ذات الحجارة السود
١٥٧	٢١	(٦) لأذَمّتْ : لأعيت	(٦) لأرمَّتْ : لسكتَتْ
١٧٥	١٧	وُرقاء	وَرقاء

(مطبعة الدار ٩٢/١٩٢٤/٣٠٠٠)

*PB-36334-A - SP
5-05
CC
0530